عبد الحكيم العفيفي

موسوعة

١٠٠٠ حدث إسلامي

اوراق شرقية

الطبعة الأولى - بيروت

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

أوراق شرقية

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - النويري - شارع العريس‌ي ص.ب: ٢٠٣١ / ١١

هاتف: ٦٣٠٧٩١، ٦٤٤٤٢٢ فاكس: ٦٣٠٧٩١ برقيا UWSTLRVAN

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً

(١)

بوفاة النبي ﷺ في الثامن عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة انتهى الوحي الإلهي.. ولقد المسلمون مرشدهم وزعيمهم وإمامهم.. وكادت أواصر وحدتهم تتفكك بظهور المرتدين لولا أن خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه وألقى كلمته المعروفة قبيل قتالهم: «والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي وإن منعوني عقالاً».

ولقد ظهر من حروب الردة أن المسلمين كانوا قد صمموا على إعلاء كلمة الله ونشر دينه، وهدم حصون وقلاع الكفر والطغيان حتى يتحرر الأبرياء في مشارق الأرض ومغاربها من صنوف القهر والاسترقاق والديكتاتورية.

ثم جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة الثاني للمسلمين ليظهر أنواعاً لا حصر لها من الإبداع السياسي والخلقي والروحي مما يجعله واحداً من أعظم الحكام في تاريخ البشر... فقد تزايدت الانتصارات على عهده شرقاً وغرباً، وربما يكون ذلك سبباً في ظهور العداوة ممن يحقدون على سطوع نجم المسلمين... فها هوذا أبو لؤلؤة المجوسي يغتال الفاروق عمر فجأة لتتصدع قلوب المسلمين وتتوقف الفتوحات.. ولكن معاونة الأتقياء من حول عثمان بن عفان رضي الله عنه لمبايعته ليقود العرب من جديد نحو نشر دين الله الحنيف، فبدأ الغيورون يصنعون فتنهم من جديد... حيث تمكن عبد الله بن سبأ من

التفريق بين الصفوف في محنة شديدة راح ضحيتها الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ومن بعده الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. . . ولكن سرعان ما سطع نجم بني أمية القوي فأسسوا دولة عربية إسلامية فتية بلغت حدودها، قبل نهاية القرن الأول الهجري، الهند شرقاً، والأندلس غرباً، وبحر قزوين شمالاً، واليمن والسودان جنوباً. . وهي كما نرى مساحة من الأرض تعادل نصف مساحة العالم المعروف في ذلك الوقت.

(٢)

ولكن مهما بلغت الدول من قوة وازدهار، فإنها لا تصمد أبداً أمام تقلبات الدهر وفعل الزمن. . فالشيخوخة قدر مسلط على الدول كما هو مسلط على البشر. . . فقد بدأت عوامل الضعف تسري في أوصال الدولة الأموية بسبب كثرة الفتن والتمردات التي قام بها الشيعة والعلويون، حتى تمكن أبناء البيت العباسي في فارس تحت قيادة أبي مسلم الخراساني من جمع صفوفهم والزحف على الدولة الأموية في الشام ليطيحوا بها في معركة الزاب الأعلى، منهيين بذلك حكم الأمويين الذين لم يتبقَ لهم سوى الأندلس، حيث قامت هناك دولة مستقلة قوية بواسطة رجل من أمراء البيت الأموي يدعى عبد الرحمن الداخل، الذي تمكن بأعجوبة من تحويل الأندلس إلى أكثر بلدان أوروبا ازدهاراً ورقياً.

(٣)

ولقد أخذت الدولة العباسية في ترسيخ قواعد الإسلام في كل الأراضي التي كان الأمويون قد وصلوا إليها، معتمدة في ذلك على مبدأ الارتباط الروحي بين المسلمين تحت راية الخلافة ومنح حق تقرير المصير السياسي للولايات التابعة لها.

ولقد كانت تلك الوسيلة في صالح المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها حيث ساعدت بشكل واضح في تجديد رائع للقوي السياسية وللفكر السياسي وعكست قدراً مساوياً من الحيوية والنشاط والمقدرة على استبدال الضعيف

بالقوي، والشيخوخة بالشباب فدامت الخلافة ودام الازدهار وتكاثرت الثروة والمعارف وتراكمت حتى غدا من المستحيل على مدى خمسمائة عام تقريباً أن تتعرض بلاد المسلمين للخطر الخارجي... وإن ظهر أي عدو فقد كانت الهزيمة مصيره والهلاك أو الأسر حليفه.

(٤)

ومع ذلك فسبحان من اتصف وحده بالكمال والدوام.. فالدولة العباسية وإن اتسعت وتمددت لم تقوَ على استمرار فرض نفوذها على كل الأنحاء، فاستقلت عنها مصر بعد نجاح الفاطميين في بسط نفوذهم الشيعي على مجمل شمال افريقيا ثم الشام والحجاز واليمن والسودان... وبالرغم من التباين الواضح بين الدولة العباسية السنية والدولة الفاطمية الشيعية، إلا أن كلاً منهما لم تتمكن من القضاء على الأخرى بل لم يسجل التاريخ أن معارك كبرى قد دارت بينهما.

وبمرور الوقت استتب الأمر الواقع، ودخلت كلا الدولتين في مرحلة الكمون ثم الضعف، فاستغل بابا الفاتيكان أوربان الثاني الفرصة وذهب إلى فرنسا حيث ألقى خطاباً حماسياً في مدينة كليرمونت أمر فيه نصارى أوروبا الكاثوليك بأن يتأهبوا للزحف على العالم الإسلامي لتبدأ الحروب الصليبية التي سرعان ما نجحت في اختراق دولة سلاجقة آسيا الوسطى (الجناح العسكري للدولة العباسية) ثم هزيمة الفاطميين في الشام، وتأسيس أربع إمارات لهم حولوها إلى كيانات صليبية قوية هي إمارة الرها، وانطاكيا، وبيت المقدس، وطرابلس... وبهذا ضاعت القدس (بعد أن ذبح من أهلها سبعون ألف مسلم) لأول مرة منذ أن فتحها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.. وسرعان ما غدت مدن إسلامية عربية عريقة مثل دمشق وبغداد والقاهرة مهددة في أي وقت من العدو الشرس القريب المتربص بها.

(٥)

وكان لابد لكي يثبت المسلمون أنهم أصحاب حضارة راسخة أن يقوموا

بحركة إصلاح لتجديد كياناتهم، وإحياء قوتهم وتنظيم صفوفهم، ولقد قاد تلك الجهود سلاجقة الشام العظام تحت إمرة عماد الدين زنكي الذي تمكن بعد جهود مضنية من أن يحرر إمارة الرها (في شمال الشام والعراق) من الوجود الصليبي، ثم تبعه ابنه نور الدين محمود الذي أرسل القائد السلجوقي شيركوه (وابن شقيقة صلاح الدين الأيوبي) إلى مصر لحمايتها من التهديد الصليبي الذي كان قد احتل مدينة دمياط الهامة بعد هزيمة الفاطميين فيها. . . ثم تمكن شيركوه وصلاح الدين من دخول مصر وتأمينها إلى أن مات الخليفة الفاطمي الأخير، العاضد بالله، وبهذا طوى التاريخ صفحة الدولة الفاطمية الشيعية، وتحولت مصر مرة أخرى للمذهب السني ليسيطر عليها صلاح الدين وليضم لها الشام واليمن والحجاز في دولة عسكرية قوية هى الدولة الأيوبية. . . تلك الدولة الفتية التي أخذت على عاتقها تحرير القدس من الاحتلال الصليبي وهزيمة الجيوش الصليبية في حطين والرملة.

(٦)

وبينما كان الأيوبيون في مصر والشام يحققون أبهر الانتصارات، كان حكام الأندلس المسلمين يقاتلون بعضهم بعضاً. . . فضغط عليهم الأسبان واستولوا منهم على مدن إسلامية عريقة مثل سرقسطة ولشبونه مما دفع بقادة دولة الموحدين بشمالي أفريقيا إلى العبور للأندلس لحمايتها من الزوال وتقابلوا مع الأسبان في معركة ضارية سميت بموقعة الأرك، وإلحاق الهزيمة بهم، وبالرغم من ذلك تمكن الأسبان من الاستعانة بالجيوش الأوروبية التي كانت قد ذاقت مر الهزيمة من الدولة الأيوبية في الشرق، من استعادة زمام المبادرة وهجموا على الموحدين فهزموهم في موقعة العقاب فسقطت بعد ذلك مدن أندلسية عريقة أخرى كان أهمها قرطبة ثم بلنسية ثم أشبيلية.

(٧)

ولقد استمرت دولة بني أيوب في حماية الشرق الإسلامي من خطر

الصليبيين حتى زالت تلك الدولة، وقام في أعقابها دولة المماليك الأولى التي صاحب قيامها أحداثاً جساماً شهدتها مصر إبان حملة لويس التاسع عليها. ومع ذلك، وبينما كانت مصر تشهد قيام دولة قوية جديدة على أرضها، كانت الدولة الخوارزمية (التي تأسست في بلاد ما وراء النهر خلفاً للدولة السلجوقية هناك) تلقى حتفها المروع على يد جحافل المغول بقيادة جنكيزخان الذي ذبح مئات الألآف من سكانها الأبرياء، وليقوم بعدها بالزحف على بلاد فارس ليدك ما فيها من معالم الحضارة، ثم يوالي حفيده هولاكو زحفه نحو العراق ليدمر بغداد عاصمة الخلافة العباسية ذاتها ويقتل من أهلها ما لا يقل عن مليون مسلم في سلسلة من أسوأ الكوارث التي تعرض لها المسلمون في مجمل تاريخهم. ولكن فروسية المماليك الأول ساعدتهم على توحيد مصر والشام والحجاز واليمن والسودان في دولة واحدة عاصمتها القاهرة، وقام ملوكها الأول العظام مثل قطز وبيبرس وقلاوون وابنه الأشرف بأعمال بطولية فذة، كان أهمها هزيمة التتار في عين جالوت ثم تحرير الإمارات الإسلامية الواقعة تحت الاحتلال الصليبي، لتنتهي بذلك حقبتان مظلمتان من تاريخ الشرق العربي.

(٨)

وبالرغم من القوة التي ظهرت على المسلمين في فترة حكم المماليك، إلا أن ذلك لم يكن كافياً فيما يبدو لمسلمي آسيا الصغرى الذين سارعوا بتأسيس دولة قوية أخرى هي الدولة العثمانية... أما مسلمي فارس فقد أسسوا الدولة الصفوية، وظهرت دول أخرى في شمال أفريقيا والأندلس وأفريقيا الشرقية والوسطى والغربية، ودول إسلامية مترامية الأطراف في الهند وتركستان... وبدا أن المسلمين في ذلك الوقت قد سيطروا على ثلثي العالم، وهي مساحة من الأرض لم تسيطر عليها الأمبراطورية الرومانية في عنفوان شبابها.

ولم يكن ذلك حقيقة نتيجة الغزو بقدر ما شاهده الناس في كل مكان في العقيدة الإسلامية من سماحة وصفاء وتسامح. فها هم التتار ـ مثلاً ـ الذين حاولوا إفناء المسلمين يتحولون هم أنفسهم ـ بدون قتال ـ إلى الإسلام

الحنيف. . . وها هم سكان أفريقيا الذين عاشوا في قبائل بدائية معزولة عن قبس الحضارة أمداً طويلاً يدخلون الإسلام بعد اختلاطهم وتعاملهم مع قوافل التجار المسلمين.

(٩)

ولم يكن قيام الدولة العثمانية القوية في آسيا الصغرى والقريبة من أوروبا إلا تهديداً خطيراً للأوروبيين الذين سارعوا بالهجوم عليها بهدف هدمها وزوالها، ولكن العثمانيين صمدوا ودافعوا عن دينهم وبلادهم بل وقاموا برد العدوان وعبور مضيق الدردنيل إلى أوروبا ليبدأوا سلسلة متصلة من الفتوحات في قلب أوروبا وصلت بسرعة إلى مشارف المجر والنمسا، وذلك بعد أن تمكنوا من اقتحام جوهرة المدن الأوربية وهي القسطنطينية وتدمير الإمبراطورية البيزنطية التي ارتجت لزوالها القارة بأسرها. وبعد تلك الانتصارات المبهرة توقف العثمانيون ونظروا إلى الخلف. . . فبدلاً من إكمال فتوحاتهم في أوروبا نراهم يتراجعون، ويوجهون كل جهدهم لهزيمة دولة المماليك الثانية وهزيمة الدولة الصفوية في فارس.

وبينما كانت الدول الإسلامية الكبرى تتصارع على سيادة العالم الإسلامي، إذ بالمسلمين في غرناطة (آخر ولايات الأندلس الإسلامية) يلقون الهزيمة النهائية على يد الأسبان، وتحول أعظم مساجدهم إلى كنائس كاثوليكية، ويتم إجبارهم على مغادرتها إلى شمال أفريقيا، ثم يمنعون من مغادرتها فيما بعد ليجبروا على التنصر قسراً أو مواجهة الإعدام حرقاً في غرف محاكم التفتيش.

ولقد أدى سقوط غرناطة إلى حصول البرتغاليين والأسبان على كنوز المعارف والعلوم الإسلامية بما في ذلك الخرائط الملاحية. . . ولهذا فلا عجب من أن كريستوفر كولمبس الذي اكتشف أمريكا قد أحرز ما أحرز من نجاح بعد أشهر قليلة من سقوط غرناطة. . . ولا عجب كذلك أن يتمكن فاسكو دي جاما من إعلان أنه استكشف المحيط الهندي و(بينما العرب كانوا يعلمونه شبراً شبراً)

عن طريق أفريقيا الغربية مما مكن البرتغاليين من احتلال جزر استراتيجية هناك وتدمير دولة ماليندي الإسلامية بشرق أفريقيا، ثم عندما يتصدى لهم السلطان المملوكي الغوري نراهم يتمكون من تدمير بحريته في موقعة ديو البحرية ليعلنوا للعالم زوال الأمجاد الإسلامية ويفتتحوا بذلك عصر الإستعمار الأوروبي للعالم الإسلامي.

(١٠)

لم يحاول العثمانيون التراجع عن نواياهم تجاه دولة المماليك، بل استمروا يترقبون الفرصة السانحة إلى أن أتيحت لهم، فهزموا جيوش المماليك في مرج دابق عند حلب واحتلوا الشام والعراق، ثم زحفوا على مصر ليهزموهم مرة أخرى في الريدانية ويقتحموا القاهرة ليذبحوا أهلها الأبرياء علناً في الطرقات في مذابح مروعة لم يتعرض لها المصريون في مجمل تاريخهم الإسلامي، وبذلك دخل قلب العالم العربي - ثم أطرافه فيما بعد - في فترة مظلمة ممتدة أدت فيما بعد إلى ظهور كل صور التخلف التي لا تزال آثارها باقية حتى يومنا هذا.

لقد احتل إذن العثمانيون العالم العربي منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي وتركوا الفتوحات في أوروبا، فاستغلها الأوروبيون فرصة وأخذوا يكيلون الهزائم للأتراك العثمانيين تباعاً... وفي كل يوم كان الأوربيون يسيطرون فيه على أراضٍ إسلامية من الشرق أو من الغرب ويزدادون رقياً وتقدماً كان العالم العربي (تحت الاحتلال العثماني) يزداد تخلفاً إلى أن تمكن الأوروبيون من بسط نفوذهم على مجمل دول العالم الإسلامي إلا قليلاً... ولما شعروا أن المسلمين فقدوا كل قدرة على تجديد أنفسهم وإحياء نهضتهم (كما رأيناهم يفعلون دوماً عبر العصور الممتدة)، قاموا بزرع الكيان الصهيوني في فلسطين مُحيين بذلك العصر الصليبي العنصري البغيض في العصور الوسطى، ولكي يضمنوا إلى أجل غير محدد من السنين استمرار ضعف العرب وتخلفهم.

(١١)

استيقظ المسلمون في العالم الإسلامي أواخر القرن الرابع عشر الهجري (منتصف القرن العشرين الميلادي تقريباً) فجأة بواسطة حركات الاستقلال الوطنية التي سبقت وأعقبت الحرب العالمية الثانية ليجدوا أنفسهم دولاً شتى... مما انعكس بدوره على الاتجاه العام للعالم الإسلامي الذي شعر بالحزن العميق والألم القاسي بمدى ما انحدرت أليه أحواله بعد طول عزة... بينما ينظر كل مسلم إلى أمجاد أجداده تارة، وإلى تقدم عالم الشمال تارة أخرى، فلا يجني سوى الحسرة والانكسار.

ماذا تبقى إذن للمسلمين بعد كل تلك العصور سوى تاريخهم ودينهم؟ وهل يكون الإسلام الحنيف الهدف الأخير المتبقي للأعداء لكي يقضوا عليه، بينما لا يبدو أن المؤمنين به يملكون سبل الدفاع عن أنفسهم؟

وإذا ما حاول الأعداء توحيد صفوفهم لتوجيه الضربة الكبرى، فهل تكفي حتى الشهادة من قبل المؤمنين لحماية الإسلام والذود عنه... أم آن الآوان للمسلمين أن يعترفوا بتقصيرهم، وأن يتذكروا تاريخهم، ويعودوا لمنابع الخير ويتمسكوا بقيم العلم والحرية والشورى ليتمكنوا من توجيه بلادهم إلى طريق الإزدهار والرقي.

ثانياً

(١)

إن فكرة هذه الموسوعة تتلخص في ضرورة رصد أهم أحداث تاريخ المسلمين منذ وفاة النبي ﷺ وحتى يومنا هذا، بهدف تسهيل الإحاطة بسير الأجداد لكل قارىء لجلاء سبل نجاحهم وسبل فشلهم، وأن يحيط علماً بالعظات الكبرى التي شملها تاريخ المسلمين في الشرق والغرب فيزداد تمسكه بدينه، ويرتقي اعتزازه بأرضه.

ولقد أدى السعي لتحقيق تلك الفكرة إلى اتساع مساحة البحث ليشمل ليس فقط الأحداث التي تخص مصر أو الشرق الأوسط أو العالم العربي، ولكن

كذلك العالم الإسلامي كله. . . ومع ذلك فقد حاولت على مدى سنوات إعداد تلك الموسوعة أن لا يزداد حجمها ليكون في استطاعة القارىء العادي الحصول عليها واقتناءها عالماً بأن موسوعات شاملة ضخمة، وضعها علماء مسلمون (وإن توافر فيها الجهد الصادق والإحاطة بشتى الفروع)، نادراً ما يقتنيها غير المتخصصين، وبالتالي لم تصل معارفها القيمة إلى القاعدة الواسعة من جماهير العالم الإسلامي. . . ولم يكن هذا هدفي، بل كان هدفي الذي دعوت الله تعالى أن يحققه، أن أقدم موسوعة في كتاب واحد تحوي أهم الأحداث التي عاشها المسلمون، بحيث يمكن أن تصل إلى أكبر عدد من القراء في العالم العربي والاسلامي، أفراداً وأسراً على حد سواء ليتحقق الهدف منها، وهو المساعدة في الارتقاء العام لفهم تاريخ المسلمين، خاصة في ذلك الزمن الذي يتعرضون فيه لمخاطر الحصار والعنصرية والبغضاء من قوميات معادية شرسة في الشرق والغرب.

(٢)

ولتحقيق فكرة الموسوعة والهدف منها، فقد استخدمت منهج تسلسل الأحداث الزمني، وهو منهج تاريخي معروف قديماً وحديثاً. . . إذ اتبعه كبار المؤرخين العرب مثل المقريزي في خططه، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة وابن إياس في مؤرخه الكبير بدائع الزهور، والحافظ السيوطي في تاريخ الخلفاء، والساعي في تاريخ الخلفاء العباسيين وغيرهم. . . ومن المؤرخين المحدثين الجبرتي في تاريخه المعروف باسمه ومحمد فريد بك في تاريخ الدولة العلية العثمانية، وجرجي زيدان، في مصر العثمانية. . . الخ.

كذلك فإن من تسنى له زيارة المكتبات العامة في العالم الغربي، فإنه لاشك سيرى نفس ذلك المنهج يستخدم من قبل باحثين ومؤرخين عديدين نشرت مؤرخاتهم أكبر دار نشر في أوروبا وهي دار Hamlyn، التي أخرجت موسوعات بلا حصر في كتاب واحد عن شتى فروع تاريخ العالم قديماً وحديثاً.

وفي الحقيقة، فإن المنهج الزمني لتسلسل الأحداث التاريخية، هو المنهج الطبيعي الذي يجب الأخذ به، وذلك للأسباب الآتية:

١ ـ الزمن هو الأصل في حدوث الأشياء... فالأمور تحدث مرتبطة به دائماً، ونحن نسمي التاريخ تاريخاً لارتباط أحداثه ووقائعه وشخصياته بعنصر الزمن.

٢ ـ التسلسل الزمني يعطي سهولة في معرفة الأحداث... فهي تتوالى عليه بعضها إثر بعض.

٣ ـ أنه يعطي القدرة على مقارنة الأحداث والوقائع، والمقارنة تضاعف المعارف والخبرة.

٤ ـ يعطي التسلسل الزمني للأحداث القارىء أفكاراً واضحة عن كيفية وقوع الحدث وكيف تطور وكيف انتهى... وامثلة ذلك كثيرة كما سيرى القارىء الكريم لهذه الموسوعة، حينما يرى كيف كانت تقوم الدول الإسلامية قديماً، وكيف اتسعت، ثم كيف ضمرت وطوى التاريخ صفحتها في واحدة من أبرز حقائق التاريخ السياسي.

٥ ـ يعطي منهج التسلسل الزمني أبعاداً وأعماقاً وظلالاً للأحداث... فبينما المسلمون ـ مثلاً ـ ينتصرون على الصليبيين في الشرق العربي نرى المسلمين في الأندلس ينهزمون في نفس الفترة الزمنية، فكأن القارىء للتاريخ وفقاً لذلك المنهج يرى المسلمين عبر التاريخ، وكأنه يشاهدهم شرقاً ويشاهدهم غرباً في نفس الوقت، فيبحث عن أسباب انتصارهم شرقاً وهزيمتهم غرباً، فتتعمق أبعاد ثقافته، ويتسع أفق فكره ويزداد الإدراك العام لديه.

٦ ـ كذلك، فإن منهج التسلسل الزمني للأحداث يرتبط بالمكان (المواقع والبلدان) ويرتبط كذلك بسرعة حركة الأحداث... فالعرب في القرن الأول الهجري (مثلاً) كان لديهم الحماس والقدرة والإرادة والاستعداد لكي يضعوا أسلوباً فذاً في إدارة فتوحاتهم... فهم في خلال سنوات

قليلة قاموا بفتوحات شرقاً وغرباً في نفس الوقت، فتمددت دولتهم بسرعة زمنية تدعونا للاعجاب، حيث وصلوا قبل نهاية القرن الأول الهجري إلى حدود الصين شرقاً وبلاد الأندلس بجنوب غرب أوروبا غرباً... وإلى بحر قزوين شمالاً وحتى السودان والصومال جنوباً. والذي يدعونا للاعتزاز بهم أنهم لم يتقهقروا أبداً إلا فيما ندر، فمنذ فتحت تلك البلاد الشاسعة وحتى يومنا هذا لا يزال سكانها مسلمين... على عكس امبراطوريات كبرى ظهرت عبر التاريخ قديماً وحديثاً ثم اختفت وبادت قوتها وانحسرت هيمنتها وضاعت عقائدها.

ومهما كان الأمر، فسوف يرى القارىء الكريم لهذه الموسوعة، كيف تتغير الأحداث وفقاً لهذا المنهج من عام إلى آخر... فبينما هو يقرأ عن ضعف الدولة العباسية في العراق والإخشيدية في مصر يرى أن الدولة الفاطمية بشمال أفريقيا والدولة الأموية في الأندلس قد بلغتا عنفوان قوتيهما... وبينما تدمر بغداد من قبل المغول وتنهار الدولة، نرى المماليك يقيمون دولة بالغة القوة في مصر والشام... وهكذا وعلى هذا الأساس ستسير أحداث الموسوعة.

ماذا حدث من وقائع (مرتبطة بالعام الهجري والميلادي المشار إليهما في كل حدث) بغض النظر عن أن تلك الوقائع حدثت في الشرق أو الغرب، في الشام أو في مصر... في الحجاز أو في الأندلس... في آسيا الوسطى أو في المغرب الأقصى.

وفي الحقيقة فإن هذا الأسلوب في عرض الأحداث يتفق مع طبيعة الإسلام... فالإسلام لا يجب أن ننظر إليه على أنه يخص جزءاً هنا أو يخص جزءاً هناك... فالإسلام ليس جزءاً، ولا يعترف بالتجزء والقومية والعرقية... بلاد الإسلام واحدة، وهكذا يحب أن ننظر لها... وهكذا يجب أن تكون.. وهكذا يجب أن نعلم أبناءنا بأن يشعروا بالألم إذا قتلت امرأة مسلمة في أوروبا أو في آسيا أمام أعداء الإسلام، كما نتألم بنفس القدر لو قتلت في مصر أو سوريا أو تونس في حادث أو كارثة طبيعية.

(٣)

ولما كان التاريخ علماً غير انتقائي، بمعنى أن أحداثه تحدث من ناحية بواسطة تفاعل البشر مع بعضهم البعض (سلباً أو إيجاباً)، ومن ناحية أخرى تفاعلهم مع قوى الطبيعة... فلم يكن اختياري لأحداث الموسوعة اختياراً عشوائياً. فالموسوعة ليست موسوعة للأحداث السياسية فحسب بالرغم من أن الغالبية الكبرى للأحداث لها مدلول سياسي مباشراً أو غير مباشر... فمن أكبر الخطأ أن يتم فصل علم التاريخ عن علم الاجتماع... وليس هذا لأن كليهما من العلوم الإنسانية الجليلة، ولكن كذلك لأنه ثبت مراراً وتكراراً أن نظريات كل منهما تقوي من نظريات العلم الآخر، وعلى هذا فلم يكن الهدف الأوحد للموسوعة أن تكون شاملة لأحداث سياسية فقط... ولكن لتشمل كذلك سرداً لأحداث بناء أهم المدن والمساجد وذكر لسير بعض كبار العلماء والفلاسفة في أهم جوانب الدين والعلم والفكر... بالإضافة إلى الإشارة إلى أهم الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها بلدان العالم الإسلامي..

فمثلاً، أشرت لبناء مسجد عمرو بن العاص (٢١هـ/ ٦٤٢م) كأول مسجد بنى في مصر وأفريقيا منذ ظهر الإسلام، ولا شك أن القاريء يتفق معي في أن بناء المساجد من قبل المسلمين في البلدان التي افتتحوها كان بهدف إقامة شعائر الإسلام، وتعميق جذور المهاجرين المسلمين في البلدان الجديدة، فكأن المسجد كان بؤرة التجمع للصلاة والعبادة، كما كان بؤرة التجمع والالتقاء بين المسلمين لتقرير شؤن دينهم ودنياهم، وإذا كان مسجد عمرو بن العاص قد ساعد مساعدة مباشرة على ترسيخ الإسلام في مصر، فإن مساجد مشابهة(مثل مسجد الزيتونة بتونس ١١٤هـ/ ٧٣٢م، ومسجد قرطبة الجامع بالأندلس ١٧٠هـ/ ٧٨٦م) قد قاما بنفس الدور في تونس والأندلس، وهو ترسيخ أقدام المسلمين في تلك المناطق التي كانت قبل الفتح الإسلامي غريبة عليهم، بل ومعادية أشد العداوة لقدومهم واستيطانهم بها.

كذلك يدل بناء المساجد على أن لدى المسلمين القدرة على تطبيق

نظريات الهندسة المعمارية الراقية، والتي لا تزال بأصالتها باقية بيننا حتى يومنا هذا، فلينظر القارىء مثلاً لمسجد أحمد بن طولون في القاهرة، والذي بني في القرن الثالث الهجري (عام ٢٦٥هـ/ ٨٧٧م) وهذا يعني أنه بني قبل بناء الأزهر الشريف (الذي انتهى بناؤه وأفتتح في رمضان عام ٣٦١هـ/ ٩٧٢م). ومع ذلك فمسجد ابن طولون لا يزال أثراً عامراً معبراً عن مدى قوى الدولة الطولونية التي لم تترك لنا من آثار غير ذلك المسجد العظيم بكل ما به من فنون معمارية صمدت عبر أكثر من أحد عشر قرناً من الزمن! ألا يعد ذلك دليلاً دامغاً على ما لدي المسلمين من قوة ومعارف وأصالة استمدوها من عقيدتهم الإسلامية الغراء؟!.

وما يقال عن المساجد، يقال كذلك عن بناء المدن الإسلامية الكبرى المعروفة بالإزدهار اليوم، فبغداد التي بنيت عام ١٤١هـ/ ٧٥٨م لا تقل أهمية حدث بناءها عن أهمية حدث هجوم التتار عليها بقيادة زعيمهم الدموي هولاكو عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م وتدميرها... فقد طوى التاريخ عهد هولاكو ولكن بغداد بقيت حتى يومنا هذا.

وفي الحقيقة، فإن تطعيم أحداث الموسوعة السياسية والفكرية بأحداث بيئية (مثل الزلازل والأوبئة)، هو أسلوب منهجي سار عليه كل المؤرخين العرب والأجانب على حد سواء وعلى مر العصور... ففى خطط المقريزي الذي تحدث فيها عن تاريخ مصر منذ أقدم العصور وحتى انتهاء دولة المماليك الأولى تناول كثيراً أحداث الكوارث الطبيعية بل وسرد قصصاً واقعية مطولة عن كيف عاشها المصريون. ومؤرخ كبير آخر وهو ابن أياس سار على نفس هذا النهج بل وأشار مراراً إلى صور عديدة من صور الحياة الاجتماعية في مصر مثلما حدث في عام ٧٣٩هـ/ ١٣٣٩م عندما قال أنه ظهرت في القاهرة إمرأة تسمى الخناقة وكانت تحتال على النساء والأطفال وتخنقهم وتأخذ ثيابهم، فشاع أمرها بين الناس، فلا زالوا يحتالون عليها حتى أمسكوها وشنقوها على باب زويلة، وكان لها يوم مشهود لما علقت للشنق. ومؤرخ كبير آخر هو الحافظ السيوطي صاحب الكتاب التاريخي المعروف (تاريخ الخلفاء) يقول أنه في سنة ٢٨٩هـ: زلزلت

بغداد زلزلة عظيمة دامت أياماً، وفيها (أي في نفس تلك السنة) هبت ريح عظيمة قلعت عامة نخلها ولم يسمع بذلك».

وبالرغم من أن هذه الموسوعة لم تتضمن الإشارة إلى كل الكوارث الطبيعية إلا أنها تضمنت أهمها، فالمقصود من الإشارة إلى ذلك إثبات أن التاريخ هو علم انساني لا يجب فصل أحداثه السياسية عن أحداثه الإنسانية والاجتماعية وقد اتضح ذلك لنا من مؤلفات كبار المؤرخين منذ هيرودوت وهيبوقراط (قبل الميلاد) وصولاً إلى سومرويل، ومونتسكيو وأرنولد توينبي، فجميعهم استخدموا المنهج الجمعي لسرد أحداث التاريخ بلا استثناء.

(٤)

أما ربط أحداث المسوعة بالتاريخين الهجري والميلادي... فأرجو إحاطة القارىء الكريم علماً بأن التاريخ العربي والإسلامي لم يكتب من قبل المؤرخين القدامى إلا بالتاريخ الهجري... ولم يدخل التاريخ الميلادي إلا بعد انتشار المطابع الحديثة في العالم العربي بعد حملة نابليون الفرنسية على مصر والشام حيث أخذ المؤرخون والأدباء والرعيل الأول من الصحفيين يعملون على ربط التاريخ الهجري بالتاريخ الميلادي، والعودة عبر الزمن إلى القرون الأولى حتى يتوازى التاريخ الهجري مع التاريخ الميلادي.

ومع ذلك، فالمؤرخون الإسلاميون في العصور الوسطى الذين كانوا يؤرخون أحداث التاريخ السابق والمعاصر لهم اختلفوا في الزمن الذي وقعت فيه أحداث تاريخية هامة بدءاً من مولد النبي ﷺ (حيث يقول الإمام البلاذري في كتابه أنساب الأشراف ـ الجزء الأول ـ طبعة دار المعارف: وكان مولد رسول الله ﷺ في عام الفيل، يوم الإثنين لعشر ليالٍ خلون من شهر ربيع الأول، ويقال لليلتين خلتا، ويقال لاثنتي عشرة ليلة خلت منه). كذلك اختلفوا في يوم وفاته ﷺ حيث يقول الإمام البلاذري كذلك عن الواقدي: توفي رسول الله ﷺ يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة... بينما يروي البلاذري عن أبي معشر أن رسول الله ﷺ بدىء (أي

مرض قبل وفاته) يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر، وقبض لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول، فكانت شكايته ثلاث عشرة ليلة.

كذلك، فالمؤرخون يختلفون في ذكر زمن وقوع أحداث كبرى أخرى، وإن كان اختلافهم قليل... فهم يختلفون مثلاً في السنة التي احتل فيها الصليبيون بيت المقدس، فيقول المقريزي (الخطط ـ الجزء الأول ـ طبعة دار الثقافة الدينية بالقاهرة: وفي سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ملك الفرنج الرملة وبيت المقدس)... ويتفق معه الإمام المؤرخ الحافظ السيوطي صاحب تاريخ الخلفاء حيث يقول: أنه في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة أخذت الفرنج بيت المقدس بعد حصار شهر ونصف)... ويختلف مع المقريزي والسيوطي، المؤرخ أبو عبد الله شهاب الدين السيوطي صاحب كتاب (إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى ـ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب)، والذي أشار إلى سقوط القدس عام ثلاث وتسعين وأربعمائة... بينما يختلف مع هؤلاء جميعاً المؤرخ ابن أياس الذي يقول في كتابه بدائع الزهور عن أحداث عام ٤٩١ هجرية: (أن الفرنج استولوا على بيت المقدس وملكوه وقتلوا جماعة كثيرة من المسلمين وأسروا من الباقي نحو ألف إنسان، وذلك في سنة إحدى وتسعين وأربعمائة).

ولا يجب أن يؤدي ذلك الإختلاف بالقارىء إلى التوجس، فمهما كان الأمر فإن المؤرخين لم يختلفوا كثيراً، كذلك فإن اختلافهم في رصد زمن الأحداث ـ وإن قل ـ لا يقلل من قيمة مؤرخاتهم شيئاً على الإطلاق، فالاختلاف ليس واسعاً، وليس كثيراً، وبالإضافة إلى ذلك فقد أجمع كبار علماء التاريخ على أن المهم في الأمر هو قيمة الحدث ووقائعه ومعناه، ودلالته... وما يؤكد ذلك أن المؤرخين المحدثين والمعاصرين لم يثنيهم ذلك الاختلاف القديم عن تكراره في مؤلفاتهم الحديثة بصورة أو بأخرى... ومن أجل ذلك فقد قمت بتوسيع دائرة البحث في كتب عديدة أخرى، ووجدت أن أغلب المؤرخين قديماً وحديثاً قد ذكروا أن تاريخ سقوط القدس كان عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م، وتاريخ تحريرها كان في عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م.

(٥)

وأخيراً. . . فقد أعددت - تسهيلاً على القارىء - نوعين من الفهارس الفهرست الأول. . . وهو فهرست الأعلام بهدف استخراج أي اسم ورد في الموسوعة وتتبع أخباره من بدايتها وحتى نهايتها، وذلك ليتم التعرف على الشخصيات التي صنعت الأحداث سواء أكانت سياسية أو دينية أو عسكرية أو غير ذلك. فالقارىء الذي يود قراءة كل الأخبار التي ذكرت عن شخصية طارق بن زياد، عليه البحث في فهرست الأعلام تحت حرف (الطاء) ليجد اسم طارق بن زياد، أما الأرقام الموجودة بجوار الاسم فهى أرقام الأحداث (وليست أرقام الصفحات)، وقد اخترت ربط الاسم برقم الحدث تسهيلاً للقارىء لاستخراج الاسم بسرعة نسبية، فلو ذكرت أن الاسم مرتبط برقم الصفحة فسوف يأخذ ذلك من القارىء وقتاً أطول لوجود أكثر من حدث واحد في الصفحة الواحدة. . . وعلى هذا فكل الأرقام الموجودة بجوار الاسم هي أرقام الأحداث، مرتبة ترتيباً عددياً تصاعدياً. . . فأخبار طارق بن زياد مثلاً سيجدها القارىء في الأحداث أرقام: ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ - ٦٨٦، وعلى القارىء أن يقرأ تلك الأحداث بنفس ترتيبها المكتوب أمام الإسم. . . وهكذا.

أما الأسماء التي تبدأ بحرف الألف واللام، فعلى القارىء أن يجدها في الحرف الأبجدي التالي لهذين الحرفين، فمثلاً: الأشرف قايتباي (وهو من سلاطين دولة المماليك الثانية) سيجد القارىء اسمه في حرف الألف، لأن حذف الحرفين الأولين يبقى الاسم وكأنه هكذا: أشرف. كذلك اسم الأمين (خليفة عباسي في الدولة العباسية الأولى) سيجد القارىء اسمه في حرف الألف (بعد حذف حرفي الألف واللام). . . أما اسم الجازاني (وهو عالم إسلامي)، فإذا حذفنا حرف الألف وحرف اللام سيتبقى من الاسم جازاني وهو موجود كما هو واضح في حرف (الجيم) وهكذا الحال في الخوارزمي (في حرف الخاء)، والحكم المستنصر (خليفة أندلسي) في حرف (الحاء)، والزهراء (جارية كان لها دور هام في حياة الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر فبنى لها مدينة الزهراء

الأندلسية المعروفة) فيجدها القارىء في حرف (الزين) والعاضد بالله (وهو خليفة فاطمي) سيجده القارىء في (حرف العين) وهكذا، أما الفهرست الثاني: وهو فهرست المواقع والمدن والبلدان، فيشمل المواقع الجغرافية التي وردت في الموسوعة، وهي تشمل: المدن والبلدان والبحار والمحيطات والوقائع الحربية والجبال والجوامع والمساجد والجزر... الخ بمعنى أي مكان جغرافي وقع فيه حدث أو أحداث معينة، وللاستدلال على أي موقع من تلك المواقع يتبع القارىء نفس المنهج كما في الفهرست الأول، وهو ربط الموقع الذي يريد معرفة أحداثه برقم الحدث (وليس برقم الصفحة)، ثم استخلاص كل أرقام الأحداث الموجودة بجوار ذلك الموقع والإطلاع عليها وفق تتابعها الرقمي... فإذا أراد القارء الإطلاع على كل ما كتب من أحداث أفريقيا، فلينظر الكلمة في حرف الألف ليجد أرقاماً عديدة تبدأ من الحدث رقم ٣٣ وحتى الحدث رقم ٩٩٣، فيقرأها جميعاً مرتبة بنفس ترتيب تتابعها. كذلك الحال عند البحث عن أخبار بيروت، فيبحث في حرف (الباء). والقاهرة في حرف (القاف) والأسكندرية في حرف (الألف)، والشام في حرف (الشين) وهكذا.

وأسأل الله الحي القيوم أن يجعل هذا العمل مقبولاً بين يدي رحمته، وأن يفيد به أي قارىء مسلم في كل وقت وكل مكان. إنه تعالى على كل شيء قدير وبالإجابة جدير... وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

عبد الحكيم العفيفي

١ أبو بكر الصديق رضي الله عنه يتولى الخلافة (١١هـ/ ٦٣٢م)

بوفاة الرسول ﷺ في ربيع الأول عام ١١هـ، شعر المسلمون بحجم الكارثة التي حلت بهم. ولكن أبا بكر الصديق رضي الله عنه خرج لهم ليقول قولته الشهيرة: «أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حي لا يموت». وسرعان ما عاد الناس إلى رشدهم فنظروا فيمن يخلف النبي ﷺ، واهتدوا من سقيفة بني ساعدة إلى اختيار أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وكانت تلك البيعة هي البيعة الخاصة، أما البيعة العامة فقد حدثت عندما اجتمع المسلمون في مسجد النبي بالمدينة، وقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحث الناس على مبايعة أبي بكر لقربه من الرسول ولموقعه الريادي بين صحابته. فأيد المسلمون عمر وبايعوا أبا بكر للخلافة، فأصبح منذ ذلك الوقت أول خليفة للمسلمين. ثم قام أبو بكر وخطب فيهم خطبة البيعة والتي جاء فيها: «لا يدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. . . قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله».

٢ أبو بكر رضي الله عنه يرسل جيشاً إلى الشام (١١هـ/ ٦٣٢م)

بعد غزوة مؤته (وهي آخر غزوات النبي ﷺ) أراد النبي أن يثأر لشهداء المسلمين فيها، فأمر بتكوين جيش بقيادة أسامة بن زيد الذي استشهد أبوه في مؤته ليتحرك بعد ذلك نحو الشام لتأديب الكفار، ولكن وفاة النبي أوقفت تحرك الجيش، فأراد أبو بكر الصديق رضي الله عنه إتمام ما بدأه النبي فأرسل جيش أسامة إلى الشام فأغار على حدود الشام وأخذ بثأر شهداء المسلمين وعاد مرة أخرى إلى المدينة. وتعتبر تلك الحملة هي الأولى بعد تولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة. كما إنها مهدت لفتح الشام ونشر الإسلام في ربوعه.

٣ حروب الردة (١١هـ/ ٦٣٢م)

كان وجود النبي ﷺ بين المسلمين دافعاً قوياً لتمسكهم بالإسلام. . فلما انتقل إلى الرفيق الأعلى، ارتد عن الإسلام من كان أيمانهم ضعيفاً، وزاد

من ذلك الارتداد دسائس بلدان قوية مثل دولة الروم ودولة الفرس اللتين رغبتا في إطفاء نور الإسلام لخطره على عروشهما.

ولقد بدأت حركة الردة عندما رفضت بعض القبائل بالجزيرة العربية دفع أموال الزكاة المفروضة، مما أظهر لأبي بكر رضي الله عنه مدى خضوعهم لرغائب النفس. فغضب أبو بكر وجمع المسلمين بالمسجد وأخبرهم بما يراه فتنة تريد بهم شراً وبالإسلام ضرراً. وكان من ضمن الذين حذروا أبا بكر من شدة الاعراب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولكن أبا بكر أقسم أن يقاتل كل من ارتد على شريعة الإسلام.

ولقد بدأت حروب الردة بأن كون أبو بكر جيشاً إسلامياً بقيادة خالد بن الوليد وتعتبر معركة اليمامة ضد جيش مسيلمة الكذاب أكبر وأخطر المعارك، حيث كان مسيلمة قد نجح في تكوين جيش من القبائل عدته أربعون ألف مرتد.. ولكن نصر الله جاء على يد خالد... فدحر جيش مسيلمة وتشتتت قواته وسقط مقتولاً تحت سيوف المؤمنين.

ولقد استمرت حروب الردة لمدة عام تمكن فيها المسلمون من القضاء على كافة حركات الردة، فعم السلام والإسلام الجزيرة العربية. ولكن الثمن كان غالياً عزيزاً فقد استشهد في تلك الحروب العديد من الصحابة ومن حفظة القرآن، وفقد المسلمون ألوف الرجال.

ويعتبر أبو بكر الصديق رضي الله عنه بذلك الانتصار موحد الجزيرة العربية، ومنقذها من براثن التفكك والانهيار، والرجل الذي ضرب المثل في الإخلاص والوفاء للإسلام وللمسلمين.

٤ **معركة ذات السلاسل** (١٢هـ/ ٦٣٣م)

هي أول معركة كبرى يخوضها المسلمون على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ضد الفرس. جاءت بعد انتهاء حروب الردة التي وقف فيها الفرس مع مسيلمة الكذاب.

كانت القوات الإسلامية تتكون من حوالي ١٨ ألف رجل بقيادة خالد بن الوليد الذي وقف بجيشه على مشارف بلاد بارس، فلما أبى الفرس الدخول في

الإسلام أو دفع الجزية، وقعت تلك المعركة التي تم فيها ربط جند الفرس بالسلاسل حتى لا يفروا من الميدان. وفي بداية المعركة تمكن خالد بن الوليد من قتل قائد الفرس وكان يدعى هرمز فانهارت الروح المعنوية لدى الفرس. فما إن دخل الجيشان في القتال المتلاحم حتى انتصر المسلمون، ودخلوا ميناء (الأبلة) الفارسي الهام المطل على الخليج العربي.

٥ معركة المذار (١٢هـ/ ٦٣٣م)

وقعت في شهر صفر من العام الثامن عشر للهجرة. ويبدو أن معركة ذات السلاسل ومصرع قائد الفرس لم تكن كافية لدحر الإمبراطورية الفارسية. ولهذا فقد جاءت معركة المذار لتزيد من ضعف الفرس. تقابل الجيش الإسلامي بقيادة خالد بن الوليد مع جيش فارسي كبير بقيادة رجل يدعى (قارن) وفي تلك المعركة هزم الفرس وقتل منهم جمع كبير يقدر بثلاثين ألف رجل.

٦ معركة أليس (١٢هـ/ ٦٣٣م)

لم يكد جيش خالد بن الوليد ينتهي من معركة المذار حتى دخل بجيشه (بعد تلقي المزيد من الدعم) في معركة أخرى مع جيش فارسي صخم في أواخر شهر صفر. ويدلنا حجم خسائر الفرس في تلك المعركة على ضخامة القوات الفارسية التي اشتركت فيها. حيث قتل منهم سبعون ألف رجل. . ويبدو أن كل المعارك التي خاضها المسلمون ضد الفرس، إنما جاءت بأسلوب تم التخطيط له مسبقاً وهو: «طالما أن العدو بالغ القوة (كانت إمبراطورية الفرس إحدى ثاني قوتين في العالم في ذلك الوقت، أما الأخرى فكانت الإمبراطورية البيزنطية) فيجب العمل على خوض معارك استنزاف طويلة مجهدة ضده إلى أن يتم توجيه الضربة القاضية النهائية له». وقد حدث ذلك بالنسبة للفرس عند هزيمتهم النهائية في معركة القادسية عام ١٤هـ.

٧ المسلمون يفتحون الحيرة (١٢هـ/ ٦٣٣م)

كانت الحيرة حتى ذلك الوقت تحت سيطرة الفرس مثلها في ذلك مثل بقية بلاد ما بين النهرين. فلما هزم الفرس في معركة أليس لم يعطهم خالد بن

الوليد الفرصة ليعيدوا تنظيم صفوفهم.. بل سارع بفرض الحصار على الحيرة - وهي من أهم مدنهم - في ربيع الأول. فلما علم أهلها بأن خالداً على رأس الجيش الإسلامي قبلوا بدفع الجزية وخضعوا للعرب، الذين عاملوا الناس بالرحمة والمودة. ثم أخذ الناس هناك تدريجياً في ذم عبادة الأوثان ودخلوا في دين الله أفواجاً.

٨ أبو بكر الصديق ﷺ يأمر بجمع القرآن (١٢هـ/ ٦٣٣م)

لا شك أن قتال المسلمين في حروب الردة والفتوحات المتتالية قد أدى إلى استشهاد العديد منهم وخاصة من كانوا حفظة للقرآن الكريم، الأمر الذي دفع أبا بكر رضي الله عنه للإسراع بمحادثة زيد بن ثابت، وكان من كتبة الوحي على عهد النبي ﷺ، وطلب منه تجميع آيات القرآن وفقاً لقراءة الرسول. ولما تم ذلك بمساعدة كل من وثق زيد فيهم.. كتب القرآن الكريم على صحائف خاصة، تركها لدى أبي بكر الصديق رضي الله عنه حتى وفاته ثم نقلت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى استشهاده ثم إلى ابنته حفصة، ثم طلبها عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ولا شك أن هذا العمل الجليل الذي قام به أبو بكر يعد واحداً من أهم أعماله الجليلة التي أفادت الإسلام والمسلمين حتى يومنا هذا.

٩ معركة الفراض (١٣هـ/ ٦٣٣م)

تلك هي آخر المعارك الكبرى التي علم بانتصار المسلمين فيها أبو بكر الصديق رضي الله عنه. فمعركة اليرموك - والتي جهز لها - بدأت بعد وفاته بأيام فلم يعلم بنتيجتها.

ولقد وقعت معركة الفراض بين الجيش الإسلامي بقيادة خالد بن الوليد، وجيش ضخم تألف من الفرس والروم (البيزنطيين) معاً، وذلك في الخامس عشر من ذي القعدة عام ١٣ للهجرة. وبانتهاء تلك المعركة كان المسلمون قد أحرزوا نصراً كبيراً.. فقد قتل من جيش العدو ما لا يقل عن مائة ألف قتيل.

١٠ أبو بكر الصديق رضي الله عنه في رحاب الله (١٣هـ/ ٦٣٤م)

ولد أبو بكر رضي الله عنه عام ٥١ قبل الهجرة من أسرة كريمة النسب. وكان أول رجل يصدق النبي عليه الصلاة والسلام عندما أخبره بالرسالة، وأول رجل يصدقه عندما أخبره ﷺ بقصة الإسراء والمعراج. وكان الرجل الوحيد الذي صاحب الرسول للهجرة إلى المدينة... ولهذا أطلق عليه النبي عليه السلام لقب الصديق رضي الله عنه، وتزوج من ابنته السيدة عائشة رضي الله عنها.

ولقد اتصف رضي الله عنه بكل صفات الكرم والمودة والمروءة والإخلاص، وأحب رسول الله ﷺ حباً عظيماً ورافقه مرافقة المؤمن الذي أنار الله تعالى قلبه بالإيمان. وقد أنفق ماله وثروته على الدعوة الإسلامية عالماً أنه ينفقها في سبيل الله، حتى أنه مات ولم يترك ديناراً واحداً.

وقد توفي رضي الله عنه بعد مرض ألم به، ففاضت روحه إلى بارئها ليلة ٢٢ جمادي الآخرة عام ١٣ هجرية (١٢ أغسطس عام ٦٣٤م) حيث دفن رضي الله عنه بجوار النبي عليه الصلاة والسلام بعد أن عاش عمراً يناهز ثلاثة وستين عاماً.

١١ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتولى الخلافة (١٣هـ/ ٦٣٤م)

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد استخلف ـ قبل وفاته ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه رضي الله عنه ليكون خليفة للمسلمين وذلك لمكانته بينهم. وبعد وفاة أبي بكر بايع المسلمون عمراً في جمادي الآخرة.. وبهذا أصبح ثاني الخلفاء الراشدين. وبمجيء عمر وتولي قيادة المسلمين ظهرت وعلى مدى عشرة أعوام متصلة صور من أرقى أنواع صور الحكم وأكثرها علواً. فقد أظهر عمر من البراعة في الصفات الأخلاقية والسياسية والعسكرية ما لم يكن يدري به أحد. وأصبحت دولة الإسلام على عهده أقوى الدول وأرقاها وأكثرها عزاً ومجداً وعدلاً. وهدمت في عصره معابد وأصنام الكفر في فارس والشام وبلاد ما وراء النهر والعراق.. فارتعد كل طاغية ظالم.. ونظرت عيون المستضعفين في الأرض إلى المسلمين وهم يفتحون البلاد والأمصار نظرة الفرح

والاشتياق لإحلال رحمة الإسلام محل الظلم والديكتاتورية والطغيان وعبادة الملوك والأوثان.

١٢ معركة اليرموك وهزيمة الروم (١٣هـ/ ٦٣٤م)

تعتبر معركة اليرموك واحدة من المعارك الكبرى التي خاضها المسلمون ضد الروم (البيزنطيين) إن لم تكن أهمها على الإطلاق.

فقد جاءت وجيش الروم يفوق في العدد جيش المسلمين بمعدل خمسة إلى واحدة تقريباً. (كان جيش الروم يتكون من حوالي ٢٤٠ ألف مقاتل وجيش المسلمين من ٤٥ ألفاً). ولقد كان اختيار أبي بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد لقيادة جيش المسلمين خطوة بالغة التوفيق.

اجتمع الجيشان في جمادى الآخرة عام ١٣هـ ودارت المعركة التي لم ينتهِ يومها الأول إلا وكان الروم قد دحروا وفقدوا نصف جنودهم.. بينما استشهد من المسلمين حوالي ثلاثة آلاف شهيد.

ولا شك أن تلك المعركة قد مهدت لفتح الشام والقضاء على النفوذ البيزنطي هناك.

وتجدر الإشارة إلى أن تلك المعركة كان قد تم الإعداد لها من قبل أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولكنه توفي قبل أن تبدأ.. ولما جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه للخلافة أرسل لخالد بن الوليد قرار عزله عن قيادة الجيش، ولكن خالداً أخفى نبأ عزله عن جنده خشية أن يؤثر ذلك على ثباتهم عند القتال، فبقي خالد يقود المسلمين أثناء المعركة حتى انتصر المسلمون فتنازل عن القيادة لأبي عبيدة بن الجراح.

١٣ موقعة الجسر وهزيمة المسلمين (١٣هـ/ ٦٣٤م)

بعد أقل من شهرين من تولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة، كان جيش إسلامي بقيادة أبي عبيدة بن مسعود الثقفي يتوجه لقتال الفرس. ويبدو أن جيش المسلمين (تسعة آلاف رجل) تسرع لقتال الفرس فعبر نهر الفرات بالقرب من مدينة الحيرة فشتتت عملية العبور صفوفه، وكان الفرس

يتحينون الفرصة فهجموا على المسلمين من كل صوب فحدثت الهزيمة التي استشهد فيها حوالي أربعة آلاف شهيد. وقد جرت معركة الجسر في شعبان من عام ١٣هـ.

١٤ موقعة البويب وانتصار المسلمين (١٣هـ/ ٦٣٤م)

كان من القادة المسلمين الذين نجوا في معركة الجسر المثنى بن حارثة، الذي عرف بالعبقرية والحنكة، فخرج من المعركة ومعه ثلاثة آلاف مسلم أرسلوا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يمدهم بالمزيد من الرجال والعتاد.. ولما تم ذلك نظم المثنى صفوف جنده لملاقاة الفرس الذين اغتروا بانتصارهم في معركة الجسر فعبروا نهر الفرات ليتقابلوا مع المسلمين.. ولكن الجيش الإسلامي استطاع إلحاق الهزيمة بهم في معركة سميت بمعركة البويب.. فتجدد أمل المسلمين في القضاء على الدولة الفارسية بذلك النصر.

١٥ دمشق تدخل في الإسلام (١٤هـ/ ٦٣٥م)

إن فتح دمشق جاء بدون قتال تقريباً. فعندما أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشاً يقوده أبو عبيدة بن الجراح لفتحها قام بمحاصرة المدينة من كل جانب، فشعر سكانها بعدم جدوى القتال أو الحياة تحت الحصار فطلبوا الأمان من أبي عبيدة، فدخل المسلمون المدينة. ويعتبر فتح دمشق خطوة تمهيدية لفتح الشام كله وخاصة بيت المقدس... كما يعتبر تقليصاً للنفوذ البيزنطي.

١٦ انتصار المسلمين الكبير في القادسية (١٤هـ/ ٦٣٤م)

يبدو أن الفرس حاولوا - ربما للمرة الأخيرة - جمع شملهم وتوحيد صفوفهم آملين أن تبقى إمبراطوريتهم على قيد الحياة. وساعد على ذلك أن تولى حكمهم يزدجرد صغير كسرى الذي لم يكن يعلم أن زوال دولته قد حان.

ولكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي تمسك بأُسس الإسلام والتزم بالشورى، أخذ يستفتي الناس في أمر قتال الفرس، فساندوه، وأخذ المسلمون من كافة أنحاء الجزيرة العربية يتجمعون حتى بلغ عددهم حوالي ثلاثين ألفاً...

ووافق عمر على رأي مستشاريه في أن يتولى سعد بن أبي وقاص قيادة ذلك الجيش، فتحرك المسلمون تجاه فارس، وخرج الفرس لمقابلتهم وكان عددهم يماثل أربعة أضعاف جيش المسلمين.

والتقى الجمعان، جيش مسلح بنور الإيمان والاستعداد للشهادة، وجيش غلبته الأطماع وسيطرت عليه رغائب النفس.. ودارت معركة كبرى استمرت ثلاثة أيام انتهت بانتصار المسلمين وهزيمة الفرس ومقتل قائد جيشهم رستم.

وتعد معركة القادسية أحد أهم المعارك الكبرى في تاريخ الفتوحات الإسلامية، والمعركة التي قضت تقريباً على الإمبراطورية الفارسية.

١٧ العرب يفتحون المدائن (١٤هـ/ ٦٣٥م)

واصل سعد بن أبي وقاص الزحف في أراضي الإمبراطورية الفارسية، فتوجه بجيشه المنتصر في القادسية نحو عاصمة الفرس التي تسمى المدائن. وكانت عبارة عن مدينة كبيرة تعكس البذخ الذي عاش فيه ملوك الفرس على مر العصور.

وسرعان ما تغلب جيش المسلمين على بقايا الفرس الذين كانوا يحرسون المدائن، فدخل سعد المدينة وطهرها من المقاومة، واجتمع بجنده في قصر الملك كسرى، ذلك القصر المنيع الذي كان يمثل نفوذ إمبراطورية بالغة القوة. وبسقوط المدائن طوى التاريخ صفحة سوداء عاشها البشر تحت حصار الطغيان.

١٨ هزيمة الروم في موقعة أجنادين (١٥هـ/ ٦٣٥م)

عندما بعث الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن العاص لفتح فلسطين، كان الروم بها على بينة من نوايا عمرو فاستعدوا لمقاتلته، وحشدوا قواتهم ومعداتهم لمقابلته. . ودارت معركة كبرى في موقع شرق مدينة القدس يسمى أجنادين. كان المسلمون بقيادة عمرو بن العاص، والروم بقيادة أرطبون وانتصر المسلمون بعد معارك طاحنة وخسائر شديدة في الجانبين.

وتعتبر معركة أجنادين من أكبر المعارك التي مهدت لدخول القدس

الشريف ذلك المكان المنير الذي عرج منه رسول الله ﷺ إلى السماء ليرى ما رأى من آيات الله.

١٩ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدخل القدس (١٦هـ/ ٦٣٦م)

زحف عمرو بن العاص وجنده على بيت المقدس وكان به قادة الروم الذين تحصنوا خلف حصون المدينة المنيعة لمدة أربعة أشهر والمسلمون يحاصرونها. ولما اشتد حصار المسلمين للمدينة وأصاب التعب الروم بداخلها طلب بطريك المدينة (صفرونيوس) الصلح والآمان من عمرو فأجابه لطلبه. وكان من ضمن مطالب البطريك أن يتم الصلح بينه وبين خليفة المسلمين أي مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفسه. ولما علم عمر ترك المدينة وسافر إلى القدس ليوقع عهد الصلح والأمان لكافة سكان المدينة، فلم تهدر الدماء. (قارن موقف المسلمين الرحيم ذلك إزاء سكان القدس على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وموقف الصيلبيين عندما احتلوا القدس الشريف - (انظر التفاصيل عام ٤٩٢هـ - مذبحة القدس).

٢٠ موقعة جلولاء (١٦هـ/ ٦٣٦م)

بعد سقوط المدائن عاصمة الإمبراطورية الفارسية، هرب إمبراطور الفرس يزدجرد وبعض جنده إلى شمال العراق على أمل أن يجمع جيشاً يطرد به المسلمين من المدائن. ولكن المسلمين كانوا له بالمرصاد، وتقابلوا مع جيشه في موقع بشمال العراق يسمى جلولاء وهزموه هزيمة مريرة، ودخل المسلمون بذلك جزءاً جديداً من العراق وفر الإمبراطور الفارسي هائماً على وجهه إلى الشرق ليجمع المزيد من الجند والسلاح ويحاول للمرة الأخيرة الدفاع عن الوهم الضائع.

٢١ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبداية التأريخ الهجري (١٦هـ/ ٦٣٦م)

كان من ضمن أهم الأعمال التي قام بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وضع التأريخ الهجري الذي يعتمد عليه في كافة أنحاء العالم الإسلامي حتى يومنا هذا.

وقد تم ذلك في ربيع الأول من عام ١٦ للهجرة اعتماداً على مشورة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فقد انبثقت فكرة التاريخ الإسلامي في عقل عمر عنه فجمع الناس وقال لهم من أي يوم نكتب؟ وكان علي حاضراً فقال: من يوم هاجر الرسول ﷺ وترك أرض الشرك (يقصد مكة والكفار فيها قبل فتحها). فأخذ عمر برأيه.

٢٢ بناء مدينة الكوفة (١٧هـ/ ٦٣٧م)

بعد استتباب الأمر للمسلمين في فارس شرع المسلمون بموافقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بناء مدينة جديدة تقع جهة الغرب من نهر الفرات (حوالي ٨٠ كلم إلى الجنوب من بغداد). وسميت تلك المدينة بالكوفة، وهي أول مدينة إسلامية تبنى في العراق، وأصبحت بذلك عاصمة للمسلمين هناك بعد أن سقطت مدن الفرس، ودعت الضرورة إلى إبراز ملامح المدن الإسلامية. (ويلاحظ هنا أن المسلمين كانوا يختارون المواقع الممتازة لبناء مدنهم الإسلامية في كل بلد يفتحونه.. فمن أهم شروط تشييد المدن مناعتها الطبيعية ولطف مناخها وقربها من مصدر دائم للمياه العذبة).

٢٣ بناء مدينة البصرة (١٧هـ/ ٦٣٨م)

في نفس السنة التي قام فيها المسلمون ببناء مدينة الكوفة، قاموا كذلك ببناء مدينة على شط العرب في شمال الخليج العربي عند مصب نهري دجلة والفرات، وسميت تلك المدينة بالبصرة واعتبروها محطة اتصال بين شمال الجزيرة العربية والعراق، ومنطلقاً للتوغل إلى أعماق الأراضي الفارسية. وقد احتوت مثل كل المدن التي أنشأها المسلمون في البلدان التي افتتحوها مسجداً ليجتمع فيه المسلمون، وأسواقاً إسلامية مزدهرة بالتجارة. وفيما بعد أصبحت البصرة ثاني أكبر مدينة في العراق.

٢٤ عام الرمادة في الحجاز (١٨هـ/ ٦٣٨م)

حدث قحط شديد بسبب انعدام الأمطار على الحجاز، وأخذت الرياح تشتد حتى كانت تثير الغبار الكثيف فسماها العرب الرمادة. وقد نتج عن ذلك

مصرع العديد من الناس والأطفال.. فطلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه المدد من الأمصار الإسلامية، فأخذت الدواب تنقل الطعام والشراب وعمر يوزعها على أهل المدينة ومكة. ولقد ضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه المثل في التقشف فحرم نفسه من السمن واللبن واللحم. وكان رضي الله عنه يقول: «كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسسني ما مسهم» وجدير بالذكر أن الطاعون كان قد انتشر بأرض فلسطين وهدد الحجاز وسماه العرب بطاعون عمواس (وهي قرية صغيرة على مقربة من القدس)، وبسببه مات العديد من الناس بما فيهم بعض الصحابة مثل أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وابنه رضي الله عنهم.

٢٥ موقعة نهاوند (١٨هـ/ ٦٣٩م)

تعتبر معركة نهاوند (في الشمال الشرقي من نهر الفرات) هي آخر معارك المسلمين ضد الفرس. وفيها كان يزدجرد قد تمكن من جمع جيش قوامه مائة ألف فارس والتقى بجيش المسلمين بقيادة النعمان بن مقرن وعدده ثلاثون ألف مقاتل. وبانتهاء المعركة كان الفرس قد دحروا حيث قتل ثلث جيشهم وفر الباقي منهم إلى الشرق.. أما ملكهم فقد هرب إلى إحدى القرى بتركيا وظل متوارياً عن الانظار حتى اغتاله أحد المقربين منه عام ٣١هـ.

٢٦ المسلمون يدخلون مصر (١٩هـ/ ٦٤٠م)

كانت مصر على عهد الدولة البيزنطية تعيش في ظلم مرير. فالمسيحيون المصريون الذين كانوا على مذهب يعقوب البرادعي وجدوا أنفسهم مضطهدين من الروم البيزنطيين الذين آمنوا بالمذهب الملكاتي. ولم يكن الروم كدولة سياسية تود إنصاف عقيدة المصريين بل كان ساستهم يسعون إلى بسط نفوذهم السياسي على أي أراض تصل إليها قواتهم وقبل أن يدخل المسلمون القدس كان قائد الروم قد هرب إلى مصر لكي يؤسس جيشاً يحطم به النفوذ الإسلامي ببيت المقدس والشام.

ووسط ذلك التهديد وتلك المخاطر تمكن عمرو بن العاص من إقناع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بفتح مصر، فوافق الخليفة وسمح لعمرو

بقيادة جيش مكون من حوالي أربعة آلاف رجل تحرك بهم عمرو من فلسطين فعبر الحدود إلى العريش وأخضع القلاع في طريقه حتى وصل إلى بلبيس بشرق مصر وذلك في ربيع أول عام ١٩ هجرية (مارس ٦٤٠م). فقاتل جيش المسلمين جيشاً رومياً بقيادة أرطبون فهزمه وتقدم تجاه حصن رومي قوى يسمى حصن بابليون فتركه بدون أن يخضعه لشدة تحصينه وكثرة عدد جند الروم بداخله وذهب جنوباً فعبر النيل واتجه إلى الفيوم للاستزادة بالطعام والمعلومات ومكث هناك منتظراً الإمداد العسكري من الحجاز حتى يسيطر على حصن بابليون.

٢٧ موقعة عين شمس وهزيمة الروم (١٩هـ/ ٦٤٠م)

بعد أن مكث عمرو بن العاص بالفيوم بعض الوقت حتى أسعفه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوات عربية قوامها اثنى عشر ألف رجل، فتسنى لعمرو أن يعيد تنظيم صفوف جيشه واتجه لملاقاة الروم في موقعة كبرى سميت بعين شمس (في رجب من عام ١٩هـ). وكان عدد المقاتلين بالجيش الرومي حوالي عشرين ألفاً، ولكن عبقرية عمرو بن العاص الحربية وارتفاع الروح المعنوية لدى المسلمين واستفادتهم من جغرافية الأراضي بميدان المعركة ونصب الكمائن للروم جعلتهم ينتصرون عليهم.. ففر من بقي من أعدائهم إلى حصن بابليون وكان أقوى حصونهم الحربية وأمنعها بمصر.

٢٨ اقتحام حصن بابليون (٢٠هـ/ ٦٤١م)

سمي حصن بابليون بهذا الإسم لأنه كان قد أسر به بعض البابليين إبان عصر الإمبراطور الروماني تراجان في بداية القرن الثاني الميلادي. ولقد تمت توسعة الحصن وتقوية أسواره وقلاعه وبواباته حتى لقد بدا للروم أنه يستحيل لأحد اقتحامه.

ولما هزم الروم بعين شمس، توجه عمرو بن العاص بجيشه إلى ذلك الحصن ففرض عليه الحصار على مدى سبعة أشهر متواصلة، حتى شعر المقوقس أن الأمر قد حان لبدء التفاوض. فوافق المقوقس على دفع الجزية وعارضه بعض مستشاريه. فلما علم هرقل إمبراطور الروم بالقسطنطينية رفض

الصلح ونفى المقوقس فتجدد القتال وشدد المسلمون الحصار حول الحصن مرة أخرى حتى استطاع العرب اقتحامه فاستسلم جند الروم بداخله وطلبوا الصلح. وبالفعل تم الصلح الذي أعرب فيه المسلمون عن التزامهم بحماية أرواح وممتلكات وملة وكنائس قبط مصر وتعهد فيه المصريون بدفع الجزية.

٢٩ فتح الإسكندرية عاصمة مصر (٢١هـ/ ٦٤٢م)

فقد الروم بعد سقوط حصن بابليون معظم مواقعهم في مصر، ولكن تبقى لهم مدينة الإسكندرية وكانت عاصمتهم المزدهرة في مصر.

والإسكندرية منذ أن بناها الإسكندر الأكبر وهي تلقى كل اهتمام من حكام مصر سواء كانوا البطالمة أو الروم فشيدوا حولها الأسوار والقلاع وبنوا لها الأساطيل التي تحميها من ناحية البحر.

ولقد رأى عمرو بن العاص أن مصر لن تسلم من غارات الروم طالما بقيت الإسكندرية في حوزتهم فاتجه بجيشه إليها وفرض عليها الحصار البري المحكم.. ولكن الإسكندرية لم تكن مدينة برية فحسب... فالمواصلات بينها وبين الإمبراطورية مفتوحة عن طريق البحر.. ويبدو أن الحصار كان يمكن أن يطول لولا موت هرقل إمبراطور الروم وحدوث فتن واضطرابات بداخل الدولة حول من يتولى حكمها.. فجاء المقوقس إلى الإسكندرية وطلب لقاء عمرو بن العاص.. وفي ذلك اللقاء تم توقيع معاهدة الإسكندرية التي تنص على انتهاء حكم الدولة البيزنطية في مصر وجلاء الروم عن مجمل الأراضي المصرية بصفة دائمة لا عودة عنها.

وبذلك أصبحت مصر جزءاً حيوياً هاماً من الدولة الإسلامية التي امتدت من مصر غرباً إلى شمال شرق العراق شرقاً.

٣٠ بناء مدينة الفسطاط عاصمة مصر (٢١هـ/ ٦٤٢م)

استتب الأمر لعمرو بن العاص فعاد من الإسكندرية إلى مصر لينشىء مدينة إسلامية كبرى تكون عاصمة لمصر الإسلامية. واختار لها مكاناً استراتيجياً هاماً يقع شرق النيل وغرب جبل المقطم وسماها الفسطاط (الخيمة) نسبة إلى

فسطاطه الذي نصبه عند دخوله مصر وتركه ليفتح الإسكندرية. فلما عاد أمر ببناء المدينة مبتدئاً بالمكان الذي كان قد ترك فيه فسطاطه. وسارع الناس بالمشاركة في البناء حتى غدت مدينة عظيمة تليق بمكانة مصر.

ولقد استمرت الفسطاط (مكانها اليوم بمصر القديمة بجوار مجرى العيون) في الاتساع والازدهار على مدى العصور الإسلامية حتى أحرقت على زمن الخليفة الفاطمي العاضد بالله عندما هدد الصليبيون مصر (انظر حرق الفسطاط عام ٥٦٤هـ).

٣١ بناء جامع عمرو بن العاص (٢١هـ/ ٦٤٢م)

جامع عمرو بن العاص بالفسطاط هو أول جامع يبنى في مصر وأفريقيا. بني عام ٢١ هجرية بوسط مدينة الفسطاط ليتوسط مساكن المسلمين، ويكون موضع عبادتهم وتجمعهم وتآلفهم وبحث شؤون دينهم ودنياهم.

وعندما بنى ذلك المسجد لأول مرة كان له ستة أبواب، وبه ساحة غير مسقوفة أما أعمدته الداخلية فكانت من جذوع النخيل وسقفه من الجريد، ولم يكن له مأذنة ولا منبر.

وبمرور العصور وجد كل حاكم لمصر شرفاً خاصاً في العناية بمسجد عمرو بن العاص حتى أصبح على ذلك الاتساع العظيم الذي نراه عليه اليوم.

٣٢ عمرو بن العاص يفتح برقة بليبيا (٢٢هـ/ ٦٤٣م)

بعد أن استقر العرب بمصر سار عمرو بن العاص بجيشه تجاه برقة (التي كانت تتبع مصر من الناحية الإدارية) وكان يسكنها البربر الذين عانوا طويلاً من الطغيان البيزنطي. فتفاوض عمرو مع زعماء البربر الذين رحبوا بالفتح الإسلامي العربي، ولهذا لم تحدث حروب أو قتال بين الطرفين. وقد وافق البربر على دفع خراج برقة لعمرو وكان حوالي ١٣ ألف درهم.

ويعتبر دخول برقة الإسلام خطوة هامة للغاية مكنت العرب من استطلاع أحوال شمال أفريقيا.

٣٣ عمرو بن العاص يفتح طرابلس الغرب (٢٢هـ/ ٦٤٣م)

وجد عمرو الفرصة مواتية له لإكمال مسيرته غرباً لفتح طرابلس، فدخل بنفسه المدينة بدون مقاومة في نهاية سنة ٢٢ هجرية. وبعد تأمينها أرسل بعثة إلى ولاية فزان (جنوب غرب ليبيا) بقيادة عقبة بن نافع (القائد العربي الشهير الذي أحرز فتوحات كبرى في شمال أفريقيا) ففتحها وكان بها أحد أقوى الحصون البيزنطية.

وقد توقف الفتح العربي إبان خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند ذلك. ويعتبر دخول ليبيا الإسلام من الأحداث الهامة التي ربطتها بكل ما يحدث في مصر، فنشأت تلك العلاقة الأخوية الحميمة بين الشعبين على مدار العصور الإسلامية.

٣٤ استشهاد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٢٤هـ/ ٦٤٣م)

لا شك أن الفتوحات الإسلامية التي تمت في عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم تكن لتتم لولا الخصال الرائعة التي وجدت فيه.. فقد هُدمت معاقل الكفر والشرك في بلدان وإمبراطوريات خلال سنوات معدودات.. فبقي من كان من قلوبهم غل للذين آمنوا يسعون لإلقاء أحقادهم الشيطانية على ذلك الخليفة العظيم الذي حرر العبيد ورفع كرامة المستضعفين في الأرض. وقد تم لهم مبتغاهم عن طريق رجل من فارس يدعى أبو لؤلؤة حينما دخل إلى المدينة المنورة، وذهب يشكو لعمر من ارتفاع الضرائب الواقعة عليه بالرغم من ارتفاع دخله وانبساط عيشه.. ولم يكن عمر مستعداً لتخفيف الضريبة التي يدفعها ذلك الرجل أسوة بأمثاله ممن يعيشون منعمين بحسن الدخل، فغضب أبو لؤلؤة وتمكن من الحصول على خنجر ذي نصلين واختفى بالمسجد بين المصلين صلاة الفجر حتى دخل عمر رضي الله عنه للصلاة كعادته، فاستل الخنجر المسموم وطعن به عمر ثلاث طعنات غادرة قاتلة.

ولا شك أن شكوى أبي لؤلؤة الأنصاري كانت مجرد خدعة دبرها الفرس واليهود للخلاص من عمر بن الخطاب رضي الله عنه لحقدهم على الإسلام والمسلمين.

وكان طعن عمر فجر يوم السابع والعشرين من ذي الحجة من عام ٢٣هـ. وانتقل إلى رحاب الله تعالى في أول محرم عام ٢٤هـ. وقد دفن كما طلب بجوار الرسول ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه بمسجد الرسول بالمدينة المنورة.

وجدير بالذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد ولد عام ٤٠ قبل الهجرة.

٣٥ عثمان بن عفان رضي الله عنه يتولى الخلافة (٢٤هـ/ ٦٤٤م)

يعتبر اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بداية للفتن الواسعة النطاق التي حدثت بين المسلمين. فقد كان أول خليفة راشد يتم اغتياله مما سبب زلزالاً شديداً للدولة الإسلامية الفتية الناشئة.

ومع ذلك فقبل مصرعه رضي الله عنه كان قد أمر بتكوين مجلس شورى من ستة من الصحابة وهم: علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم. ثم أضاف إليهم ابنه عبد الله ليكون رأيه مرجحاً للاختيار أو الرفض. وبعد مناقشات وجلسات مطولة انقسم رأي المسلمين على الاختيار... فالبعض طالب بإسناد الخلافة إلى علي.. والبعض الآخر طالب بإسنادها إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ولكن علياً وسعداً والزبير اختاروا عثمان، وانضم إليهم في اليوم الرابع لوفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عبد الرحمن بن عوف.. ومن ثم خرج الناس بالمدينة يبايعون عثمان بن عفان رضي الله عنه. وبذلك فإن أول يوم في خلافة عثمان صادف نفس يوم دفن عمر... وكان ذلك في أول المحرم من عام ٢٤ للهجرة.

٣٦ المسلمون يغزون أذربيجان وأرمينيا (٢٤هـ/ ٦٤٤م)

أذربيجان وأرمينيا مقاطعتان صغيرتان لم تكونا دولتين مستقلتين بأي

حال قبل أن يدخلهما المسملون لأول مرة عام ٢٢ للهجرة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وبالرغم من أن المسلمين على عهد عمر كانوا قد أخذوا الوعود من أهل تلك البقاع على الولاء للمسلمين إلا أن استشهاد عمر جعل تلك البقاع ترتد عن وعودها، فأمر عثمان بن عفان رضي الله عنه قائد جيشه الوليد بن عقبه بالسيطرة على الإمارتين، فأرسل الوليد بدوره سلمان بن ربيعه الباهلي فزحف ببعض القوات ودخل الإمارتين ووقع الصلح معهما عام ٢٤هـ.

٣٧ عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر (٢٥هـ/ ٦٤٤م)

ليست هناك معلومات مؤكدة حول أسباب عزل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه لعمرو بن العاص عن ولاية مصر. ومع ذلك فالمعروف أن عبد الله بن أبي السرح الذي عينه عثمان والياً على مصر كان أخاً في الرضاعة لعثمان.

وكان كذلك من قادة القوات الإسلامية التي قاتلت مع عمرو في كل معاركه بمصر. ولما عاد عمرو للمدينة واستقر ابن أبي السرح في مصر زاد خراج مصر عن ما كان عليه في عهد عمرو.. فعاتب عثمان عمرو على ذلك مذكراً إياه بأن خراج مصر قد ارتفع عن ما كان يرسله وقتئذ.. فأجاب عمرو بأن أبي السرح قد رفع الضريبة على كل مصري بما يعادل النصف، ولذلك فإن تلك الزيادة «إنما هي على الجماجم» أي أنها ألحقت الضرر بالمصريين. ولقد بقي ابن أبي السرح والياً على مصر حتى وفاته عام ٣٦ هجرية.

٣٨ المسلمون يكملون فتح الشام (٢٥هـ/ ٦٤٦م)

أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه معاوية بن أبي سفيان ليكون والياً للمسلمين في الشام.. وما أن أخذ معاوية يبسط سلطانه هناك حتى جاءته المعلومات بأن الروم قد أخذوا يدخلون مناطق بآسيا الصغرى شمال الشام، فأرسل للخليفة يطلب منه جيشاً يساعده على الوقوف أمام الروم.. فجهز عثمان جيشاً قوامه ثمانية آلاف رجل بقيادة سلمان بن ربيعة. وبوصول الجيش للشام قام معاوية بالتخطيط لمواجهة الروم وتقابل معهم وأنزل بهم هزيمة قاسية وتتبعتهم القوات الإسلامية حتى طبرستان.

٣٩ عثمان رضي الله عنه يأمر بنسخ القرآن الكريم (٢٥هـ/ ٦٤٦م)

انتقلت الصحائف التي جمع فيها أبو بكر الصديق رضي الله عنه القرآن الكريم بعد وفاته إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم انتقلت إلى ابنته حفصة بعد استشهاده فطلب الخليفة عثمان رضي الله عنه الصحائف حتى يتم نسخها بعد أن ظهرت في بعض البلدان التي تم فتحها اختلافات في قراءة نصوص آيات من القرآن.

وقد كلف عثمان أربعة من كبار الصحابة بمراجعة النصوص وهم زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن الحارث بن هشام، وبعد أن تم نسخ المصحف الشريف بلسان قريش أرسل النسخة الأصلية إلى السيدة حفصة، ثم أرسل نسخاً إلى البلدان والولايات التي دخلها الإسلام حيث تم نسخها وتوزيعها على الفقهاء والعلماء.

أما النسخ القديمة التي وجد فيها اختلافاً عن الأصل فقد أمر عثمان بحرقها. وبهذا سمي المصحف بعد نسخه بمصحف عثمان نسبة إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه تسجيلاً لعمله الجليل هذا.

٤٠ الروم يعاودون احتلال الإسكندرية (٢٥هـ/ ٦٤٥م)

بعد أن هدأت الأحوال في القسطنطينية عاصمة الروم بسبب موت هرقل، شعر الروم بأن عودتهم لمصر يمكن أن يكتب لها النجاح. وهناك سببان وراء شعورهم هذا. الأول: ما أصاب المسلمين بعد اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والثاني: عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر. فجهز البيزنطيون أسطولاً بحرياً كبيراً استطاع النزول إلى الإسكندرية والسيطرة عليها ثم هبطوا إلى الدلتا.

فاستنجد المسلمون بالخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه فأمر عمرو بن العاص بأن يقود جيشاً مدرباً تعداده خمسة عشر ألف مقاتل وذلك لما عرف عن عمرو من حنكة ودراية بشؤون مصر السياسية والحربية... وتقابل جيش عمرو مع جيش الروم ودارت معركة كبرى انسحب الروم بعدها إلى الإسكندرية فزحف عمرو من ورائهم حيث نصب آلات الحصار والمنجانيق حول المدينة

وأخذ في اقتحامها عنوة فقتل بداخل المدينة أغلب الجيش البيزنطي وعلى رأسه قائده مانويل.

٤١ المسلمون يستطلعون شمال أفريقيا (٢٧هـ/ ٦٤٨م)

بعد أن تمكن عمرو بن العاص من دخول برقة وطرابلس عام ٢٢ هجرية عاد إلى مصر عام ٢٣ وبعودته رجع الروم إلى طرابلس لعدم وجود حامية عربية هناك، ومع ذلك فقد بقيت مدينة برقة تحت النفوذ الإسلامي. ويبدو أن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وافق على إرسال حملة استطلاعية ثانية يقودها عبد الله بن أبي السرح، فتوغل في شمال أفريقيا وعقد صلحاً مع البربر وعاد بدون إخضاع تلك الأراضي. إلا أن المعلومات التي تم جمعها مكنت العرب في المستقبل من فهم طبيعة الأرض والسكان في تلك البقاع. (انظر فتح قرطاجنة وبناء القيروان عامي ٤٥ و ٥٠هـ).

٤٢ المسلمون ينزلون جزيرة قبرص (٢٨هـ/ ٦٤٩م)

إن احتلال البيزنطيين للإسكندرية وتهديدهم لمصر (عام ٢٥هـ) كان ـ بالرغم من هزيمتهم ـ صدمة للمسلمين فقد علموا مدى ضعفهم البحري أمام الأعداء. ولكن ذلك الضعف لم يستمر طويلاً، فسرعان ما استعانوا بغابات الأشجار في الشام فأرسلوها إلى مصر لتصنع هناك السفن الحربية القادرة على تهديد الأعداء. ولم تمض ثلاث سنوات حتى جهز المسملون بالشام بموافقة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه أسطولاً بحرياً قوياً واتجهوا به إلى جزيرة قبرص التي كان البيزنطيون يستخدمونها كمحطة لهجماتهم على الشام ومصر. فقام معاوية بن أبي سفيان بقيادة الأسطول وهي المرة الأولى التي يركب فيها العرب البحر بهدف الغزو البحري، فخرج من ميناء عكا قاصداً شرق الجزيرة، ونزل الأسطول بسلام فطلب أهل الجزيرة عقد صلح مع المسلمين يقوم فيه أهل الجزيرة بدفع ضريبة تعادل ما يدفعونه للروم مقدارها سبعة آلاف دينار تقريباً.

وفي الحقيقة لم يكن نزول الأسطول الإسلامي للجزيرة بهدف إخضاعها للدولة الإسلامية... فقد أظهرت الرحلة إلى هناك مدى حاجة الأسطول الإسلامي للخبرة والمزيد من القوة... فعاد معاوية إلى الشام فخوراً بما حققه.

٤٣ المسلمون يفتحون طبرستان بفارس (٣٩هـ/ ٦٥١م)

عندما تحطمت الإمبراطورية الفارسية تحت الضربات القوية المستمرة من الجيوش الإسلامية كان من السهل بعد ذلك للمسلمين أن يزيدوا من فتوحاتهم في منطقة طبرستان والتي تقع بجنوب شرق بحر قزوين. فسار جيش إسلامي بقيادة سعيد بن العاص ومعه العديد من الصحابة إلى هناك. . . فطلب أهل الولاية الأمان فدخل المسلمون مدناً هامة بلا قتال مثل نهاوند وجرجان وتومس.

٤٤ عقد الصلح بين المسلمين وملك النوبة (٣١هـ/ ٦٥٢م)

فتح عمرو بن العاص مصر وعلم فيها أن بالنوبة دويلة تابعة للبيزنطيين يمكن أن تهدد الوجود الإسلامي المهم في مصر، فسارع بإخضاع النوبة، ولكن اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تطلب عودة عمرو إلى المدينة المنورة وتعيين عبد الله بن أبي السرح والياً على مصر. وفي أثناء تلك الفترة كان ملك النوبة يهاجم قرى صعيد مصر فسار إليه ابن أبي السرح وحاصر عاصمته دنقلة. فأعلن النوبيون استعدادهم لعقد صلح يتعهدون فيه بعدم مهاجمة مصر وتحقيق حسن الجوار والسماح بنشر الإسلام في بلاد النوبة وأفريقيا بالطرق السلمية. ومنذ ذلك الوقت والدعوة الإسلامية تنتشر في مناطق السودان الواسعة ومنه إلى قلب أفريقيا. وكان هذا هو أهم المنافذ التي دخل بها الإسلام السودان وشرق أفريقيا فيما بعد.

٤٥ القبارصة ينقضون العهد مع المسلمين (٣٣هـ/ ٦٥٤م)

بعد نجاح معاوية في عقد صلح مع أهل جزيرة قبرص اتضح له أنهم نقضوا ذلك العهد وقاموا بتزويد الروم بسفن وسلاح لمهاجمة السواحل العربية. فقام معاوية بقيادة أسطول بحري ضخم تلك المرة مكون من حوالي خمسمائة سفينة، وخرج به من الشام ونزل بالجزيرة فهاجمه أهلها ودارت معارك شتى قتل فيها العديد من أهل الجزيرة الذين رضخوا بعد ذلك لإقرار الصلح مع معاوية الذي لم يتركها إلى الشام حتى أرسل إليها قوات قوامها اثنى عشر ألفاً من المسلمين، فبقوا هناك لتعزيز الوجود الإسلامي بالجزيرة.

٤٦ معركة ذات الصواري البحرية (٣٤هـ/ ٦٥٥م)

لما نجح المسلمون في النزول إلى قبرص، علم الروم أن العرب يقطعون خطوات واسعة إلى الأمام من أجل بناء أسطولهم البحري التي ستمكنهم من الاحتفاظ بمصر والشام... ويبدو أن بقايا الروم في الإسكندرية أخبروا الإمبراطور البيزنطي (قنسطانز) بالاستعدادات البحرية في المدينة فأبحر في خمسمائة سفينة حربية قاصداً تدمير الأساطيل الإسلامية. ولما علم كل من معاوية بن أبي سفيان بالشام وعبد الله بن أبي السرح بمصر ذلك، خرج كل منهما في أسطوله، فتقابلا أمام شاطىء كيليكيا جنوب آسيا الصغرى ودارت معركة بحرية كبرى كاد المسلمون أن ينهزموا فيها لنقص خبرتهم البحرية، لولا أن فطن القادة المسلمون في أن يسيروا بسفنهم تجاه سفن العدو حتى يتمكنوا من ربط السفن معاً فتصبح المعركة بذلك كالمعارك البرية.. وقد تم ذلك فعلاً فهزم الروم.

وفي الحقيقة كانت خسائر المسلمين والروم شديدة حتى ذكر أن مياه البحر قد غُطيت بجثث الرجال.

وبانتصار المسلمين في تلك المعركة المجيدة فتح عهد جديد للبحرية الإسلامية، وعلم الروم أن أطماعهم في العودة لاحتلال مصر والشام ما هي إلا أوهام.

٤٧ الفتنة الكبرى (٣٤هـ/ ٦٥٥م)

أحدث اغتيال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه صدمة كبرى لدى المسلمين الذين تمكن عمر من أن يوحدهم جميعاً وراء هدفين واضحين هما تحقيق العدالة ونشر الإسلام في الأرض.

ولما بايع المسلمون عثمان بن عفان رضي الله عنه استمر في اتباع سياسة الفتوحات الإسلامية شرقاً وغرباً حتى أصبحت الدولة الإسلامية دولة بالغة الثراء مترامية الأطراف. أما في الأمور الداخلية فقد رأى عثمان أن يملك بعض الصحابة وخاصة من بني أمية الإقطاعيات والممالك... فعثمان ينتمي منذ ما قبل الإسلام إلى بني أمية (الذين كانوا أشد أعداء الدعوة الإسلامية نظراً لظهورها

في قبيلة بني هاشم). فانتهز بنو أمية تلك الفرصة لكن يظهروا لبني هاشم أحقيتهم في حكم الولايات. ولقد إزداد ثراء البعض ثراءً فاحشاً مما جعل الكثيرين يتحدثون عن الزهد والتقشف في أيام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وكان من أبرز هؤلاء أبو ذر الغفاري ذلك الصحابي الجليل الذي سافر في أنحاء الجزيرة العربية ومدن الشام يدعو إلى التقشف والزهد والاهتمام بأحوال الفقراء، حيث أخذت القصور تبنى والحدائق الغناء تخط، بينما الكثيرون من المسلمين يعيشون في فقر مدقع. ثم أخذ عثمان في توزيع عدد من المناصب الكبرى في الدولة على أقربائه، وغيّر من جماعة الشورى التي اتخذها أبو بكر وعمر لمساعدته وإبداء المشورة له حتى أصبح رجل واحد هو مروان بن الحكم بن أبي العاص، مستشاره الأول. وأبعد عثمان عن مصر عمرو بن العاص وولى عليها شقيقه في الرضاعة عبد الله بن أبي السرح، فعامل المصريين معاملة قاسية ولم يصغ لنصائح عثمان بحسن معاملة المصريين. وكذلك فعل في ولايات البصرة والكوفة والشام.

وفي تلك الأثناء دخل الإسلام رجل يهودي يدعى عبد الله بن سبأ وهو يمني، أخذ يسافر في أنحاء الحجاز والعراق والشام، يدعو المسلمين إلى الثورة ضد عثمان.. ويبدو أنه فشل في إقناع الناس فلم يلتف منهم أحد حوله، فسافر إلى مصر التي يبدو أن أهلها غضبوا من عزل عثمان لعمرو الذي ساسهم أحسن سياسة. فنجحت دعوة ابن سبأ مستغلاً الدعوة إلى أحقية علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الحكم لأن: «محمد ﷺ (هو خاتم الأنبياء) وعلي رضي الله عنه (هو خاتم الأوصياء) ولما كان لكل نبي وصي، فعلي أحق بالخلافة كما ادعى. كذلك استغل ابن سبأ نصاً قرآنياً ليدلل على إمكانية عودة النبي ﷺ، فأوضح للناس أنهم مثلما ينتظرون عودة المسيح عيس بن مريم عليه السلام، فالأجدر بهم أن ينتظروا عودة الرسول محمد ﷺ وذكر قوله تعالى: **﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾**.

ويبدو أن الكثيرين صدقوه، ولم يدركوا تمام الإدراك حداثة عهده بالإسلام.. ومع ذلك فلما وصلت دعوة ابن سبأ بإزالة عثمان عن الخلافة،

انتهز عثمان رضي الله عنه موسم الحج واجتمع بحكام الإمارات فأجمعوا على ضرورة ضرب الفتنة في مهدها حتى لا تشتد، ولكنه رضي الله عنه رفض ذلك وطالبهم بحسن معاملة المسلمين وإرجاع الحقوق إلى أهلها. ولكن حكام الإمارات استمروا في سياساتهم الخاصة ولم يطيعوا أوامر الخليفة. فانتهز عبد الله ابن سبأ ذلك ودعا الناس إلى لقائه بالمدينة المنورة، وكان عددهم قد زاد وانتشروا في كثير من البقاع الإسلامية. وفي رجب من عام ٣٥ للهجرة التقى عثمان بزعماء الخارجين عن خلافته وحاورهم وفند حججهم كلها.. وبالرغم من أنهم اقتنعوا بوجهات نظره إلا أنهم اتفقوا على العودة إلى بلادهم والالتقاء مرة أخرى بالمدينة في شوال من نفس العام. وتجمع المتمردون في شوال والتقوا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فزجرهم غاضباً وكذلك فعل الصحابة بهم.. فاجتمعوا وأسرعوا بمحاصرة بيت عثمان مطالبين إياه بعزل ولاة بلدانهم وخاصة والي مصر، وكان قد تزعمهم حينئذ الغافقي بن حرب المكي.. ثم أنهم منعوا عثمان رضي الله عنه من إمامة المسلمين بالمسجد للصلاة، وحاصروه في بيته وطلبوا منه إما عزل الولاة أو أن يتنازل عن الخلافة أو يقتل، فرفض عثمان ذلك كله..

وفي الحقيقة فإن خطأ كبيراً قد وقع من حكام الولايات. فقد كانت لديهم القوات لمنع خروج المتمردين على عثمان إلى المدينة، أو تجريدهم من سلاحهم إذ كانوا قد خرجوا للحج.. ولكن ذلك لم يحدث.

٤٨ اغتيال عثمان بن عفان رضي الله عنه (٣٥هـ/ ٦٥٦م)

اشتدت الأزمة، وطال حصار بيت عثمان رضي الله عنه أربعين يوماً... ولما جاءت بعض الأخبار بوصول قوات لنجدة الخليفة المحاصر جزع المتمردون وخشوا أن يتم قتلهم فاتجهوا مندفعين نحو باب منزل الخليفة فواجههم أبناء الصحابة الذين وقفوا يدافعون عن شرعية الخليفة وحياته... واستعجل المتردون الأمر فتسلقوا سور البيت بعد فشلهم في اقتحام بابه.. وقادهم في ذلك محمد بن أبي بكر الذي تقدم من عثمان وكان يقرأ في المصحف الشريف وأخذ بلحيته ولامه على أفعاله واستهزأ بدفاعه وضربه ضربة

شجت جبنيه، وتبعه كنانة بن بشر فضرب الخليفة بالسيف ثم سوران بن حمران الذي طعن الخليفة في جنبه، وأخيراً جاء دور عمرو بن الحمق الذي اعتلى صدر الخليفة المصروع وضربه بخنجره تسع طعنات فمات عثمان شهيداً. . . . وكان ذلك ليلة ١٨ ذي الحجة من عام ٣٥ من الهجرة.

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه قد ولد عام ٤٧ قبل الهجرة، ودخل الإسلام وتزوج من السيدة رقية ابنة النبي ﷺ، فلما ماتت تزوج من السيدة أم كلثوم ابنة النبي عليه الصلاة والسلام، فلما ماتت تزوج من السيدة نائلة. وقد عرف عنه حبه الشديد للإسلام وكان صيامه متصلاً، وأنفق ماله في خدمة دين الله.

٤٩ علي بن أبي طالب رضي الله عنه يتولى الخلافة (٣٥هـ/ ٦٥٦م)

بعد أن تم اغتيال الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه فوجىء المسلمون بأن مشكلة مبايعة خليفة جديد عليهم قد استعصت على الحل. . فقد رفض الخلافة الكثيرون من الصحابة من أمثال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام رضي الله عنهم، فاجتمع الناس بالمدينة المنورة ينظرون ماذا سيكون أمر الخلافة، فلم يجدوا حولهم أفضل من علي بن أبي طالب رضي الله عنه. . فقد كان الرجل الثاني الذي اختاره المسلمون بعد استشهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو ابن عم النبي، وأول صبي يدخل الإسلام، فاختاره أغلب الناس وكان ذلك في اليوم السادس من مقتل عثمان رضي الله عنه أي في الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة عام ٣٥هـ.

ويعتبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول خليفة للمسلمين من الأسرة الهاشمية التي ينتمي لها الرسول ﷺ.

٥٠ المسلمون يتقاتلون في موقعه الزابوقة (٣٦هـ/ ٦٥٦م)

لم يجد عليّ رضي الله عنه أمامه أمة متحدة الرأي حتى على أمر مبايعته. . فالمسلمون الذين اختاروه في المدينة كان قد اختفت بينهم الزمرة التي

وقفت وراء قتلة عثمان. كذلك تكوّن ما يمكن تسميته حلفاً ثلاثياً من الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله، والسيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم، والذين طالبوا علياً بالقصاص الفوري من قتله عثمان رضي الله عنه، حيث بدا لهم أن علياً بن أبي طالب رضي الله عنه قد أجل البت في ذلك الأمر.. فسافروا ثلاثتهم إلى البصرة، وبتشجيع من الأمويين بالشام تكون جيش اتجه إلى ضواحي البصرة وهناك دارت معركة شديدة بين جيش الحلف الثلاثي وبين جيش أعده والي البصرة عثمان بن حنيف الذي عينه علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وفي تلك المعركة قتل حوالي خمسة آلاف مسلم دخل بعدها الزبير وطلحة المدينة وأسروا بعض الرجال الذين كانوا قد اشتركوا في مقتل عثمان وقتلوهم. وقد سميت تلك المعركة بمعركة الزابوقة وجرت أحداثها في الخامس والعشرين من ربيع الآخر عام ٣٦ للهجرة.

٥١ المسلمون يتقاتلون في موقعة الجمل (٣٦هـ/ ٦٥٦م)

بعد أن نجح الزبير وطلحة في دخول البصرة وقتل بعض الذين شاركوا في حصار وقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد دخل الكوفة ونجح في تكوين جيش قوامه سبعة آلاف رجل، واتجه به إلى البصرة لإنهاء ما رآه تمرداً على خلافته. ولكنه قبل أن يدخل في أي قتال أرسل من يعرض السلام على الزبير وطلحة والسيدة عائشة رضي الله عنهم فوافقوا وتم الصلح بين الجميع.. ولكن جماعة من جيش علي رفضت الصلح لأنه إن تم فسوف يعني الضرر لهم لأنهم كانوا من المتمردين على الخليفة عثمان فقاموا ليلاً بمهاجمة جيش الزبير وطلحة فأحس هؤلاء أن علياً قد نقض الصلح فقاموا ونظموا صفوفهم ودارت معركة كبرى بين المسلمين وبعضهم البعض وذلك في العاشر من جمادى الآخرة عام ٣٦هـ راح ضحيتها عشرة آلاف رجل مسلم بما فيهم الزبير وطلحة.. أما السيدة عائشة رضي الله عنها فقد أسرت بعد قتل ناقتها ـ ولذلك سميت تلك المعركة بمعركة الجمل ـ وأعادها علي رضي الله عنه مكرمة إلى المدينة. ومنذ ذلك الوقت فقد اختار علي بن أبي طالب رضي الله عنه الكوفة لتكون مقراً لحكمه بعد أن ناصره

أهلها.. وبذلك فقدت المدينة المنورة مكانتها السياسية كعاصمة للخلافة. ولا شك أن تلك المعركة قد أضعفت علياً بالرغم من انتصاره.. ولكنها أدت إلى اشتداد نفوذ معاوية بن أبي سفيان بالشام.

٥٢ موقعة صفين بين علي عليه السلام ومعاوية (٣٧هـ/ ٦٥٧م)

كان من أهم النتائج السياسة لموقعة الجمل خروج معاوية بن أبي سفيان قوياً مادياً ومعنوياً بالرغم من عدم اشتراكه في تلك المعركة. فقد تمكن من أن يسوس الشام كله، وأن يكون لديه من القوات الكثيفة المستعدة للقتال. كما تمكن معنوياً من كسب تأييد الناس له في الشام بعد أن أشاع أن علياً بن أبي طالب رضي الله عنه يغطي على قتلة عثمان رضي الله عنه بسبب اشتراكه هو نفسه في ذلك، فأصبح الشام كله معادياً لعلي مما مكن معاوية من رفض مطالبة علي له بترك ولاية الشام لوالٍ آخر.

وقد دارت مفاوضات سلمية بين علي في الكوفة ومعاوية في دمشق فشلت جميعها.. فاستعد كل منهما لقتال الآخر والتقى الجيشان في موقع يسمى صفين بين الشام والعراق.. ثم دارت مفاوضات سلمية أخرى انتهت بالفشل كذلك لتمسك كل جانب بموقفه فقد كان علي يصر على خضوع معاوية له كخليفة للمسلمين، ومعاوية يصر على القصاص من قتلة عثمان... وفي الأول من شهر صفر عام ٣٧ للهجرة بدأ القتال بين الجانبين واستمر عشرة أيام انتهى بما يقرب الانتصار لعلي وجنده، وعند ذلك رفع جند معاوية المصاحف فوق أسنة الرماح مطالبين بوقف القتال واللجوء إلى تحكيم كتاب الله بين الخصوم.. وقد قتل في تلك الموقعة الدموية الكبرى ما لا يقل عن سبعين ألف مسلم.

٥٣ مؤتمر التحكيم بين علي عليه السلام ومعاوية (٣٧هـ/ ٦٥٧م)

وقف جيش علي بن أبي طالب رضي الله عنه موقفاً غير متحد إزاء مسألة التحكيم. وهذا ما قصده عمرو بن العاص عندما طلب من معاوية بعد أن اقتربت هزيمته، رفع المصاحف على أسنة الرماح والالتجاء للتحكيم.. فكان هناك قسم من جيش علي بقيادة الأشعث بن قيس يوافق على وقف القتال

وإعطاء الفرصة للتحكيم، أما القسم الآخر بقيادة الأشتر فكان يطالب علياً رضي الله عنه باستمرار القتال حتى النصر لأنه كان يؤمن بأن المسلمين إنما اختاروا علياً للخلافة، وإذا استجاب لمعاوية فمعنى ذلك أن معاوية يشكك المسلمين في رأيهم عن الخليفة وبأن له ـ أي معاوية ـ الحق في منازعة علي أمر الخلافة.

ومهما كان الأمر فقد وافق عليّ على التحكيم فاختار معاوية عمرو بن العاص، وفرض أهل الكوفة على عليّ الموافقة على اختيار أبي موسى الأشعري. وعقد مؤتمر التحكيم في رمضان من عام ٣٧ للهجرة وكتب في وثيقته اسما علي ومعاوية، واسما الحكمين اللذين سيحكمان ولما عرضت الوثيقة وهي تحوي ضرورة للالتزام بمقولة الحكمين، قامت فئة من أهل العراق بالخروج عن طاعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهي الفئة التي تسمى في التاريخ الإسلامي بالخوارج والتي أصبحت على عداوة شديدة مع علي، ودعته إلى العودة للقتال، فلم يلتفت إليهم واجتمع الحكمان وهما عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري وأخذا يتناقشان في قضايا تمس مقتل عثمان إلى أن اتفقا على خلع كل من علي ومعاوية وترك أمر اختيار خليفة جديد شورى للمسلمين.. وخرجا للناس فتحدث أبو موسى الأشعري لهم بما اتفق عليه مع عمرو، أما عمرو فقال إنه يوافق الأشعري على خلع علي أما هو فسيثبت معاوية.. فغضب الأشعري وسب عمرو واتهمه بالغدر.

ولقد جاءت مقولة عمرو بن العاص كما لو أنها الحكم النهائي للناس فذهب كل منهم لحاله، ورحل عمرو وجنده إلى دمشق ليبايعوا معاوية هناك كخليفة لهم. أما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد رفض نتيجة التحكيم لأنها خرجت عن ما كان مطلوباً منها. وبهذا انتهى مؤتمر التحكيم إلى نهاية غير واضحة غير إنها رجحت كفة معاوية.

٥٤ نشأة فكر الخوارج (٣٧هـ/ ٦٥٧م)

يرجع ظهور الخوارج إلى تلك الفئة المتشددة من المسلمين الذين ضغطوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليوافق على مؤتمر التحكيم مع معاوية بن أبي سفيان، ثم عندما قبل التحكيم، تراجعوا عن موقفهم وندموا عليه ورفضوا أن

يستمر علي في التحكيم وأن يعود لقتال معاوية. فرفض علي موقفهم فغضبوا منه وانشقوا عليه وأصبحوا أشد عداءً له من معاوية. ودخلوا معه في معارك طاحنة تمكنوا بعدها ـ كما سنرى ـ من اغتياله، فيسروا الأمر لمعاوية ليصل إلى الخلافة الإسلامية. ثم أخذوا يهاجمون دولته الأموية ودخلوا معها في حروب مهلكة لأنهم رأوها ترتكب أعمالاً وصفوها بالكفر. ويمكن إيجاز فكر الخوارج في أنهم ممن يتمسكون بظاهر القرآن ويتشددون في أمور الدين تشدداً حرفياً، ويتسمون بعدم التسامح والأخذ بمبدأ القسوة على كل المخالفين ونعت بعضهم بالكفر.

ونظراً لمواجهة الأمويين للخوارج طوال عهد الدولة الأموية إنقسم الخوارج إلى خمس فرق كان أشهرها الأزارقة الذين شكلوا خطراً على الأمويين في العراق فهزمهم الأمويون وطاردوا قائدهم نافع بن الأزرق الذي اغتيل في طبرستان بفارس.

٥٥ موقعة النهروان بين علي عليه السلام والخوارج (٣٨هـ/ ٦٥٨م)

استعد الخوارج لقتال الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد قبوله التحكيم وما تمخض عنه من نتائج. ولكن علياً كان قد أعد جنده للزحف على الشام وملاقاة جيش معاوية. وجاءت الأخبار بأن الخوارج بالعراق قد اعتقلوا أحد الصحابة وهو خباب بن الأرت وزوجته الحبلى وذلك لدفاعه عن موقف علي ومهاجمته لموقف الخوارج. فقتلوه هو وزوجته وأربعة آخرين، فدفعت تلك المذبحة علياً للذهاب إلى الخوارج فخرجوا له في ثلاثة آلاف رجل فهزمهم بالقرب من النهروان وهو نهر قريب من بغداد وذلك في شهر صفر من عام ٣٨ للهجرة.

٥٦ معاوية يستولي على مصر (٣٨هـ/ ٦٥٩م)

عمقت موقعة النهروان من جراح المسلمين الذين أخذوا يقاتلون بعضهم بعضاً وخاصة من سكان مدينتي البصرة والكوفة لدرجة أن الكثيرين من جند علي رضي الله عنه عادوا إلى قراهم بالعراق ورفضوا القتال معه ضد معاوية مما أغضبه غضباً شديداً فألغى زحفه إلى الشام لإخضاع معاوية وبقي بالكوفة وهذا الموقف استنفر معاوية وجنده لضم مصر، فكون جيشاً من ستة آلاف رجل

يقودهم عِمرو بن العاص فدخل بهم الفسطاط في ربيع الأول من عام ٣٨هـ وأصبح عمرو بن العاص منذ ذلك الوقت والياً على مصر تحت قيادة معاوية بن أبي سفيان.

وبدخول مصر بكل ثقلها مع معاوية رجحت كفته نهائياً أمام علي في العراق الذي أخذت الفتنة والثورات تنتشر فيه بسبب الخوارج مما زاد من ضعف الخلافة فقربت ساعة أفولها.

٥٧ اغتيال علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٤٠هـ/ ٦٦١م)

انتهز معاوية استمرار فتن وثورات الخوارج بالعراق وفارس ضد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فَشنّ هو الآخر هجمات مستمرة على طول الحدود بين الشام والعراق.. بل وأرسل حملات إلى مكة والمدينة واليمن لإبادة أي مراكز للقوة تؤيد علي.

ووسط هذا التردي طُعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه طعنات الموت.. وكان القاتل عبد الرحمن بن ملجم وهو من الخوارج وذلك في السابع عشر من شهر رمضان عام ٤٠ للهجرة، فانتهى بذلك عهد الخلفاء الراشدين وبدأ عصر دولة بني أمية.

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد ولد عام ٢٣ قبل الهجرة. وكان متزوجاً من السيدة فاطمة الزهراء ابنة النبي ﷺ.

٥٨ عبد الله بن سبأ وتحوير فكر الشيعة (٤٠هـ/ ٦٦١م)

تظاهر عبد الله بن سبأ بإشهار الإسلام ـ وكان يهودياً ـ على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وسمي بابن السوداء، وأخذ يتعرف على أحوال المسلمين في الحجاز وأظهر لهم زهده وتصوفه. ولما ظهرت بوادر الفتنة بين عثمان والصحابة سارع بإشعالها وتعميق الخصومة بين الجانبين حتى أنه أخذ يحرض على اغتيال عثمان رضي الله عنه وفي عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ظهر مرة أخرى وأفسد بحيله كل محاولات الصلح بين علي وخصومه (الزبير وطلحة) ثم يبن علي والخوارج حتى تم اغتيال علي بن أبي طالب رضي الله عنه،

فلما سمع باغتياله ورأى العلويين حزانى أخبرهم بأن علياً لم يمت ولم يقتل إلى أن يملك الأرض. فصدقه العلويون، وتطور بذلك فكر الشيعة (الذين أيدوا وشايعوا علياً) وتمحور حول فكرة غيبة الإمام المؤقتة التي سيتبعها رجعته.. وظهرت فيما بعد تحت مسمى (المهدي المنتظر)، تلك الفكرة التي أعطت للشيعة أملاً لا يضعف بأن إمامهم (من نسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه) سوف يظهر فيهم ليحكم المسلمين كافة، وينتقم من كل من اضطهدهم عبر السنين.

٥٩ معاوية يؤسس الدولة الأموية (٤١هـ/ ٦٦١م)

باستشهاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتنازل ابنه الحسن عن الخلافة بالرغم من مبايعة الشيعة له.. أصبح معاوية بن أبي سفيان مؤسساً لدولة جديدة عرفت باسم الدولة الأموية وهي دولة قامت أساساً على العنصر العربي الذي ينحدر من الجزيرة العربية واستمرت تحكم من مدينة دمشق لفترة امتدت حتى عام ١٣٢ هجرية حدثت فيها أغلب الفتوحات الإسلامية الكبرى شرقاً وغرباً.

٦٠ تدمير قلعة جلولاء البيزنطية الكبرى في شمال أفريقيا (٤٥هـ/ ٦٦٦م)

بعد هزيمة البيزنطيين الكبرى في معركة ذات الصواري أخذوا ينقلون تموينات ضخمة إلى شمال أفريقيا بغرض إعادة احتلال مصر ووقف الزحف الإسلامي في شمال أفريقيا. ولكن تمكن معاوية من تأسيس دولته جعله يستعد لمواجهة الروم فجهز جيشاً كبيراً تحت قيادة معاوية بن حديج وهو أحد أمهر القادة العرب فزحف على الشاطىء الأفريقي وتقابل مع الروم في موقعة كبرى حول قلعة شديدة التحصين تسمى جلولاء، وأوقع بهم هزيمة قاسية، خسروا فيها ذلك الحصن الذي كانوا يهددون به مصر.

٦١ فتح قرطاجنة

سارع معاوية بن حديج بعد هزيمة الروم في موقعة جلولاء في تجهيز قواته لدخول قرطاجنة عاصمة الروم البيزنطيين في شمال أفريقيا (تونس). تلك المدينة التاريخية الهامة التي بنيت منذ أيام الحضارة الفينيقية في القرن السادس

قبل الميلاد. فوصل الجيش الإسلامي إلى تونس وتقابل مع الروم فسارعوا بالفرار تاركين المدينة للمسلمين فدخلها معاوية منتصراً ومكث بها ثلاث سنوات ثم عاد إلى مصر فعاد البيزنطيون ليحتلوا المدينة مرة أخرى.

ومهما كان الأمر فإن دخول المسلمين إلى تونس لأول مرة مكنهم من التخطيط المحكم فيما بعد للبقاء فيها بصفة دائمة.

٦٢ الحصار الأول للقسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية (٤٩هـ/ ٦٦٩م)

اتخذ الروم القسطنطينية عاصمة لهم منذ عام ٣٣٠ ميلادية على عهد الإمبراطور قسطنطين الأكبر، وهي مدينة ضخمة ـ وقتئذ ـ تقع إلى الغرب من مضيق البسفور وبحر مرمرة.

وعندما حدثت الفتنة الكبرى في القسم الثاني من عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وسنوات خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه استعاد الروم بعض الأراضي التي كان العرب قد دخلوها وخاصة الواقعة شمال الشام مما دفع معاوية بن أبي سفيان إلى عقد هدنة بينه وبين الإمبراطور قنسطانز الثاني حتى يتقي شر هجماته أثناء الخلاف مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه... وقد استمر ذلك السلام المؤقت حتى حدث اضطراب في القسطنطينية فقتل قنسطانز الثاني عام ٤٨ للهجرة، فأراد معاوية أن يتقى خطر الروم فأرسل جيشاً قوياً بقيادة ابنه يزيد فزحف بسرعة في أرض الروم حتى وصل إلى مشارف المدينة فحاصرها من البر. ولم يستمر الجيش الإسلامي في الحصار لفترة طويلة وذلك لأن المدينة كانت محصنة من كل الجهات تحصيناً متيناً يحميها من كل الهجمات وهذا ما دفع معاوية إلى تفهم أهمية أن يكون له أسطول بحري يعاونه على فتوحاته.

٦٣ وفاة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٤٩هـ/ ٦٧٠م)

هو الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أمه السيدة فاطمة الزهراء ابنة النبي عليه الصلاة والسلام. وهو أول أبنائهما. ولد في منتصف رمضان من العام الثالث للهجرة، والذي سماه الحسن جده ﷺ.

ويقال أن معاوية بن أبي سفيان أرسل من وضع له سماً فمات.. فلما حان وقت دفنه أراد أخوه الحسين أن يدفنه بجوار الرسول ﷺ حسب وصيته، ولكن مروان بن الحكم الوالي الأموي للمدينة المنورة منع الحسين من ذلك حتى كادت الحرب تقع. ولكن بعض الصحابة وخاصة عبد الله بن جعفر والمسور بن مخرمة الزهري أقنعا الحسين بدفنه بالبقيع.

وقد توفي الحسن رضي الله عنه وعمره حوالي سبعة وأربعين عاماً، وصادف ذلك شهر ربيع الأول من عام تسع وأربعين للهجرة.

٦٤ عقبة بن نافع يفتح شمال أفريقيا (٤٩هـ/ ٦٧٠م)

عين معاوية بن أبي سفيان عقبة بن نافع والياً على شمال أفريقيا وذلك لمكانته الدينية (من الصحابة)، ولمعرفته بأحوال تلك المناطق المجهولة.

ولقد جاءت تلك الحملة الناجحة بعد مصرع الإمبراطور البيزنطي قنسطانز الثاني حيث قتل عام ٦٦٨م وتعرض القسطنطينية لحصار أموي. فسار عقبة على رأس جيش قوامه عشرة آلاف رجل فتوغل في أراض المغرب الأوسط وبسط نفوذه على مساحة واسعة من الأراضي بمساعدة قبائل البربر التي عانت طويلاً من ظلم الروم. وتمكن من تحقيق هدفه وهو نشر الإسلام وتقوية أسسه في ولاية فزان المترامية الأطراف.

٦٥ بناء مدينة القيروان (٥٠هـ/ ٦٧٠م)

حقق عقبة بن نافع نجاحاً كبيراً بحملته على شمال أفريقية حتى وصل إلى تونس فوقع اختياره على موضع استراتيجي بعيد عن البحر (خشية التهديد البحري البيزنطي) ليبني فوقه مدينة القيروان المعروفة اليوم ولكي تصبح قاعدة قوية تساعد على استقرار الأحوال بشمال أفريقيا. ولقد ساعد بناء القيروان مساعدة مباشرة في استكمال فتح المغرب وتوطيد أركاد الإسلام فيه. ولقد اكتمل بناء تلك المدينة العريقة بعد خمسة أعوام وحصنت من جهتها الشمالية تحصيناً خاصاً لحمايتها من هجمات الروم التي يمكن أن تنطلق من مدينة قرطاجنة إلى الشمال.

ومن عام ٥١ للهجرة تم بناء المسجد الجامع بالمدينة ليكون المسجد الرئيسي بها وهو بذلك أول مسجد يبنى بالمغرب والثاني في أفريقيا بعد مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط. وقد ضم المسجد الجامع بالقيروان معهداً إسلامياً كبيراً سمي «بيت الحكمة» ليدرس فيه المسلمون العلوم والمعارف التي تعينهم على تطوير مجتمعاتهم الإسلامية والنهوض بها.

٦٦ **البيزنطيون يهاجمون مصر** (٥٣هـ/ ٦٧٣م)

لا بد أن البيزنطيين كانوا يرون في عمرو بن العاص رجلاً قوياً لا يمكن هزيمته في مصر... ولهذا وبعد وفاته عام ٤٣هـ أخذوا يستشعرون حاجتهم للعودة لمصر، ولكن معاوية في الشام كان قوياً مهاباً فشغلهم عن مصر إلى أن واتتهم الفرصة عام ٥٣ للهجرة فنزلوا بسفنهم على شواطىء بحيرة البرلس في شمال الدلتا.. ولكن المصريين بقيادة مسلمة بن مخلد استطاعوا قتالهم في معارك شديدة هزم فيها الروم.

ولقد جاءت تلك الحملة البيزنطية لتظهر من جديد مدى حاجة المسلمين إلى أسطول بحري قوي يحمي شواطئهم من أي غزوات محتملة في المستقبل.. فأمر والي مصر الأموي بإنشاء حوض كبير لبناء السفن الحربية بجزيرة الروضة (إلى الغرب من الفسطاط).

٦٧ **الحصار الثاني للقسطنطينية** (٥٤هـ/ ٦٧٤م)

أخذ معاوية بن أبي سفيان يجهز أسطوله لغزو القسطنطينية بعد حصاره الأول لها.. وأبحرت السفن العربية التي ذكر أن عددها بلغ ثمانمائة سفينة إلى أن وصلت على مقربة من حدود المدينة وبدأ الحصار البري من ناحية أخرى خلف أسوارها ولكن قلة خبرة المسلمين بمنافذ المدينة وبقتال البحار، وحصانة قلاع وأسوار المدينة جعلتهم يفكون حصارهم في الشتاء ليعاودوه في الصيف حتى تستقر الأحوال الجوية ولقد استمر ذلك على مدى سبعة أعوام جرت خلالها معارك بحرية وبرية شديدة راح ضحيتها ثلاثون ألف مقاتل مسلم دون أن تظهر بوادر لسقوط المدينة.

ومع ذلك فيبدو أن الروم أدركوا مدى قوة المسلمين وتصميمهم على

النصر فانقطعت هجماتهم على الشواطىء والأراضي الإسلامية طوال تلك السنوات.

٦٨ يزيد بن معاوية يتولى الخلافة الأموية (٦٠هـ/ ٦٨٠م)

أخذ معاوية بن أبي سفيان يمهد الأمر لابنه يزيد ليرث عرش الخلافة الأموية حتى يتقي الفتنة التي يمكن أن تحدث إذا ما ترك الأمر بدون حسم. ولهذا فقد قام بتغيير سنة الخلفاء الراشدين الذين سبقوه، وأمر بأن تكون الخلافة بعده وراثية.. وهو بهذا تشبه بملوك الفرس والروم.. ولهذا فبعد وفاته مباشرة، خلفه ابنه يزيد وكان ذلك عام ستين للهجرة. وهناك من رفض مبايعة يزيد للخلافة حيث رفض ذلك الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعبد الله بن الزبير. وكان رفضهما مرتبطاً بموقف معاوية بن أبي سفيان من علي بن أبي طالب رضي الله عنه والذي كان سبباً أساسياً من أسباب ظهور فكر الشيعة والخوارج.

٦٩ الفتنة الثانية (٦٠هـ/ ٦٨٠م)

يقصد بالفتنة الثانية تلك الفتنة التي ظهرت بعد رفض الحسين بن علي مبايعة يزيد بن معاوية للخلافة. فقد وقف أهل الكوفة الشيعة خلف الحسين يطالب رضي الله عنهونه بإسقاط الخلافة عن يزيد بن معاوية لأن الحسين هو من أهل بيت النبي عليه السلام، ولأن يزيد أصغر سناً ويشرب الخمر ويسمح بالرقص والغناء في بيته (عندما كان معاوية خليفة).

ومهما كان الأمر فإن الفتنة الثانية كانت أشد وأخطر من الفتنة الأولى لأن الثانية جرّت من الحروب والمعارك بين المسلمين وبعضهم البعض ما لم تجرّه الأولى ولأنها قسمت العالم الإسلامي بين سنة وشيعة، ذلك التقسيم الذي لا زالت آثاره الضارة كامنة أو ظاهرة حتى الآن.

٧٠ مقتل الحسين في كربلاء (٦١هـ/ ٦٨٠م)

تمكن يزيد بن معاوية الذي ورث عن أبيه الدهاء وسرعة التصرف من استمالة أهل البصرة القريبة من الكوفة ليقفوا معه ضد الحسين. ثم أنه قدم

رشاوى مالية لأشراف الكوفة (معقل أنصار الحسين بن علي) ليثنيهم عن مبايعة الحسين. . ثم قام يزيد عن طريق الخدعة والدهاء بالإيقاع بمسلم بن عقيل وهو ابن عم الحسين والذي كان يحث أهل الكوفة على مبايعة الحسين خليفة للمسلمين، فذبحه بالسيف.

وعندما خرج الحسين من مكة في طريقه إلى الكوفة ومعه أهله ومشايعوه وأبناء مسلم بن عقيل، وعندما وصل إلى منطقة جرداء مقفرة سماها الحسين كربلاء، تقابل مع جند الكوفة الأمويين الذين أجبروه على القتال فأخذ هو ومواليه في الدفاع عن أنفسهم ونسائهم وأطفالهم إلى أن قتل جميع من جاء معه من الرجال.

وعندئذ التف حوله أعداؤه من كل صوب، وأخذوا يناوبون طعنه حتى خرَّ صريعاً إلى أن جاء شمر بن ذي الجوشن فحز رأسه.

وقد صادفت تلك المذبحة يوم العاشر من شهر المحرم عام ٦١ للهجرة. وبمقتل الحسين رضي الله عنه زادت أحزان الشيعة. . وأصبحت كربلاء عاصمة لأحزانهم وآلامهم حتى يومنا هذا.

وقد اتخذ أهل فارس من مذبحة كربلاء معيناً لا ينضب للحقد على بني أمية، واستمروا في الدفاع عن حقوق آل البيت النبوي حتى ظهرت الدعوة العباسية وقويت وخرجت من فارس لتهدم الدولة الأموية عام ١٣٢هـ. (انظر الانتقام من مقتل الحسين عام ٦٧هـ).

٧١ **الشيعة ويوم عاشوراء** (٦١هـ/ ٦٨٠م)

منذ أن وقعت مذبحة كربلاء وحتى يومنا هذا يحتفل المسلمون الشيعة بذكرى ذلك اليوم. ولم يكن ذلك الاحتفال (العاشر من المحرم) يجري في فارس وجنوب العراق فحسب، ولكنه كان يجري في الدولة الفاطمية بشمال أفريقيا، ثم عندما انتقلت العاصمة الفاطمية إلى القاهرة. ويخرج الشيعة في يوم عاشوراء مكللين بالسواد، والحزن على وجوههم والدموع في أعينهم ليزوروا المشهد الحسيني بكربلاء ويستمعون إلى القرآن الكريم وخطب الأئمة أو المراثي الشعرية. كذلك يحتفل المسلمون السنة بتلك الذكرى ولكن بدون مشاعر الحزن

أو البكاء.. وفي مصر حيث يوجد مقام للإمام الحسين يقام احتفال رسمي في ذكرى مولد الحسين من كل عام.

٧٢ فتنة عبد الله بن الزبير ضد الدولة الأموية (٦٣هـ/ ٦٨٣م)

لم يقم عبد الله بن الزبير بمبايعة يزيد بن معاوية للخلافة، مثله في ذلك مثل الحسين بن علي... فأصبح بالتالي عدواً خطيراً له. ومما زاد العداوة عمقاً واتساعاً، أن ابن الزبير - بعد مقتل الحسين بكربلاء - قام بالدعوة لنفسه بالخلافة في الحجاز وتهامة. وقد ارتكز عبد الله على نسبه لأبيه الذي بشره النبي ﷺ بالجنة، ونسبه لأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه.. وهو قريب بالإضافة إلى ذلك إلى النبي عليه الصلاة والسلام. فوافق أهل مكة على تسميته أمير المؤمنين لأنه منهم، أما أهل المدينة المنورة فبايعوه لكراهيتهم ليزيد بن معاوية بعد مذبحة كربلاء. وبالرغم من ذلك فقد رفض العديد من الوجهاء والصحابة مبايعة عبد الله ولم يكن ذلك حباً في الأمويين أو كراهية لابن الزبير، ولكن كان خوفاً من سفك الدماء. ومن هؤلاء عبد الله بن عمر، وعبد الله بن العباس، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (وهو ليس ابن للسيدة فاطمة ولكنه ابن لزوجة أخرى للإمام علي).

٧٣ الأمويون يقتحمون المدينة المنورة (معركة الحرّة) (٦٣هـ/ ٦٨٣م)

زادت فتنة عبد الله بن الزبير، فقام يزيد بن معاوية بإرسال جيش أموي كبير إلى المدينة المنورة لقتال عبد الله ومن يشايعه، وكان على رأس هذا الجيش مسلم بن عقبة وهو رجل شرس قاس... فلما علم أهل المدينة بأخبار ذلك الجيش قاموا بحفر خندق حول مدينتهم.. ولكن ذلك الخندق لم يمنع الجيش الأموي من عبوره والدخول في القتال ضد أهل المدينة.. وتمكن الأمويون من قتل العديدين من أبناء الصحابة واقتحام المدينة التي عاثوا فيها فساداً كبيراً.. وسمح مسلم بن عقبة لجنده بالقتل والسبي وهتك الأعراض لمدة ثلاثة أيام.. بعدما تمكن من إجبار أهل المدينة على مبايعة يزيد.

ويعتبر ذلك التدنيس لأرض المدينة المنورة هو الأول من نوعه منذ بدء التاريخ الإسلامي.. ولا شك فقد لطخ تاريخ يزيد بن معاوية بالخزى والعار.

٧٤ استشهاد عقبة بن نافع في شمال أفريقيا (٦٤هـ/ ٦٨٤م)

بعد أن نجح عقبة بن نافع في تأسيس مدينة القيروان بشمال أفريقيا (بتونس) عام خمسين للهجرة، عزله والي مصر الأموي مسلمة بن مخلد عام ٥١ للهجرة. . ومنذ ذلك الحين وحتى عام ٦٢ للهجرة ظل عقبة يعمل في الشام إلى أن توفي مسلمة بن مخلد فأرسله يزيد بن معاوية على رأس جيش عربي إلى شمال أفريقيا.

ولقد مضى زمن على عقبة لم ير فيه كم تبدل الحال بتلك الأمصار. . فأخذ يعامل البربر بشدة وخاصة كسيلة زعيم قبيلة البرانس البربرية، فاتفق كسيلة مع البيزنطيين على حصار عقبة وبعض قواته أمام حصن بيزنطي قديم بالقرب من قريه تسمى تهوده. . فسقط عقبة صريعاً هو وجنده. وبهذا انتهت بطولات ذلك العربي الكبير الذي خلد التاريخ بطولاته وأمجاده كواحد من أمجد الشخصيات الإسلامية.

ويذكر أن عقبة بن نافع هو أحد الصحابة الذين عاصروا حياة النبي ﷺ. . وهو ابن خالة عمرو بن العاص.

٧٥ سقطو مدينة القيروان في يد البربر (٦٤هـ/ ٦٨٤م)

جاء مصرع عقبة بن نافع في موقعة تهودة على يد كسيلة زعيم قبيلة البرانس البربرية القوية صدمة للقوات الإسلامية التي لم تتمكن في ذلك الوقت من حماية عاصمة المسلمين في المغرب (القيروان) من خطر ذلك الرجل الذي تمكن من دخول المدينة واحتلالها بقواته بعد أن تركتها حاميتها الإسلامية وعادت إلى مصر.

ويعتبر زوال السيادة العربية عن القيروان هو الأول من نوعه في الفتوحات العربية، بالرغم من أن كسيلة كان قد ادعى الإسلام. . ولكن دفعته عداوته لعقبة بن نافع إلى عداوة المسلمين.

٧٦ الأمويون يهدمون الكعبة المشرفة (٦٤هـ/ ٦٨٤م)

لم يكد مسلم بن عقبة يخضع أهل المدينة المنورة لحكم يزيد بن

معاوية إلا وخرج منها متوجهاً إلى مكة ولكنه مات قبل أن يصلها فخلفه في قيادة الجيش الأموي الحصين بن نمير السكوني، الذي أمر جنده بمحاصرة مكة المكرمة ونصب المنجنيق حول الحرم الشريف وأخذ يقصفه حتى تهدمت وتصدعت جدران الكعبة واندلعت النار في أركانها وكسوتها. وما أن رأى المسلمون ذلك حتى ارتجت قلوبهم من سوء ما صنعوا.. وجاء الخبر للحصين أثناء ذلك بموت الخليفة يزيد بن معاوية فانسحب عائداً إلى الشام بدون القضاء على عبد الله بن الزبير.

٧٧ معاوية بن يزيد يتولى الخلافة ثم يموت فجأة (٦٤هـ/ ٦٨٤م)

خلف معاوية أباه يزيد في حكم الدولة الأموية مباشرة بعد وفاة يزيد عام ٦٤ للهجرة. ووافقت كل أركان الدولة على مبايعته إلا مكة حيث رفض المبايعة عبد الله بن الزبير. وفي الحقيقة فإن مجيىء معاوية بن يزيد للحكم وهو شاب صغير لا يتعدى السابعة عشرة جعل الأمور تزداد سوءاً من حوله.. ثم حدث النزاع المرير في الشام ذاته بين عرب اليمنية وعرب القيسية وترجع جذور كليهما إلى أيام الجاهلية الأولى.. فقام عرب القيسية بتأييد عبد الله بن الزبير، فزاد الموقف اضطراباً.. ووسط كل ذلك مات معاوية بن يزيد فجأة بعد توليه الخلافة بثلاثة أشهر.. وربما يكون هناك مؤامرة ضده قد نفذت فمات مطعوناً أو أنه قتل بالسم.

٧٨ إعادة بناء الكعبة (٦٤هـ/ ٦٨٤م)

إن ما حدث من تدمير للكعبة المشرفة في نهاية حكم يزيد بن معاوية هو أول حدث من نوعه يتم في تاريخ الإسلام.. فقد كان المسلمون الأوائل يكرمون ذلك البيت العتيق حباً في الله تعالى ورسوله ﷺ.. ولكن عندما انتصرت رغائب النفس الشريرة وافتتن بعض الرجال بالدنيا والمال والمناصب، حدث ما حدث ووقع ما وقع.

ومهما كان الأمر فبعد فك الحصار على مكة، قام أهلها بقيادة عبد الله بن الزبير بإعادة بنائها مرة أخرى وفق المواصفات التي كان قد أمر بها النبي عليه السلام.. فعادت مرة أخرى في أبهى منظر وأجمل حلة.

٧٩ مروان بن الحكم يتولى الخلافة الأموية (٦٤هـ/ ٦٨٤م)

كانت الاضطرابات في الشام على أشدها بعد موت معاوية بن يزيد الذي لم يستخلف أحداً من بعده وقد عاش الأمويون وقتاً عصيباً يبحثون فيه من بينهم عن خليفة يحكمهم فلا تضيع الدولة القوية منهم خاصة والصراعات كانت آخذة في التصاعد من حولهم. وأخيراً وجدوا أن مروان بن الحكم هو ذلك الرجل الذي به من الصفات ما يؤهله ليصبح خليفة لهم. . فبايعوه.

٨٠ موقعة سهل مرج راهط (٦٥هـ/ ٦٨٤م)

كان أول ما فعله مروان بن الحكم لتثبيت دعائم حكمه هو تجهيز قواته والتوجه لإخضاع عرب القيسية الذين يبايعون عبد الله بن الزبير في الحجاز. فالتقى بهم في موقع يسمى مرج راهط ودارت معارك دموية استمرت ثلاثة أسابيع تقريباً قتل فيها العديد من المسلمين من الجانبين. ولم تنته تلك المعارك إلا بمقتل زعيم القيسية الضحاك بن قيس. . وقد حدثت تلك المعركة في شهر المحرم من عام ٦٥هـ وبذلك تمكن مروان من فرض الأمن والهدوء في الشام، وأخذ يخطط لمواجهة أعداء دولته في شمال أفريقيا والحجاز.

٨١ إخضاع البربر بشمال أفريقيا (٦٥هـ/ ٦٨٥م)

يعتبر حادث مصرع عقبة بن نافع وجنده عند تهودة انتكاسة للعرب في شمال أفريقيا. . فقد دخل البربر مدينة القيروان الإسلامية وعاد البيزنطيون ليفسدوا مرة أخرى في الأرض ويعملوا على ارتداد من أسلم عن دينه. وبالرغم من ذلك فقد كان هناك العديد من سكان البربر المسلمين الذين حافظوا على دينهم وولائهم للدولة العربية الإسلامية فكانوا كنقطة التقاء لأي حملة إسلامية جديدة ترسلها الخلافة الأموية. . وذلك ما حدث بالفعل أثناء قيام حملة زهير بن قيس، حيث انضم أولئك البربر لجيش زهير الكبير الذي خرج من برقة بامدادات هائلة من مصر. . وسرعان ما وصلت الأخبار إلى كسيلة بالقيروان عن الزحف الإسلامي الذي سارع بمحاصرة المدينة واقتحامها، فهرب إلى داخل المدينة حيث وجده المسلمون وقتلوه. وبعد تحرير القيروان أخذت الجيوش

تعود إلى مصر، أما زهير فقد وقع في كمين نصبه له البيزنطيون بالقرب من برقة فدارت معركة غير متكافئة بينه وبينهم انتهت باستشهاده.

٨٢ عبد الملك بن مروان يتولى الخلافة الأموية (٦٥هـ/ ٦٨٥م)

استمرت خلافة مروان بن الحكم عشرة أشهر استطاع فيها القضاء على تمرد عرب القيسية في الشام ثم تمكن من هزيمة زعيم البربر بشمال أفريقيا. ولكنه مات فجأة إما نيتجة حادث اغتيال أو بسبب الطاعون الذي ظهر حينئذ بالشام والعراق، فخلفه في الحكم ابنه عبد الملك وكان يبلغ التاسعة والثلاثين من العمر.

٨٣ الانتقام من مقتل الحسين بن علي (٦٧هـ/ ٦٨٦م)

كان العراق ناقماً على الخلافة الأموية منذ مذبحة كربلاء.. فانضم العراقيون إلى عبد الله بن الزبير في التمرد على الأمويين إلى أن ظهر رجل يدعى المختار بن أبي عبيد الثقفي وهو من كبار المؤيدين لآل البيت النبوي فذهب إلى الكوفة وأخذ في تجميع الشيعة من حوله حتى قويت عصبته فطرد الوالي الأموي من الكوفة وانضم إليه شيعة فارس فأخذوا جميعاً في قتال الأمويين بالعراق فهزموهم قرب الموصل عام ٦٧ للهجرة.. ثم أخذ المختار يتتبع كل من شارك في قتل الحسين بن علي في كربلاء، فقتل منهم عشرين ألفاً.. أما عن الشخصين اللذين أتهما بقتل الحسين فقد اغتال أولهما وهو شمر بن ذي الجوشن أما الثاني وهو عمر بن سعد فقد اعتقله وعذبه حتى الموت وأرسل رأسه إلى بني هاشم بالمدينة المنورة. ولقد نظر الكثيرون من الشيعة إلى ما فعله المختار بالأمويين وأعداء أهل البيت على أنه أخذ بثأر شهداء كربلاء.

٨٤ ظهور الطاعون وانتشاره بالحجاز (٦٧هـ/ ٦٨٧م)

ظهر ذلك الوباء في شهر رمضان من عام ٦٧ للهجرة وسمي طاعون الجارف نظراً لأنه كان يجرف من يتعرض له ولا يهرب منه. وكان يسيطر على الحجاز في ذلك الوقت عبد الله بن الزبير الذي عارض الحكم الأموي واستقل عن الدولة الأموية. وكان إجمالي من قتل بسبب ذلك الطاعون حوالي مائتي ألف إنسان منهم ثمانون ولداً للصحابي أنس بن مالك رضي الله عنه.

٨٥ القضاء على فتنة المختار بالكوفة (٦٨هـ/ ٦٨٨م)

سيطر المختار على أجزاء كبيرة من العراق وخاصة في الجنوب والجنوب الغربي، ولذلك خشي مصعب شقيق عبد الله بن الزبير ووالي البصرة من أن يزحف المختار - وهو شيعي متطرف - على البصرة.. فبادر بإرسال جيش ضخم تحت قيادة المهلب بن أبي صفرة الذي تمكن من محاصرة الكوفة فدارت معارك شديدة بين ذلك الجيش وبين المختار واتباعه لمدة أربعة أشهر هزم فيها المختار وقتل، ودخل المهلب الكوفة فذبح من أهلها ستة آلاف شخص.

وبتلك المذبحة سيطر عبد الله بن الزبير على العراق، وبذلك يصبح ابن الزبير أخطر عدو للدولة الأموية ليس فقط لكونه استقل عنها على مدى عهود ثلاثة من خلفائها ولكن لأنه أصبح يسيطر على العراق الذي يجاور الشام مقر الحكم الأموي.

٨٦ انقلاب ضد الخليفة عبد الملك بن مروان (٧٠هـ/ ٦٩٠م)

لم يأت ذلك الانقلاب نتيجة فتنة من خارج البيت الأموي ولكنه جاء من عمرو بن سعيد الأشدق وهو ابن خالة عبد الملك بن مروان. وكان على خلاف مع يزيد بن معاوية إبان فتنة الحسين بن علي ولكنه كان على علاقة حسنة مع مروان بن الحكم الذي أبدي له رغبته في أن يخلفه في الحكم. ولكن بعد موت مروان ومجيء عبد الملك في الحكم رفض عمرو مبايعة عبد الملك وساعده على ذلك مؤيدوه بالشام. ولم تفلح جلسات المصالحة في وقف النزاع بالرغم من تعهد بني أمية لعمرو بأنه سيخلف عبد الملك في الحكم، فاستغل عمرو خروج عبد الملك من دمشق لتأديب أحد المتمردين فدخل المدينة وطالب رضي الله عنه الناس بمبايعته علناً للخلافة.. فاستدار عبد الملك راجعاً بسرعة إلى دمشق وتمكن من دخولها واعتقال عمرو ومؤيديه وقام بقتلهم.

٨٧ عبد الملك بن مروان يسيطر على العراق (٧٢هـ/ ٦٩٢م)

بعد القضاء على فتنة المختار بن أبي عبيد الثقفي بجنوب العراق بواسطة قوات عبد الله بن الزبير.. قرر عبد الملك بن مروان إخضاع العراق لحكمه

والقضاء على سلطة ابن الزبير هناك.. فسير جيشاً ضخماً بقيادة رجل قوي شرس يدعى الحجاج بن يوسف الثقفي، فزحف الجيش الأموي على شمال العراق وأخضعه، ولما رأى ذلك أهل العراق ارتدوا عن تأييدهم لمصعب بن الزبير (شقيق عبد الله بن الزبير وحاكم مدينة البصرة) وتركوه في المواجهة هو وأبناءه فقتلهم الأمويون، وتمكن عبد الملك بن مروان بعد ذلك من دخول الكوفة - وكانت أهم مدن العراق وقتئذ - فبايعه الناس هناك، ثم جاءت مبايعة أهل البصرة ليدخل العراق بذلك مرة أخرى تحت النفوذ الأموي ويخرج من تحت نفوذ عبد الله بن الزبير.

٨٨ القضاء على عبد الله بن الزبير وضرب الكعبة بالمنجنيق (٧٣هـ/ ٦٩٢م)

لم يبق أمام عبد الملك بن مروان من أعداء بداخل دولته إلا عبد الله بن الزبير الذي أخذ مؤيدوه ينفضون من حوله تدريجياً حتى أنه لم يعد يسيطر إلا على مكة والمدينة المنورة فقط فأرسل عبد الملك قائده الحجاج بن يوسف الثقفي إلى المدينة المنورة فدخلها دون قتال يذكر.. ثم توجه جنوباً لمحاصرة مكة ونصب عليها منجنيقاً ضخماً وأخذ يقذف الكعبة بالحجارة حتى تصدعت جدرانها. ولقد استمر حصار مكة حتى ضج أصحاب عبد الله بن الزبير من شدة الجوع، فانفضوا من حوله وتركوه يقاتل في مسجد الكعبة حتى يئس من النصر، فودع أمه السيدة أسماء بنت أبي بكر وأخذ يقاتل الأمويين حتى لقي مصرعه بداخل المسجد الحرام، فقطع الحجاج رأسه وأرسله إلى عبد الملك بن مروان في دمشق. وبمقتل عبد الله بن الزبير انتهت أكبر فتنة شهدتها الدولة الأموية منذ قيامها.

٨٩ إعادة بناء الكعبة (٧٣هـ/ ٦٩٢م)

مكث الحجاج بن يوسف الثقفي بمكة بعض الوقت، حيث أمره عبد الملك بن مروان بأن يعيد بناء الكعبة. فقام الحجاج بهدمها وإعادة بنائها مرة أخرى وقام بوضع الحجر الأسود ليكون بارزاً إلى خارج البناء، وهو الوضع الذي عليه الآن. وهذه هي المرة الثانية التي يعاد فيها بناء الكعبة في خلال تسع سنوات.

٩٠ الانتهاء من بناء مسجد قبة الصخرة (٧٣هـ/ ٦٩٢م)

بدأ بناء مسجد قبة الصخرة عام ٦٦هـ وانتهى بناؤه عام ٧٣ للهجرة. وينسب بناء ذلك المسجد إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي شيده فوق الصخرة المقدسة التي عرج من فوقها النبي ﷺ إلى السماء في رحلة الإسراء والمعراج الواردة في القرآن الكريم.

ويعتبر المسجد آية من آيات الإبداع الفني المعماري الإسلامي في العصر الأموي فهو ثماني الأضلع مرتفع الأعمدة يغطي أعمدته قبة مزخرفة عالية.. ولم يكن ذلك قد عرف في فن البناء أو الزخرفة من قبل.

وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد ابتنى مسجداً صغيراً له سقف خشبي فوق المكان الذي يعتقد أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد عرج منه إلى السماء في المرحلة الثانية من رحلة الإسراء والمعراج.

٩١ عملة نقدية موحدة للعالم الإسلامي (٧٥هـ/ ٦٩٤م)

كانت العملات التي يتم تداولها إبان العصر الأموي هي عُملتا الدينار الذهبي والدرهم الفضي، أما عملات البلدان التي تم فتحها ودخل الإسلام فيها فقد كانت هي نفس العملات التي كانت موجودة قبل الفتح الإسلامي لتلك الدول. وإزاء ذلك التباين وجد عبد الملك بن مروان الفرصة بعد سيطرته على دولته وربط أواصرها من المشرق والمغرب معاً، فقام بسك عملة نقدية موحدة عام ٧٥ للهجرة في دمشق وعمم استخدامها في كل الولايات الإسلامية التابعة للدولة، وتم بذلك إلغاء كافة العملات الأخرى.

ولقد سميت العملة التي سكها عبد الملك بالسكة الإسلامية.. أما العراق الذي حدثت فيه فتنة ابن الزبير، فإن الحجاج الثقفي لم يدخل العملة الأموية الجديدة به إلا عام ٧٦ للهجرة.

٩٢ حملة حسان بن النعمان في شمال أفريقيا (٧٦هـ/ ٦٩٦م)

لم يكن فتح شمال أفريقيا نزهة سهلة للعرب. فقد عاد الروم ليسيطروا على معظم شمال أفريقيا عام ٧٥ للهجرة نتيجة للفتن التي تعرضت لها الدولة

الأموية في المشرق، وخاصة فتنة عبد الله بن الزبير. ولهذا فبعد أن أحس الخليفة عبد الملك بن مروان ببعض الاستقرار، أرسل قائداً حربياً قوياً هو حسان بن النعمان لتدمير البيزنطيين في شمال أفريقيا وترسيخ الحكم الإسلامي هناك. . فتوجه بجيش قوي حسن التجهيز سريع الخطى إلى مدينة القيروان ذاتها التي يتجمع فيها الأعداء وحاصرها حتى سقطت في يده بعد قتال شديد، ثم طارد الروم في مدينتي سطفوره، وبنزرت. . ولكن البربر سرعان ما تجمعوا تحت قيادة امرأة من الكهنة تدعى (داهية بنت ماتيه) واستطاعوا هزيمة حسان هزيمة قاسية، وأخذوا يطاردون المسلمين في كل مكان يجدونهم فيه.

٩٣ الأمويون يخمدون فتنة الخوارج بالعراق (٧٨هـ/ ٦٩٨م)

ظهرت أفكار في العراق تدعو إلى ضرورة أن يكون خليفة المسلمين هو خيرهم منزلة وأكثرهم تقوى حتى إذا كان ذلك يعني أن يكون الخليفة من خارج قريش (والتي منها خلفاء بني أمية). وأخذت تلك الأفكار تنتشر في أواسط العراق، وسمي المتعصبون لها أنفسهم بالخوارج (فهم ينحدرون من الخوارج الذين خرجوا على الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه). وأخذت الفتنة تنتشر في البصرة والكوفة مما زعزع استقرار الجناح الشرقي للدولة الأموية فأرسل عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي إلى العراق فدخل الكوفة وأظهر شدته لأهل العراق وأخذ يقاتل الخوارج الأزارقة (نسبة إلى زعيمهم نافع بن الأزرق) فتشتتوا في بقاع العراق الشمالية وبلاد فارس، وقتل قائدهم عبد ربه الكبير، وبذلك خضع العراق مرة أخرى للحكم الأموي.

٩٤ البيزنطيون يعيدون احتلال مدينة قرطاجنة (٧٨هـ/ ٦٩٨م)

بعد الهزيمة القاسية التي تعرض لها حسان بن النعمان وجيشه على يد البربر من شمال أفريقيا، سارع الروم بإرسال جيش كبير محمول على سفن أسطولهم ونزلوا به في مدينة قرطاجنة، وأخذوا يطاردون المسلمين هناك ويحطمون مساجدهم ويسبون نساءهم حتى رجعت المدينة لهم مرة أخرى.

وبسقوط قرطاجنة لم يعد للمسلمين من وجود غربي طرابلس. ولا شك أن عدم تمكن الأمويين من بسط نفوذهم السريع على شمال أفريقيا يعود إلى فتن

العلويين والخوارج في الحجاز والعراق، تلك الفتن التي أكلت من البنيان السياسي للدولة وساعدت على زوالها.

٩٥ حسان بن النعمان ينهي الوجود البيزنطي في شمال أفريقيا (٨١هـ/ ٧٠٠م)

لم يظهر اليأس في نفوس الأمويين عندما تراجع حسان بن النعمان من شمال أفريقيا.. فمكثوا خمسة أعوام يعدون العدة ويدربون الجند حتى بنوا جيشاً قوياً سار من مصر ليكون تحت قيادة حسان في طرابلس. فقاد حسان جنده قاصداً قرطاجنة.. ولكن قبل ذلك أخذ يقاتل (داهية بنت ماتيه) ومن تبقى معها من مؤيدين حتى لقيت حتفها وتحول البربر هناك إلى مناصرة المسلمين فصاروا جميعاً لمواجهة البيزنطيين في مدينة قرطاجنة.. ودارت معركة بحرية كبرى انتصر فيها العرب وسقطت فيها المدينة فأخذ حسان يؤمنها حتى لا تعود إليها القوات البيزنطية مرة أخرى.

٩٦ بناء مدينة تونس الإسلامية في شمال أفريقيا (٨١هـ/ ٧٠٠م)

لم تكن تونس إلا قرية صغيرة إذا ما قورنت بمدينة قرطاجنة عاصمة البيزنطيين بشمال أفريقيا. ومع ذلك فإن موقعها الممتاز إلى الداخل وقربها من بحيرة أدسن مكنها من أن تلفت نظر حسان بن النعمان من أن يتخذها عاصمة له في تونس ويقضي بها بذلك على قرطاجنة ونفوذها. فكان بناء تونس إذن بداية النهاية للنفوذ البيزنطي بالمغرب. وفي فترة صغيرة نسبياً تحولت المدينة إلى قاعدة بحرية تحمي الدولة الإسلامية الناهضة في شمال أفريقيا.. وسرعان ما استتب الأمر ورسخ دين الله في تلك البقاع.

٩٧ العرب يستولون على جزر دهلك المواجهة للحبشة (٨٣هـ/ ٧٠٢م)

كان الأحباش على علاقة وثيقة بالدولة البيزنطية التي ساءها تساقط معاقلها أمام المسلمين. وكان ذلك السبب كافياً لكي يهاجم الأحباش ساحل الجزيرة العربية على مقربة من مكة. فما كان من المسلمين إلا أن سارعوا بالنزول في جزر دهلك المواجهة للساحل الحبشي حتى يتمكنوا فيما بعد من

نشر دين الإسلام في داخل الحبشة ذاتها. وعلى مدى القرون التالية تمكن المسلمون من نشر دينهم الحنيف في أراضٍ فاقت في المساحة وعدد السكان ما لدى مملكة الحبشة، وتمكنوا من إدخال الإسلام في الحبشة ذاتها عن طريق البعثات والتجارة والقدوة الحسنة في التعامل حتى أصبح نصف سكان الحبشة اليوم من المسلمين.

٩٨ اتخاذ اللغة العربية لغة رسمية للدولة الأموية وولاياتها (٨٤هـ/ ٧٠٣م)

يعتبر إدخال اللغة العربية على الأجهزة الرسمية للدولة الأموية نتاجاً للاستقرار الذي تمتعت به تلك الدولة بعد أحداث الفتن المتتالية. كما يعتبر كذلك أهم أعمال عبد الملك بن مروان. فالدول التي فُتحت ودخلها الإسلام كانت تتحدث بلغات غير عربية مما عرقل نموها الاجتماعي والثقافي والعلمي وأثر على روابطها بالدولة العربية في دمشق. فأخذت الأمية تختفي رويداً رويداً وزاد إقبال المسلمين في تلك البلدان على قراءة الكتب العربية وفهم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مما زاد بالتالي من قوة الروابط بين تلك الدول وبين العرب.

٩٩ ثورة الخوارج بفارس والعراق ضد الأمويين (٨٤هـ/ ٧٠٣م)

كان يحكم إقليم ساجستان بشرق فارس رجل يدعى عبد الرحمن بن الأشعث. وبعد النكسات المتتالية التي وقعت للخوارج في العراق أصبح ذلك الإقليم مرتعاً لهم فشجعوا ابن الأشعث على الخروج إلى العراق وهزيمة الأمويين هناك وسموه ناصر المؤمنين، فارتحل بجيش كبير قاصداً العراق وفي كل بلدة يدخلها كان يقصي الوالي الأموي عنها حتى اقترب من البصرة وقاتل الحجاج بن يوسف الثقفي الذي تراجع وتحصن في ضواحي المدينة فدخلها عبد الرحمن وأيده أهلها. ولما سمع أهل الكوفة ذلك ثاروا على الوالي الأموي وخلعوه واضطربت أحوال العراق بسرعة وبات واضحاً أن الخوارج لا يقبلون بديلاً سوى إسقاط الحكم الأموي في دمشق.. فأحس عبد الملك بالخطر فأرسل الرجال والإمدادات الكبيرة إلى الحجاج ودارت معارك ضارية في مواقع شتى وأخذ الحجاج يدبر الحيل للتخلص من عبد الله الذي تمكن من الهرب

شرقاً حتى ضاقت به السبل بعد تفرق مؤيديه من حوله فانتحر عام ٨٤ للهجرة وخمدت الفتنة.

١٠٠ الوليد بن عبد الملك يتولى الخلافة (٨٦هـ/ ٧٠٥م)

تعتبر فترة حكم عبد الملك بن مروان التي استمرت واحداً وعشرين عاماً تقريباً فترة اتسمت بالكفاح الشديد لوضع أسس الدولة القوية التي جنى ثمارها بلا شك من جاء بعده. وعندما توفي عام ٨٦ للهجرة خلفه ابنه الوليد ليجد أمامه دولة قوية ثرية مستقرة، فوجه كل جهده إلى تجميلها وتنسيقها ونشر صور الحضارة في أرجائها.

١٠١ وضع أسس بناء المسجد الأموي الجامع بدمشق (٨٧هـ/ ٧٠٦م)

إن المسجد الأموي بدمشق هو أضخم المساجد الإسلامية التي بنيت على عهد الدولة الأموية لأنه يمثل عاصمة الخلافة الإسلامية وقد بناه الوليد بن عبد الملك عام ٨٧هـ، واستعان بأمهر الصناع والمقاولين والفنانين المعماريين في مصر والشام ونفذ بناءه حوالي عشرة آلاف عامل على مدى تسع سنوات متتالية من العمل منذ عام ٨٧ وحتى عام ٩٦ للهجرة. ولثراء الدولة واستقرارها على عهد الوليد فقد أُنفقت مبالغ طائلة لتزيين المسجد من الداخل والخارج حتى أصبح وكأنه إحدى عجائب الدنيا في ذلك العصر.

١٠٢ معركة حصن الطوانة وهزيمة الروم بشمال الشام (٨٨هـ/ ٧٠٧م)

لقي الروم البيزنطيون هزيمة ثقيلة على يد جيش أموي قوي أرسله يزيد بن عبد الملك للاستيلاء على حصن الطوانة المنيع بشمال غرب الشام، الذي كانت تخرج منه حملات عسكرية بيزنطية لمهاجمة مناطق تحت النفوذ الأموي... فقام الجيش الأموي بحصار الحصن من كل جانب وأمطره بالمنجنيق، ودارت معارك ضارية انتهت بمقتل خمسين ألفاً من الروم وسقوط ذلك الحصن في أيدي الأمويين.

١٠٣ موسى بن نصير يسيطر على شمال أفريقيا (٩٠هـ/ ٧٠٩م)

خلف موسى بن نصير (وهو من أشهر قواد العرب) حسان بن النعمان

عام ٨٦ للهجرة وأصبح القائد العام للجيش العربي في شمال أفريقيا فوجد عليه أن يقوي النفوذ العربي في المغرب الأوسط والأقصى.. فسار بجيشه على الساحل الأفريقي وكانت قواته حينما تدنو من مناطق العمران يخرج إليها زعماء البربر ليرحبوا بها حتى وصل إلى أقصى الساحل الشمالي للمغرب الأقصى.. ولم يتبقَ أمامه سوى مدينة طنجة فحاصرها ودخلها.

ومنذ ذلك الوقت أخذ العرب ينظرون عبر مضيق البحر (الذي سمي فيما بعد بمضيق جبل طارق) تجاه شبه جزيرة إيبريا (الأندلس).. ومن هنا انبثقت فكرة العبور إليها.

١٠٤ البيزنطيون يهاجمون مصر (٩٠هـ/ ٧٠٩م)

لم يزل الروم البيزنطيون يطمعون في مصر حتى تمكنوا من النزول على شواطىء مدينة دمياط.. وقد جاء ذلك رداً فيما يبدو على هزائم الروم في شمال أفريقيا وخروج الجيوش العربية من مصر بالذات لتدعيم الوجود الإسلامي في مدن المغرب الأوسط والأقصى.

ويبدو أن الروم فشلوا في الاستمرار في احتلال دمياط بسبب خشيتهم من أن يؤدي ذلك إلى إنهاء الهدنة التي كانت بينهم وبين الوليد بن عبد الملك فانسحبوا إلى ديارهم.

١٠٥ طارق بن زياد يعبر الأندلس (٩٢هـ/ ٧١١م)

قبل أنِ يعبر طارق بن زياد بأسطوله مضيق جبل طارق (كان يسمى من قبل ببحر الزقاق) لفتح الأندلس كان هناك عمليات استطلاع واسعة النطاق لأحوال الممالك الإسبانية. فقد كانت الفتن والحروب تنتشر هناك للاستيلاء على عرش القوط (سكان إسبانيا قبل الفتح الإسلامي) فأمر موسى بن نصير طارقاً بالاستعداد وطلب موافقة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي بارك العبور الإسلامي إلى إسبانيا. فعبر طارق بن زياد وهو من البربر وجنده البالغ عددهم حوالي سبعة آلاف رجل معظمهم كذلك من البربر المسلمين على سفن من ميناء طنجة في شهر رجب من عام ٩٢ للهجرة. ونزلت القوات من خلف

خطوط العدو المتحصن بجبل من جنوب إسبانيا المواجه لمدينة سبتة المغربية (وسمي ذلك الجبل فيما بعد باسم جبل طارق)، ودارت معارك متلاحمة سيطر على أثرها طارق على الجبل واتخذه رأس جسر حصين للتوغل في العمق الإسباني.

١٠٦ انتصار المسلمين على الإسبان في موقعة وادي لكة (موقعة البحيرة) (٩٢هـ/ ٧١١م)

شعر ملك القوط الإسبان بخطر نزول طارق بن زياد والمسلمين على الأراضي الإسبانية، فقام بالزحف بجيش كبير قوامه مائة ألف مقاتل لملاقاة المسلمين بالجنوب.. وسرعان ما استغاث طارق بموسى بن نصير فأرسل له خمسة آلاف مقاتل محملين بالمؤن والعتاد.. والتقى الجيشان في معركة كبرى في نهاية شهر رمضان، واستمرت ثمانية أيام هزم فيها القوط هزيمة قاسية وتبعثر قتلاهم في أرض المعركة ولاذ الناجون بالفرار شمالاً ليبلغوا بقية ملوك وأمراء القوط بأن عصر طغيانهم قد ولى.

ولا شك أن انتصار المسلمين في تلك المعركة قد فتح البلاد الإسبانية على مصراعيها أمام زحف قوات طارق بن زياد.

١٠٧ المسلمون يفتحون بلاد السند (٩٥هـ/ ٧١٥م)

بلاد السند هي تلك البلاد التي تحد الهند الحالية من ناحية الغرب من جنوبها إلى شمالها. وقد كان العرب مثل الإسلام يقومون برحلات إلى هناك من موانىء الخليج العربي. ولأن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك كان يتصف بالطموح والقوة فقد أمر بتسيير حملة عسكرية قوية لفتح بلاد السند، وترأس تلك الحملة شاب مسلم شديد البأس يدعى محمد بن القاسم الثقفي فخرج قاصداً جنوب السند عام ٨٩ للهجرة... وتمكن من فتح مدينة أرمئيل ثم اتجه إلى الديبل وكان أهم ميناء لبلاد السند على بحر الهند القديم فحاصره ثم اقتحمه. وأخذ يعد عدته للسير على شمال بلاد السند، وتمكن بفضل ذكائه وشجاعته وإخلاص الرجال له من دخول العاصمة راور، وكانت مدينة بالغة الثراء فسماها مدينة المعمورة وكان ذلك عام ٩٥ للهجرة، فسهل له فتح

مقاطعات أخرى حولها.. إلا أنه لم يدخل بلاد الهند وكشمير (انظر الإسلام يدخل كشمير عام ٤٠٨هـ).

١٠٨ سقوط المدن الإسبانية الكبرى في يد المسلمين (٩٥هـ/ ٧١٥م)

ما أن هزم القوط الإسبان في معركة وادي لكة حتى سارع طارق بن زياد وجيشه بالزحف السريع على عاصمتهم طليطلة (وهي مدينة كبرى في وسط إسبانيا)، فدخلها دون قتال ومكث فيها لقضاء فصل الشتاء، ولكنه أرسل سرية كبيرة من جنوده تجاه مدينة قرطبة (جنوب طليطلة) فدخلوها. وسرعان ما عبر موسى بن نصير بجنده البحر من شمال أفريقيا إلى الأندلس وأخذوا يطهرون المواقع في الجنوب الإسباني، وهي المواقع التي تركها طارق بدون سيطرة أو تأمين نظراً لأنه كان يندفع بسرعة تجاه العاصمة. وحينما استتب الأمر لهما جهزا الجند والمعدات وسارا شمالاً ليسيطرا بذلك على مجمل الأراضي الإسبانية في الشرق والشمال وحتى مدينة سرقسطة، وهي مدينة كبيرة جنوب جبال البرانس الفاصلة بين إسبانيا وفرنسا. ولم يأتِ عام ٩٥ للهجرة حتى قام الخليفة الأموي الوليد بن عبد اللك باستدعاء كلا البطلين للحضور إلى العاصمة الأموية دمشق.

١٠٩ المسلمون يدخلون بلاد ما وراء النهر (٩٦هـ/ ٧١٦م)

بلاد ما وراء النهر هي تلك الأراضي الشاسعة الواقعة إلى الشرق من إيرن اليوم وحتى حدود الصين الغربية. وقد تطلع إليها العرب إلا أن فتحها المنظم لم يبدأ إلا بعد تسلم الوليد بن عبد الملك الخلافة. ولقد كان يقع على حدود تلك الأراضي بلدان ذات بأس شديد هي الصين والمغول والسلاجقة الأتراك. ولكن ظهور قادة عرب كبار من أمثال قتيبة بن مسلم سهل المهمة للمسلمين. فأخذ عدته وجهز رجاله وأدوات القتال واستعد للجهاد. وبدءاً من عام ٨٦ للهجرة. كان قتيبة يتوغل في أنحاء بلاد النهر وممالكها وأقاليمها التي كانت في ذلك الوقت تعبد الأصنام حتى لم يأتِ عام ٩٦ للهجرة إلا وكانت أغلب تلك البلدان قد فتحت ودخلت تحت الحكم الأموي.

ويعتبر المؤرخون القدماء البطولة الفذة لقتيبة في تمكنه من إخضاع كل

تلك البلاد للحكم الأموي بطولة نادرة ربما تعادل ما فعله من قبل خالد بن الوليد في الشرق. . وطارق بن زياد في الأندلس.

١١٠ سليمان بن عبد الملك يتولى الخلافة الأموية (٩٦هـ/ ٧١٦م)

توفي الوليد بن عبد الملك عام ٩٦ للهجرة بعد حكم دام عشرة أعوام وصلت فيها الدولة الأموية ـ كما رأينا ـ إلى أوج ازدهارها ورقيها وحضارتها وقوتها. . . فأثبت بذلك أنه أقوى خلفائها.

وما أن توفي الوليد حتى حدثت مشكلة مؤقتة في بيت الخلافة. . . فالوليد كان يود استخلاف ابنه عبد العزيز ولكن بني أمية كانوا قد وافقوا عبد الملك بن مروان على رأيه في أن يخلف الوليد شقيقه سليمان. ولهذا اتفق الناس على سليمان وبايعوه للخلافة الأموية.

وسرعان ما أخذ سليمان ينتقم من كل الذين رفضوا مبايعته وطالب رضي الله عنهوا بمبايعة عبد العزيز بن الوليد. فقتل قتيبة بن مسلم القائد الفذ الذي فتح بلاد ما وراء النهر.، وعذب ثم قتل محمد بن القاسم القائد الشاب الذي فتح بلاد السند. ثم عذب موسى بن نصير متمم فتح الأندلس وقتل ابنيه. . ثم يبدو أنه كذلك قتل طارق بن زياد فاتح الأندلس لأن طارقاً اختفى فجأة من سجل التاريخ بعد تولى سليمان الخلافة.

١١١ الحصار الثالث للقسطنطينية (٩٩هـ/ ٧١٨م)

منذ حصار القسطنطينية الأول عام ٤٩ للهجرة والثاني عام ٥٤ للهجرة، أخذ الأمويون نتيجة الاضطرابات المتتالية التي واجهتهم يتحاشون مهاجمة الروم إلى أن هدأت الأمور واستقرت الأحوال مما مكنهم من معاودة مهاجمة العاصمة البيزنطية التي تتربص بهم. وقد جاء رجل عسكري رومي يدعى ليون المرعشي إلى سليمان بن عبد الملك ووعده بالمساعدة في دخول القسطنطينية على شرط أن يعينه سليمان حاكماً عليها. فأخذ الخليفة جيشاً ضخماً قوامه مائة وعشرون ألف رجل وزحف به على القسطنطينية عام ٩٨ للهجرة وحاصرها بمساعدة البحرية المصرية، وتمكن ليون من دخول المدينة وحده وعزل الأمبراطور

الرومي وحل محله ومن ثم غدر بالأمويين بل دعا لتوحيد صفوف شعبه البيزنطي لمقاومة الحصار الذي طال تحت البرد والصقيع والهجمات الخاطفة المتتالية من البيزنطيين على مؤخرة الجيش الأموي وأسطوله حتى هلك عدد كبير من الجنود وفي أثناء ذلك توفي سليمان بن عبد الملك وجاء بعده الخليفة عمر بن عبد العزيز فرأى عدم جدوى الحصار وأمر بسحب القوات عام ٩٩ للهجرة.

١١٢ عمر بن عبد العزيز يتولى الخلافة الأموية (٩٩هـ/ ٧١٨م)

توفي سليمان بن عبد الملك أثناء حصار جيشه الأموي للقسطنطينية، ولكن قبل وفاته قام بعمل اتصف بالحكمة.. فقد رأى أن الأمويين لو اختاروا خليفة من نسل الوليد بن عبد الملك فسوف لا يكون هناك اتفاق عليه، فأوعز إليه أحد الفقهاء بأن يختار عمر بن عبد العزيز (وهو حفيد لعمر بن الخطاب رضي الله عنه) لتقواه وورعه وعدله، فوافق سليمان على ذلك على أن لا يخبر بني أمية بما وصل إليه، ولكنه طلب منهم معاهدته على الموافقة على ما خطه في كتاب محفوظ لديه لا يفتح إلا بعد وفاته فوافق الأمويون. وعندما توفي سليمان عن عمر يناهز التاسعة والثلاثين بايع الأمويون عمر بن عبد العزيز ليكون خليفة للدولة الأموية.

ولقد اتصف عمر بن عبد العزيز بشدة الورع والتقوى والرحمة والتواضع والعطف على جميع من حوله والاقتداء بهدى الخلفاء الراشدين حتى أطلق عليه لقب أمير المؤمنين وخامس الخلفاء الراشدين، وعرف عنه طوال مدة خلافته الابتعاد عن فتن الدنيا من مال وجاه وملبس، كما عرف عنه صحة الايمان وقوته والتبحر في علوم ومعارف الدين.. وإليه يرجع الفضل الكبير في تجميع نصوص الأحاديث المنسوبة للرسول ﷺ والأمر بنسخها وتدوينها فحفظت لنا من الضياع على مر العصور، كذلك يرجع إليه الفضل في أن البلدان التي كانت قد فتحت في المشرق والمغرب قد زاد دخول أهلها في الإسلام لرحمته ومحبته لشعوبها.

١١٣ يزيد بن عبد الملك يتولى الخلافة الأموية (١٠١هـ/ ٧٢٠م)

لم يعمر الخليفة عمر بن عبد العزيز طويلاً... فقد استمر حكمه حوالي عامين مات بعدها فجأة عن عمر يناهز أربعين عاماً، والحقيقة أن موته المفاجيء

هذا ربما يدل على أن بعض الأمويين وخاصته من أسرة عبد الملك حاولوا قتله حتى يعود الحكم إليهم مرة أخرى. . . وهناك أسباب ربما تؤيد ذلك فقد صالح عمر بن عبد العزيز جميع أعداء الأمويين سواء من الشيعة أو من بني هاشم، وأعطى الناس كافة حقوقاً متساوية سواء أكانوا عرباً أم عجماً. ثم أنه أمر بأن تكون غنائم المسلمين في الغزوات للمسلمين على أن يكون خمسها لبيت المال وليس لبيت الخليفة الأموي كما كان الحال قبل استخلافه. كذلك ذكر أن عمر لم يكن يود أن يخلفه يزيد بن عبد الملك لأنه يميل إلى اللهو والافتتان بالدنيا.

إن مثل تلك الأسباب ربما كانت دافعاً لاغتياله بالسم وتعيين يزيد بن عبد الملك خليفة للأمويين حيث كان قد حصل على عهد بذلك من أبيه عبد اللمك بن مروان. . . ولقد تم ذلك في شهر رجب من عام ١٠١ للهجرة. وبتولي يزيد الخلافة بدأ الضعف يسري تدريجياً في أوصال الدولة الأموية. . . فأخذ الخوارج يهاجمون العراق ويهاجمون فساد الحكم الأموي وأخذت الولايات الأموية تثور على حكم الولاة الذين اتخذوا القسوة وسيلة للقمع. وتوقفت في عهد الوليد الغزوات ضد البيزنطيين تقريباً.

١١٤ **الروم يهاجمون مصر** (١٠١هـ/ ٧٢٠م)

بعد الخسائر الشديدة التي مني بها الأمويون أثناء حصارهم الثاني للقسطنطينية وقيامهم بالانسحاب من حولها وضياع عدد كبير من سفنهم، طمع البيزنطيون في مصر مرة أخرى فأرسلوا حملة بحرية للإغارة على الشواطىء المصرية في رمضان من عام ١٠١ للهجرة وتمكنت بعض قطع بحريتهم من الرسو عند مدينة تنيس بشمال شرق الدلتا وهاجموا حاكمها الأموي وقتلوه مع بعض المدافعين عن المدينة ولكنهم سرعان ما ارتدوا خشية إثارة غضب الخليفة يزيد بن عبد الملك.

١١٥ **هشام بن عبد الملك يتولى الخلافة الأموية** (١٠٥هـ/ ٧٢٤م)

لم يعمر يزيد بن عبد الملك في الحكم طويلاً فمات بعد أربعة أعوام من توليه الخلافة وذلك بسبب صدمة عاطفية شديدة المت به بعد موت جاريته حبابة التي كما ذكر كان يداعبها فرمى نحوها تمرة عنب فشرقت فماتت.

ولم يختلف البيت الأموي كثيراً على مبايعة هشام بن عبد الملك وذلك في شعبان من عام ١٠٥ للهجرة.

ولقد اتصف هشام بالورع والتقوى وأعطى جهداً كبيراً في اصلاح أحوال دولته ونهى عماله على الولايات من القسوة وسفك الدماء وخاصة في فترة حكمه الأولى الهادئة نسبياً وحتى عام ١٢٠ للهجرة.

١١٦ القوقازيون يزحفون على الدولة الأموية (١١٢هـ/ ٧٣٠م)

عاش سكان القوقاز النصارى بالقرب من بحر قزوين، وبالتالي فقد جاوروا العرب في أرمينيا وأذربيجان وهذا التجاور كان كافياً للقوقازيين لأن يعرفوا أحوال الدولة الأموية سواء في حالات استقرارها أو اضطرابها فقد أغراهم رقة طبع عمر بن عبد العزيز على مهاجمة أذربيجان فردهم عمر بشدة ثم أغراهم اضطراب الدولة الأموية أيام يزيد على مهاجمة أرمينيا فأرسل لهم جيشاً هزمهم وطاردهم. وفي عام ١١٢ للهجرة طمع سكان القوقاز في أراضي المسلمين فهاجموا أذربيجان واحتلوها ثم زحفوا على شمال الشام حتى وصلوا على مقربة من الموصل فدعى الخليفة هشام بن عبد الملك إلى الجهاد فسعى إليه الرجال من كل صوب فكون منهم جيشاً كبيراً استطاع طرد أهل القوقاز ومطاردتهم حتى دولتهم. ولقد استمر الأمويون في تخويف القوقازيين بعد ذلك معتمدين على إمارتي أذربيجان وأرمينيا، فكانت الحملات الأموية تخرج منهما لتأديب القوقازيين حتى لا يظنوا بالعرب ضعفاً واستكانة.

١١٧ معركة بلاط الشهداء (١١٤هـ/ ٧٣٢م)

ببداية القرن الثاني الهجري، أخذ المسلمون يوطنون أنفسهم في الأندلس شرقها وغربها حتى وصلوا إلى جنوب جبال البرانس الفاصلة بين أسبانيا وفرنسا. وكان الفرنجة يشكلون دولة قوية في ذلك الوقت ولا شك أنهم وجدوا أنفسهم فجأة أمام المسلمين الذين سمعوا عن شجاعتهم في الشرق والذين هددوا القسطنطينية ذاتها عدة مرات. ولذلك وبالرغم من أن العرب قد عبروا ممرات جبال البرانس وهاجموا عدداً من المدن الفرنجية كانت أهمها ناربون وقرقشونة، إلا أن عبد الرحمن الغافقي حاكم الأندلس الأموي في ذلك الوقت دعا جنده إلى

لجهاد لفتح بلاد الفرنجة. . . فزحف بجيش ضخم عبر به الحدود واتجه إلى جنوب غرب فرنسا فأخضعه ثم اتجه به شرقاً فاحتل أرضاً واسعة منها مدينة ليون لمعروفة اليوم. . . فاستغاث الفرنجة بشارل مارتل الذي كان حاكماً بالنيابة عن ملك الفرنجة فجهز كل قواته وتحالف مع الدوق أودو حاكم جنوب فرنسا وملوك لألمان وخرجوا جميعاً بأنواع جديدة من السلاح ومعدات القتال لملاقاة جيش لغافقي فدارت معركة كبرى بين مدينتي تور وبواتيه الفرنسيتين استمرت أسبوعاً مزم فيها جيش الغافقى نتيجة كثرة الغنائم التي حملها جنده من البلدان الفرنسية لتي دخلوها. . . ونتيجة لظهور الفتن بين الجنود البربر والجنود العرب. ولقد سميت تلك المعركة بمعركة بلاط الشهداء نتيجة كثرة شهداء المسلمين فيها، وبالرغم من توقف الزحف الإسلامي على أوربا بعد تلك المعركة إلا أنها مع ذلك لا تشكل نصراً أساسياً من الغرب على المسلمين كما صورها المؤرخون الغربيون. . . وذلك لأن الأوربيين عجزوا عن الدخول إلى الأندلس للقضاء على الوجود العربي هناك ذلك الوجود الذي استمر ثمانية قرون.

١١٨ انشاء جامع الزيتونة بالقيروان (١١٤هـ/ ٧٣٢م)

أُنشيء جامع الزيتونة في تونس سنة ١١٤ للهجرة. . وليس ذلك المسجد منافساً بأي حال للمسجد الجامع بالقيروان، بل أنه مكمل له لأن الأول (أي القيروان الذي بنى من قبل) تعرض كثيراً للتدمير والتخريب نظراً لضعف بنائه وتعدد الغزوات التي تعرضت لها تونس من الروم والأسبان. . . أما مسجد الزيتونة فقد بني لزيادة عدد المسلمين هناك. وقد قام ببناء مسجد الزيتونة الجامع عبد الله بن الحجاب، واستخدم في بنائه الحجر وغطى أرضه بالرخام.

ويعتبر جامع الزيتونة اليوم: أشهر مسجد في تونس نظراً لدوره الديني والأدبي، حيث أنه يعتبر جامعة أدبية وعلمية عريقة.

١١٩ ثورة بلاد ما وراء النهر على الحكم الأموي (١١٦هـ/ ٧٣٤م)

ثار سكان بلاد ما وراء النهر على الدولة الأموية لسوء معاملة الولاة الأمويين لهم واستمرارهم في جمع الضرائب حتى على من أسلم من السكان، وتطورت الأحوال إلى الأسوأ عندما ظهر رجل عربي يسمى الحرث بن سريج

التف الناس حوله وأقنعوه بالخروج على الحكم الأموي عام ١١٦ للهجرة ومبايعة من يرضى عنه المسلمون، وأخذت المعارك تدور بينه وبين الأمويين على مدى أربعة عشرة عاماً حتى قتل. . . ولكن بعد أن وعى الخليفة هشام الدرس أرسل والياً أموياً جديداً يدعى نصر بن سيار أسقط ضريبة الخراج عمّن أسلم وعامل الناس معاملة حسنة.

١٢٠ الروم يهاجمون مصر (١٢١هـ/ ٧٣٩م)

اندلعت فتنة دبرها الروم في مصر للإيقاع بين القبط وبين الحكم الأموي. . وعندما اتسعت الفتنة ظن الروم أنهم يمكنهم أن يهاجموا مصر ويحتلونها، فأرسلوا مئات من سفنهم الحربية هبطت عند دمياط (التي اشتهرت بصناعة السفن) فهاجموا المدينة ونهبوا متاجرها وأشعلوا النيران في أحواض بناء السفن وهاجموا سكان المدينة، إلا أن المصريين دافعوا عن بلدهم ونجحوا في طرد الروم عن ديارهم.

١٢١ الترك يهاجمون الدولة الأموية بوسط آسيا (١٢١هـ/ ٧٣٩م)

استطاع الأمويون أن يدخلوا أراضي واسعة في وسط آسيا كانت تابعة لدولة وسط آسيا التركية. . ومنذ ذلك الوقت لم ينس الترك ذلك للأمويين فكانوا يساعدون سكان بلاد ما وراء النهر عندما يثورون ضد الأمويين وتكرر ذلك كثيراً في فارس وخراسان حتى صمم الخليفة هشام بن عبد الملك على إلحاق الهزيمة بترك وسط آسيا ووقف هجماتهم على الدولة الأموية. فخرج نصر بن سيار الوالي الأموي على خراسان على رأس جيش قوي لمهاجمة الترك والتقى بزعيمهم كورصول فبدد شمل قواته وقتل من جنده أعداداً كبيرة حتى تهيأت له الفرصة في أسر ثم قتل كورصول، فضعفت الروح المعنوية لترك وسط آسيا وتوقفوا عن مهاجمة الأمويين.

١٢٢ موقعة اكرونيون وهزيمة الأمويين (١٢٢هـ/ ٧٣٩م)

أخذت القلاقل تسري في أوصال الدولة الأموية. . وبالرغم من ذلك فقد كان هناك الدافع القوي للجهاد أمام العدو البيزنطي في غرب آسيا الصغرى.

فدارت معركة كبرى بين الأمويين والبيزنطيين عام ١٢٢ للهجرة سميت بموقعة أكرونيون هزم فيها الأمويون، فارتدوا إلى داخل دولتهم ولا يمكن معرفة أسباب تلك الهزيمة إلا في ضوء الانتصارات الأموية في الأندلس والتي دفعت الغرب الأوربي إلى التكتل لمحاربة بني أمية في الشرق ومع ذلك فلم تكن تلك المعركة ذات أثر مباشر على سقوط الدولة الأموية بعد عشرة أعوام على وقوعها، لأن البيزنطيين أنفسهم كانوا في حالة أسوأ من حالة الأمويين.

١٢٣ اخماد انتفاضة زيد بن علي بالعراق (١٢٢هـ/ ٧٤٠م)

كان الشيعة بالعراق هم أخطر المعارضين للدولة الأموية بسبب قربهم من الشام ومعرفتهم بأصول الصراع مع بيت بني أمية، وقد حاول هشام بن عبد الملك تهدئتهم عندما تولى الخلافة فأرسل واليه خالد بن عبد الله القسري الذي اتصف بالحكمة والكياسة فخمدت فتن العراق حتى عام ١٢٠ للهجرة حينما عزل هشام خالداً وأرسل بدلاً منه يوسف بن عمر الثقفي فعادت الفتنة بالعراق وخاصة بين شيعة الكوفة على رأسهم زيد بن على زين العابدين بن الحسين فثار ضد الأمويين بالرغم من تخدير أهله له بعدم الثقة في حماس أهل الكوفة الشيعة وقتئذ. ولما أخذ الأمويون يهاجمون موقعه تفرق عنه من ضللوه وأيدوه كذباً ونفاقاً فقتل ومعه مائتا رجل من أخص أتباعه... وأخذ الأمويون جسده وأحرقوه بعد صلبه.

١٢٤ ظهور طائفة الزيدية (١٢٢هـ/ ٧٤٠م)

بمقتل زيد بن علي زين العابدين تفرق أتباعه في بقاع العراق وفارس وجعلوا منه أسطورة لا تموت لسيطرتها على القلوب والعقول... وأصبح يوم مصرعه يوماً يتجدد فيه الألم والأمل... فأصبحت الزيدية التي تنتسب لآل البيت النبوي في رأي المؤمنين بها منارة وقفت ضد الحكم الأموي حتى زواله ثم ضد الحكم العباسي (حيث زادت ثوراتهم ضد بني أمية وبني العباس عن عشرين ثورة) حتى تمكنوا من إنشاء دولة مستقلة لهم عن الخلافة العباسية جنوبي بحر قزوين، واستمرت تلك الدولة الزيدية في البقاء من عام ٢٥٠ إلى

عام ٣١٦ للهجرة وما أن زالت دولتهم تلك حتى تأسست دولة قوية لهم في اليمن من عام ٣٤٠ إلى عام ٤٢٤ للهجرة.

وجدير بالذكر أن الشيعة في القرن الثاني للهجرة قد انقسموا إلى طائفتين هما: الشيعة الزيدية نسبة إلى زعيمها الإمام زيد بن علي زين العابدين، والشيعة الإمامية نسبة إلى زعيمها الإمام محمد الباقر (وكلاهما أخوان من أبناء الإمام زين العابدين علي بن الحسين). وكان سبب الانقسام الإختلاف حول شرعية خلافة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما فذهب الزيدية إلى أنها شرعية وأعلنوا أنهم لا يقرون مبدأ عصمة الإمام (وكان من المبادىء الهامة التي آمن بها العلويون حيث اعتقدوا أن الإمام لا يخطىء نظراً لأنه يتصل بسلالة النبي عليه السلام)، وأوضح الزيدية أن الإمام (الشيعي) محصور فقط في أولاد السيدة فاطمة الزهراء.

١٢٥ ثورة البربر على العرب في المغرب الأقصى (١٢٢هـ/ ٧٤٠م)

بعد استكمال فتح المغرب الأقصى رأت الخلافة الأموية أن يصبح المغرب تابعاً لها من الناحية الإدارية بصورة مباشرة. ولكن البربر الذين شعروا بأنهم أداة الانتصار الإسلامي في فتح الأندلس وجدوا أن الأمويين يظلمونهم سياسياً واقتصادياً ولم يكن ذلك الشعور خاصاً بأهل المغرب فحسب بل أنه ظهر أساساً في فارس حيث رأى أهل فارس أن الأمويين كعرب يحظون بكل الخيرات. فثار البربر ـ مثلما ثار الفرس وبلاد ما وراء النهر ـ نتيجة شعورهم بعدم المساواة مع الأمويين، وقادهم في تلك الثورة ميسرة الزناتي واستطاعوا الحاق هزيمة قاسية بالقوات الأموية وخاصة قوات والي طنجة ووالي السوس واستولوا على مدينة تلمسان. وسرعان ما انتشرت أنباء الثورة في أوساط البربر بالأندلس فثاروا هم كذلك ضد الأمويين هناك.

ولقد مهدت تلك الانتفاضات فيما بعد إلى استقلال المغرب عن الأمويين ثم العباسيين، وإنشاء دول إسلامية مستقلة بمجمل أراضي المغرب كان لها تاريخاً مجيداً حافلاً بجلائل الأعمال.

١٢٦ البربر يهزمون العرب في موقعة الأشراف بالمغرب ١٢٣هـ/ ٧٤١م)

عندما نجح البربر في إلحاق الهزيمة بقوات واليي طنجة والسوس الأمويين، اختاروا زعيماً لهم هو خالد بن حميد الزناتي بدلاً من ميسرة الذي ثاروا عليه لقسوته واغتالوه. وعلم الأمويون في دمشق بتلك الثورة، فأرسل الخليفة الأموي هشام ٣٠ ألف مقاتل في حملة عسكرية لملاقاة البربر في المغرب.. والتقى الجيشان في موقعة كبيرة سميت بموقعة الاشراف حيث لقي فيها العرب هزيمة قاسية، وقتل منهم أعداداً غفيرة بما فيهم قائدهم الأموي خالد بن أبي حبيب الفهري.

١٢٧ الأمويون يقضون على ثورة البربر بالمغرب (١٢٤هـ/ ٧٤١م)

كان من نتائج انتصار البربر على العرب في موقعة الأشراف أن تحالف البربر كافة في شمال أفريقيا مصممين على الإطاحة بالحكم الأموي هناك.. ولقد هزت هزيمة الأشراف هشام بن عبد الملك في دمشق، فأخذ في تجميع الرجال حتى بلغ عدوهم ثلاثين ألفاً، وأرسلهم تحت قيادة كلثوم بن عياض القشيري لقتال البربر، وعلى ضفاف نهر سبو بالقرب من مدينة طنجة دارت معركة شديدة سميت بموقعة قدورة تمكن فيها البربر من محاصرة القوات العربية وهزيمتها هزيمة منكرة وكان ذلك في نهاية عام ١٢٣ للهجرة... ولقد مضى عدة شهور قبل أن يقرر هشام بن عبد الملك الاستعداد بجدية أكثر للقضاء على ثورة البربر في شمال أفريقيا فجهز جيشاً ضخماً، وضع له قائداً يدعى حنظلة الكلبي زحف به حتى مدينة القيروان، ثم خرج منها مقسماً جيشه ألوية، وأخذ في قتال البربر في عدة نواح، فالحق بهم الهزائم المتتالية، وقتل زعماءهم، وتمكن من أسر أعداد غفيرة من مقاتليهم بلغ حوالي مائة وثمانين ألفاً.

وخسائر كتلك، لا شك أنها كانت كافية لإخضاع البربر في شمال أفريقيا الغربي مرة أخرى للحكم الأموي.. ولكن إلى حين.. فقد دب الضعف في جسد الدولة الأموية ذاتها بسبب كثرة حروبها وضياع مواردها.

١٢٨ ظهور الدعوة العباسية وتكامل أسسها (١٢٤هـ/ ٧٤٢م)

بعد سلسلة النكسات والهزائم التي حلت بالشيعة على يد الخلفاء

الأمويين، اتخذ الشيعة الدعوة السرية وسيلة لنشر أفكارهم، ولكن الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك كان يعلم أن زعيم الشيعة في ذلك الوقت هو أبو هاشم بن محمد بن علي بن أبي نطالب رضي الله عنه، فدعاه إلى قصره ذات يوم وقدم له طعاماً مسموماً، وعندما غادر أبو هاشم شعر بالسم يسري في جسده وعلم بقرب نهايته، فسارع بالذهاب إلى قرية الحميمة بجنوب الشام وكانت المركز السري للشيعة. وهناك التقى بمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس (عم النبي عليه الصلاة والسلام) وأخبره بأسرار الدعوة الشيعية وكيف ينشرها.

ولقد ساعد ذلك الحدث فيما بعد على أن يستأثر بنو العباس - دون الشيعة - بمهمة إنهاء الدولة الأموية مما خلق العداء لأول مرة بين الشيعة والعباسيين مع أنهم ينتسبون إلى أسرة بني هاشم منذ ظهور الإسلام ويبدو أن تكرار الفتن في الدولة الأموية أخذت تقصر من عمرها فظهر الأمل لدى بني العباس للنهوض وتنظيم صفوفهم وجمع المال والمؤيدين لنشر دعوتهم وهدم ملك بني أمية الذي اعتمد على العصبية العربية والقسوة في معظم المناطق غير العربية.. ولذل كانت فارس - التي عانت طويلاً من الحكم الأموي - مركزاً لظهور الدعوة العباسية.. وأصبح أهل خراسان يشكلون الساعد الأيمن لمحمد بن علي في نشر الدعوة العباسية وحتى وفاته عام ١٢٤ للهجرة.

١٢٩ **الوليد بن يزيد يتولى الخلافة الأموية** (١٢٥هـ/ ٧٤٣م)

استمر حكم هشام بن عبد الملك عشرين عاماً متتالية حافظ فيها على مجمل الأراضي التي كانت خاضعة للدولة الأموية بالرغم من كثرة الفتن والاضطرابات والثورات التي انتشرت في الولايات سواء في المشرق أم في المغرب.

وبعد وفاة هشام حل محله في الخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بعهد سابق من أبيه، في ربيع الثاني من عام ١٢٥ للهجرة، وكان عمره خمسة وثلاثين عاماً فسعى نحو الملذات والمتع مما عجل بنهاية حكمه.

١٣٠ **اغتيال الوليد بن يزيد بقصره** (١٢٦هـ/ ٨٣٣م)

كان الخليفة الأموي هشام يكره الوليد بن يزيد ولهذا رغب - قبل موته -

أن يخلفه ابنه مسلمة، ولكن مسلمة مات قبل وفاة أبيه هشام، فلما بويع الوليد بن يزيد للخلافة أخذ ينتقم من كل من وقف ضد بيعته ومنهم بطبيعة الحال أولاد هشام بن عبد اللملك. ثم أخذ بسياسة القسوة مع الرعية وخاصة عرب اليمانية الذين تمتعوا بثقة الخلفاء الأمويين من قَبله فثاروا عليه، وبايعوا ابن عمه يزيد بن الوليد الذي تمكن من دخول دمشق والسيطرة عليها ثم سير جيشاً لمهاجمة قصر الوليد بن يزيد خارج دمشق، ودخلوا عليه واغتالوه فطويت صفحته.

١٣١ انقسام البيت الأموي (١٢٦هـ/ ٧٤٤م)

بعد اغتيال الوليد بن يزيد بسبب فساده واسرافه تولى الخلافة يزيد بن الوليد فاستخدم القسوة في فرض النظام في الدولة ثم مات في ذي الحجة من عام ١٢٦ للهجرة، فخلفه شقيقه إبراهيم فمكث في كرسي الخلافة أشهراً قلائل ثم عُزل وتبعه مروان بن محمد الجعدي (وهو آخر خلفاء بني أمية) الذي لم يتمكن من إخماد الفتنة التي اندلعت بين عرب اليمانية (وهم العرب الذين هاجروا واستوطنوا الشام من قبل الفتح الإسلامي) وعرب القيسية (وهم بدو الحجاز الذين هاجروا إلى الشام أثناء الفتح الإسلامي).. ثم أخذت الثورات في الولايات الشرقية خاصة تندلع بما في ذلك خراسان والعراق.

١٣٢ الروم يعاودون احتلال قبرص (١٢٩هـ/ ٧٤٧م)

جاءت حملة البيزنطيين تلك لاعادة احتلال جزيرة قبرص من ضمن سلسلة حملات برية وبحرية للضغط على الأمويين الذين أخذوا يقاومون الدعوة العباسية الضخمة في الشرق.. فهاجموا العديد من المواقع في شمال الشام، ثم أرسلوا حملتهم الكبرى لاحتلال قبرص التي لم يكن فيها وقتئذ قوات إسلامية كافية فتمكن البيزنطيون من تدمير أغلب السفن الأموية ونزلوا الجزيرة وعاثوا بممتلكات المسلمين فساداً.

١٣٣ أبو مسلم الخراساني يجاهر بالدعوة العباسية (١٢٩هـ/ ٧٤٧م)

ظل كفاح العباسيين يتوالى للوصول بدعوتهم إلى مرحلة العلانية عندما أخذ أبو مسلم الخراساني الموالي لآل بيت النبي يطوف بسكان خراسان يدعوهم

للثورة ضد الحكم الأموي وساعده ذكاؤه ومعرفته بتاريخ الصراع ضد الأمويين على تأجيج الصراع بين العصبيات حتى استطاع بعد سنوات أربع أن يجمع القبائل والأسر الفارسية والعجمية من حوله، وفي شوال من عام ١٢٩ للهجرة أصبحت الدعوة العباسية علنية فرفعت الرايات السوداء - رمز العباسيين - حزناً على ما يبدو على من قتل منهم على أيدي الأمويين. . . وبعد عامين من ذلك استطاع أبو مسلم أن يسود خراسان بكاملها، وقد اعتبرت الخطوة الكبرى الأولى لظهور الدولة العباسية. وكان العباسيون قد اختاروا أبا العباس عبد الله بن محمد بن علي ليكون أول خليفة للعباسيين ولقبوه بأمير المؤمنين نسبة إلى لقب الخلفاء الراشدين.

١٣٤ العباسيون يسيطرون على العراق. (١٣٢هـ/ ٧٤٩م)

ما أن خضعت خراسان للعباسيين، إلا وامتد بصرهم للسيطرة على العراق بحكم التقارب الجغرافي وبحكم أن الكوفة وكانت أهم مدن العراق، كانت تحت سيطرة السكان الشيعة العلويين، وفي عام ١٣٢ للهجرة قام جيش تحت قيادة قحطبة بن شيب (وكان من قواد أبي مسلم الخراساني) بدخول العراق وهزيمة الأمويين واستطاع العباسيون بذلك دخول الكوفة في شهر صفر من نفس العام.

١٣٥ معركة نهر الزاب الأعلى وهزيمة الأمويين أمام العباسيين (١٣٢هـ/ ٧٥٠م)

أصبحت هزيمة الأمويين هي أكثر المهام إلحاحاً أمام أول خليفة عباسي وهو أبو العباس عبد الله، ولهذا نراه يجهز جيشاً ضخماً من ثلاثمائة ألف رجل كان أغلبهم من بلاد فارس (التي ساندت ودعمت وأقامت الدولة العباسية). . . ووضع عبد الله بن علي قائداً عاماً لهذا الجيش. وكان الخليفة الأموي مروان بن محمد الجعدي قد أعد هو الآخر جيشاً كبيراً من حوالي مائة وعشرين ألف جندي. والتقى الطرفان بالقرب من نهر الزاب الأعلى بشمال العراق، فدارت المعركة الكبرى بينهما واستمرت يومين هزم فيها الأمويون، وفر الخليفة الأموي عائداً إلى دمشق.

١٣٦ مصرع مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية واندثار دولتهم
(١٣٢هـ/ ٧٥٠م)

عندما فر الخليفة الأموي من معركة نهر الزاب الأعلى، أخذت مدن الشام الواحدة تلو الأخرى ترفض دخوله فيها إلى أن وصل إلى دمشق عاصمة الأمويين. . . ولكن جيش عبد الله بن على تبعه إلى أن دخل المدينة بعد حصار استمر أياماً قلائل وأخذ يتتبع كبار الشخصيات الأموية فيها، فقتل معظهم. وقد فر مروان من دمشق إلى الأردن ثم إلى فلسطين، ولكن جيش عبد الله كان يتبعه، ويخضع كل تلك المناطق للخلافة العباسية، فلم يتبقّ أمام الخليفة الإموي غير مصر التي كان أهلها لا يكنون وداً له نظراً لتعصبه وقسوته. . إلا أنه ما أن دخل مصر إلا ووجد أن قوات عباسية أرسلها أبو العباس قد أخذت تطارده من مكان إلى آخر حتى حاصرته في قرية صغيرة من قرى الفيوم تسمى بوصير. . وقد قتل هناك وقطعت رأسه، وأرسلت إلى أبي العباس في مدينة الكوفة كدليل أكيد على إنتهاء آخر أعدائه الأمويين، وبذلك طويت صفحة دولة بني أمية في دمشق. . . ومع ذلك فقد استمرت المذابح تطارد الأمويين حتى أن قبور زعماء الأمويين نفسها وعلى رأسها قبر معاوية بن أبي سفيان، قد نبشت وأحرقت.

ولقد حدثت انتفاضة لأشياع بني أمية في مدن هامة بالشام مثل دمشق والبلقاء وقنسرين بعد أن دخلها الجند العباسيين، حيث نكث الأهالي أعلام العباسيين السوداء، ولكن عبد الله بن علي قضى بقواته على تلك التمردات.

ويمكن القول أنه بالرغم من كل ذلك، فإن أميراً من أمراء بين أمية استطاع أن ينجو بنفسه والفرار من الشام واتجه غرباً إلى أن وصل إلى الأندلس، وهناك بويع للحكم، وأسس الدولة الأموية في الأندلس التي تعد من أزهى العصور التي عاشتها بلاد الأندلس.

(انظر: عبد الرحمن الداخل يؤسس الدولة الأموية بالأندلس عام ١٣٨هـ)

١٣٧ العباسيون يبنون مدينة العسكر كعاصمة لمصر (١٣٣هـ/ ٧٥٠م)

عندما دخل العباسيون مصر لأول مرة كانت مدينة الفسطاط هي عاصمة

البلاد والتي بنيت منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسرعان ما رغب العباسيون في إنشاء مدينة تخلد ذكراهم في مصر، فسارعوا ببناء مدينة العسكر يحكمون منها البلاد ويديرون من خلالها شؤونها. ولقد بنيت مدينة العسكر في زمن ولاية الفضل بن صالح بن علي العباسي وهو شقيق الخليفة العباسي المهدي، وكان موقعها إلى الشرق من الفسطاط وسميت بالعسكر لأن (عسكر) العباسيين أقاموا في موقعها بعد دخولهم مصر وإنهاء الحكم الأموي فيها.

١٣٨ أبو جعفر المنصور يتولى الخلافة العباسية (١٣٦هـ/ ٧٥٤م)

قبل وفاة أبي العباس تمكن من أن يصبح أقوى شخصية سياسية في العالم الإسلامي في ذلك الوقت بعد أن نجح في بسط نفوذه على مجمل الإمارات الأموية. وقد أوصى قبل وفاته بالأنبار بأن يخلفه أخوه أبو جعفر عبد الله (المنصور) الذي تولى الحكم عام ١٣٦هـ. . . وطوال سنوات حكمه تمكن ذلك الخليفة من أن يقوي الدولة العباسية الناهضة ويلتفت لشؤنها مثله في ذلك مثل الحكام الأقوياء الذين يعلمون أنهم يشاركون في تأسيس دولة قوية لتعيش مزدهرة أمداً طويلاً.

١٣٩ القيروان تستقل عن الدولة العباسية (١٣٧هـ/ ٧٥٥م)

تمكن عبد الرحمن بن حبيب الفهري (وهو قريب بالنسب لعقبة بن نافع) أن يوحد صفوف المسلمين في شمال أفريقيا ويثور على الدولة الأموية التي كانت تحتضر بالمغرب بعد زوالها في دمشق. . . ومما زاد من قوته انضمام قبيلة زناته وهي من أقوى قبائل البربر الذين أسلموا إليه، ولما قامت الدولة العباسية أرسل إليه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور يطلب منه موافاته بالضرائب فرفض عبد الرحمن ذلك وأعلن استقلاله عن الدولة العباسية. وبذلك أصبحت القيروان أول ولاية إسلامية تستقل ذاتياً عن الدولة العباسية وإن كانت تعترف بالمكانة الروحية للخليفة العباسي بالعراق. (أنظر عام ١٤٠ للهجرة).

١٤٠ صراع دموي على الخلافة العباسية (١٣٧هـ/ ٧٥٥م)

وقع صراع شديد بين الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور وعمه عبد الله بن علي بسبب طمع الثاني في الخلافة لكبر سنه وبطولاته السابقة وجهاده ضد الروم. واستطاع أن يجمع قادة عسكريين عباسيين في الشام حوله وبايعوه هم والجند الخراسانيون مما شكل خطراً كبيراً على الخليفة أبي جعفر الذي لجأ إلى أبي مسلم الخراساني فأعطى له الأمر بالخروج لمقاتلة عبد الله، ولما علم عبد الله بخروج أبي مسلم الخراساني بجنده قام بمذبحة كبرى للجند الخراسانيين في جيشه حيث قتل منهم سبعة عشر ألفاً وذلك خشية أن يقوموا بالانضمام إلى عدوه أبي مسلم الخراساني. ودارت معارك عنيفة بعد ذلك بين الجيشين بشمال الشام هزم فيها عبد الله فلجأ إلى شقيقه سليمان بن علي بالبصرة، حتى رأى الخليفة المنصور أن يغتاله وذلك سنة ١٤٧هـ.

١٤١ اغتيال أبي مسلم الخراساني (١٣٧هـ/ ٧٥٥م)

إن أبا مسلم الخراساني يعتبر أهم رجل ساعد على نجاح الثورة العباسية ودحر الأمويين. . . ومع ذلك فقد تم اغتياله بعد حوالي ثمانية أعوام من دعوته علناً بقيام الثورة العباسية في بلاد خراسان. ويبدو أن نفوذه وقوته كانا السبب الأهم في اغتياله، فقد خشي أبو جعفرالمنصور على سلطانه من أن يقوم أبو مسلم بالإطاحة به. . . فدبر له حيلة للايقاع به، فدعاه لقصره وطلب منه أن يعطيه سيفه ليعاينه، ثم أخذ ينتقد تصرفاته وخروجه على المألوف وارتكاب الذنوب. . . وكان أبو مسلم يعتذر عن كل ما ينسبه إليه الخليفة إلى أن وجد أن الخليفة ينوي قتله، فقال له أبو مسلم أنه الآن بعد كل جهاده لإقامة الدولة العباسية لا يخشى غير الله. فتضايق الخليفة من رده وأشار لبعض حراسه بأن يقتلوه. وكان ذلك في الخامس والعشرين من شهر شعبان عام ١٣٧هـ. وتخلص أبو جعفر بذلك من أشد أعدائه.

١٤٢ خراسان يسودها العصيان حزناً على اغتيال أبي مسلم الخراساني (١٣٧هـ/ ٧٥٥م)

شكل اغتيال أبي مسلم الخراساني صدمة كبرى لأهله وعشيرته الفارسية في خراسان.

فبعد كل ما قدموه لنصرة العباسيين وجدوا أنفسهم يخدعون ويقتل زعيمهم القوي فشعروا بالألم وأعلنوا خروجهم على الدولة العباسية، وتجمعوا للأخذ بثأر أبي مسلم والتفوا حول رجل يسمى فيروز الذي أظهر غضبه ونقمته على العباسيين ومبادئهم وصمم على الذهاب إلى مكة المكرمة لتحطيم الكعبة وهزيمة العرب. ووصلت الأخبار للخليفة أبي جعفر فأمر بخروج جيش كبير لملاقاة فيروز. والتقى الطرفان بالقرب من هزان بفارس فهُزم فيروز وقُتل من أتباعه حوالي ستين ألفاً.

١٤٣ عبد الرحمن الداخل يؤسس الدولة الأموية بالأندلس (١٣٨هـ/ ٧٥٦م)

بعد المذابح الكبرى التي جرت للأمويين في الشام استطاع أمير أموي الفرار من الشام إلى مصر ثم إلى المغرب الأقصى ثم عبر البحر ليصل إلى الأندلس في رحلة يمكن وصفها بالمعجزة. وقد كان نسبه الصحيح إلى معاوية بن أبي سفيان هو سنده في إثبات أحقيته بالملك. وتمكن بفضل مساعدة قبائل اليمانية التي هاجرت إلى الأندلس من تكوين جيش قوي استطاع الانتصار به على قبيلة مُضر التي كانت مسيطرة على الأندلس في ذلك الوقت في معركة كبرى تمسى المصارة في ذي الحجة من عام ١٣٨ للهجرة. وبذلك تمكن من دخول قرطبة ليحكم منها الأندلس على مدى أربعة وثلاثين عاماً كانت من أمجد سنوات الحكم الأموي بالأندلس. ونشرت كتب التاريخ الأندلسي العديد من الوقائع التي حاول فيها العباسيون دحر الأمويين بالأندلس حتى أن التحالف مع الأسبان ضد الأمويين كان شيئاً معتاداً يقوم به العباسيون للتخلص من منافسيهم في قرطبة.

١٤٤ استعادة مقاطعة ملطية من البيزنطيين (١٣٩هـ/ ٧٥٦م)

بعد أن لاحظ البيزنطيون أن الخلافة العباسية قد أخذت منذ بدايتها تركز على الأمور الداخلية ومواجهة حركات الخراسانيين بعد اغتيال أبي مسلم الخراساني، قاموا باحتلال مقاطعة ملطية الثرية بشمال الشام عام ١٣٨ للهجرة مما شكل تهديداً خارجياً على الدولة العباسية، فجهز أبو جعفر المنصور جيشاً كبيراً قاده شقيقه العباس بن محمد لاستعادة المقاطعة فنجح في مهمته وأعاد ملطية إلى الخلافة العباسية مرة أخرى.

١٤٥ الخوارج الصفارية يبنون مدينة سلجماسة بالمغرب الأقصى (١٤٠هـ/ ٧٥٧م)

لم يتمكن عبد الرحمن بن حبيب الفهري من تأسيس دولة قوية - بالرغم من خروجه على الخلافة العباسية - في شمال أفريقيا الغربي، إذ سرعان ما أخذت الدسائس تحاك بين أسرته والقبائل من حوله حتى لقي مصرعه. واستغلت قبيلة رفجومة الصفارية (نسبة إلى زياد الأصفر وهو أحد زعماء الخوارج) الضعف الذي تسلل إلى أسرة عبد الرحمن بن حبيب، فزحف رجالها نحو مدينة القيروان واحتلوها وقضوا بذلك على حكم الفهريين عام ١٣٩هـ. وقاموا بعد أن انتشروا في المغرب الأقصى ببناء مدينة سلجماسة في أقصى الجنوب من مدينة فاس، حيث اختاروا لها موقعاً تنتشر فيه الزراعة وعلى مقربة مفترق الطرق التجارية.

١٤٦ يوم الراوندية (١٤١هـ/ ٧٦٨م)

استمر العصيان في خراسان بعد مقتل أبي مسلم الخراساني الذي نظر له أهل خراسان على أنه الإمام المنتظر ليخلف المسلمين كافة، إلى أن ظهرت جماعة كبيرة منهم تسمى الراوندية (نسبة إلى إحدى قرى أصفهان تسمى رواند) آمنوا إيماناً عميقاً بأن روح الله ستحل في جسد أبي مسلم ليعود مرة أخرى. وقد بلغ بهم التصميم على الانتقام أنهم تمكنوا بالخدعة من محاصرة الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور وهو في قصره وكان عددهم حوالي ستمائة رجل ولم يكن عدد حراس القصر بكاف لصدهم.. ولكن قائداً عربياً حكيماً يدعى معن بن زائدة هب لإنقاذ الخليفة وتمكن من هزيمة الراوندية.. وسمي يوم القضاء عليهم بيوم الراوندية، وتمت مكافأة ابن زائدة أن أرسله المنصور والياً لليمن.

١٤٧ بناء بغداد (١٤١هـ/ ٧٥٨م)

مثل كل امبراطورية قديمة مترامية الأطراف في التاريخ سعى العباسيون إلى بناء مدينة ترمز لهم ولتراثهم ومجدهم... فقد رفضوا بالطبع أن يسكنوا دمشق عاصمة أعدائهم الأمويين. ورفض الخليفة العباسي أن تكون الكوفة عاصمة له بعد كل الفتن التي واجهته منها ولهذا أخذ يبحث هو ومستشاروه عن

مكان يصلح لبناء العاصمة الجديدة حتى فطن إلى موقع متسع على ضفاف نهرين عظيمين هما دجلة والفرات. ذلك الموقع الذي يشكل عنصراً استراتيجياً يمكن أن يجعل من أي مدينة تبنى فيه مدينة قوية. وموقع بغداد (وهي كلمة فارسية تعنى هبة الله) يجعلها في منتصف الأمصار الإسلامية الممتدة شرقاً وغرباً مما يتيح لها القدرة على الإدارة والتخطيط ومباشرة المسؤليات السياسية والحربية، وقد أعطى أبو جعفر المنصور لبغداد اسماً إسلامياً عربياً هو مدينة السلام.

.. وقد وضع حجر الأساس لبنائها في شهر ربيع الأول من عام ١٤١هـ وانتهى بناؤها عام ١٤٩هـ. ويذكر أن عدد بنائيها بلغ مائة ألف عامل وتكلف بناؤها ثمانية عشر مليون دينار. وكان شكلها دائرياً يحيط بها سوران هائلان، حفر أمام الخارجي منهما خندق عميق، وبني على مكان متسع بداخلها قصر الخلافة الذي سمي قصر الذهب.

ولقد اعتبرت بغداد في العصر العباسي أشهر مدينة في العالم وأكثرها جمالاً لعمارتها وفنونها وجمالها ونظامها ونظافتها، فتضاءلت مدن كبري أمامها في المشرق والمغرب.

١٤٨ فتح طبرستان (١٤٣هـ/ ٧٦٠م)

تلك واحدة من أهم أعمال الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور. فبلاد طبرستان القريبة من بحر قزوين امتنعت عن السقوط في يد الأمويين زمناً طويلاً لشراسة أهلها وصعوبة أرضها. وقد حاول الخليفة أبو جعفر المنصور فتحها عام ١٤١هـ ولكنه لم ينجح بسبب صعوبة اقتحامها والخسائر الشديدة التي لحقت بقواته، ولكنه أعاد الكرة عام ١٤٣هـ وتمكن قائده حازم بن خزيمة من السير إلى هناك ومحاصرة القلعة المنيعة بها واقتحامها بالحيلة، وبهذا خضعت طبرستان للخلافة العباسية وأصبحت لأول مرة من ولايات الدولة الإسلامية.

١٤٩ قيام الدولة الرستمية في الجزائر (١٤٤هـ/ ٧٦١م)

عندما تمكن الوالي العباسي على القيروان، من إخماد انتفاضة الأباضية (وهم طائفة من الخوارج الذين استولوا على القيروان من الخوارج

الصفارية ـ أنظر عام ١٤٠هـ) قام عبد الرحمن بن رستم وهو زعيم الأباضية بتونس بالفرار من العباسيين حتى وصل إلى مدينة تاهرت بالمغرب الأوسط (الجزائر اليوم) ووجد العون من قبائل الأباضية في تاهرت فبايعوه إماماً لهم، فأسس الدولة الرستمية التي عاشت حتى أواخر القرن الثالث للهجرة وامتدت حدودها من جنوب شرق تونس إلى جنوب تلمسان بالمغرب الأقصى.

وقد تأسست تلك الدولة المستقلة على مبادىء التسامح والتكافل والمساواة بين كل الناس.. تلك المبادىء التي جعلت القبائل تنضوي تحت لوائها وتدافع عنها على مدى مائة وخمسين عاماً متتالية.

أما رستم مؤسس الدولة فقد اتصف بالبساطة والتواضع وحسن الخلق والسيرة... وهذه صفات مكنت له في دولته خير تمكين.

١٥٠ الفتنة بالحجاز بقيادة محمد النفس الزكية (١٤٥هـ/ ٧٦٣م)

إن العباسيين الذين يفتخرون بنسبهم إلى أهل بيت النبي وقفوا بالمرصاد للشيعة الذين ينتسبون إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ولقد مر بنا كيف واجه الأمويون حركات الشيعة.. أما الآن فلم يختلف أمر البعاسيين عما كان يفعله الأمويون.

فقد ظهر بالحجاز رجل يدعى محمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي رضي الله عنه وكان يكنى بمحمد النفس الزكيّة استطاع أن يحشد سكان المدينة المنورة ومكة من حوله حتى أن الإمام الفقيه مالك بايعه ووقف خلفه يؤازره وينادي باسمه ويذم الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور. وتوسع العصيان بالحجاز ضد العباسيين عام ١٤٤هـ إلى أن أدرك أبو جعفر خطورته فأرسل لمحمد النفس الزكيّة يغريه بالمال والسلام فرفض محمد.. فأرسل الخليفة جيشاً كبيراً للحجاز بقيادة عيسى بن موسى تمكن من اقتحام المدينة وقتل الكثيرين من جند محمد، ثم تقدم رجل يدعى ابن قحطبة من محمد فقتله وقطع رأسه وصلب جسده. وكان ذلك في ١٤رمضان من عام ١٤٥ للهجرة.

151 هزيمة حملة العلاء بن مغيث العباسية ضد الأمويين بالأندلس

(١٤٦هـ/ ٧٦٣م)

ما أن تمكن عبد الرحمن الداخل من بسط سيطرته على الأندلس حتى بدأت المؤامرات الخارجية تحاك ضده. فقد اتفق الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور مع ملك الفرنجة شارلمان على هدم الحكم الأموي بالأندلس، فأرسل المنصور لواليه بالقيروان أن يتفق مع أحد رؤساء قبائل العرب اليمنية بالأندلس على مهاجمة عبد الرحمن فقام هشام بن عبد ربه الفهري بالثورة بمدينة طليطلة وجهز الوالي العباسي بالقيروان العلاء بن مغيث سبعة آلاف من جنده للابحار نحو الأندلس. وقد ساعد شارلمان على ثورة هشام بطليطلة إلا أن فطنة عبد الرحمن الداخل أسعفته فزحف بجيشه نحو طليطلة وهزم هشام وقتله... ثم سارع جنوباً بالتصدي للجيش العباسي الذي هبط على سواحل الأندلس الجنوبية. وتقابل الخصوم فرجّحت الشجاعة والذكاء كفة عبد الرحمن الداخل فانتصر على العباسيين وقتل العلاء بن مغيث وأرسل رأسه إلى الخليفة البعاسي المنصور الذي حزن حزناً شديداً وأوقف مؤامراته تجاه الأمويين بالأندلس.

(ولكنها تكررت مرة أخرى.. أنظر موقعة مضيق رونسسفال عام ١٦١هـ)

152 وفاة الإمام الشيعي جعفر الصادق (١٤٨هـ/ ٧٦٥م)

ترجع أهمية أفكار الإمام جعفر الصادق بالنسبة للشيعة إلى أنها أبعدتهم عن الفناء الكامل على يد بني أمية الذين وجدوا في أهل بيت النبي عليه الصلاة والسلام عدواً سياسياً لهم. ولكن بعد مذبحة كربلاء واستشهاد الحسين بن علي، واستمرار الاضطهاد الأموي للعلويين، ظهرت أفكار جعفر الصادق لكي لا يقاوم الشيعة البيت الأموي حتى تنتهي دولتهم وتزول، فقوة بني أمية كانت قادرة دائماً على دحر كل أعدائها من الداخل وليس من الحكمة التصدي لها بالرغم من تكرار الانتفاضات ضد الأمويين.

ويرجع للإمام جعفر الصادق ومعاونيه من فلاسفة الشيعة وخاصة هشام بن الحكم التفاف الشيعة حول مفهوم النص والوصية (من

الرسول ﷺ)... حيث اعتقدوا ولا زالوا أن إمام المسلمين يجب أن يكون من نسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأن الرسول عليه الصلاة والسلام ـ كما يعتقدون ـ قال للمسلمين في طريق عودته من حجة الوداع: (من كنت مولاه فعلي مولاه). وكما قال عليه الصلاة والسلام لعلي: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)... وكما قال عليه الصلاة السلام للمسلمين في بداية ظهور الإسلام في مكة بينما علي بن أبي طالب رضي الله عنه موجود بجواره وهو صبي: (إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم).

ويعتبر الإمام جعفر الصادق الإمام السادس من أئمة الشيعة المنحدرين من نسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والسيدة فاطمة الزهراء وقد توفي عام ١٤٨هـ بعد أن رأى سقوط الدولة الأموية التي مزقت شمل الشيعة تمزيقاً مروعاً.

١٥٣ انقسام فكر الشيعة (١٤٨هـ/ ٧٦٥م)

ترك الإمام جعفر الصادق بعد وفاته أبناءه بدون أن يكون واضحاً للشيعة أياً منهم له الحق الواضح في استخلافه. فوقع انقسام كبير في الفكر الشيعي أتضح منه جانبان: الأول يخص الشيعة الذين شايعوا الإمام موسى الكاظم وآمنوا بأن أئمة الشيعة يجيب أن يكونوا منه ثم من أبنائه من بعده حتى الإمام الشيعي الثاني عشر وهو محمد بن الحسن العسكري الذي اختفى في أحد الكهوف بمدينة سامراء (أنظر عام ٢٦٥هـ). وعرف هؤلاء بالشيعة الأثني عشرية نظراً لأن الإمامة توقفت عند الإمام العسكري الذي اختفى والذي يعتقد المؤمنون به بأنه سيظهر ليطهر الأرض من الظلم والطغيان والفساد. أما الجانت الثاني فيخص الشيعة الذين شايعوا الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق (وهو أخو الإمام موسى الكاظم) والذي يستمر أبناؤه في الظهور بدون انقطاع ليظهر منهم الخلفاء الفاطميون فميا بعد (أنظر عام ٢٩٧هـ) وأولهم الإمام أبو محمد عبيد الله المهدي. وعرفت تلك الطائفة بالشيعة الإسماعيلية أو الباطنية.

وكلا الطائفتان تؤمنان بعصمة الإمام ـ لأنه من نسل علي وفاطمة الطاهر الذي وضع فيهم الله التقوى والعصمة من الخطأ.

ولذلك فالشيعة سواء أكانوا من الاثني عشرية أو من الإسماعيلية الباطنية لا يؤمنون بالشورى وبالتالي لا يثقون في حكم أي إنسان مسلم وإن توافرت فيه كل صفات القيادة طالما لا يمتد نسبه إلى علي وفاطمة رضي الله عنهما.

١٥٤ القضاء على أستاذ سيس الخراساني (١٥٠هـ/ ٧٦٧م)

استمر عصيان الخوارزمية في إيران حزناً على مقتل أبي مسلم الخراساني إلى أن ظهر رجل من خراسان يدعى أستاذ سيس تمكن من حشد ما يقرب من ثلاثمائة ألف ثائر غاضب احتل بهم مدن خراسان الكبرى بعد أن دحر العباسيين فيها... فاستخدم أبو جعفر المنصور الحيلة وأرسل جيشاً من حوالي عشرين ألفاً استطاع من خلاله أن يأسر سيس وهو متحصن بالتلال ودارت مذبحة كبرى للخراسانيين حيث قتل منهم حوالي ثمانين ألف رجل.

١٥٥ وفاة الإمام أبي حنيفة النعمان (١٥٠هـ/ ٧٦٧م)

كان مولده رضي الله عنه بمدينة الكوفة عام ٨٠ للهجرة. ولما كان العصر الذي تربى فيه عصر علم واجتهاد فقد أخذ ينهل من المعارف الدينية من حوله حتى أسس مذهبه الذي عرف باسمه حتى يومنا هذا وأصبح له أتباع في العديد من الدول العربية والإسلامية وبعض مناطق بلاد فارس وبعض أجزاء من الهند وآسيا والمناطق الإسلامية في أوروبا.

ويبدو أن اختلاطه بأهل فارس والشيعة جعله يدرك معنى الاجتهاد الذي يمكنه به أن يرد على المزايدين منهم.. ولهذا فمذهبه يعتمد على قيمة الرأي والقياس.

وقد توفي رحمه الله في مدينة بغداد عام ١٥٠ للهجرة ودفن فيها.

١٥٦ محمد المهدي يتولى الخلافة العباسية (١٥٨هـ/ ٧٧٥م)

استمر حكم أبو جعفر المنصور حوالي اثنتين وعشرين سنة، ولكن قبل وفاته سنة ١٥٨هـ كان قد اختار ابنه محمد (الملقب بالمهدي) ولياً للعهد منذ سنة ١٥١هـ لكي يثبت أن العباسيين وحدهم هم الذين لديهم الحق في حكم المسلمين. وطوال تلك السنوات السبع كان المهدي يكتسب الخبرة من أبيه في

إدارة شؤون الدولة وكيفية سياستها وحكمها.. وهذا ما مكنه من بسط نفوذه على كافة أرجاء الدولة شرقاً وغرباً.

١٥٧ موقعة مضيق رونسسفال بالأندلس (١٦١هـ/ ٧٧٨م)

كانت هذه محاولة عباسية في الأساس لهزيمة بني أمية في الأندلس في عهد الخليفة المهدي بعد أن فشلت محاولة عباسية أولى للتحالف مع القبائل المناوئة للأمويين هناك.

فقد ظهرت فتنة بالأندلس ضد الحكم الأموي قام فيها حاكم مدينة سرقسطة (شمال شرق الأندلس) سليمان بن يقظان بالتحالف مع العباسيين في بغداد ومع شارلمان قائد الفرنجة لإنهاء الحكم الأموي بقرطبة. فخرج شارلمان على رأس جيش كبير من المرتزقة متجهاً إلى سرقسطة، ونزل جيش البربر الذي تم تجميعه بواسطة العباسيين من شمال أفريقيا على الساحل الجنوبي للأندلس. وهنا قام عبد الرحمن الداخل حاكم الأندلس الأموي بالإسراع تجاه الجنوب ودمر القوات التي نزلت على الشاطىء الجنوبي وأحرق سفنها ثم التفت عائداً لمواجهة شارلمان الذي لم يتمكن من دخول سرقسطة لثورة أهلها على سليمان الذي وافق على التحالف مع العدو شارلمان ضد الحكم الإسلامي بالأندلس، فتمكن شارلمان بالحيلة من اختطاف سليمان ليعاقبه على وعوده الكاذبة له (من أن المدينة ستكون مفتوحة عندما يدخلها) ورحل إلى الشمال. وأثناء عبوره مضيق يسمى مضيق رونسسفال أحاط العرب وقبائل الباسك بمؤخرة جيش شارلمان المحملة بالغنائم وأبادوها بما فيها من قادة فرنجة مشهورين.

وتعتبر تلك المعركة هزيمة قاسية للفرنجة الذين انتفخت أوداجهم بعد معركة بلاط الشهداء.. كذلك تعتبر آخر المحاولات العباسية الكبرى لهزيمة الحكم الأموي بالأندلس..

١٥٨ بناء مدينة تاهرت الإسلامية كعاصمة لدولة الرستميين (١٦١هـ/ ٧٧٨م)

استمر عبد الرحمن بن رستم يوسع نطاق دولته حتى تمددت شرقاً وغرباً، وإن كان لم يحظَ بمواقع هامة على ساحل البحر الأبيض لوعورة الجبال

ولرغبته في السيطرة على طرق التجارة البرية التي تربط المغرب الأقصى بتونس (مكان تواجد العباسيين)، وطرق التجارة التي تربط المغرب الأوسط بأواسط أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. فاختار موقعاً استراتيجياً بالداخل وبنى فيه عاصمة كبرى لدولته سماها بمدينة تاهرت وبنى فيها مسجداً كبيراً. ولقد أصبحت تلك المدينة بمرور الوقت مركزاً هاماً لنشر الإسلام وترسيخه في تلك المناطق حتى لقد وصفها الرحالة في ذلك الوقت بأنها عراق المغرب.

ولأن الثقافة هي أساس الحضارة وحاميتها على مر العصور، ولما كان الرستميون متحضرين فقد أسسوا مكتبة كبرى تتناسب مع دولتهم المزدهرة أسموها مكتبة المعصومة حوت بمرور السنين ما لا يقل عن ثلاثمائة ألف مرجع ومجلد ومخطوط.

١٥٩ القضاء على فتنة الزنادقة بقيادة المقنع بفارس (١٦٣هـ/ ٧٧٩م)

الزنادقة فئة خارجة عن تعاليم الإسلام، ظهر متبعوها بوضوح في بلاد فارس التي كانت الديانات الفارسية الوثنية لم تمت فيها حتى بعد دخول الإسلام.

وقد اشتدت تلك الحركة وزاد خطرها في عهد الخليفة المهدي عندما ظهر فيهم رجل يدعى عطاء الملقب بالمقنع وذلك لارتدائه قناعاً على وجهه صنع من الذهب. وكان المقنع يؤمن بتناسخ الأرواح وبانبعاث الديانات الفارسية القديمة وإباحة كل المحظورات والمحرمات. واستطاع المقنع استمالة قبائل وتجمعات فارسية عديدة حوله، فخشي الخليفة المهدي ذلك وأرسل إليه جيشاً بقيادة سعيد الحرشي استمر في مطاردته والسيطرة على البلدان التي كانت تؤازره حتى حاصره في قلعة تدعى سنام في مقاطعة سمرقند. . ولكن المقنع خشي أن يُؤسر أو يعذب فانتحر هو وأسرته وطويت صفحته وانتهت فتنته.

١٦٠ هارون الرشيد ينتصر على البيزنطيين (١٦٥هـ/ ٧٨١م)

منذ أن تولى الخليفة العباس المهدي الخلافة وهو يقوم بحملات عسكرية ضد البيزنطيين ـ وإن كانت محدودة ـ كان الهدف منها ردعهم عن

التفكير في مهاجمة الدولة العباسية. وفي محاولة أراد بها اختبار مدى كفاءة ابنه هارون الرشيد أرسله لقتال الروم في آسيا الصغرى الغربية فطاردهم الرشيد حتى مضيق البسفور، ذلك المضيق الذي يقع على الطرف الآخر له مدينة القسطنطينية. وكان من نتيجة ذلك الهجوم أن خضعت له الأميرة إيرين وقبلت دفع جزية كبيرة للخلافة العباسية مقدارها تسعون ألف دينار ذهبي كل عام. وقد اعتبر ذلك إذلالاً للروم الذين أفسدوا الممتلكات الإسلامية طويلاً إبان نهاية الدولة الأموية وبداية عصر العباسيين.

١٦١ ثورة دحية بن مصعب الأموية في مصر ضد العباسيين (١٦٥هـ/ ٧٨٢م)

يبدو أن نجاح الأمويين بالأندلس قد شجع بقاياهم بالإمارات العباسية وخاصة بمصر على الثورة على الحكم العباسي رغم بأسه وقوته. فقد ثار أحد الرجال الأمويين ويدعى دحية بن مصعب على الخلافة العباسية في مصر (أثناء ولاية الأمير إبراهيم بن صالح العباس زوج ابنة هارون الرشيد). واستطاع دحية إخضاع صعيد مصر لأفكاره حتى بدأت الفوضى تعم البلاد. فقام الخليفة المهدي بإرسال الفضل بن صالح لإمارة مصر وكلفه بتصفية تمرد دحية.. فأخذ بن صالح يطارد دحية عدة أشهر حتى تمكن منه وقتله وأرسل رأسه إلى المهدي كدليل على انتهاء الفتنة بمصر.

١٦٢ الهادي يتولى الخلافة العباسية (١٦٩هـ/ ٧٨٥م)

نظراً للدسائس التي كانت تملأ بيت الخلافة العباسية، فإن المهدي قام باستخلاف ابنه الهادي بعيداً عن العراق (من جرجان بالقرب من بحر قزوين) نظراً للضغوط التي وقعت عليه من زوجته الخيزران أم هارون الرشيد والتي رغبت في أن يتولى هارون الخلافة بعد أبيه.. وبالرغم من ذلك فقد ضغط المهدي على ابنه الهادي بأن يتنازل عن ولايته في جرجان حتى يخلو الطريق لتولى هارون الخلافة، فرفض الهادي ذلك فسافر أبوه إليه ولكنه مات في الطريق أو أنه اغتيل بسلاح أو بدس السم. وتذهب التحليلات التاريخية إلى أن ابنه الهادي كان وراء ذلك الفعل. فقدكان مهدداً من قبل أبيه، وبالرغم من ذلك فإن

الهادي الذي كان لا يزال في جرجان عاد إلى بغداد ليتسلم كرسي الخلافة نظراً لأنه كان ولياً للعهد رسمياً حيث أجريت له البيعة للخلافة من قبل وفاة أبيه وبهذا تم استبعاد هارون الرشيد الذي قبل بأن يخلف شقيقه. . . وهذا ما حدث بالفعل.

١٦٣ موقعة فخ بين الشيعة والعباسيين (١٦٩هـ/ ٧٨٦م)

ارتفع شأن الشيعة في عهد المهدي فارتقوا المناصب وتملكوا الأراضي. . ولكن الهادي عاد ـ مثل جده أبي جعفر المنصور ـ لإساءة معاملتهم فخرج شيعي منهم يدعى الحسين بن عليّ على رأس جماعته واتجهوا في موسم الحج ليحتلوا المسجد النبوي الشريف بالمدينة وأذن فيه الحسين بآذان الشيعة، فالتف الناس من حوله وأخذوا يبايعونه للخلافة فنادى على العبيد وأخبرهم بأنهم أحرار. وأنفق خزانة بيت المال على فقراء المدينة ومكة ولكن الخليفة العباسي لم يمهله كثيراً فأرسل جيشاً بقيادة العباس بن محمد استطاع بعد معركة شديدة أن يهزم الشيعة ويقتل الحسين فقطع رأسه وأرسله للهادي ببغداد الذي أرسله بدوره لبلاد خراسان لقتل الروح المعنوية لدى الشيعة هناك.

وقد حدثت هذه الواقعة بواد يسمى وادي فخ في ضواحي مكة المكرمة. وبالرغم من ذلك فقد فر أحد كبار الدعاة العلويين من العباسيين (وهو إدريس بن عبد الله) بعد تلك الموقعة ويرجع أصله إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث اتجه إلى تلمسان بالمغرب وأسس دولة علوية قوية هناك (انظر دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى عام ١٧٢هـ).

١٦٤ بناء مسجد قرطبة الجامع (١٧٠هـ/ ٧٨٦م)

ابتدأ عبد الرحمن الداخل أمير الأندلس الأموي القوي ـ قبيل وفاته ـ في بناء مسجد قرطبة الجامع في عام ١٦٨ للهجرة ليكون أعظم مساجد الأندلس الإسلامية. وهو بذلك أول مسجد جامع بالأندلس حيث لم يبن هناك بعد الفتح عام ٩٣هـ إلا مساجد صغيرة بغرض الصلاة.

وقد بلغت الساحة التي بنى فوقها المسجد القرطبي حوالي خمسة وعشرين

ألف متر مربع. وهو يقع في جنوب غرب العاصمة قرطبة. ويبلغ طول مئذنته حوالي ثمانين متراً. . وامتلأت قاعاته الفاخرة بالأعمدة المرمرية الرائعة، وزينت جدرانه وأسقفه بآيات من القرآن الكريم. وبتعاظم الازدهار في الدولة الأموية بالأندلس تحول المسجد إلى أعظم جامعة إسلامية في العصور الوسطى. ولقد أحاطت بالمسجد القرطبي حدائق غناء بديعة التنظيم والجمال لتضفي عليه المزيد من الروعة والهدوء والجلال. وتم إدخال أنابيب من الرصاص لا تنقطع المياه عنها. . أما قاعاته العديدة فقد خصصت لأغراض مختلفة، تضم قاعة للعلماء، وقاعة للتلاميذ، وقاعة للسفراء وكبار الزوار وأخرى للسيدات وغيرها والقاعات تتنافس جميعاً في روعة الفنون الإسلامية الأندلسية، وتظهر مدى القوة والمجد الذي كانت عليه حال الدولة الأموية هناك في ذلك الوقت.

ولكن بسقوط قرطبة المؤلم (انظر عام ٦٣٣هـ) أخذ الإسبان يشوهون في معالم ذلك الجامع التاريخي العظيم فمنعوا فيه الصلاة ثم حولوه إلى كنيسة كاثوليكية مليئة بالأصنام والصور والأجراس.

١٦٥ **اغتيال الخليفة العباسي الهادي بواسطة أمه** (١٧٠هـ/ ٧٨٦م)

لم تطل خلافة الهادي لأكثر من عام. فالمؤامرات التي كانت تحاك بداخل قصر الخلافة لم تنقطع. ويبدو أن الهادي لم يكن يجهل أثر أمه في رغبتها في الهيمنة على أمور الدولة. . فهو لم يكن مثل هارون الرشيد في استسلامه لتطلعات أمه السياسية ولهذا فقد رأت أنه لا خلاص لها منه إلا باغتياله. . واتخذت مرضاً ألم به وسيلة لذلك بالتعاون مع جوارٍ لها فقتلوه بالخناجر شرق بغداد. . فمات مثل أبيه مقتولاً. ويرجع سبب ذلك إلى أن الهادي أراد تولية ابنه موسى بدلاً من ترك الولاية لأخيه هارون الرشيد. ويبدو أن وزير القصر يحيى بن خالد هو الذي دبر خطة الاغتيال.

١٦٦ **هارون الرشيد يتولى الخلافة العباسية** (١٧٠هـ/ ٧٨٦م)

بعد أن نجحت المؤامرة التي دبرت لاغتيال الهادي، استطاع هارون الرشيد البالغ من العمر اثنتين وعشرين سنة أن يصبح خليفة للدولة العباسية، وكان ذلك في منتصف ربيع الأول سنة ١٧٠هـ. ولا شك أن الطريقة التي جاء

بها هارون الرشيد للحكم قد مكنت أمه من السيطرة على مجريات الأمور، وساعدها على ذلك الوزير يحيى بن برمك الذي قام بتربية هارون وتنشئته، ذلك الرجل الذي تمكن من السيطرة على الخليفة الجديد خاصة بعد وفاة أمه الخيرزان بعد تولي ابنها الخلافة بثلاث سنوات.

وقد استعان يحيى البرمكي بأقاربه وأهله من الفرس في إدارة شؤون دولة بالغة القوة والرفاهية، وإليه تعود سيطرة البرامكة على البيت العباسي إلى حين. (انظر تصفية نفوذ البرامكة عام ١٨٧هـ).

١٦٧ إنشاء مكتبة قرطبة الضخمة بالأندلس (١٧١هـ/ ٧٨٧م)

إن قرطبة عاصمة الأمويين بالأندلس أخذت في الازدهار حتى غدت أرقى مدينة أوروبية.. ولا يمكن لمطلع على أحوال المدن الأوروبية العديدة من ذلك الوقت إلا أن يُبهر بروعة الحضارة ومدى الازدهار والرقي الذي بلغته قرطبة الإسلامية. ولقد اهتم الأمويون كأصحاب دولة متحضرة بإنشاء مكتبة ضخمة بمدينة قرطبة حوت أمهات كتب العالم الإسلامي والبيزنطي والفارسي والهندي. وفي عهد الخليفة الأموي الأندلسي الحكم المستنصر (انظر عام ٣٥٠هـ)، بلغ عدد الكتب لديه ما لا يقل عن أربعمائة ألف كتاب ومخطوط. وكان الحكم يرسل مبعوثيه لشراء الكتب من كافة بقاع العالم المعروف بالثقافة والعلم. وقد انعكس ذلك على صورة نهضة أدبية وعلمية جعلت من الأندلس منارة للثقافة والرقي العقلي الواسع النطاق. ويعود فضل إنشاء مكتبة قرطبة إلى الأمير عبد الرحمن الداخل الذي وضع حجر أساسها ليكمل بذلك أركان دولته الراقية بينما كانت دول أوروبية عديدة تعيش عصور الظلام والجهل.

١٦٨ قيام دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى (١٧٢هـ/ ٧٨٩م)

استطاع إدريس بن عبد الله ـ وهو شقيق محمد النفس الزكية الذي قاد العصيان في الحجاز ضد العباسيين (انظر عام ١٤٥هـ وعام ١٦٩هـ) ـ أن يهرب إلى المغرب بعد موقعة فخ عام ١٦٩ للهجرة. وقد احتفى الناس به وخاصة قبائل البربر، فأيدوه وناصروه واختاروه إماماً علوياً عام ١٧٢هـ فأصبح مؤسس دولة الأدارسة التي أصبحت دولة إسلامية مستقلة عن الخلافة العباسية.

ولم تكن المسافة الشاسعة بين بغداد في الشرق ومدينة (وليلي) التي اتخذها الأدارسة عاصمة مؤقتة لهم قبل بناء مدينة فاس (انظر الخبر التالي عام ١٧٢هـ) تشكل عقبة أمام هارون الرشيد الذي صمم على الخلاص من إدريس.

ومهما كان الأمر فإن انبثاق دولة الأدارسة في المغرب كان نتيجة مباشرة للفتن التي أخذت تظهر أمام العباسيين فأصبح فكر الخوارج محاصراً لهم في فارس وفي المغرب الأقصى على حد سواء.

١٦٩ الأدارسة يبنون مدينة فاس عاصمة لدولتهم بالمغرب الأقصى

(١٧٢هـ/ ٧٨٩م)

كانت مدينة (وليلي) مقراً مؤقتاً للأدارسة حتى قامت دولتهم. ولهذا قام إدريس بن عبد الله باختيار مكان يصلح ليشيد فيه عاصمة دولته. فوقع اختياره على مكان آمن بداخل الصحراء كان يستخدمه كمعسكر لقواته وبنى فيه مدينة فاس المعروفة بذلك الاسم حتى اليوم. وببناء تلك المدينة العظيمة رسخت أسس الإسلام وانتشر بين القبائل من حولها وحتى عمق الصحراء.

١٧٠ وفاة عبد الرحمن الداخل بالأندلس (١٧٣هـ/ ٧٨٩م)

بعد ثلاثة أعوام من تشييده لمسجد قرطبة الجامع، توفي عبد الرحمن الداخل بعد أن أسس دولة بني أمية البالغة القوة والثراء بالأندلس.

وكما جرت العادة في الدولة الأموية بدمشق، فقد ترك عبد الرحمن الداخل ابنه هشام حاكماً لدولته بعد أن أعده ومرّنه وسيسه وهذب أخلاقه وصفاته حتى نعم بحكمه سكان الأندلس وشبهوه بالخليفة العظيم عمر بن عبد العزيز.

ولا يمكن تقدير مكانة عبد الرحمن الداخل حق قدرها إلا إذا علمنا كيف حاصره الأعداء من كل جانب. فالفرنجة والإسبان كانوا في الشمال، والأدارسة العلويون الكارهون للأمويين كانوا ـ عبر جبل طارق ـ في المغرب الأقصى، والعباسيون الذين يطاردون الأمويين في كل مكان كانوا في القيروان.

وبالرغم من هذا فقد انتصر عليهم وأسس دولة قوية عظيمة في الأندلس الإسلامية.

١٧١ اغتيال إدريس بن عبد الله مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب (١٧٥هـ/ ٧٩١م)

كان ظهور دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى وإيمانها بمعاداة العباسيين مبعثاً على القلق لدى الخليفة العباسي هارون الرشيد، الذي فوجىء فيما يبدو بأن إدريس بن عبد الله استطاع في زمن وجيز حشد قوات عسكرية كبيرة عام ١٧٣ للهجرة وبسط نفوذه على مجمل الأراضي التي تشكل المغرب الأقصى. فدبر هارون الرشيد خطة للتخلص من إدريس فاغتاله بالسم بحيلة من حيل مستشاره يحيى البرمكي عام ١٧٥ للهجرة. ومع ذلك فلم يتم القضاء على دولة الأدارسة باغتيال مؤسسها. بل إن تلك الدولة ـ مدفوعة بكراهية العباسيين ـ استمرت في البقاء حتى عام ٣٦٣هـ. بل إنها ساعدت مساعدة مباشرة على ظهور الدعوة الفاطمية التي شكلت فيما بعد أخطر عدو للعباسيين.

١٧٢ هشام بن عبد الرحمن الداخل يهاجم جنوب فرنسا (١٧٧هـ/ ٧٩٢م)

استطاع هشام بن عبد الرحمن الداخل من السير سيرة أبيه فحطم خصومه بما في ذلك إحباط محاولة أخيه سليمان بن عبد الرحمن الذي طمع في الاستيلاء على الحكم.

وما أن هدأت الأحوال حتى نادى في الناس نداء الجهاد والزحف على جنوب فرنسا، حيث تكررت محاولات ملكها شارلمان في الاعتداء على الأراضي الأموية. وبجيش قوامه مائة ألف رجل قام هشام بتوجيه نصفه لمهاجمة الإسبان في مملكة جليقية والنصف الآخر للزحف على جنوب فرنسا. وبينما كان الجيش الأول يدمر حصون الإسبان ويلحق بهم الهزائم، توجه الجيش الثاني تجاه جبال البرانس (الفاصلة بين فرنسا واسبانيا) فعبرها وتوغل بجنوب فرنسا. وبالرغم من أن الفرنسيين خرجوا من كل الجهات لمواجهة الأمويين إلا أن الجيش الأموي استطاع الوصول إلى مدينتي أربونة وقرقشونة حيث أنزل الأمويون بالفرنسيين هزائم شديدة، وألحقوا بهم خسائر فادحة.

١٧٣ إحباط فتنة الوليد بن طريف (١٧٩هـ/ ٧٩٥م)

إن الخوارج الذين انتشروا في كافة أنحاء الدولة العباسية لم ييأسوا فيما

يبدو من قدرتهم على الفوز وهزيمة العباسيين. وقد تجلت أخطر محاولاتهم إبان عصر هارون الرشيد فظهر فيهم رجل يدعى الوليد بن طريف الشاري، استطاع جمع القبائل حوله وأخذ ينشر العصيان والتمرد في أرجاء العراق وفارس وما جاورهما.. حتى أن هارون الرشيد ضاق من ذلك فجمع لمقاتلته جيشاً كبيراً تحت قيادة رجل يدعى يزيد بن يزيد. فالتقى الجيشان في قتال ضار إلى أن سقط الوليد بن طريف صريعاً وخمدت الفتنة.

١٧٤ وفاة الإمام مالك بن أنس (١٧٩هـ/ ٧٩٥م)

ولد الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه بالمدينة المنورة عام ٩٤ للهجرة، وهو من قبيلة ذي أصبع اليمنية. وكان وجوده بمدينة الرسول عليه الصلاة والسلام قد هيأ له التفقه في علوم القرآن والحديث فوضع كتابه العظيم (الموطأ) الذي ظهر منه حرصه على البحث عن صحة ما يكتب. وقد كانت محاضراته في المسجد النبوي الشريف وسيلة هامة لكي يعرفه الناس من المشرق والمغرب. وقد أسس مذهباً إسلامياً عاش حتى يومنا هذا وهو المذهب الذي عرف باسمه والذي يعتمد على الأخذ بالأحاديث المروية عن النبي ﷺ. وقد توفي رحمه الله بالمدينة المنورة عام ١٧٩ للهجرة أما مذهبه فينتشر بصفة خاصة في بلاد شمال أفريقيا والدول العربية الصغيرة المطلة على الخليج العربي والسودان وبعض مناطق جنوب مصر.

١٧٥ وفاة هشام بن عبد الرحمن حاكم الأندلس (١٨٠هـ/ ٧٩٦م)

استمر حكم هشام بن عبد الرحمن ثمانية أعوام إلا قليلاً حتى حضرته الوفاة عام ١٨٠ للهجرة وقد تولى بعده ابنه الحكم بن هشام الذي اختلف في سياسته عن أبيه. حيث اتصف منهجه السياسي بالنزعة العملية التي لا يؤثر عليها الفقهاء الذين اعتقد أنهم يستغلون الدين في أمور قد تعود بالضرر على الدولة.. ومع ذلك فلم تَخْلُ سنوات حكمه الستة والعشرين من قلاقل داخلية شديدة وثورات كان لها انعكاسات سياسية بالغة الأهمية.

١٧٦ القضاء على الحرب الأهلية بالشام (١٨٠هـ/ ٧٩٦م)

كان بالشام عصبيات عرقية من قبل دخول الإسلام هناك، خاصة ذلك

العداء المستحكم بين القيسيين واليمانيين. وعندما دخل العباسيون الشام أخذوا يزيدون العداء بين الطائفتين ليتسنى لهم السيطرة عليهما معاً. ولكن يبدو أن الصراع أخذ يشتد بحيث شكل خطراً على وجود جنود الشام في الجيش العباسي... فأرسل هارون الرشيد سنة ١٨٠هـ جعفر بن يحيى البرمكي (الذي خلف أباه الوزير يحيى البرمكي بعد وفاته) إلى الشام فقضى على النزاع وشتت المتحاربين وجمع أسلحتهم ليقضي بذلك على خطر كان يمكنه أن يشكل تهديداً للوجود العباسي بالشام.

١٧٧ قيام دولة الأغالبة في شمال أفريقيا (١٨٤هـ/ ٨٠٠م)

كان العرب في شمال أفريقيا كثيري التمرد على الخلفاء الأمويين ثم العباسيين، إلى أن استطاع هارون الرشيد أن يجد حلاً لذلك التمرد بإعطاء الحكم الذاتي لتلك الولاية إلى واليها إبراهيم بن الأغلب اليمني الذي أصبح المؤسس لدولة الأغالبة على أن يقوم بدفع جزية لبيت المال العباسي قدرها أربعين ألف درهم، وعلى أن يصبح حكم الولاية وراثياً في أسرة إبراهيم بن الأغلب. وبذلك استقرت الأحوال وظهرت طفرة في الفكر السياسي العباسي بظهور فكرة الحكم الذاتي لبعض الإمارات مع استمرار الارتباط في نفس الوقت بمركز الخلافة العباسية في بغداد وبالدور الروحي للخليفة.

١٧٨ بناء مدينة العباسية عاصمة دولة الأغالبة (١٨٤هـ/ ٨٠٠م)

بالرغم من أن الأغالبة أقاموا دولتهم بتونس التي كانت مزدهرة بالمدن المتحضرة حتى من قبل دخول الإسلام بها، إلا أن إبراهيم بن الأغلب شرع في بناء مدينة جديدة على مسافة خمسة كيلو مترات من مدينة القيروان أسماها العباسية تقرباً للدولة العباسية التي ساعدته وأيدته ووافقت على قيامه بتأسيس دولته. ولقد احتوت المدينة على مقر للحكم ودور لكبار الأعيان، وقسمت لتحوي منازل للعرب والبربر حتى يسهل اختلاط المسلمين كافة في المدينة فيشعروا بالألفة وتزداد فيما بينهم أواصر المحبة والعطف والمشاركة.

١٧٩ سقوط مدينة برشلونة الإسلامية في يد الإسبان (١٨٥هـ/ ٨٠١م)

أحدث سقوط مدينة برشلونة الأندلسية المطلة على البحر الأبيض بعد

تسعين سنة تقريباً من الحكم الإسلامي، هزة وصدمة شديدتين للخلافة الإسلامية في ذلك الوقت... فالمدينة كانت جيدة التحصين ولكن الفتن السياسية التي تكررت ضد الحكم الأموي، ساعدت مساعدة مباشرة على تشجيع الإسبان والفرنجة في الشمال من الزحف السريع على المدينة ومحاصرتها ودك حصونها وأسوارها بالمنجنيق. ولم تتمكن القوات التي أرسلت من قرطبة من نجدة المدينة من مصيرها. ولكنها بدلاً من ذلك سارت غرباً لتهاجم الحصون والمعاقل الإسبانية وهذه هي المرة الأولى التي تسقط فيها مدينة أندلسية في يد الإسبان منذ دخولها الإسلام.

١٨٠ بناء مسجد القرويين الجامع بالمغرب (١٨٦هـ/ ٨٠٢م)

يعود الفضل في بناء جامع القرويين بالمغرب إلى السيدة فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني التي انفقت ثروتها على اتمام بناء ذلك المسجد عام ١٨٦هـ. ويعتبر مسجد القرويين بالمغرب جامعة إسلامية قوية بنيت وأسست على شكل مسجد القيروان بتونس.. وفيه تدرس العلوم والمعارف الإسلامية المتنوعة وهو يحوي مكتبة ضخمة عامرة بالكتب والوثائق الإسلامية والعربية التاريخية الهامة، ولهذا فهو يعتبر من أكبر الإسباب التي جعلت الإسلام وثقافته تنتشر وتزدهر في المغرب.

١٨١ تصفية نفوذ البرامكة (١٨٧هـ/ ٨٠٣م)

يعود أصل البرامكة إلى خراسان ببلاد فارس. ولارتباط خراسان بقيام الدولة العباسية أخذ نفوذ البرامكة يزداد إلى أن تمكن الوزير يحيى بن برمك من أن يحكم العراق من خلال الخليفة هارون الرشيد. فقام بالسيطرة المطلقة على مجمل ولايات الدولة شرقاً وغرباً ووزع على أهله وعشيرته المناصب الكبرى حتى أصبح البرامكة على مدي سبع عشرة سنة أهم سكان العراق. ولكن فجأة قام هارون الرشيد بتصفيتهم تصفية شبه كاملة عام ١٨٧هـ. وتعود الأسباب التي اقتنع بها هارون الرشيد إلى سفههم وأنانيتهم وإختزانهم للأموال وإلى زندقتهم وميلهم للعلويين وكثرة مظالمهم التي ارتكبوها في الأمصار والولايات العباسية. وفي أول صفر سنة ١٨٧هـ قام باعتقال كل رؤوس البرامكة وأوفد سيافه المسمى مسرور

الكبير لاغتيال جعفر بن يحيى الذي خلف أبيه يحيى البرمكي، وتمكن بذلك من أن يحرر نفسه وخلافته من سيطرتهم. ولقد أدى قيام هارون الرشيد بتصفية نفوذ البرامكة إلى غضب عارم في بلاد فارس وخاصة بمنطقة خراسان.

١٨٢ أهم غزوات هارون الرشيد ضد الروم (١٩٠هـ/ ٨٠٦م)

كان (نيقفور) الأول أقوى القواد العسكريين في دولة الروم البيزنطيين. إذ استطاع أن يصل إلى حكم تلك الدولة بإزاحة الأمبراطورة أغسطا من الحكم وأخذ في نقض المعاهدات التي كانت قد أبرمت مع هارون الرشيد وقام بمهاجمة منطقة عين زربا الإسلامية. . . فغضب هارون الرشيد من ذلك وأعد له جيشاً ضخماً مكوناً من ١٣٥ألف رجل قاده بنفسه واتجه به صوب دولة الروم وأخذ في تدمير حصونها وقلاعها ونصب آلات الحصار حول مدينة هرقلة وخربها بالمنجانيق وأشعل بها النار حتى استسلمت، الأمر الذي جعل نيقفور يرضخ ويطالب رضي الله عنه بالسلام وتوقيع الهدنة ودفع الجزية، وكان ذلك بلا شك إذلالاً لدولة الروم.

١٨٣ وفاة هارون الرشيد (١٩٣هـ/ ٨٠٩م)

لا شك أن هارون الرشيد الذي حكم الدولة العباسية لمدة ثلاث وعشرين سنة متتالية تقريباً كان أشهر من حكم الدولة العباسية في قسمها الأول على الأقل (والذي سبق سيطرة عصر الوزراء الترك والذي سيأتي الحديث عنه في القرن الثالث الهجري). فقد ازدهرت دولته في كل الميادين وأصبحت بغداد في عصره حاضرة العالم.

ولقد توفي هارون الرشيد في الثالث من جمادى الآخرة عام ١٩٣ للهجرة، ويثبت موته الطبيعي أن الخلافات في قصره لم يكن لها وجود تقريباً بعكس الحال مع شقيقه الهادي وأبيه المهدي اللذين قتلا غدراً.

ولقد توفي الرشيد بعد أن بايع لابنه الأمين باستخلافه في بغداد، بينما بايع لابنه المأمون باستخلافه على الجند والمال والسلاح والمتاع. وإزاء ذلك التضارب والتردد الذي صاحب قراريه هذين نشأت مأساة دموية كبرى بين الشقيقين.

١٨٤ الأمين يتولى خلافة الدولة العباسية (١٩٣هـ/ ٨٠٩م)

حدثت فتنة على الخلافة بين ابنيّ هارون الرشيد الأمين والمأمون، ولكن ساعد على أن تكون الخلافة للأمين أن أصله كان عربياً، أما الثاني فقد كانت أمه من أسرة أعجمية. ولقد ازدادت الفتنة بسبب اندلاع نزاع مرير بين مستشارين وقف كل منهما خلف رأس النزاع. فالأمين كان يسيطر بأصله العربي على الإمارات التي يعيش فيها العرب.. والمأمون بأصله الفارسي كان يسيطر على الإمارات الفارسية... ووقف وراء الأمين رجل مهم يدعى الفضل بن الربيع وكان وزيراً لهارون الرشيد. ووقف خلف المأمون رجل مهم آخر يدعى الفضل بن سهل، وكان نتيجة هذا الصراع تعميق الخلافات بين العرب والفرس، فأخذت الفتنة تنتشر في الولايات العباسية لضعف السلطة المركزية ببغداد.

١٨٥ موقعة الري وهزيمة جيش الأمين (١٩٥هـ/ ٨١١م)

استمرت العداوة بين الأمين والمأمون حيث أخذ كل منهما يزيد من أتباعه ويتربص بعدوه حتى جهز كل منهما جيشاً لمحاربة الآخر، فأعد الأمين جيشاً عربياً وضع لقيادته رجلاً يدعى علي بن عيسى، وجهز المأمون جيشاً فارسياً وضع لقيادته رجلاً يدعى طاهر بن الحسين... وتقابل الجيشان عند مدينة الري، فانتصر جيش المأمون الذي أذاع نبأ عزل أخيه الأمين عن الخلافة. ومع ذلك تمكن الأمين من ارسال جيش ثانٍ وجيش ثالث لمقاتلة جيش أخيه، إلا أن طاهر بن الحسين كان يهزم تلك الجيوش حتى يئس الأمين من إمكانية الدفاع عن كرسي الخلافة لعدم قدرته على اقناع جنوده بالتوجه لقتال جيش المأمون. فبقي بقصره ببغداد يتحين لحظة السقوط.

١٨٦ انقلاب داخلي في بغداد (١٩٦هـ/ ٨١٢م)

إن ضعف الخليفة الأمين عن الذود عن شرعية حكمه بسبب الانتكاسات التي جرت لجيوشه أمام جيش المأمون، جعلت الحسين بن علي بن عيسى (وهو قائد الأمين الذي هزم في موقعة الري) يقوم بانقلاب داخلي في بغداد ويطيح بالأمين من فوق كرسي الخلافة، وهذا كما نرى لم يحدث قط من قبل

منذ ظهور الدولة العباسية. ولكن يبدو أن الأمين لم يكن بلا أنصار حتى ذلك الوقت، فقد تمكن حرسه الخاص فيما يبدو من جمع الرجال في بغداد ومواجهة قوات الانقلاب بل واغتيال الحسين بن علي.

١٨٧ توقيع اتفاق حسن الجوار بين الدولة الرستمية ودولة الأغالبة (١٩٧هـ/ ٨١٢م)

بالرغم من استقلال الدولة الرستمية القوية عن الخلافة العباسية، إلا أن الرستميين المحبين للسلام وحسن الجوار لم يحاولوا أن يقضوا على دولة الأغالبة التابعة للعباسيين في تونس.

ولهذا قام كل من عبد الوهاب الرستمي، وعبد الله الأغلبي بتوقيع اتفاق حسن جور وإشاعة السلام فيما بين الدولتين، ولقد وافق الطرفان على أن تكون ولاية طرابلس الساحلية تابعة لدولة الأغالبة، والأراضي التي تقع جنوبها في عمق الصحراء تابعة لبني رستم. ولقد اثبتت العقود التالية لتوقيع ذلك الاتفاق احترام الجانبين له ومراعاتهما لبنوده، بل إن ذلك الاتفاق مكن الأغالبة من التفرغ للسيطرة على جزيرة صقلية التابعة للبيزنطيين (أنظر دولة الأغالبة تفتح صقلية عام ٢١٢هـ).

١٨٨ تخريب مدينة بغداد واستسلام الأمين (١٩٧هـ/ ٨١٢م)

بعد محاولة الانقلاب السابقة على الأمين والتي علم المأمون بها.. قام الأخير بتجهيز قواته عازماً على النصر النهائي على شقيقه فزحف بجيوشه على العراق ودخل مدنه الواحدة تلو الأخرى ثم اتجه إلى بغداد وحاصرها من كافة الجهات ونصب آلات المنجنيق وأخذ يهدم أحياءها على مدى فترة الحصار التي امتدت إلى أربعة عشر شهراً تقريباً. وقد اندلعت معارك دموية في الشوارع بين أنصار الأمين وقوات المأمون راح ضحيتها عشرة آلاف من أنصار الأمين الذي لم يسلم قصره المسمى (الخلد) من الحصار... فوجد أنه لا مناص له من الاستسلام.

١٨٩ وفاة جابر بن حيان أشهر علماء الكيمياء المسلمين. (١٩٧هـ/ ٨١٣م)

كان مولد جابر بن حيان في مدينة طوس بخراسان عام ١٢٠ للهجرة.

وقد لعب الوسط السياسي والثقافي في الدولة العباسية دوراً هاماً في إبراز عبقريته فغدا بسرعة من أشهر علماء المسلمين وأشهر من درس الكيمياء وعلومها حتى أصبح له فتوحات علمية كبرى لم تكن موجودة في العالم من قبله، فهو الذي اخترع الموازين الكيميائية الدقيقة، ونادى باتباع المنهج العلمي القائم على التجربة في المعامل، وله نظرية في المعادن وأصولها وتركيبها وخصائصها الكيميائية. ولجابر بن حيان كتب عديدة أهمها كتابه عن السموم وأنواعها وخصائصها وكيف يمكن التداوي من خطرها في الإنسان والحيوان، ولقد ترجم العديد من كتبه وأبحاثه إلى اللغات الغربية فأطلع العلماء في الغرب على عبقريته ومعارفه.

ولقد عاش جابر بن حيان عمراً طويلاً يقارب الثمانين عاماً، ومات عام ١٩٧ للهجرة.

١٩٠ **اغتيال الأمين في السجن** (١٩٨هـ/ ٨١٣م)

توجه الأمين إلى هرثمة بن أعين وكان من قادة أبيه هارون الرشيد لتوسيطه في أن يقبل المأمون استسلامه بلا إراقة دماء... وبينما قام الرجلان بعبور نهر دجلة مع بعض الحراس غرقت المركب نتيجة قيام جند المأمون بقذفها بالأحجار وإمطارها بالسهام فلم ينج منها غيرهما فسبحا وألقى الجند القبض عليهما، ووضع الأمين بالسجن، إلى أن جاءت ليلة الرابع والعشرين من شهر المحرم عام ١٩٨ فقام الحراس بقتله وقطعوا رأسه وأرسلوها إلى شقيقه المأمون كدليل على انتصاره على شقيقه وانتهاء الصراع بينهما.

وتجب الإشارة إلى أن انتصار المأمون في تلك المأساة السياسية والإنسانية، أدى إلى تدعيم نفوذ الفرس في الدولة العباسية.

١٩١ **تولي المأمون للخلافة العباسية رسمياً** (١٩٨هـ/ ٨١٣م)

وقف الجند خلف المأمون حتى استطاع التخلص من شقيقه الأمين واغتياله وبذلك بايعوه في نفس يوم مقتل الأمين، وبتوليه الخلافة زادت واتسعت الخلافات، ليس فقط بين الشعوب العربية والفارسية، ولكن كذلك بين العلويين والعباسيين، بل وداخل البيت العباسي نفسه.

١٩٢ أثر النزاع بين الأمين والمأمون على مصر (١٩٩هـ/ ٨١٥م)

كان من أخطر آثار النزاع بين الأمين والمأمون، تمرد الجنود العباسيين في مصر مما عرض أمن البلاد لمخاطر شتى. فقد انقسم الجند قسمين يؤيِّد كل منهما مدع من المدعين وذلك بسبب الحروب التي دارت في العراق فثار الجند على والي الأمين في مصر جابر بن الأشعث وأجبروه على مغادرة مصر ومبايعة والي المأمون عباد بن محمد، وقد استمرت الصراعات خطابية تارة ودموية تارة أخرى حتى شملت كل أنحاء مصر بالرغم من إعلان مصرع الأمين. ومتى حل عام ١٩٩ للهجرة حتى استقل المطلب بن عبد الله بحكم شرقي الدلتا عن الوالي العباسي، ثم استولى السري بن الحكم على الوجه القبلي. . . أما غرب الدلتا فقد سيطرت عليه القبائل. ولقد عاشت مصر سنوات عصيبة من جراء ذلك التقسيم امتدت حتى عام ٢١٢ للهجرة.

١٩٣ العلويون يثورون على العباسيين (١٩٩هـ/ ٨١٥م)

بعد عام هجري واحد تقريباً من تولي المأمون الخلافة، جدد العلويون نزاعهم مع العباسيين، بالرغم من أنهم أولاد عمومه (فالعباسيون من أصل العباس عم النبي عليه الصلاة والسلام، والعلويون من أصل علي بن أبي طالب رضي الله عنه). فقد ظهر رجل ادعى الدفاع الحماسي عن العلويين اسمه أبو السرايا تمكن من التحالف مع علوي آخر يدعى ابن طباطبا، فدفعه أبو السرايا إلى دخول الكوفة والاستيلاء عليها ثم أقنعه بالزحف على مدينة البصرة ومدن عراقية أخرى تمكن أن يجعلها تؤمن بدعوته العلوية. . ثم هبط جنوباً على الحجاز فاستولى على مكة ثم المدينة، ويبدو أن أبا السرايا كان قد بلغ من القوة شأناً مكنه من هزيمة جيوش عباسية خرجت لقتاله، حتى جاء عام ٢٠٠ للهجرة حيث تقابل جيش عباسي كبير بقيادة هرثمة بن أعين مع جيش أبي السرايا فهزم الأخير وقتل في ربيع الأول عام ٢٠٠هـ، وانتشر العباسيون مرة أخرى ليسيطروا على كافة مدن العراق والحجاز التي كانت قد تحولت لتأييد أبي السرايا. وتعتبر هذه الفتنة أخطر فتنة يقوم بها العلويون في عصر الخليفة المأمون.

١٩٤ فتنة العباسيين ضد المأمون (٢٠١هـ/ ٨١٧م)

يبدو أن الفتنة العلوية كانت من الخطورة على المأمون حتى بعد إخمادها حتى أنه أخذ يتقرب للعلويين، فولى علياً بن موسى وهو من أصل علوي ليكون خليفته، وتم ذلك في رمضان سنة ٢٠١هـ مما أغضب العباسيين الذين وقفوا خلف المأمون ليبقى الحكم فيما بينهم دون العلويين. وأخذ العباسيون يخططون لكي يظهروا للمأمون قوتهم فاختاروا رجلاً منهم يدعى إبراهيم بن المهدي وعينوه والياً لبغداد سنة ٢٠٢هـ مما أحدث اضطراباً شديداً في المدينة.. ولقد فطن المأمون لسبب ذلك حيث كان منذ القضاء على أخيه الأمين يقيم في مدينة (مرو) وهي من مدن خراسان العجمية، ولكن يتلافى غضب بني العباس أخذ يعد العدة للعودة إلى بغداد والقضاء على نفوذ العلويين بقتلهم وذكر أنه كان السبب في قتل ولي عهده العلوي علي بن موسى، ثم سار إلى بغداد فانتهت الفتنة بها.

١٩٥ الروم يهاجمون مصر (٢٠٢هـ/ ٨١٧م)

استغل الروم البيزنطيون الفتنة التي كانت قد أخذت تنتشر في مصر بسبب صراع الشقيقين الأمين والمأمون على خلافة الدولة العباسية، وقاموا بتجهيز حملة بحرية كبيرة لغزو مصر، وكعادتهم نزلوا من دمياط فخربوا ودمروا وقتلوا ولكن المصريين واجهوهم بصلابة وطردوهم من المدينة، وتثبت تلك المحاولة أن الروم لم يتدخلوا كما كانوا يدعون لانقاذ قبط مصر... فتلك المحاولة السافرة للغزو لم يكن هناك عندما جاءت أي اضطهاد موجه للأقباط في مصر، وكأن الروم نسوا ذبحهم عشرات الآلاف من الأقباط قبل دخول الإسلام مصر. ولهذا فقد كان هدفهم الواضح هدفاً سياسياً... وهو الهدف الحقيقي لكل محاولاتهم السابقة واللاحقة هم والأوربيون وهو اعادة احتلال مصر.

١٩٦ موقعة الربض بقرطبة (٢٠٢هـ/ ٨١٨م)

تزايد نفوذ الفقهاء على عهد هشام بن عبد الرحمن الداخل بالأندلس حتى وجد الحكم بن هشام ـ الذي خلف أباه ـ نفسه مهدداً منهم، فأخذ يحد من سلطتهم فغضبوا عليه واتهموه بالقسوة واتباع أهواء النفس، وتمكنوا من إثارة

الفقراء حتى خرجوا في ثورة عارمة في قرطبة وحاصروه في قصره. . . فأمر بعض جنده بالاسراع وإشعال النار في حي الربض الذي يسكنه الثوار، فلما رأوا النار تأكل منازلهم فكوا الحصار من حول القصر وسارعوا لنجدة أهلهم فحاصرهم الجند وأخذوا يقتلونهم، ثم أمر الحكم سكان حي الربض بالرحيل من الأندلس، ففضل البعض منهم العيش في مدينة فاس بالمغرب الأقصى وفضل البعض الآخر السفر شرقاً حيث هاجموا مدينة الاسكندرية المصرية واستوطنوها وكان عددهم حوالي خمسة عشر ألفاً.

(انظر احتلال الاسكندرية عام ٢١٢هـ، وفتح جزيرة كريت عام ٢١٢هـ كذلك)

١٩٧ اليمن يستقل ذاتياً عن الخلافة العباسية (٢٠٤هـ/ ٨١٩م)

إن الفتنة بين الأمين والمأمون أضعفت من سلطة بغداد على الولايات العباسية، ثم جاءت فترات الفتن العلوية والعباسية ضد المأمون لتزيد من ذلك الضعف. . . وبالرغم من أن المأمون أرسل قوات لمحاربة الانفصاليين باليمن إلا أن الجبال كانت تحميهم حتى فطن المأمون إلى تفادي الصراع مع اليمنيين واعطائهم حكماً ذاتياً عام ٢٠٤هـ.

١٩٨ وفاة الإمام الشافعي (٢٠٤هـ/ ٨٢٠م)

ولد الإمام الشافعي رضي الله عنه بالقرب من غزة بفلسطين عام ١٥٠ للهجرة، ثم رحل إلى الحجاز حيث استقر بمكة وفيها أخذ يتعلم علوم القرآن والحديث والفقه. ولما ذاع صيته سافر إلى بغداد حيث الدولة العباسية السنية المزدهرة. وعندما شعر بأن بقاؤه في العراق أصبح شاقاً عليه سافر إلى مصر عام ١٩٨هـ حيث كان مذهبه المعروف باسمه ينتشر بين الناس فيها، فدخلها مع قافلة والي مصر الذي أرسله المأمون لحكم البلاد المصرية، وهناك تفرغ لوضع خلاصة معارفه القيمة وفيها ألف كتابه القيم المعروف باسم (الأم). وقد مكث رحمه الله بمصر ستة أعوام حتى توفي بها في رجب من عام ٢٠٤ للهجرة ودفن بها. . . وله اليوم ضريح كبير معروف باسمه.

ويعود نسب الإمام الشافعي إلى عبد مناف وهو أحد أجداد النبي ﷺ كذلك يعود نسبه من أمه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد اتصف رضي الله عنه بشدة الورع والتقوى والزهد وسخاء النفس.

١٩٩ تأسيس الدولة الطاهرية بخراسان (١٠٥هـ/ ٨٢١م)

قام بتأسيس تلك الدولة طاهر بن الحسين حينما تمكن من اقناع الخليفة العباسي المأمون بقيامها على أن تبقى معترفة بالخلافة العباسية. ولقد كانت تلك الدولة واسعة الساحة حيث امتدت من خراسان غرباً حتى حدود الهند شرقاً. وليست الدولة الطاهرية إلا نموذجاً آخر من نماذج الدول التي أعطاها العباسيون حكماً ذاتياً - على عكس الأمويين - ويرجع هذا لسببين، الأول أن العباسيين جاءوا للحكم أصلاً وهم يؤمنون بمبدأ الشعوبية، والثاني لأن السيطرة العباسية السياسية على دولة مترامية الأطراف أخذ يزداد صعوبة.

ولقد عاشت الدولة الطاهرية حتى أزالها يعقوب بن الليث الصفار وأسس دولته الصفارية (أنظر عام ٢٥٥هـ)

٢٠٠ عبد الرحمن الأوسط يحكم الأندلس (٢٠٦هـ/ ٨٢١م)

استمر الحكم بن هشام في حكم الأندلس حتى عام ٢٠٦ للهجرة عندما مات فخلفه ابنه عبد الرحمن الذي سمى بالأوسط والذي استمر حكمه حوالي اثنين وثلاثين عاماً فتحولت الأندلس على عهده إلى قوة ذات شأن كبير في أوربا، وذلك لاستقرار أحوالها وتوحد إماراتها ودحر الغزوات التي حاولت الاعتداء على أرضها.

٢٠١ النورمانديون يهاجمون الأندلس فجأة (٢٠٩هـ/ ٨٢٤م)

لأن المسلمين بالأندلس كانوا غير مهددين على مدى العقود التي عاشوها هناك من جهة البحر - حيث كل التهديدات كانت تأتيهم براً ومن الشمال بصفة خاصة - فقد أهملوا بناء الأساطيل البحرية التي يدافعون بها عن شواطىء الأندلس الممتدة. ولهذا فقد استغل النورمانديون (سكان شمال أوربا) ذلك وهاجموا - بغتة - الشواطىء الأندلسية بسفنهم ذات الأشرعة السوداء...

وأخذوا ينهبون المدن ويأسرون النساء، فأشاعوا الرعب بين السكان خاصة في مدينة لشبونة الواقعة على نهر تاجه.

ولم تستطع قوات عبد الرحمن الأوسط اللحاق بالنورمانديين لسرعة هجماتهم.

٢٠٢ الهاربون من الأندلس يحتلون مدينة الأسكندرية بمصر (٢١٢هـ/ ٨٢٧م)

وصل الفارون والمنفيون من الأندلس بعد موقعة الربض بقرطبة إلى الأسكندرية وكان عددهم حوالي خمسة عشر ألفاً عن طريق البر والبحر معاً. وكانت مصر في ذلك الوقت تعيش في فتنة النزاع الذي وقع بين الشقيقين الأمين والمأمون. ولهذا فعندما هدأت الأمور سار عبد الله بن طاهر على رأس جيش عباسي لمحاصرة الأندلسيين، الذين احتلوا الاسكندرية... فعلم هؤلاء مدى قوة الجيش العباسي فطلبوا الصلح والأمان.. وفي ربيع الأول من عام ٢١٢ للهجرة وافق الأندلسيون على مغادرة الأسكندرية سالمين على أن يتوجهوا إلى جزيرة كريت بالبحر الأبيض على متن سفن عباسية.

٢٠٣ تأسيس الدولة الكليبية بجزيرة كريت (٢١٢هـ/ ٨٢٧م)

تعرضت جزيرة كريت لعدة محاولات اسلامية للفتح منذ أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم خلفاء بني أمية... ولكن كل تلك المحاولات لم يكتب لها النجاح التام، وعندما اتفق العباسيون والأندلسيون الذين فروا من قرطبة واحتلوا مدينة الاسكندرية على رحيل الأندلسيين والسفر للبقاء في جزيرة كريت، قام العباسيون بمدهم بنحو أربعين سفينة ورحلوا من الاسكندرية بزعامة أميرهم أبو حفص عمر بن عيسى، فرست السفن بشرق الجزيرة ودارت بينهم وبين الروم البيزنطيين معارك شديدة انتصر فيها الأندلسيون، وأصبحت كريت وطناً لهم، فأعلنوا تبعيتهم للخليفة العباسي، وأسسوا دولة لهم عرفت باسم الدولة الكليبية

٢٠٤ دولة الأغالبة تفتح صقلية (٢١٢هـ/ ٨٢٧م)

جزيرة صقلية هي أكبر جزر البحر المتوسط. وهي تتوسط المسافة بين

جنوب إيطاليا والشاطىء الأفريقي. ولقد جرت محاولات عديدة خاصة إبان الدولة الأموية في دمشق لاخضاعها ولكن الروم كانوا دائماً يستعيدونها لضعف التحصينات العربية وعدم حماس الأمويين لاخضاعها النهائي. إلى أن جاء الأغالبة في شمال أفريقيا (بتونس) فوقعوا معاهدة حسن الجوار مع الدولة الرستمية وتفرغوا لبناء أسطولهم القوي. فأعدوا جيشاً من عشرة آلاف رجل حمل على مائة سفينة حربية سريعة ونزلوا بها على شواطىء الجزيرة وأخذوا يتوسعون بها، ثم حاصروا مدينة باليرمو أكبر مدنها لمدة أربعة أعوام ظهر أثناءها شدة حرص بني الأغلب على بسط نفوذهم السياسي على الجزيرة الخصبة حتى تمكنوا من اقتحام المدينة والسيطرة عليها عام ٢١٦هـ، فأصبح لهم بذلك رأس جسر بحري قوي يربطهم بتونس.

وهذة هي المرة الأولى التي يشارك فيها مسلموا شمال أفريقيا في الفتوحات الإسلامية بالبحر الأبيض المتوسط.

٢٠٥ اغتيال ادريس الثاني حاكم دولة الأدارسة (٢١٣هـ/ ٨٢٨م)

كانت دولة الأدارسة منذ تأسيسها خطراً على العباسيين.. وقد رأينا كيف تمكن هارون الرشيد من اغتيال مؤسسها إدريس بن عبد الله سنة ١٧٥هـ. ولكن ادريساً ترك إبناً له سمى ادريس كذلك فرعاه الأوصياء عليه ورعوا دولته حتى بلغ الحادية عشرة من العمر وتمت له البيعة من البربر عام ١٨٧هـ. وأخذ هذا الصبي يسير على نهج أبيه فبقيت دولته مزدهرة قوية، ولكن ازدياد قوة الأدارسة اقلقت العباسيين، فأرسلوا من تمكن من دس السم لإدريس الثاني في طعامه فمات نتيجة لذلك، ولكنه ترك ابنه محمد خليفة للدولة فلم تقض علهيا محاولة العباسيين.

٢٠٦ الخليفة المأمون ينشىء دار الحكمة ببغداد (٢١٥هـ/ ٨٣٠م)

لقد عرف عن الخليفة العباسي المأمون حبه للثقافة والعلم.. فهو الذي قام بتقريب المعارف الأجنبية على اختلاف أنواعها، وبذلك أثرى الحياة العلمية والأدبية على النحو الذي لم يفعله أي خليفة آخر. ويرجع الفضل للمأمون في إنشاء دار الحكمة التي تسمى أيضاً دار العلم في بغداد وجذب المترجمين من

مختلف بلاد العالم المعروفة في ذلك الوقت وخاصة من فارس واليونان والهند... فأخذت طفرة معرفية كبرى في العراق بحيث أصحبت بغداد منارة العالم الإسلامي الثقافية

٢٠٧ وفاة الخليفة العباسي المأمون (٢١٨هـ/ ٨٣٣م)

كان آخر ما رغب فيه المأمون قبل وفاته أن يوجه ضربة كبرى للروم البيزنطيين... فأخذ يعد جيشاً كبيراً من إمارات مصر والشام والعراق... ولكن الأجل وافاه قبل تحقيق الأمل، فمات في التاسع عشر من رجب عام ٢١٨ هجرية بعد أن قاربت خلافته العقدين.

وقد دفن المأمون في مدينة طرسوس بالشام.

٢٠٨ المعتصم بالله يتولى الخلافة العباسية (٢١٨هـ/ ٨٣٣م)

ترك المأمون الخلافة للمعتصم (أبي إسحق محمد) وهو شقيقه ولم يتركها لابنه العباس... وقد بايع الناس المعتصم للخلافة وعمره ثمانية عشر عاماً ودعم من موقفه هذا قيام العباس بن المأمون ليبايع عمه المعتصم علناً أمام الناس فأثبت بذلك حكمة أنقذت مركز الخلافة من احتمال اشتعال فتنة قد تضعف الجميع.

ولأن المعتصم كان يعتز بالترك لأن أمه كانت تركية، فقد أخذ يبتعد عن العجم ـ على العكس من أسلافه وخاصة المأمون ـ ويتقرب للترك، فأكثر من شراء الرقيق التركي وجعلهم عماد جيشه مما أغضب العرب الذين كانوا يشكلون جانباً هاماً في الجيش العباسي، وقام ببناء مدينة سامراء بشمال غرب العراق وخصصها لتكون عاصمة لحكمه بدلاً من العاصمة بغداد وذلك عام ٢٢٣هـ

٢٠٩ فتنة أذربيجان ضد العباسيين (٢٢٣هـ/ ٨٣٨م)

بالرغم من خضوع منطقة أذربيجان للإسلام منذ أن فُتحت إبان عصر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إلا أن بعض أهلها ظل متمسكاً بعبادة النار وفقاً للعقائد المجوسية. وقد ظهرت أيام الخليفة المعتصم محاولة لاحياء فكرة فارسية قديمة سُمي المؤمنين بها الخرمية الذين يعتقدون بأن الناس جميعاً

سواسية وأن عليهم مشاركة بعضهم البعض في كل شيء مادي. . . ولقد قوي نفوذ هؤلاء فأخذوا يطالبون بالعودة إلى العقيدة الفارسية الدينية القديمة مما يعني إحياء للقومية الفارسية وبالتالي التضارب مع الفكر الإسلامي. ولقد تزعم تلك الفتنة رجل فارسي يدعى بابك. . . فأرسل له المعتصم من ينصحه ولكنه استمر في التمرد وزادت شروره. فأخذ يعيث في الأرض فساداً وقتل الكثيرين من الناس حتى ضاق به المعتصم فأمر بتجهيز جيش كبير استطاع تدمير مدينة (بد) في رمضان عام ٢٢٢هـ، وأحاطت القوات العباسية ببابك ولكنه هرب إلى أرمينية وهناك اعتقله الأرمن وأرسلوه مكبلاً إلى قائد الجيش العباسي المسمى أفشين الذي أرسله بدوره إلى المعتصم فأمر بتقطيع أطرافه حياً وتركه ينزف حتى الموت. وكان ذلك في شهر صفر عام ٢٢٣هـ

٢١٠ تدمير مدينة عمورية البيزنطية (٢٢٣هـ/ ٨٣٨م)

لم يقدر البيزنطيون قوة الخليفة العباسي المعتصم الذي خلف المأمون، ولذلك جهز تيوفيل الأول الأمبراطور البيزنطي جيشاً جراراً قوامه مائة ألف من المرتزقة الذين جمعهم من جنوب شرق أوروبا وزحف به على المشرق العربي فهاجم المدينة التي جاءت منها أم المعتصم وهي مدينة زبطرة. وشكل ذلك الهجوم المدمر تحدياً كبيراً لهيبة المعتصم الذي دعا إلى الاستنفار العام في دولته، فتهيأ له جيش هائل قوامه مائتا ألف رجل جهزوا بكل أدوات القتال. . . ثم زحف المعتصم بالجيش من شمال الشام متوجهاً إلى مدينة عمورية التي لم يصلها المسلمون من قبل والتي جاءت منها أم الأمبراطور تيوفيل الأول. وسرعان ما حاصر الجيش العباسي المدينة الحصينة حصاراً شديداً ثم اقتحمها عنوة فأمر المعتصم باحراقها وكان ذلك في رمضان من عام ٢٢٣ للهجرة.

٢١١ إعدام أفشين... أكبر قائد عسكري عباسي (٢٢٦هـ/ ٨٤١م)

كان أفشين هو القائد العسكري العباسي الذي هزم بابك زعيم فتنة اذربيجان الخطرة، وهو الذي كان قد قضى على الفتنة في مصر والتي اندلعت بعد الصراع بين الأمين والمأمون والتي استمرت وقتاً طويلاً. وهو الذي شارك المعتصم في تدمير مدينة عمورية. ومع ذلك فإن الدسائس في القصر العباسي قد

روجت عنه أنه كان زنديقاً.. ومهما كانت الحقيقة فقد هرب أفشين إلى بلدته (أشروسنة) وهي من المدن القريبة من سمرقند، فخشي المعتصم من أن يقوم أفشين بتنظيم بني وطنه ومحارية العباسيين، فأرسل في طلبه حتى اعتقله وحاكمه بتهمة الزندقة وحيازة تماثيل الآلهة القدماء... ونفذ فيه حكم الإعدام في شعبان سنة ٢٢٦هـ

٢١٢ الواثق بالله يتولى الخلافة (٢٢٧هـ/ ٨٤١م)

توفي الخليفة المعتصم بعد حكم دام حوالي تسعة أعوام حافظ فيها ـ وخاصة في بدايتها ـ على دولته، ومال في نهايتها خاصة بعد اعدامه لقائده العسكري أفشين إلى جانت العنصر التركي مما جعلهم يتدخلون في شئون الخلافة بالتدريج. وقد تولى ابنه الواثق الخلافة في نفس يوم وفاته (الثامن من ربيع أول عام ٢٢٧هـ). ولأن أمه كانت من أصل رومي فقد عمل الواثق على مهادنتهم وتبادل الأسرى معهم... ومن ناحية أخرى ترك الترك يسيطرون شيئاً فشيئاً على المقادير بالدولة حتى وفاته عام ٢٣٢هـ.

٢١٣ الغزو النورماندي لأشبيليه الأندلسية (٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)

هاجم النورمانديون الأندلس في نهاية عام ٢٢٩هـ بأكثر من خمسين سفينة وتمكنوا من احتلال مدينة أندلسية هامة هي أشبيلية فقصدوا مسجدها الجامع وأحرقوه، ثم هاجموا سكانها فقتلوا الرجال وسبوا النساء ودمروا المتاجر والحمامات والمنتزهات. ويبدو أن المدينة فتنتهم فطالت مدة إقامتهم بها حتى زحف جيش أموي أرسله عبد الرحمن الأوسط عام ٢٣٠ للهجرة، فحاصر النورمانديين وأخذ يقتلهم، ثم سارع إلى أسطولهم فدمر أكثر من ثلثيه بعد أن مكثوا بأشبيلية قرابة شهرين. ومنذ ذلك الحين أخذ عبد الرحمن الأوسط في بناء قاعدة بحرية في المدينة يحمي بها سواحل الأندلس من أي هجمات عدوانية أخرى.

٢١٤ المتوكل يتولى الخلافة العباسية (٢٣٢هـ/ ٨٤٥م)

توفي الخليفة العباسي الواثق بالله بعد حكم استمر حوالي خمسة أعوام

تقريباً، فخلفه ابنه المتوكل على الله في الخلافة العباسية التي سيطر عليها الترك. وقد اتصفت معاملته لأهل السنة باللين والعطف فأعاد التقدير للخلفاء الراشدين ونشطت العقول لإحياء تراث السنة.

٢١٥ المتوكل يأمر بهدم قبر الحسين بن علي (٢٣٦هـ/ ٨٤٩م)

كانت العلاقات بين المتوكل وأهل الشيعة العلويين سيئة بسبب هجومهم عليه وعلى سياسته بمناصرة أهل السنة... ويبدو أن العلاقات قد تدهورت تدهوراً سريعاً فغضب المتوكل عليهم وأمر بهدم قبر الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما ثم حرثت الأرض وزرعت ومنع الناس من التواجد لأي غرض ديني في تلك المنطقة وإلا تعرضوا للضرب والسجن، وكان من نتيجة تلك السياسة القمعية أن ثار الشيعة عليه ووعدوا بقتله وسبوه في الميادين والمساجد. ولا شك أن سيطرة الأتراك السنة على أحوال الدولة العباسية قد ساعد على ازدياد هوة الشقاق بين العباسيين والشيعة

٢١٦ وفاة الخوارزمي واضع علم الجبر (٢٣٧هـ/ ٨٥٠م)

بالرغم من أن أصل الخوارزمي يرجع إلى بلاد خوارزم إلا أنه لم يتلقَّ علمه ولم تظهر عبقريته إلا في بغداد عاصمة الدولة العباسية المزدهرة.

والخوارزمي هو واضع أسس علم الجبر كما نعرفة اليوم، وكتابه المعروف باسم (الجبر والمقابلة) هو أهم كتاب تاريخي عن ذلك العلم، والذي ـ لأهميته القصوى ـ ترجم إلى لغات عديدة شرقية وغربية.

وبالرغم من ارتباط اسم الخوارزمي بعلم الجبر... إلا أنه له شهرة أخرى في علم الفلك، فله رسومات وأبحاث فلكية رائدة ساعدت على تطور ذلك العلم وتطبيقاته في استكشاف البر والبحر معاً. ولقد توفي عام ٢٣٧ للهجرة.

٢١٧ الروم يحتلون دمياط (٢٣٨هـ/ ٨٥١م)

كان النشاط البحري الإسلامي في البحر المتوسط والذي زاد بعد نزول الأندلسيين ـ عبر الأسكندرية ـ إلى جزيرة كريت، ونزول الأغالبة جزيرة صقلية عام ٢١٢هـ، سبباً قوياً للبيزنطيين في توجيه انتقامهم إلى مصر وخاصة دمياط

التي ازدهرت فيها صناعة السفن الحربية وتصديرها للأندلسيين في كريت. فجمع البيزنطيون أسطولاً حربياً مكوناً من ثلاثمائة سفينة وتوجهوا به إلى دمياط، واستغلوا خلو المدينة من حاميتها حيث كان الجنود يحتفلون بعيد الأضحى في مدينتي العسكر والفسطاط، وأخذ البيزنطيون ينتشرون بدمياط وأحدثوا مذابح بين سكانها وخربوا ودمروا متاجرها وأسواقها ومخازن سفنها وأسلحتها... ولكن سرعان ما أتت الأخبار إلى الوالي العباسي عنبسة بن اسحق بن شمر فدعا إلى الجهاد وخرج المصريون من كافة المدن والقرى والتقوا بالروم فقتلوا منهم أعداداً غفيرة حتى أجبروهم على الفرار بما تبقى من سفنهم.

٢١٨ وفاة عبد الرحمن الأوسط بالأندلس (٢٣٨هـ/ ٨٥٢م)

توفي عبد الرحمن الأوسط عام ٢٣٨ للهجرة تاركاً دولة متحضرة تتمتع بالقوة والعزة والرفاهية. وكان خليفته هوا ابنه محمد الذي لم يتمتع بصفات الحزم والبأس والحنكة السياسية، فأخذت العصبيات تنتشر في أرجاء الأندلس مما زين للعدو في الشمال والشمال الغربي الطمع في الامارات الأندلسية واحدة بعد الأخرى. فلقد كان المسلمون بالأندلس من أصول عرقية عديدة سواء أكانوا من العرب أم من البربر، ثم ظهرت الأجيال الجديدة والتي ولدت وعاشت في الأندلس بدون الإحساس بالعاطفة تجاه أصولهم العرقية، ثم كان هناك الاختلاط الجنسي بين المسلمين وبين الأسبان الذين أسلموا.

وكل تلك العوامل أدت إلى حدوث الانقسامات المتتالية في الأندلس فضعفت سلطة العاصمة قرطبة وانفرط عقد التوحد.

٢١٩ وفاة الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ/ ٨٥٥م)

هو أحمد بن حنبل الشيباني. ولد بمدينة بغداد عام ١٦٤هـ. وعرف عنه الورع والتقوى وحب العلم حتى برع في الفقه وأسس أحد المذاهب الإسلامية الكبرى الأربعة المعروفة اليوم. وللإمام أحمد بن حنبل كتب قيمة أهمها المسند الكبير الذي اتضح فيه منهجه الذي لا يميل إلى أن يفتى من غالب الأمور التي ليس فيها نص قرآني أو حديث شريف مما أضفى على مذهبه بعض التشدد وأثر على عدم انتشاره في كثير من البلدان، منها بعض مناطق نجد

بالجزيرة العربية وقلة من سكان الشام وبعض إمارات الخليج وجنوب الجزيرة العربية. وقد توفي رحمه الله عام ٢٤١ للهجرة.

٢٢٠ إعدام آلاف الأسرى المسلمين لدى البيزنطيين (٢٤١هـ/ ٨٥٥م)

نتج من زيادة حملات الدولة البيزنطية على أطراف الدولة العباسية زيادة واضحة في عدد الأسرى المسلمين - وأغلبهم من السكان المدنيين - بلغت حوالي عشرين ألف أسير، ولكن عدد الأسرى البيزنطيين لدى العباسيين كان كبيراً كذلك.. وكان البيزنطيون يضغطون على الأسرى المسلمين لكن يتم تنصيرهم مستخدمين في ذلك الضرب والتعذيب وقد ذكر أن سبعة آلاف أسير قد تنصروا، أما الذين رفضوا ترك الإسلام فقد عذبوا ثم أمرت الملكة تيودورا البيزنطية بقتلهم وكان عددهم حوالي اثنى عشر ألف شهيد.

٢٢١ اغتيال المتوكل على الله (٢٤٧هـ/ ٨٦١م)

إن حادث اغتيال الخليفة العباسي المتوكل على الله يعود إلى الفترة التي قام فيها المتوكل باعطاء ابنه المعتز بالله وعداً بالخلافة متقدماً ابنه الأكبر المنتصر. ولهذا فقد غضب المنتصر من أبيه، وشجعه على التمادي في الغضب أهل البلاط العباسي الأتراك الذين وجدوا خطورة من بقاء المتوكل في الحكم.

وقد ظهر رجل تركي يدعى بغا تمكن من اقناع المنتصر بضرورة التخلص من المتوكل فلم يمنعه المنتصر، فقام بغا بالتآمر مع رجل تركي آخر يدعى باغر لاغتيال الخليفة، فتسلل إلى قصره وباغته بسيفه وقتله. وبذلك سارع الأتراك بمبايعة المنتصر في شوال من عام ٢٤٧هـ.

٢٢٢ اغتيال المنتصر بالله (٢٤٨هـ/ ٨٦٢م)

إن سيطرة الأتراك على القصر العباسي كان آخذاً في الإزدياد بعد أن تمكنوا من اغتيال المتوكل وتعيين ابنه المنتصر. ويبدو أن المرارة في نفس المنتصر قد دفعته بعد موافقته الأتراك على قتل أبيه إلى أن يحاول التخلص منهم، ولكن محاولته لم تنجح. بل أن الأتراك المسيطرين على القصر العباسي علموا بخواطره وسارعوا برشوة طبيبه - ويدعى ابن طيفور - بمبلغ ثلاثين ألف

دينار فاغتاله بالسم في ربيع الآخر عام ٢٤٨هـ، وهو بهذا لم يمكث في الخلافة سوى ستة أشهر.

٢٢٣ الأتراك يستخلفون المستعين بالله ثم يغتالونه (٢٥٢هـ/ ٨٦٦م)

تم استخلاف المستعين بالله عام ٢٤٨هـ خلفاً للمنتصر، ولكن قسماً من الأتراك غضبوا منه لتبنيه سياسة تدعو للخلاص منهم. فبايعوا المعتز ابن المتوكل، فأصبح هناك خليفتان أخذ الصراع بينهما يشتد إلى أن قامت الحروب بينهما، والتي انتهت باستيلاء المعتز على قصر الخلافة وفرار المستعين إلى مدينة واسط التي يسيطر عليها أحمد بن طولون الذي سيؤسس فيما بعد الدولة الطولونية بمصر والشام. . . ولكن الأتراك دفعوا بأحد رجالهم وهو سعيد الخادم فتسلل إلى المستعين بمكان إقامته بواسط واغتاله عام ٢٥٢هـ.

٢٢٤ وفاة الكندي فيلسوف الإسلام. (٢٥٢هـ/ ٨٦٦م)

ولد أبو يوسف الكندي بالعراق عام ١٨٥ للهجرة، وتربى بالكوفة وأصبح فيما بعد أول فيلسوف للإسلام. . . فقد ساعدته ثقافته وموهبته على فهم معارف أهل فارس واليونان، فترجم عنهم أثمن العلوم، ووضع لنفسه مدرسة تؤمن بأن الفلسفة هي أعلى مراتب المعرفة، وأن هدفها يجب أن يكون التقرب إلى معرفة الله تعالى والوصول إلى الحق.

كذلك برع الكندي في علوم عديدة أخرى مثل الفلك والرياضيات والطب والهندسة والمنطق. . وله بذلك رسائل وكتب بلغت أكثر من مائتي كتاب، وترجم معظمها إلى عدة لغات فنال احترام العلماء من الشرق والغرب. وقد توفي عام ٢٥٢هـ ببغداد.

٢٢٥ قيام الدولة الطولونية بمصر (٢٥٤هـ/ ٨٦٨م)

كان أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية المستقلة بمصر من المماليك الأتراك الذين جلبهم الخليفة العباسي المأمون ثم من تبعه من الخلفاء، وحينما جاء الخليفة المتوكل أرسل رجلاً تركياً يدعى باكباك والياً على مصر وكان نائبه أحمد بن طولون، ولكن باكباك قُتل فاستقل ابن طولون بمصر وسارع

بشراء المماليك حتى بلغ عددهم أربعة وعشرين ألفاً، فلم يتمكن العباسيون من استرجاع مصر لأن جيشها أصبح أقوى من جيش الدولة العباسية. وفي خلال فترة وجيزة أصبح جيش ابن طولون يتكون من مائة ألف رجل.

٢٢٦ مولد الإمام الثاني عشر للشيعة الإمامية (٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)

إن الشيعة الذين يؤمنون بإمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد لاقوا اضطهاداً شديداً في الدولة الأموية، ولما قامت الدولة العباسية أخذت حركات الشيعة تزدهر في فارس واليمن والبحرين وجنوب العراق حتى رزق إمامهم الحادي عشر أبي محمد الحسن بن علي (الحسن العسكري كما لقبوه) بولد ذكر سماه محمداً، وبالتالي أصبح للشيعة اثنا عشر إماماً، كانوا يأملون لكل واحد منهم أن يقيم الدولة الإسلامية التي تبنى - كما تصوروا - على العدل والرحمة، وأن يخلف - أي الإمام - الرسول عليه الصلاة والسلام في حكم المسلمين. (انظر اختفاء الإمام الثاني عشر للشيعة الإمامية عام ٢٦٥هـ).

٢٢٧ تأسيس الدولة الصفارية وانهيار الدولة الطاهرية بخراسان. (٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)

استمرت الدولة الطاهرية تحكم خراسان مع ولائها للدولة العباسية حتى عام ٢٥٤هـ، عندما تمكن يعقوب بن الليث الصفاري من تأسيس الدولة الصفارية بعد انتصاره على الخوارج وسيطرته على اقليم ساجستان، ثم تمكنه عام ٢٥٩هـ من دخول عاصمة الدولة الطاهرية في نيسابور عام ٢٥٩هـ.

ولقد ازدادت أطماع ابن الليث بعد ذلك حتى طمع في العراق (بالرغم من أن الخليفة العباسي أجابه إلى طلبه في حكم كل أراضي الدولة الطاهرية) فزحف على الأهواز ثم على بغداد، فخرج الجيش العباسي له وهزمه، وعاد ابن الليث إلى نيسابور مكتفياً بما حققه بخراسان.

٢٢٨ وفاة الجاحظ الفيلسوف العربي الكبير (٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)

ولد الجاحظ بمدينة البصرة العراقية عام ١٧١ للهجرة وعاش عمراً مديداً مكنه من تغطية حقبة طويلة من حقب الدولة العباسية في أوج ازدهارها. وقد

اطلع الجاحظ على معارف العرب كافة ودرس آداب فارس واليونان. . . وساح بين البلدان ليطلع على ثقافتها وحضارتها وعلومها. ولهذا فهو كثير الانتاج العقلي والمعرفي، وهو من الذين آمنوا بقوة العقل على الاستدلال على كل شيء، تلك القوة التي تمكن الإنسان السوى من معرفة الله تعالى وقدرته.

وأشهر كتب الجاحظ كتاب (الحيوان) الذي تضمن الكثير من آرائه الفلسفية والعلمية وتجاربه على الحيوان التي وإن لم تكن كاملة إلا أنها تعكس مدى إيمان الجاحظ بالعقل ورغبته في الاهتداء للحقائق. وقد توفي الجاحظ بالبصرة عام ٢٥٥ للهجرة.

٢٢٩ الأتراك يعتقلون الخليفة المعتز (٢٥٥هـ/ ٨٦٩م)

سيطر الأتراك تماماً على البلاط العباسي. . ونظروا للمعتز ـ الذي خلف المستعين بالله ـ مع ضعفه وقلة حيلته على أساس أنه يكرههم، فاعتقلوه، وضربوه ووضعوه تحت الشمس الحارقة ومنعوا عنه الطعام والماء لمدة ثلاثة أيام ثم حبسوه في سرداب مظلم وسدوه عليه وتركوه يلفظ أنفاسه.

ومن العجب أن أم المعتز (كانت تدعى قبيحة) كانت تملك ١,٨ مليون دينار ذهب ورفضت أن تدفع خمسين ألفاً منها للترك حتى يطلقوا سراحه. . وتركته يلقى حتفه وهربت.

٢٣٠ فتح جزيرة مالطة (٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)

بعد أن تمكن الأغالبة في شمال أفريقيا من غزو جزيرة صقلية عام ٢١٢هـ، حاولوا فتح جزيرة مالطة عام ٢٢١هـ ولكنهم فشلوا. . . فقامت بعد ذلك حملة من صقلية (التي يوجد الأغالبة بها) يقودها أحمد بن عمر الأغلبي فحاصرت جزيرة مالطة ثم سيطرت عليها وكان ذلك عام ٢٥٦ للهجرة، وبهذا الفتح أصبحت أغلب جزر البحر المتوسط تحت النفوذ العربي بل وأصبح ذلك البحر الهام يقع تحت السيادة العربية.

٢٣١ الأتراك يعتقلون الخليفة المهتدي ويقتلونه (٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)

وضع الأتراك المهتدي خليفة للعباسيين آملين أن يتناسى جرائمهم مع

أهل البيت العباسي، ولكن من الذين يقبل تلك المذابح ولا يجاهر بالغضب ولعن الأتراك؟ لقد حدث أن قام المهتدي بمحاولة لفك حصار ذلك الطغيان فتحدث مع أحد قادة الجيش العباسي ويدعى باكباك للتخلص من موسى بن بغا أكبر رؤوس الترك في البلاط العباسي. ولكن باكباك أخبر موسى بنوايا الخليفة فسارع الأتراك بعزل المهتدي واعتقلوه وعذبوه حتى الموت وكان ذلك في شهر رجب من عام ٢٥٦هـ

٢٣٢ بناء مدينة القطائع عاصمة الدولة الطولونية (٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)

لما استقر الحال لأحمد بن طولون وأصبح واحداً من أصحاب الدول الكبرى القوية أخذ في تأسيس عاصمة لدولته أسماها القطائع، وذلك لأن مدينة العسكر التي بناها العباسيون لم تعد صالحة له ولجيشه، وقد اختار ابن طولون مكاناً هاماً على جبل يشكر بالمقطم شرق مدينة الفسطاط ليبني فوقه مدينته... ولقد اتضح فيما بعد أن ذلك المكان هو نفس المكان الذي أقيمت فوقه قلعة صلاح الدين.

ولقد قسمت المدينة قطعاً من الأرض (ولذلك سميت بالقطائع) وزعت على كبار الأمراء، وبنى قصر لابن طولون وكذلك مسجده الضخم القائم حتى يومنا هذا، والبيمارستان الطبي الذي خصصه للفقراء (حيث عرف ابن طولون بالكرم). وكانت مساحة المدينة كيلومترين مربعين يتوسطها قصر الحكم الضخم الذي اندثر فيما بعد فلم يعد له وجود.

ولأن الدولة الطولونية لم تعش طويلاً فإن عاصمتها اندثرت معها كذلك عندما عاد العباسيون إلى مصر فأخذوا يدمرون المدينة التي ذكر أن بيوتها زادت عن المائة ألف (أنظر: العباسيون يعودون لمصر عام ٢٩٣هـ).

٢٣٣ وفاة الإمام البخاري إمام علماء الحديث (٢٥٦هـ/ ٨٧١م)

ولد الإمام أبي عبد الله محمد المعروف بالبخاري بمدينة بخارى ببلاد ما وراء النهر (تركستان الحالية) عام ١٩٤هـ لأب شديد الورع والتقوي. ولما توفي أبوه تركه طفلاً في رعاية أمه فأدخلته مجلس المسجد فبرع في حفظ القرآن

الكريم والحديث حتى نبغ نبوغاً أذهل أهل عصره فسافر إلى مكة المكرمة للاستزادة من العلم حتى تمكن من وضع كتابه القيم (التاريخ الكبير). وأخذ يسافر في أقطار العالم الإسلامي يجمع الأحاديث النبوية الشريفة من أفواه كبار العلماء وساعدته ذاكرته القوية في حفظ تلك الأحاديث حتى ذكر عنه أنه كان يحفظ ثلاثمائة إلف حديث منها مائة ألف صحيح. ويعتبر كتابه الجامع الصحيح أهم كتاب إسلامي حيث أنه من الكتب التي تحوي الأحاديث الصحيحة المروية عن رسول الله ﷺ وقد صنفه في ستة عشر عاماً ويحوي حوالي ٧٢٧٥ حديثاً صحيحاً بما فهيا الأحاديث المكررة أو أربعة آلاف حديث صحيح بدون تكرار.

ويعتبر الإمام البخاري إمام علماء الحديث الموثوق بأعمالهم وهم: مسلم - أبو داود - الترمذي - النسائي - ابن ماجه (علماء الحديث الستة).

وقد توفي في رمضان عام ٢٥٦هـ ودفن بمدينة سمرقند

٢٣٤ قيام الدولة السامانية ببلاد فارس (٢٦١هـ/ ٨٧٥م)

يرجع أصل السامانيين إلى قبيلة فارسية كبيرة تدين بمذهب زرادشت، وفي نهاية عهد الدولة الأموية دخلوا في الإسلام كافة، وكان يرأسهم زعيمهم سامان (سمي بعد إسلامه بأسد بن عبد الله القسري). وأثناء خلافة الخليفة المأمون استقل السامانيون بجانب كبير من بلاد ما وراء النهر حتى جاء عام ٢٦١هـ، فتأسست لهم دولة مستقلة هي الدولة السامانية والتي تتمركز حول سمرقند.. ولكن كان يجاورها في ذلك الوقت الدولة الصفارية (أنظر كذلك عام ٢٩٨هـ).

٢٣٥ الأندلسيون يؤسسون مدينة تنس بالساحل الجزائري (٢٦٢هـ/ ٨٧٦م)

عندما أخذت الدولة الرستمية تزدهر أخذ التجار فيها يتبادلون سلعهم مع المسلمين في الأندلس. ولما كانت الأندلس بلاداً واسعة لها شواطيء ممتدة فقد قام التجار الأندلسيون الأثرياء ببناء مدينة ساحلية كبيرة تسمى تنس بالساحل الجزائري، استخدمت كمرفأ تجاري نشط ينقل السلع التجارية العديدة من أفريقيا لبيعها ومبادلتها بالسلع الأندلسية المتطورة. ومع ذلك فلم تكن مدينة تنس تستخدم فقط للتبادل التجاري بل استخدمت كمحطة يعبر منها الأندلسيون للسياحة والحج وزيارة الأهل وتبادل الثقافة والمعارف والعلوم.

٢٣٦ بناء جامع أحمد بن طولون بمصر (٢٦٥هـ/ ٨٧٧م)

إن مسجد أحمد بن طولون بمصر هو أهم مسجد بني في الدولة الطولونية. وهو ثاني أهم مسجدين بمصر (الأول كان مسجد عمرو بن العاص) حتى عصر الدولة الطولونية. ويذكر أن السبب في بنائه كان صغر مساحة مسجد مدينة العسكر وكبر عدد الجنود الطولونيين وانتقالهم للعيش في مدينة القطائع الطولونية. ولهذا فقد اختار ابن طولون - وكان واحداً من حفظة القرآن الكريم - مكاناً على جبل يشكر غربي القطائع. ولقد بدأ في بنائه عام ٢٦٠ للهجرة وافتتح بعد خمسة أعوام، وتكلف مائة ألف دينار. ويذكر أن أحمد بن طولون وجد كنزاً فرعونياً كبيراً استخدمه في بناء ذلك المسجد العظيم، وأنه كان يعتقد أن جبل يشكر هو الجبل الذي وقف عليه موسى عليه السلام ينادي ربه عز وجل. ومهما كان الأمر، فيعتبر مسجد ابن طولون الأثر الوحيد تقريباً الذي خلفته لنا الدولة الطولونية.

٢٣٧ أحمد بن طولون يبني البيمارستان الطبي الأول بمصر (٢٦٥هـ/ ٨٧٧م)

بني أحمد بن طولون بيمارستانه المشهور بعد بناء مسجده. ويعتبر ذلك البيمارستان الأول من نوعه في مصر. وترجع أهميته وشهرته إلى أنه كان مستشفى متخصصاً في علاج كافة الأمراض. حيث قسم أقساماً عدة يختص كل منها بنوع من العلل الجسمانية أو العقلية. وهذا يعني أنه توفر في مصر العديد من الأطباء في كافة التخصصات الطبية والجراحية ومعاونيهم من الممرضين. وكذلك يعني توافر العقاقير والأطعمة والأشربة والأدوات الطبية. وقد تكلف بناء ذلك البيمارستان حوالي ستين ألف دينار، وهو مبلغ صغير نسبياً مقارنة بالإنتاج المصري المزدهر في أيام ابن طولون والذي كان يقدر بأربعة ملايين ونصف مليون دينار ذهب تقريباً.

٢٣٨ أحمد بن طولون يوحد مصر والشام (٢٦٥هـ/ ٨٧٧م)

أدت الغارات البيزنطية على مصر (خاصة دمياط) إلى الإسراع ببناء بحرية مصرية قوية قادرة على رد المعتدين. فأخذ أحمد بن طولون في بناء السفن الحربية وتجهيزها بكل أدوات القتال البحري حتى رأى أن أسطوله أصبح

من القوة بحيث يمكنه من الدفاع عن مصر. ولكي يعزز هذه القوة استغل فرصة وفاة ماجور حاكم الشام وزحف بجيش كبير تمكن به من السيطرة على كبريات مدن الشام فضمها إلى مملكته، مدعماً بذلك فكرة ضرورة توحيد مصر والشام لأن كلاً منهما يحمي الآخر ويقويه. وقد ساعد أحمد بن طولون على تحقيق ذلك جيشه الكبير الذي قدر بمائة ألف مقاتل وبحريته السريعة وثروة مصر الهائلة.

٢٣٩ وفاة يعقوب بن الليث مؤسس الدولة الصفارية (٢٦٥هـ/ ٨٧٧م)

مرض يعقوب بن الليث الصفاري بعد توسيع نطاق دولته على حساب الإمارات العباسية الضعيفة، وكان مصمماً على مواصلة قتال العباسيين حتى وهو على فراش الموت.. ولكن لم يحدث قتال آخر بينه وبينهم إذ اختطفه الموت بينما كان يزوره رسول الخليفة العباس ليخبره برغبة الخليفة في إقراره على دولته. وكانت وفاته في شوال من عام ٢٦٥هـ، فخلفه شقيقه عمرو بن الليث الذي وافق الخليفة العباسي المعتمد على الله على أن يتولى حكم كل الولايات التي كان قد أخضعها يعقوب قبل وفاته.

٢٤٠ اختفاء الإمام الثاني عشر للشيعة الإمامية (٢٦٥هـ/ ٨٧٧م)

ظل الإمام الثاني عشر للشيعة الإمامية أبو القاسم محمد أبو الحسن على قيد الحياة مع أمه حتى بلغ العاشرة من عمره فدخل في أحد السراديب بمدينة سامراء بالعراق يلعب فيما يبدو بينما أمه تنظر إليه.. فغاب ولم يعد ولم تجده أمه، ولا أشياعه فأعلن عن اختفائه (غيبته) ولم يعترفوا أبداً بموته. بل آمنوا - ولا زالوا - إيماناً راسخاً بأنه سيعود ليقيم الدولة الإسلامية وأطلقوا عليه اسم الإمام المنتظر، أي المنتظر ظهوره ليطهر الأرض من الظلم والفساد. كما وصفوه بأنه معصوم أي لا يخطىء لوجود علاقة دائمة بينه وبين السماء. ومع ذلك الحادث لم يتوقف النشاط الشيعي الإثني عشري السياسي، بل استمر في الاتساع والانتشار، ودعمت أفكاره فكر الشيعة الإسماعيلية (السبعية) حتى قامت الدولة الفاطمية في شمال أفريقيا(انظر عام ٢٩١هـ وعام ٢٩٧هـ) التي امتدت لتشمل مصر والشام والحجاز واليمن.. بالرغم من أن الفاطمين لم يكونوا

ـ باستثناء خليفتهم الحاكم بأمر الله ـ من غلاة الشيعة مثلما كان حال الشيعة الإثني عشرية.

٢٤١ الأغالبة يهزمون الطولونيين (٢٦٧هـ/ ٨٧٩م)

أندلعت ثورة الزنج في العراق فانشغل العباسيون بمقاومتها (انظر عام ٢٧٠هـ) فقام أحمد بن طولون بالزحف على الشام لإخضاعه لنفوذه وترك ابنه العباس بمصر. ولكن العباس طمع في ثروة أبيه فنهبها ـ بدلاً من أن يحميها ـ وفر بها هو وجنده إلى شمال أفريقيا على أمل أن يهزم الأغالبة هناك ويقيم دولة باسمه بدلاً من دولة الأغالبة. ولكن إبراهيم الثاني أمير الأغالبة كان قوياً فجهز جيشاً مدججاً بالسلاح أوقع الهزيمة بالعباس وطرده من المغرب فاستقر بولاية برقة حيث ضاق جنده بالأوضاع هناك فخرجوا عن طاعته. وأثناء ذلك كان أحمد بن طولون قد عاد إلى مصر وعلم بتمرد ابنه فأرسل من أحضره ووضعه في السجن بمصر حتى مات أحمد بن طولون وخلفه ابنه خمارويه. ورفض العباس مبايعة أخيه، فقام الحراس بقتله بالسجن.

٢٤٢ ثورة الزنج بالعراق تتحول إلى دولة ثم تنهار (٢٧٠هـ/ ٨٨٢م)

جلب العباسيون الزنوج من أفريقيا ووطنوهم في المناطق المملوءة بالأحراش والمستنقعات بجنوب العراق وخاصة حول البصرة. ولما ازدادت الانقسامات على الدولة العباسية ونقصت الضرائب والأموال ثار الزنوج بقيادة رجل فارسي يدعى علي بن محمد، تمكن من أن يقنعهم بأنه جاء ليخلصهم من الرق والظلم. وفي عام ٢٤٩هـ سافر إلى البحرين ليدعو الناس هناك لتأييده. وبعد خمسة أعوام دخل بغداد ونادى بدعوته لتحرير الرقيق بالعراق فتمكن من تأسيس جيش قوي منهم استطاع به أن يسيطر على مدن هامة في العراق مثل البصرة (التي دخلوها عام ٢٥٧ هجرية فدمروها بما فيها من المساجد) ثم دخلوا القادسية. . . فأمر الخليفة العباسي المعتمد بتسيير جيش بقيادة رجل تركي يدعى جعلان لمقاتلة الزنج، ولكن الزنج انتصروا وزحفوا على الأهواز وسيطروا عليها ثم تمكنوا من مقاومة حملات عباسية متكررة أخذوا بعدها في الزحف على مناطق في فارس والبحرين وشرق العراق. ولما جاء الخليفة العباسي الموفق

للحكم عام ٢٥٧ (وكان مسؤولاً عن البلاد الشرقية للدولة العباسية فقط، أما المعتمد فكان خليفة ليس له من الخلافة الرسمية إلا اسمها فقط) أخذ في تنظيم حملات عسكرية قوية لتدمر حصون الزنج وطردهم من المناطق التي سيطروا عليها حتى بلغ عدد من قتل في تلك المعارك نصف مليون رجل. وبعدها تمكن العباسيون من الوصول إلى صاحب الزنج (زعيمهم علي بن محمد) وقطعوا رأسه وأرسلوها فوق أحد الرماح إلى بغداد وكان ذلك عام ٢٧٠ للهجرة.

٢٤٣ وفاة أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية بمصر (٢٧٠هـ/ ٨٨٢م)

تتناقض الروايات عن سبب مرض أحمد بن طولون الذي أودى بحياته. فبينما تذكر بعض الروايات أن الخليفة العباس أمر بلعنه في المسجد الحرام لأنه لم يساعد العباسيين المساعدة التي طلبوها منه بسبب ثورة الزنج، وتذهب روايات أخرى إلى أنه نظر إلى تمثال فرعوني في منطقة عين شمس بالرغم من تحذير بعض الكهنة اليهود في مصر له بأن من ينظر للتمثال ينتهي حكمه في مصر، فلم يولِ ابن طولون التحذير أهمية وأخذ ينظر للتمثال ثم أمر بتحطيمه فلم يمض على ذلك سوى عشر أشهر حتى مرض ومات. . كذلك فهناك رواية تاريخية ثالثة تذكر أنه كان شرهاً في مأكله مما سبب له تخمة وإسهالاً قضيا عليه وهو في طريقه من طرسوس (بسوريا) إلى مصر. ومهما كان الأمر، فقد مات أحمد بن طولون في شهر ذي العقدة من عام ٢٧٠ للهجرة بعد أن حكم مصر ستة عشر عاماً، وكان عمره عند وفاته حوالي الخسمين عاماً، فخلفه ابنه خمارويه.

٢٤٤ خمارويه يعيد توحيد مصر والشام (٢٧٣هـ/ ٨٨٤م)

كان الخليفة العباسي المعتمد خليفة بالاسم فقط أما الخليفة الفعلي الذي يباشر الأمور السياسية والاقتصادية والحربية، فكان أخوه الموفق بالله الذي ساءت علاقاته مع الدولة الطولونية بمصر بسبب اندلاع ثورة الزنج بالرغم من أن أحمد بن طولون ساعد فيها بمبلغ ١,٢ مليون دينار ذهبي، وهو مبلغ ضخم في ذلك الوقت يعادل ثلث إجمال الناتج المصري تقريباً. ولقد أبدى الموفق العداوة

للطولونيين فذهب إلى الشام واحتل دمشق مما أغضب الأمير خمارويه ابن أحمد بن طولون فخرج بجيش كبير من مصر تمكن به من دخول دمشق وإعادتها للحكم الطولوني بمصر. ولما علم القصر العباسي بذلك خشي العباسيون من ازدياد توسع خمارويه فكاتبوه واتفقوا معه على أن يحكم هو وأولاده مصر والشام لمدة ثلاثين عاماً متعاقبة.. فخمد الصراع بين العباسيين والطولونيين، وتمكن خمارويه بذلك من الإبقاء على الدولة التي أسسها أبوه طوال سنوات حكمه.

٢٤٥ اغتيال أمير الأندلس المنذر بن محمد (٢٧٥هـ/ ٨٨٦م)

تولى المنذر بن محمد الحكم في الأندلس بعد وفاة أبيه (محمد الأول وهو من البيت الأموي عام ٢٧٣هـ)، وكانت الأوضاع بالأندلس في ذلك الوقت شديدة الاضطراب والفوضى. ولم تكن تلك الاضطرابات تجري فقط بين العصبيات والملل ولكنها وصلت إلى داخل البيت الأموي ذاته حتى أن المنذر نفسه أُغتيل بعد عامين إثنين من توليه الإمارة. وذكر أن شقيقه عبد الله بن محمد هو الذي سعي لاغتياله ربما بسبب تماديه في القتل والتشكك في كل الذين يحيطونه فرغب في التخلص منه واعتلى بذلك عرش الأندلس ليواجه نفس الاضطرابات والثورات التي كانت تزداد من حوله.

٢٤٦ هل اغتيل الخلفة العباسي المعتمد؟ (٢٧٩هـ/ ٨٩٠م)

عندما مات الموفق شقيق المعتمد بداء الفيل عام ٢٧٨هـ وهو الذي سيطر على الخلافة العباسية سيطرة فعلية... قام العباسيون بمبايعة ابنه أبي العباس (الملقب بالمعتضد بالله) لولاية العهد، فظهر الخليفة المعتمد - الخليفة الإسمي - بمظهر الضعف لعدم تمكنه من مبايعة أحد من أبنائه وخاصة ابنه المفوض. فمات المعتمد فجأة بعد ذلك مما يلقي بظلال الشك على سبب وفاته.. فيقال أنه مات مسموماً كوسيلة من أعدائه للتخلص السريع منه قبل أن يتمكن من جمع الشمل وتعيين ابنه خلفاً له، أو قبل أن يتمكن هو من التخلص من أعدائه الذين سلبوا من أبنائه شرف الخلافة. ومما يدعم ذلك كثرة الخلافات بداخل البيت العباسي وازدياد الفتن في الدولة وبعض ولاياتها والضعف الذي

سببه تمرد الزنج. . ومع ذلك فيجب إيضاح أن التاريخ لم يظهر بجلاء السبب المباشر لوفاة الخليفة المعتمد مثلما أظهر نهايات خلفاء عباسيين من قبله ومن بعده.

٢٤٧ زواج الخليفة العباسي المعتضد بالله من قطر الندى ابنة خمارويه الطولوني (٢٨١هـ/ ٨٩٢م)

يعتبر زواج الخليفة العباسي المعتضد بالله من قطر الندى ابنة الأمير خمارويه بن أحمد بن طولون أحد أبرز مظاهر المودة بين الدولتين العباسية في العراق والطولونية في مصر. ولما كانت مصر على يد الطولونيين قد بلغت مرحلة الثراء الشديد فإن حفلات الأفراح التي أقيمت لذلك الزواج اتصفت بكل مظاهر الأبهة والعظمة والإسراف. فقد أنفق خمارويه أمواله وأموال مصر كذلك لبناء قصر في كل مرحلة من مراحل طريق سفر ابنته إلى العراق، ودفع أربعمائة ألف دينار كجائزة لابن جصاص وهو الرجل الذي باشر وأعد جهاز قطر الندى المسافر معها إلى بغداد. ووزعت الأطعمة والأشربة على سكان القطائع (عاصمة مصر وقتئذ) من كل لون وصنف. وخرجت المواكب والفرق الموسيقية وهي ترتدي حللاً مذهبة. . وسافرت قطر الندى وهي ترتدي فستان زفافها المطعم بالذهب والأحجار الكريمة من مختلف الألوان والأحجام النادرة. وإذا كانت خزانة مصر قد نضبت في أعقاب ذلك، فإن الخليفة المعتضد منح خمارويه صداقاً لابنته بلغ مليون درهم، ومنحه بلاد الشام ومصر والحجاز وحتى ليبيا ليكون له خراجها وأملاكها.

٢٤٨ اغتيال خمارويه حاكم الدولة الطولونية (٢٨٢هـ ٨٩٣م)

بالرغم من نجاح الأمير خمارويه في التصدي لكل من حاول الاستيلاء على مصر والشام، واستكتابه للخليفة العباسي المعتمد ثم الخليفة العباسي المعتضد بالله قرارين يقضيان بأن يحكم هو وبنوه مصر والشام لمدة ثلاثين عاماً، إلا أنه كان قد افتتن بثروة مصر والشام فعاش في بذخ القصور والمجوهرات والكنور فأعماه الترف والإسراف. (وكان أبوه أحمد بن طولون قد ترك في خزانة مصر حوالي عشرة ملايين دينار ذهبي)، فغضب منه أعداؤه من الطولونيين

فأوعزوا لخدمه في قصره بدمشق باغتياله فتم لهم ذلك عام ٢٨٢ للهجرة، فخلفه في حكم الدولة الطولونية ابنه أبو العساكر حبيش.

٢٤٩ عزل واغتيال أبي العساكر حبيش حاكم الدولة الطولونية (٢٨٣هـ/ ٨٩٤م)

أدى اغتيال خمارويه إلى اهتزاز بنيان الدولة الطولونية، وخاصة أن أبا العساكر حبيش - ابن خمارويه - تولى الحكم وهو في الرابعة عشرة من عمره، فلم يتمكن من قيادة سفينة الدولة الكبيرة وانصرف إلى اللهو مع رفاقه الذين أوعزوا إليه بقتل عمه مضر بن طولون فثار ضده الجند والفقهاء وعزلوه واعتقلوه ثم دخل عليه في سجنه من قتله بعد ذلك بأيام قليلة. وكان ذلك في جمادى الآخرة من عام ٢٨٣هـ فخلفه شقيقه هارون بن خمارويه.

ويذكر أن الجند المرتزقة فور علمهم باغتيال أبي العساكر حبيش قاموا باقتحام قصره ونهبوه.

٢٥٠ وفاة ثابت بن قرة الفليسوف الإسلامي الكبير (٢٨٨هـ/ ٩٠١م)

ثابت بن قرة واحد من أكبر علماء العرب الذين نبغوا في علوم شتى مثل الفلسفة والطب والفلك والرياضة. ولد في مدينة حران عام ٢٢١هـ بفارس، ولكن عبقريته لم تظهر إلا من العراق حيث أخذ ينهل من بحور المعرفة الفياضة فأجاد إتقان عدة لغات شرقية وغربية مثل السريانية والإغريقية مكنته من قراءة معارف الشرق والغرب، وأمدَّه الخليفة العباسي المعتضد بالاحترام والعطف فساعده على إظهار إبداعاته في علوم شتى حتى صار من أشهر الفلاسفة والعلماء في القرن الثالث الهجري. وقد برع ثابت في الرياضيات حيث أَن له أبحاثاً في الهندسة والجبر وتمكن من حل العديد من المعادلات الرياضية التي لم تُحل من قبله في الشرق أو في الغرب فساعد بذلك على تطور الفكر الابتكاري وزيادة الاختراعات. وقد توفي بمدينة بغداد سنة ٢٨٨ للهجرة.

٢٥١ تأسيس أشهر دول الزيدية باليمن (٢٨٨هـ/ ٩٠١م)

يعود مذهب الزيدية إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن

أبي طالب رضي الله عنه الذي ثار على ظلم الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك والذي قتل من قبل الجند الأمويين عام ١٢٢هـ، ومنذ ذلك التاريخ ظهر مذهب الزيدية وترسخت أقدامه في اليمن، وخرج منه الدعاة الذين يدعون إلى عودة المسلمين للالتفاف حول آل البيت النبوي، ولكن كان الخلفاء العباسيون يطاردون أولئك الدعاة بالرغم من تكاثر أتباعهم حتى ظهر يحيى بن الحسين الرسي ونشر دعوته، فالتف من حوله اليمنيون وبايعوه إماماً زيدياً فأسس بذلك أول دولة زيدية قوية باليمن والتي استمرت حتى ظهور الدولة الصليحية عام ٤٥٣ هجرية (انظر: الفاطمون بمصر يضمون اليمن لدولتهم عام ٤٥٣هـ).

٢٥٢ وفاة الخليفة العباسي المعتضد بالله (٢٨٩هـ/ ٩٠٢م)

تولى المعتضد بالله الخلافة عام ٢٧٩هـ خلفاً للخليفة المعتمد، واستمر المعتضد بالله يحكم الدولة العباسية عشر سنوات متصلة وذلك لنشاطه وتعقله. فسكنت الفتن وانتشر الأمن والرخاء في الدولة. ومما يبين سياسة حسن الجوار مع الدولة الطولونية إتمام زواج الخليفة المعتضد بأسماء ابنه خمارويه (المعروفة باسم قطر الندى).

هذا... وقد توفي المعتضد عام ٢٨٩هـ، بعد أن بايع لابنه المكتفي بالله خلفاً له.

٢٥٣ الأندلسيون يؤسسون مدينة وهران بالساحل الجزائري (٢٩٠هـ/ ٩٠٣م)

استطاعت الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط (الجزائر اليوم) أن تزدهر وتبقى في أعلى السلم الحضاري بفضل الفلسفة الحكيمة التي قامت عليها، وهي حسن الجوار مع جيرانها (الأدارسة في الغرب والأغالبة في الشرق، والإندلسيين عبر البحر في الشمال) وتجديد الطاقات الإبداعية في عقول أبنائها، وسيادة مبدأ التكافل بينهم. ولقد أدى ذلك الاستقرار إلى قيام التجار الأندلسيين ببناء مدينة وهران بالساحل الجزائري لتدعيم التبادل التجاري والثقافي والعلمي بين الجارتين.

254 ظهور الدعوة الفاطمية الشيعية (٢٩١هـ/ ٩٠٤م)

انتشر الشيعة الذين يؤمنون بأن الخلافة الإسلامية يجب أن تكون من نسل السيدة فاطمة الزهراء وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في أرجاء العالم الإسلامي، وإن تركزوا في المناطق البعيدة عن النفوذ العباسي حتى ظهر منهم داعية باليمن هو أبو عبد الله الشيعي أخذ ينشر الدعوة الفاطمية (نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء ابنة النبي ﷺ) فذهب إلى الحجاز في موسم الحج والتقى بشيعة من المغرب من قبيلة كتامة ذات القوة والنفوذ فآمنوا بمذهبه وعاهدوه بالمساعدة في بلادهم إن هو رغب في الحضور. ولكن أبا عبد الله سافر إلى مصر على أمل جلب الأنصار من مصر الطولونية ويبدو أنه لم يلق نجاحاً فسافر مع وفد قبيلة كتامة غرباً حتى مدينة القيروان ثم إلى ديار كتامة بالمغرب. وهناك أخذ ـ بعد أن استقر به الحال ـ يستلب قلوب وعقول كبار القوم حتى دخلوا جميعاً في دعوته الفاطمية وأخذوا يعدون العدة للقضاء على دولة الأغالبة بالمغرب الأقصى. ثم أرسل عبد الله الشيعي إلى الإمام الشيعي عبيد الله المهدي الذي كان مختفياً بالشام وطالبه بالاستعداد والتجهيز لبدء دور الظهور علناً.

255 اغتيال هارون بن خمارويه بواسطة عمّيه (٢٩٢هـ/ ٩٠٤م)

اختار الطولونيون هارون بن خمارويه عام ٢٨٣ للهجرة ليحكم الدولة الطولونية المتهاوية وكان يبلغ من العمر أربعة عشر عاماً فلم يتمكن على مدى تسعة أعوام من تسيير الأمور. فثار عليه بعض الجند ولكنهم فشلوا في خلعه. ولما تفاقمت أخطار القرامطة في الشام زحف جيش عباسي كبير إلى هناك عام ٢٩٠هـ وسيطر على الشام وأنهى بذلك الحكم الطولوني بالشام، ثم انتقل العباسيون إلى مصر ليدخلوها، وفشل هارون بن خمارويه في صدهم وهرب إلى قرية صغيرة شرقي الدلتا تسمى العباسة وهناك أخذ يلهو ويشرب الخمر فقام عماه عدى وشيبان بقتله وذلك في شهر صفر من عام ٢٩٢ للهجرة.

256 العباسيون يعودون لمصر (٢٩٣هـ/ ٩٠٥م)

لا شك أن استقلال أحمد بن طولون بمصر عن الدولة العباسية قد سبب الكثير من الغضب للعباسيين، ولكنهم وقفوا عاجزين أمام قوة ابن طولون

بمصر. ولهذا فما إن رأوا ضعف الطولونيين بمصر ـ بعد أن أعادوا سيطرتهم على الشام ـ إلا وبادروا تنظيم حملة عسكرية بقيادة محمد بن سليمان، فحطم مقاومة الطولونيين وسيطر على مصر وسرعان ما أخذ العباسيون يدمرون مدينة القطائع الطولونية بالرغم من إبقائهم على مسجد أحمد بن طولون. وبدخول مصر تحت الحكم العباسي مرة أخرى امتد نفوذ بني العباس إلى أفريقيا وإن لم يصل إلى المغرب الأقصى الذي كان الفاطميون فيه على وشك إعلان دولتهم الشيعية القوية.

٢٥٧ معركة كينونة وانتصار الفاطميين بشمال أفريقيا (٢٩٣هـ/ ٩٠٦م)

ما إن انتشرت الدعوة الفاطمية بفضل قبيلة كتامة القوية بالمغرب حتى اهتزت أركان دولة الأغالبة الموالية للعباسيين، فدارت بين الطرفين معركة ضارية سميت بمعركة كينونة انتصر فيها أبو عبيد الله الشيعي وجنده على الأغالبة انتصاراً كاملاً لم يتمكن العباسيون وقفه بسبب وجود دول إسلامية مستقلة بالقرب منهم.

وفي الحقيقة فإن اتجاه أمير الأغالبة(زيادة الله) إلى اللهو وترك أمور دولته المتهاوية، ساعد على سرعة هزيمتها أمام الدعوة الفاطمية المنظمة تنظيماً حسناً والتي اعتنقها وآمن بها الكثير من وزراء دولة الأغالبة.

٢٥٨ العرب يحتلون ممرات جبال الألب (٢٩٣هـ/ ٩٠٦م)

ساءت الأحوال السياسية في فرنسا وتفككت وحدتها حتى أصبح يسيطر على جنوبها ثلاثة أمراء استعانوا بالمسلمين في الأندلس في قتالهم بعضهم بعضاً. وساعد ذلك العرب بالأندلس في الدخول إلى الأراضي الفرنسية واستخدام اسطولهم القوي في الإغارة على جنوب فرنسا. وقد تمكنت قوات عربية من الإبحار والرسو على خليج سان تروبيز وإقامة رأس جسر تمكنوا بواسطته من التوغل في جنوب فرنسا حتى سيطروا على ممرات جبال الألب الواقعة بين إيطاليا وفرنسا فهددوا بذلك طرق التجارة في جنوب أوروبا ومكثوا هناك حوالي سبعين عاماً.

٢٥٩ وفاة الخليفة العباسي المكتفي بالله (٢٩٥هـ/ ٩٠٨م)

تولى المكتفي بالله الخلافة بعد مبايعة أبيه المعتضد بالله له عام ٢٨٩ للهجرة وفي عهده القصير (ستة أعوام) نشطت حركات القرامطة في سوريا والبصرة، ولكن الدولة حافظت على تماسكها وازدهارها. . . كذلك ظهرت في عهده الدعوة الفاطمية الشيعية وهي الدعوة التي ستظل خطراً كبيراً بالغاً على العباسيين كما سنرى.

وقد توفي المكتفي بالله عام ٢٩٥ للهجرة تاركاً الخلافة لشقيقه الأصغر المقتدر بالله وكان لا يتجاوز الثالثة عشر عاماً.

٢٦٠ زوال دولة الأغالبة بالمغرب (٢٩٦هـ/ ٩٠٩م)

إن انتصار الفاطميين على الأغالبة من موقعة كينونة، أدى إلى ازدياد قوة الفاطميين وضعف قوة الأغالبة الذين حكموا دولتهم منذ عام ١٨٤ للهجرة فقد استمر ضغط الفاطميين على الأغالبة حتى ضعفت إرادة آخر أمرائهم (زيادة الله) الثالث فترك العاصمة (رقادة) ناجياً ببعض ثروته وأمواله واتجه إلى طرابلس بليبيا بدون رجعة، فانتهت بذلك دولة الأغالبة وحل محلها الفاطميون وكان ذلك في شهر رجب من عام ٢٩٦ للهجرة.

٢٦١ قيام الدولة الفاطمية بالمغرب (٢٩٧هـ/ ٩٠٩م)

ما أن استتب الأمر لأبي عبد الله الشيعي حتى قام بدعوة عُبيد الله المهدي وهو إمام الإسماعيلية الشيعية. وكان بالشام فسار إلى مصر ثم إلى تونس التي كان بها بقايا الأغالبة، فسافر إلى المغرب الأقصى حيث اعتقله زعماء بني مدرار. فعلم بذلك أبو عبد الله الشيعي فجهز جيشه وزحف به على المغرب الأقصى. وأثناء زحفه إلى هناك من القيروان التي كان قد نجح في دخولها هاجم الدولة الرستمية الضعيفة وقتئذ وأسقطها ثم تابع زحفه حتى وصل إلى مدينة سلجماسة بالمغرب الأقصى والتي اعتقل فيها الإمام عبيد الله المهدي، فتوغل في المدينة وهزم اليسع بن مدارا وأطلق سراح الإمام عبيد الله، ثم عاد إلى (رقادة) حيث أعلن رسمياً عن قيام دولة الفاطميين تحت حكم المهدي الذي لقب بأمير المؤمنين.

٢٦٢ قيام الدولة السامانية وزوال الدولة الصفارية (٢٩٨هـ/ ٩١٠م)

إن الأسر القوية التي كانت بفارس والتي دخلت الإسلام إبان الأمويين والعباسيين هي الأسر التي تسنى لها حكم ولايات فارس وبلاد ما وراء النهر. وانطبق ذلك الوضع على السامانيين في بلاد ما وراء النهر عام ٢٦١هـ عندما قام الخليفة المعتمد بتولية إسماعيل بن أحمد الساماني بلاد ما وراء النهر، فظهرت منذ ذلك التاريخ الدولة السامانية. وعندما أخذت الدولة الصفارية في التمرد على الخليفة العباسي قام أحمد بن اسماعيل الساماني بغزو الدولة الصفارية والاستيلاء على ساجستان. وتمكن من أسر زعيمها محمد بن الليث ووزيره السبكري وأرسلهما ليتم اعدامهما في بغداد. وبذلك انتهت سيرة الدولة الصفارية عام ٢٩٨هـ.

٢٦٣ الفاطميون يسيطرون على دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى (٣٠٠هـ/ ٩١٢م)

أرسل الخليفة الفاطمي الأول (المهدي) قائداً عسكرياً محنكاً يسمى (مصالة بن حبوش) على رأس جيش فاطمي لبسط نفوذ الدولة الفاطمية على الأراضي الواقعة تحت نفوذ دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى. وسرعان ما تمكن مصالة من حصار مدينة فاس (عاصمة دولة الأدارسة)، فطلب أمير الأدارسة يحيى الرابع بن أدريس الصلح، فوافق مصالة على شرط أن يدعو يحيى الرابع باسم الخليفة الفاطمي ويدفع بعض الأموال. وبهذا تمكن الفاطميون من مد حدود دولتهم عبر مضيق جبل طارق حتى مدينة فاس (في شمال وسط المملكة المغربية اليوم) بالرغم من أن ذلك أغضب الأندلسيين (لأن الأندلسيين على المذهب السني والفاطميين على المذهب الاسماعيلي الشيعي).

٢٦٤ عبد الرحمن الناصر يحكم الأندلس (٣٠٠هـ/ ٩١٢م)

إن تولي عبد الرحمن بن محمد (الناصر) حكم الدولة الأموية بالأندلس قد أدخلها عهداً جديداً اتسم بالعظمة والرقي والقوة والإزدهار لمدة خمسين عاماً متصلة، وهو إذا ما قورن بأي فترة حكم أخرى من المشرق أو المغرب فإنه أنما يدل على مدى الاستقرار الذي حافظ عليه ذلك الحاكم المسلم الكبير.

وعندما تنعم أمة من الأمم بذلك فإن أعداءها يحاولون تكرار عداوتهم وهذا ما حدث للأندلس في ذلك العهد. فقد جاء عبد الرحمن الناصر ليحكم الأندلس وهي مفككة الأوصال فسارع في توحيدها بقوة وحسم جعلت منه أقوى حكام الأندلس في مجمل تاريخها، وأعطى مثلاً لحكام المسلمين في كيفية توحيد الصفوف ليتمكنوا من ردع أعداء الإسلام وبث الفرقة في صفوف من يحاول الاعتداء على أمة المسلمين

٢٦٥ المحاولة الأولى للغزو الفاطمي لمصر (٣٠١هـ/ ٩١٣م)

ما أن رسخت أقدام الفاطميين بالمغرب، حتى سارعوا بالزحف على مصر حيث كان دعاتهم يبشرون بالمذهب الاسماعيلي الشيعي بين المصريين. وقد دخلوا الاسكندرية ثم الدلتا فشكل هذا تهديداً كبيراً للعباسيين، وجعل الخليفة العباسي المقتدر يرسل أربعين ألف رجل لصد الفاطميين ونجح العباسيون فعلاً في الحاق الهزيمة بالحملة الفاطمية فارتدت عائدة إلى المغرب.

٢٦٦ اغتيال أحمد بن اسماعيل زعيم الدولة السامانية (٣٠١هـ/ ٩١٣م)

إن أحمد بن اسماعيل هو الذي قضى ـ كما علمنا ـ على الدولة الصفارية التي اقتطعت من الدولة العباسية الكثير من الأراضي ورفض حكامها قبل زوالها دفع الضرائب للعباسيين. وفي الحقيقة فإن قيام أحمد بن اسماعيل بالقضاء على دولة كبيرة كالدولة الصفارية لم يكن بلا جهد، ولم يكن بلا خطورة، فقد تمكن أعداؤه من إغراء غلمانه بالمال ليغتالوه وهو نائم في شهر جمادى الآخرة من عام ٣٠١ للهجرة. وتولى ابنه أبو الحسن نصر الولاية خلفاً لأبيه وكان طفلاً في الثامنة من عمره بموافقة الخليفة العباسي المقتدر بالله.

٢٦٧ بناء مدينة المهدية عاصمة للفاطميين بشمال أفريقيا (٣٠٤هـ/ ٩١٦م)

كانت القيروان أهم مدن المغرب وأكثرها ازدهاراً حتى تأسست الدولة الفاطمية التي قضت على دولة الأغالبة، فصار لها أعداء متخفيين يودون اغتيال مؤسس تلك الدولة الجديدة. وأخذ عبيد الله المهدي في الخروج ومعه رفاقه للبحث عن مكان حصين يأوي إليه ويتخذه مدينة خاصة به بدلاً من الإقامة في

القيروان، فوجد ذلك المكان المطل على خليج صغير بالبحر على بعد مائة كيلومتر تقريباً إلى الجنوب من القيروان، وشرع الفاطميون في البناء بسرعة واستخدموا الحجارة والحديد في بناء المنازل، والصخور في تحصين الأبواب والمنافذ فغدت مدينة آمنة تحمي من يلجأ إليها من أعدائه وسميت بالمهدية لتخلد اسم الخليفة الفاطمي المهدي.

٢٦٨ عبد الرحمن الناصر يهاجم الأسبان (٣٠٨هـ/ ٩٢٠م)

لما تيقن عبد الرحمن الناصر من استقرار دولته والقضاء على الفتن والصراعات الداخلية بها وحد كل صفوفه واتجه لتأديب الأسبان في الشمال الذين طمعوا في أملاك المسلمين. فقاد جيشاً كبيراً أخذ يهاجم به قلاع وحصون واستحكامات مملكة قشتالة الأسبانية التي طمعت في ثراء المدن الأندلسية ورقيها، وقد تسببت تلك الهجمات من الناصر في إحداث الأضطراب في الممالك الأسبانية فحدثت حروبٌ أهلية فيما بينها ساعدت بشكل مباشر على تقليص الأعمال العدائية ضد المسلمين بالأندلس.

٢٦٩ إعدام الحسين بن منصور الحلاج أشهر غلاة المتصوفين (٣٠٩هـ/ ٩٢١م)

ظهر في قرية البيضاء الفارسية رجل يدعى الحسين بن منصور الحلاج سافر إلى بغداد ـ عاصمة الخلافة العباسية ـ وأخذ يستمع إلى المتصوفين حتى سما بنفسه فوق البشر وادعى الألوهية وبث بين الناس أحاديثه التي تخرج عن تعاليم الإسلام الحنيف فأحل الأفطار في رمضان لمن صام ثلاثة أيام ولياليها بدون أن يأكل أو يشرب شيئاً، وأفتى بأن الحج يمكن أن يتم بعيداً عن مكة المكرمة لأي شخص يبتني في بيته بناء مربعاً يشبه الكعبة ويطوف من حوله. وادعى الحلاج لأتباعه الذين أخذوا يتكاثرون من حوله من عامة وخاصة الناس على حد سواء، أنه يقوم بمعجزات خارقة فنسب لنفسه أنه الذي أغرق قوم نوح، وأنه يمكن أن يحفر الأرض ليخرج الماء أو الطعام، وأنه يسافر ويهبط من السماء.

ولما أخذت دعوته تنتشر بين سكان القرى والمدن الإسلامية قبض عليه

الخليفة المقتدر بالله وجمع علماء دولته فأفتوا جميعاً بأنه كافر. فأمر الخليفة بإعدامه وكان ذلك في ذي القعدة من عام ٣٠٩هـ. وبينما هو يساق للاعدام أخبر الناس من حوله بأنه لن يموت بل سيعود لهم بعد ثلاثين يوماً. وقد أعدم الحلاج بالسيف وأحرقت جثته وأُلقي برمادها في نهر دجلة، ففاض النهر فاعتقد الناس أن الفيضان بسبب إلقاء رماد جسد الحلاج.

ومهما كان أمر الحلاج، فهناك من نظر له على أنه من كبار زعماء الصوفية الأتقياء ولكن لم يفهمه الناس فأعدموه، ومن هؤلاء حجة الإسلام الإمام الغزالي.

٢٧٠ الحملة الفاطمية الثانية لغزو مصر (٣٠٩هـ/ ٩٢١م)

لم تمض إلا ثمانية أعوام على هزيمة الفاطميين الأولى بمصر إلا وأرسل خليفتهم أبو عبيد الله المهدي حملة أخرى لغزو مصر. فدخل الجيش الفاطمي الاسكندرية مثلما حدث في الحملة الأولى ثم أسرع في السير جنوباً غربي النيل حتى وصل إلى مشارف الجيزة ثم الوجه القبلي فخرج مؤنس الخادم العباسي لمواجهة الفاطميين الذين هزموا أمامه فارتدوا مرة أخرى إلى المغرب.

٢٧١ عبد الرحمن الناصر يلقب نفسه خليفة بالأندلس (٣١٦هـ/ ٩٢٩م)

إن الهزائم المتتالية التي أوقعها الأمير عبد الرحمن الناصر بالأسبان والتي أعقبها إندلاع الحروب الأهلية بين ممالكهم جعلت عبد الرحمن الناصر يشعر بالثقة والاطمئنان والاعتزاز بما حققه لدولته فأخذ يتفرغ لتحويلها إلى دول الرفاهية والازدهار. وجاء عام ٣١٦هـ ليشهد إعلان الناصر تنصيب نفسه خليفة للمسلمين بعد أن كان كل من يحكم الأندلس حتى ذلك الوقت يسمى أميراً. وربما يكون من أسباب ذلك القرار الهام مدى الانحلال الذي دب في الخلافة العباسية وسيطرة المماليك الترك على أحوال الدولة إلى حد تعديهم على الخلفاء وعزلهم أو تعذيبهم واغتيالهم. ومهما كان الأمر، فبإعلان الناصر نفسه خليفة بالأندلس أصبح هناك ثلاثة خلفاء للمسلمين... أما الآخران فهما الخليفة العباسي في العراق، والخليفة الفاطمي في المهدية بشمال أفريقيا.

٢٧٢ عبد الرحمن الناصر يهدد الدولة الفاطمية بأفريقيا (٣١٧هـ/ ٩٢٩م)

بعد أن أعلن عبيد الله المهدي عن قيام الدولة الفاطمية، تبين لعبد الرحمن الناصر مدى الخطر الذي يشكله إعلان دولة شيعية قوية إلى الجنوب من الأندلس... فممن المؤكد - وهو أموي - أنه اطلع على تاريخ الأمويين مع الشيعة في المشرق العربي، فسارع عام ٣١٦هـ إلى تنصيب نفسه خليفة للمسلمين وتمكن من كسب ولاء قبائل قوية بالمغرب الأقصى مثل بني أفرن وسفراوة حيث تمكن بمساعدتهما من النزول بقواته البحرية إلى منطقة الزاب، وأخذت قواته تتوسع حتى مدينة سبتة الساحلية، مما جعل المغرب الأقصى خاضعاً للنفوذ الأموي وحتى عام ٣٤٨هـ (أنظر جوهر الصقلي يطرد الأندلسيين عام ٣٤٨هـ).

٢٧٣ وفاة عبد الله البتاني أشهر علماء الفلك المسلمين في القرن الثالث (٣١٨هـ/ ٩٢٩م)

هو أبو عبد الله محمد الحراني البتاني، عام ٢٤٤ للهجرة، وانتقل لتلقي العلم في بغداد العاصمة العباسية حتى تمكن من اتقان علوم الفلك فأصبح أشهر العلماء المسلمين في الفلك في القرن الثالث الهجري حتى أنه سمى بطلميوس العرب. ولقد عرف عنه الاجتهاد والصبر على جلاء حقيقة وأكاذيب علوم الفلك الصعبة، ويعكس ذلك بلا شك منهجه العقلي الذي يعتمد على المنطق والتجريب. وضع في ذلك كتابه القيم (الزيج الصافي) الذي أوضح فيه خلاصة أبحاثه ونظرياته عن مسرى الكواكب والنجوم في أفلاكها والذي ترجم إلى لغات أوروبية مكنت علماء الغرب خاصة من تطوير المناهج الفلكية التي استعانوا بها في القيام بالاستكشافات الجغرافية إبان عصر النهضة فميا بعد.

ولقد توفي البتاني رحمه الله بالعراق عام ٣١٨ للهجرة.

٢٧٤ القرامطة ينتزعون الحجر الأسود ويهدمون الكعبة ويقتلون ثلاثين ألفاً من الحجاج في بيت الله الحرام. (٣١٨هـ/ ٩٣٠م)

القرامطة فرقة من الإسماعيلية المتطرفين ينتسبون إلى حمدان بن الأشعث الذي لقب بقرمط. ونتيجة لسياسة العباسيين في اضطهاد الشيعة، لجأ

المؤمنون بفكر الشيعة إلى نشر دعوتهم سراً في الحجاز والشام وشمال العراق وفارس. وسرعان ما استقل القرامطة بالبحرين وشمال غرب العراق ثم أخذت دعوتهم تقوى في الشام بواسطة رجل يدعى زكرويه فحاصروا دمشق، عام ٢٨٩ للهجرة ولكنهم هزموا بواسطة الخليفة العباسي المكتفي في عام ٢٩٠هـ الذي قتل زكرويه نفسه عام ٢٩٤هـ. كذلك استطاع جانب من القرامطة الانتشار في شرق الجزيرة العربية وأخذوا يتكاثرون بالبحرين تحت رئاسة زعيمهم أبي طاهر سليمان الجنابي وذلك عام ٣١١هـ فأخذ يوجههم إلى قوافل الحج وخاصة الآتية من العراق والمشرق الإسلامي فيهجمون عليها وينهبون بضائعها... واستمر ذلك كل عام حتى أفتتنوا بقوتهم ونفوذهم فهجموا على مكة المكرمة ذاتها في موسم حج عام ٣١٧هـ وحطموا الكعبة وانتزعوا الحجر الأسود وبابها ثم أخذوا يقومون بأعمال دموية بشعة حيث قتلوا من حجاج بيت الله الحرام ثلاثين ألفاً قذفوا بجثثهم في بئر زمزم... ثم ما لبثوا أن عادوا إلى ديارهم ومعهم الحجر الأسود الذي بقي بحوزتهم حتى عام ٣٣٩ هجرية عندما هددهم الفاطميون بمصر فأعادوه مرة أخرى للكعبة.

٢٧٥ وفاة أبي بكر الرازي أشهر أطباء المسلمين في القرن الرابع (٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)

ولد الرازي بمدينة الري بفارس ثم انتقل لتلقي العلم في بغداد فنبغ في الطب والجراحة حتى أصبح رئيساً لبيمارستان بغداد على عصر الخليفة عضد الدولة العباسي وذلك لغزارة علمه وعبقريته الطبية التي جعلته أشهر الأطباء العرب ليس فقط في عصره ولكن وفي العالم وحتى القرن الحادي عشر الهجري.

ولقد درس الرازي كتب العلوم الطبية التي ألفها اليونانيون والهنود على حد سواء، وآمن إيماناً عميقاً بقدرة العقل على الوصول إلى الحقائق وهو بهذا من المؤمنين بالمنهج العلمي القائم على القياس والتجريب.. ومكنته معارفه وأبحاثه في علوم الكيمياء في أن يبرع في الطب فوضع كتابه الطبي (الحاوي) الذي شخص فيه الأمراض تشخيصاً اكلينيكياً ترجم لشهرته إلى اللاتينية.

وللرازي مؤلفات هامة أخرى منها الطب الروحاني وسر الأسرار.

وقد توفي ببغداد عام ٣٢٠ للهجرة.

٢٧٦ اغتيال الخليفة العباسي المقتدر بالله (٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)

تولى المقتدر بالله الخلافة وهو صبي لا يتجاوز عمره الثلاثة عشر عاماً فسيطرت عليه أمه ونساء القصر فضعف في نظر عامة الناس وطمع فيه العباس بن الحسن وزير الخلافة، فضيق عليه سبل الحياة حتى هرب عام ٢٩٦هـ فخلا الجو لعبد الله بن المعتز ليصبح خليفة للدولة ولقب بالمرتضى فسادت الفوضى العاصمة بغداد وتمكن مساعدو المقتدر من أسر المرتضى وإعادة المقتدر لكرسي الخلافة... ومع ذلك استمرت الفوضى بعد ذلك حتى تمرد على المقتدر أحد قادته ويدعى مؤنس الخادم تمكن من اغتياله في شهر شوال من عام ٣٢٠ للهجرة

٢٧٧ القاهر بالله خليفة للدولة العباسية (٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)

جاء القاهر بالله للخلافة العباسية بعد اغتيال المقتدر بالله مباشرة ولم تكن الأمور التي أدت إلى اعتلائه كرسي الخلافة طبيعية، بل إنها كانت سيئة إلى درجة أنه واجه فتناً داخلية عديدة لم يجد وسيلة أخرى لمجابهتها سوى القسوة والتقتيل، حتى لقد وصفه المؤرخون بسافك الدماء، وبعد عامين من توليه الخلافة ثار عليه أعداؤه وطردوه من قصره ونهبوا ثروته فهام على وجهه يتسول الصدقات فحبسه المستكفي ـ وهو أخد اعدائه من البيت العباسي ـ إلى أن مات عام ٣٣٩هـ

٢٧٨ الحملة الفاطمية الثالثة لغزو مصر (٣٢١هـ/ ٩٣٣م)

كان الاخشيد ـ كأفراد وجماعات ـ قد أخذوا يتواجدون بمصر قبل وصول الحملة الفاطمية الثالثة إلى الأسكندرية عام ٣٢١ للهجرة، ويبدو أن الفاطميين ضُللوا بقوة العباسيين وجند الأخشيد بمصر في ذلك الوقت لأن حملتهم الثالثة منيت بالهزيمة وأجبرهم محمد بن طغج الاخشيدي على الارتداد إلى المغرب. وبالرغم من ذلك لم ييأس الفاطميون أبداً من بسط نفوذهم

السياسي والديني الشيعي على مصر وذلك لوزنها الحضاري وموقعها في وسط العالم الإسلامي.

وربما يكون ذلك الانتصار على الفاطميين هو الذي مكن محمد بن طغج الإخشيدي من الإنفراد بحكم مصر بعد حوالي العامين.

٢٧٩ وفاة المهدي أول خليفة فاطمي (٣٢٢هـ/ ٩٣٤م)

انتهى أجل المهدي أول خليفة للدولة الفاطمية عام ٣٢٢ للهجرة بمدينة المهدية عاصمة الدولة، فخلفه ابنه أبو القاسم الذي سمي القائم بالله.

ولقد تمكن المهدي قبل وفاته من هزيمة أعداء دعوته واحداً بعد الآخر... ولكن يجب القول أن الذي ساعده مساعدة صادقة على النصر وقيام الدولة هو أبو عبد الله الشيعي الذي تذهب الروايات أن المهدي ـ بعد توليه الخلافة ـ حد من سلطاته وحرمه من ممارسة أي نشاط بالدولة، فغضب أبو عبد الله الشيعي وأشاع بأن المهدي ليس الإمام لأن للإمام الشيعي إمارات وآيات واتسع مجال تلك الشائعة حتى أن زعماء قبيلة كتامه سألوا المهدي أن يظهر لهم آية وإلا فإنهم سيشكون في أصله. فبعث المهدي من ذهب لقتل أبو عبد الله الشيعي وذلك في عام ٢٩٨ للهجرة بمدينة رقادة.

ولعل ذلك يذكر القارىء بمصير أبي مسلم الخراساني الذي أقام الدولة العباسية ولكنه اغتيل من قبل الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور! (أنظر عام ١٣٧هـ).

٢٨٠ إعدام إبي جعفر الشلمغاني لادعائه الألوهية وإثارته للفتن (٣٢٢هـ/ ٩٣٤م)

إن الأفكار المتطرفة لم تظهر فقط لتشكل المذاهب المتطرفة، ولكنها تعدت ذلك إلى أن يؤمن بعض غلاة من ادعوا الإسلام وخاصة في فارس بأنهم آلهة. فقد ألف أبو جعفر الشلمغاني كتاباً يدعي فيه بأنه إله، وأن الله حل في جسده فأعطاه صفاته وقدرته ومعجزاته! ويبدو أن أتباع الشلمغاني من السذج وضعاف العقول والبصيرة قد ازدادوا حتى أن بعض كبار رجال الدولة العباسية

آمنوا به. فأحس الخليفة العباسي بخطر الفتنة في دولته فأمر فقهاء الدولة وقضاتها ومفكريها بمناظرة الشلمغاني فاتضح لهم كذبه وافتراءه، فأمر الخليفة العباسي الراضي بإعدامه وصلبه ثم حرق جثته.

٢٨١ اغتيال مرداويج بن زيار أمير بلاد فارس (٣٢٣هـ/ ٩٣٥م)

كانت بلاد فارس الواسعة تابعة للدولة العباسية، ولكنها كانت تتمتع بالحكم الذاتي أي أن يكون واليها من أهلها(وراثياً غالباً) بشرط إعلانه الولاء للخلافة العباسية. ولقد تمكن أحد القادة التابعين لأمير ولاية قزوين ويدعى مرداويج بن زيار الديلمي عام ٣٢٢هـ من توحيد مقاطعات فارس الهامة وهي أصفهان والري وجرجان وهمذان وطبرستان وأصبهان. وَكَاتَبَ الخليفة العباسي في ذلك الوقت وهو الراضي يعلن له ولاءه واستعداده لدفع ضريبة سنوية بقيمة مليون درهم على أن يقره الراضي على بلاد فارس المترامية الأطراف. فوافق الراضي واستتب الأمر لمرداويج سياسياً وروحياً. ولكن يبدو أن أعداءه لم يتمكنوا من هزيمته في ميادين القتال ولكنهم ـ لذلك ـ تمكنوا من رشوة غلمانه لاغتياله، فتم لهم ذلك عام ٣٢٣ هجرية. . . فخلفه شقيقه وشمكير.

٢٨٢ قيام الدولة الإخشيدية في مصر (٣٢٣هـ/ ٩٣٥م)

إن الإخشيد لقب كان ينسب إلى الملك كسرى ملك الفرس قبل الإسلام، ويعود أصل الإخشيد الذين أسسوا دولة لهم في مصر والشام يعود إلى فارس. وفي عام ٣٠٦ هجرية ظهر اسم رجل منهم يدعى محمد بن طغج الإخشيدي بسبب نجاحه الكبير في هزيمة الفاطميين الذين حاولوا غزو مصر. . . فولاه الخليفة العباسي الراضي ولاية مصر والشام وكان ذلك عام ٣٢٣ للهجرة، ولقد استمر بقاء الإخشيد بمصر حتى عام ٣٥٨هـ عندما ضعفت دولتهم فدخلها جوهر الصقلي قائد الجيش الفاطمي الفاتح.

٢٨٣ وفاة أبو الحسن الأشعري محبط مذهب المعتزلة (٣٢٤هـ/ ٩٣٥م)

إن أساس مذهب المعتزلة يتركز في قولهم بخلق القرآن أي أن القرآن الكريم خلق وأنزل على النبي ﷺ دفعة واحدة مخالفين بذلك رأى جمهرة أهل

السنة. . . فأحدث ذلك تصدعاً بين المسلمين في العراق لبعض الوقت. وقد بلغ ببعض غلاة المعتزلة أنهم صرحوا علناً بأنه ليس مستحيلاً أن يقوم بعض الناس بتأليف كتاب كالقرآن وهم بذلك يعارضون فكرة الوحي الذي يبعثه الله تعالى لأنبيائه ورسله. كذلك أنكروا رؤية المؤمنين لله تعالى يوم القيامة وأنكروا معجزة شق البحر لموسى عليه السلام، وتحول عصاه إلى أفعى مخالفين بذلك نصوصاً صريحة واضحة في القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ.

وقد تصدى للمعتزلة رجل قوي الحجة واضح البرهان هو أبو الحسن الأشعري كان قد عاش بينهم. . . وقام بوضع ما يزيد عن مائتي كتاب حتى تمكن من احباط حججهم وإحياء أسس أهل السنة في نفوس الناس مما أضعف إلى حد كبير من اتساع رقعة المؤمنين بفكرالاعتزال.

أما اختفاء الفكر الاعتزالي وهدمه تماماً فلم يتم بشكل كامل إلا على يد الإمام أبي حامد الغزالي (أنظر عام ٥٠٥هـ).

٢٨٤ الحملة الفاطمية الرابعة لغزو مصر (٣٢٤هـ/ ٩٣٥م)

إن تلك الحملة صاحبت فيما يبدو نجاحاً محدوداً لدعاة المذهب الفاطمي الشيعي في مصر. . . أولئك الدعاة الذين عاشوا في مصر لبعض الوقت وتمكنوا من اقناعَ بعض زعماء البلاد في مصر بمساندة الحملة الفاطمية التي نزلت براً كسابقاتها. ومع ذلك فقد تمكن الإخشيد من الحاق الهزيمة بالفاطميين وردهم على أعقابهم، وتدلنا تلك الحملة على الأسلوب الذي اتبعه زعماء الدولة الفاطمية في المغرب الأوسط في سبيل بسط نفوذهم على البلاد. فقد كان نشر مذهبهم في مصر يسبق دخولهم البري للبلاد وذلك كي يصبح هناك لهم سنداً عقائدياً يسهل لهم السيطرة السياسية على أرض مصر. . . ولعلنا نتذكر أنهم قاموا بذلك العمل مع دولة الأغالبة قبل أن يسيطروا عليها وخاصة بعد معركة كينونه عام ٢٩٣ للهجرة.

٢٨٥ بناء مدينة الزهراء بالأندلس (٣٢٥هـ/ ٩٣٥م)

بعد تاريخ حافل بالاستقرار والازدهار قام الخليفة الأموي بالأندلس عبد

الرحمن الناصر، ببناء مدينة ضخمة أسماها الزهراء تقع إلى الشمال الغربي من قرطبة العاصمة التاريخية للأمويين بالأندلس. وقد ذكر أن اسم الزهراء جاء تخليداً لجارية الناصر المسماة بالزهراء.

اختار الناصر موقعاً على التلال الغربية لقرطبة (جبل العروس) وقام بتشييد تلك المدينة على شكل ثلاث مدرجات تحوطها الغابات والبساتين والبحيرات وبنى فيها قصر الخلافة ومراكز لإيواء الجند وتخزين السلاح وأحياء لسكن الوزراء والعلماء وأنفق من أجل ذلك أموالاً كثيرة. وبالرغم من ذلك فلم يتمكن الناصر من إتمام بناء الزهراء ولكن ابنه الحكم المستنصر أتم بناءها عام ٣٦٥هـ. وبهذا أصبح الناصر من بُناة المدن الإسلامية الكبرى التي خلدها التاريخ.

٢٨٦ موقعة الخندق بالأندلس ونتائجها (٣٢٧هـ/ ٩٣٨م)

انتهت الحروب الأهلية في الممالك الإسبانية الواقعة شمال الأندلس. وتمكن أمير مقاطعة ليون رادميرو الثاني من الاتفاق مع حاكم مدينة سرقسطة المسلم محمد بن هاشم النجيبي ليتمرد الثاني على حكم الخليفة الناصر في قرطبة، فتقابل جيش الناصر بقوات النجيبي وهزمها واتجه لقتال جيش رادميرو الثاني وقوامه مائة ألف رجل.. ولكن رادميرو تمكن من هزيمة المسلمين في موقعة الخندق (بالقرب من مدينة شمنقة) وقد نجا الناصر نفسه من الموت.. ولم يكن هذا ليحدث لولا خيانة النجيبي وتحالفه مع الأعداء.

وبالرغم من تلك الهزيمة فقد تمكن الناصر من تجميع قواته فيما بعد والإغارة على مملكتي ليون ونافار فلم تقم لهما قائمة مرة أخرى في عهد الناصر.. بل إن ملوك ألمانيا وفرنسا وإيطاليا أخذوا يرسلون إليه الرسل والهدايا إتقاءً لبأسه واحتراماً لسياسته التي جعلت الأندلس منارة الحضارة في أوروبا في ذلك الوقت.

٢٨٧ وفاة الخليفة العباسي الراضي (٣٢٩هـ/ ٩٤٠م)

توفي الخليفة العباسي الراضي في ربيع الأول من عام ٣٢٩ هجرية، بعد أن استمر في الخلافة سبعة أعوام (حيث خلف القاهر بالله الذي عزل عام

٣٢٢هـ) وكانت الدولة العباسية من الناحية السياسية قد انقرضت إلى أصغر حجم لها منذ تأسيسها. حيث استقلت ولايات عديدة عنها كفارس ومصر والشام والبحرين واليمن وبلاد ما وراء النهر وسيطر الفاطميون على شمال أفريقيا. وقد خلف الراضي في حكم الدولة إبراهيم بن المقتدر الذي اختار لقب المتقي لله.

٢٨٨ الحمدانيون يسيطرون على بغداد (٣٣٠هـ/ ٩٤١م)

يرجع نسب الحمدانيين إلى قبيلة معروفة بالجزيرة العربية تسمى تغلب، هاجرت مع الفتح العربي إلى الموصل ـ شمال العراق ـ واستقرت بها على عهد حمدان بن حمدون الذي أصبح ابنه الحسين من كبار الشخصيات الحمدانية المقاتلة ضد القرامطة. وبتطور قوة الحمدانيين قلد الخليفة العباسي المقتدر بالله ناصر الدولة الحمداني ولاية الموصل عام ٣٠٨هـ وعندما هاجم البريديون (وهم من سكان الأهواز بفارس) بغداد، خرج الخليفة المقتدر إلى الموصل محتمياً بالحمدانيين فيها. وقد ثار أهل بغداد على البريديين وطردوهم منها بمساعدة الحمدانيين فتسنى للحمدانيين الحصول على رضى الخليفة. وأنعم على زعميهم بالموصل الحسن بن عبد الله بلقب ناصر الدولة وجعله وزيراً للدولة العباسية وذلك في شعبان من عام ٣٣٠ للهجرة.

وجدير بالذكر أن نفوذ الأتراك كان قد أخذ يضعف بظهور قوى إسلامية أخرى في فارس وخراسان كانت تطمع في حكم المسلمين في ظل الخلافة العباسية الروحية. وبالرغم من سيطرة الحمدانيين على بغداد إلا أن حكمهم لم يدم سوى عام واحد تقريباً وذلك لكثرة الضرائب التي فرضوها على الناس، واندلاع الحرب الأهلية في بغداد فاكتفى الحمدانيون بولاية الموصل التي حكموها حتى عام ٣٨٠ للهجرة عندما استولى عليها بنو بويه.

٢٨٩ موقعة قنسرين وانتصار الاخشيد على الحمدانيين (٣٣٠هـ/ ٩٤١م)

سيطر الحمدانيون على الموصل والشام فأصبحوا على عداء مع الأخشيد في مصر. فالأخشيد يريدون الشام ومصر وحدة واحدة، والعباسيون يريدون الشام خاضعاً لهم.. واستمر النزاع إلى أن تمكن الأخشيد من توجيه

جيش قوي تجاه حلب - وهي من أهم مدن الشام - التقى بالحمدانيين عند قنسرين فهزمهم ودخل الأخشيد دمشق بنية التوجه نحو حلب. ولكن لما أخذ البيزنطيون يهاجمون شمال الشام، والفاطميون يهاجمون مصر استرجع الأخشيد جيشهم من الشام ليحموا به مصر.. وتركوا بذلك الشام ليعود تحت النفوذ الحمداني ليواجهوا الروم.

٢٩٠ الروس يهاجمون أذربيجان ويذبحون أهلها (٣٣٢هـ/ ٩٤٣م)

فتح المسلمون أذربيجان في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.. وباستمرار قوة الأمويين والعباسيين نأت الأمارة من بطش الروس المجاورين لها من الشمال والشمال الشرقي.. ولكن عندما أخذت الدولة العباسية في الضعف نتيجة الفتن الداخلية ومهاجمة البيزنطيين للشام بدون ردع كافٍ، قام الروس بالزحف على أذربيجان واقتحام أهم مدنها (برذعة) وقاموا بنهبها وتدمير مبانيها وحدائقها وجمعوا الألوف من سكانها وذبحوهم، وأسروا عدة آلاف من الأبرياء وساقوهم إلى بلادهم. ولقد كانت تلك الهجمات مؤشراً يوضح مدى عداوة الروس للمسلمين، بالرغم من أنهم ليسوا حلفاء للبيزنطيين، وبالرغم من أن المسلمين لم يهددوا أبداً البلاد الروسية في ذلك الوقت.

٢٩١ قيام الدولة الحمدانية في حلب (٣٣٣هـ/ ٩٤٤م)

كانت حلب مركزاً لصراع الحمدانيين والأخشيد.. ولما هدد الفاطميون مصر عاد الاخشيد من الشام ليدافعوا عن وجودهم في مصر فتركوا الشام للحمدانيين. ولما أخذت الحرب الأهلية في العراق تشتد بين الحمدانيين والسلاجقة وبني بويه وتنتقل إلى منطقة واسط بالعراق (والتي كان يحكمها سيف الدولة الحمداني شُقيق ناصر الدولة الحمداني أمير الموصل) تمكن السلاحقة الأتراك من السيطرة على إمارة واسط فخرج سيف الدولة واتجه بقواته إلى حلب التي كانت بها حامية ضعيفة من الأخشيد فهزمها سيف الدولة وسيطر على إمارة حلب وأسس بها دولة قوية عام ٣٣٣ للهجرة دامت نحو ستين عاماً قاومت أثناءها وحاربت القوات البيزنطية مما أكسب الحمدانيين شهرة ومجداً في التاريخ الإسلامي.

٢٩٢ اعتقال الخليفة العباسي المتقي وعزله (٣٣٣هـ/ ٩٤٤م)

أخذت الحرب الأهلية في بغداد تزداد بين الطوائف المتصارعة سواء أكانت تركية أو حمدانية أو من بني بويه (أصلهم يرجع إلى منطقة الديلم بالقرب من بحر قزوين) وذلك بهدف السيطرة على الحكم من خلال الكرسي العباسي. ولكن قيام القائد التركي توزون بالاستيلاء على بغداد عام ٣٣١هـ جعل الخليفة المتقي يستوزره. ولكن توزون استبد بالأمر حتى أن الأمراء الترك انتزعوا أراضي الخليفة العباسي فغادر بغداد ورحل إلى تكريت واندلعت معارك شتى بعد ذلك بين توزون وبين الحمدانيين. فتدخل الأخشيد في الأمر حتى هدأت الأحوال نسبياً. ولكن لما كان المتقي يخشى تواجد توزون في بغداد، فقد قام بدعوة بني بويه لدخول بغداد لحمايته فغضب توزون من الخليفة الذي سارع بالفرار إلى مصر ولكنه أسر من قبل الترك فاعتقلوه وأفقدوه البصر ثم عزلوه من منصبه واستخلفوا المستكفي بالله وكان ذلك عام ٣٣٣هـ. ولقد بقي المكتفي بسجنه ضريراً خمساً وعشرين عاماً حتى توفي عام ٣٥٧ للهجرة.

٢٩٣ المنصور يتولى الخلافة الفاطمية (٣٣٤هـ/ ٩٤٥م)

توفي الخليفة القائم بعد صراع مرير مع الخوارج في شمال المغرب والذين ساءهم أن يسب الفاطمون بعض الصحابة. وقد خلفه ابنه أبو الظاهر إسماعيل الملقب بالمنصور ليكمل القضاء على ثورة أهل السنة بزعامة أبي يزيد مخلد ويحطم جيشه ويقتله بعد عامين تقريباً من توليه الخلافة، وذلك لما تحلى به من صفات الشجاعة وحسن السياسة، فساعدته قبائل قوية بالمغرب مثل قبيلة صنهاجة على ما قام به.

٢٩٤ تأسيس دولة بني بويه في العراق (٣٣٤هـ/ ٩٤٥م)

يعود تسمية بني بويه بذلك الاسم إلى رجل يدعى أبا شجاع بويه الذي عمل بالرعي هو وقبيلته ببلاد الديلم بالقرب من بحر قزوين. وبظهور الصراعات الحربية في فارس دخل علي بن بويه (وهو من أحفاد أبي شجاع بويه) في سلك الفرسان حتى علا شأنه هو وقبيلته. فأخذوا في التوسع السريع حتى سيطروا على مدينة شيراز سنة ٣٢٢ هجرية، فسهل لهم السيطرة على بلاد فارس، وقام

علي بن بويه بمكاتبة الخليفة العباسي الراضي لنيل اعترافه ومباركته على حكم فارس فوافقه الراضي على ذلك. ولما جاء الخليفة المستكفي أراد إنهاء سيطرة الأتراك على الدولة العباسية فأرسل لعلي بن بويه ليحضر إلى بغداد وهناك لقبه بمعز الدولة ومنذ ذلك الوقت أصبح البويهيون يسيطرون على بغداد ويتحكمون بنفوذهم في الخلفاء.

٢٩٥ البويهيون يعزلون المستكفي بالله (٣٣٤هـ/ ٩٤٦م)

بالرغم من أن الخليفة المستكفي رحب بمقدم علي بن بويه إلى بغداد ومنحه لقب معز الدولة، إلا أن علياً سرعان ما استبد بالأوضاع في العراق. فقد فكر في إنها الخلافة العباسية متأثراً بذلك بفكر الشيعة بفارس وتحويل الخلافة إلى بلاده. ولكنه خشي من ردة فعل الشعوب الإسلامية ضده إذا ما أنهى الصرح الروحي للخلافة العباسية في بغداد. ولكن لكي يثبت علي بن بويه سيطرته على بغداد قام باعتقال الخليفة المستكفي وأفقده البصر حتى يحرمه من القدرة على الحكم والقيادة وأتى بالمطيع إلى كرسي الخلافة العباسية وكان ذلك عام ٣٣٤هـ.

٢٩٦ وفاة محمد بن طغج الأخشيد مؤسس الدولة الأخشيدية (٣٣٤هـ/ ٩٤٦م)

توفي محمد بن طغج الأخشيد بمدينة دمشق وكانت تابعة للنفوذ المصري الأخشيدي عن عمر يناهز ستة وستين عاماً بعد أن أسس دولة قوية ثرية شملت مصر والشام (باستثناء حلب الخاضعة للحمدانيين) والحجاز ولها جيش قوامه ثلاثمائة ألف مقاتل تمكن به من حماية مصر وصد محاولات الفاطميين الشيعة لدخولها.

وقد توفي الأخشيد في ذي الحجة من عام ٣٣٤ للهجرة تاركاً ملكه الكبير لابنه الصغير أبي القاسم في وصاية وزيره المستبد كافور.

٢٩٧ ثورة البربر ضد الفاطميين بشمال أفريقيا (٣٣٦هـ/ ٩٤٧م)

عندما تمكنت قوات الخليفة الأموي الناصر بالأندلس من إقامة رأس

جسر لها بالمغرب الأقصى، تشجع رجل من قبيلة زناتة يدعى يزيد بن مخلد بن كيداد من مهاجمة الفاطميين فسيطر على منطقة الزاب الاستراتيجية ثم زحف بقواته نحو القيروان واستولى عليها عام ٣٣٣هـ. فلم يتبق أمامه سوى مدينة المهدية عاصمة الدولة الفاطمية الناشئة. ولما شعر الخليفة الفاطمي القائم بخطر أبي يزيد سارع بدعوة قبيلة صنهاجة القوية (التي ساعدت على نجاح الدعوة الفاطمية من قبل مع قبيلة كتامة) للدفاع عن دولته. فلبى الصناهجة الدعوة فاختل ميزان القوى لصالح الفاطميين بالرغم من وقوع عاصمتهم المهدية تحت الحصار لمدة ثمانية عشر شهراً. ولما علم أبو يزيد بدخول الصناهجة الحرب ضده فك الحصار من حول المهدية وخرج بقواته من حدود الدولة الفاطمية، ولكن الفاطميين سارعوا خلفه وأسروه ثم أعدموه عام ٣٣٦هـ.

ولقد كانت تلك الثورة أخطر ثورة ضد الوجود الفاطمي في شمال أفريقيا منذ قيام دولتهم.. ولكن ظل بقاء الأندلسيين في المغرب الأقصى يقلقهم.

٢٩٨ وفاة الفارابي مؤسس علم المنطق (٣٣٩هـ/ ٩٥٠م)

ينسب لقب الفارابي (محمد بن محمد بن طرخان) إلى مدينة فاراب وهي من المدن الإسلامية التركية المزدهرة التي انعكس ازدهارها على عبقرية ذلك العالم الإسلامي الكبير، فبرع في عدة علوم فلسفية واجتماعية. ويعود للفارابي الفضل الأول لتأسيس علم المنطق الذي نبغ فيه نبوغاً عظيماً ووضع نظرياته وأبحاثه المفصلة عن ذلك العلم في عدة كتب أهمها (آراء أهل المدينة الفاضلة) والذي اشتمل على مجمل آرائه ومعتقداته الفلسفية. كذلك يعتبر كتابه (احصاء العلوم) أول كتاب من نوعه يُظهر للعالم امكانية وضع دوائر المعارف ليهتدى بها الناس ويصلوا عن طريقها إلى معرفة الكثير من العلوم والفلسفات والحقائق.

ولقد توفي رحمه الله بدمشق عام ٣٣٩هـ.

٢٩٩ المعز لدين الله يتولى الخلافة الفاطمية (٣٤١هـ/ ٩٥٢م)

تسنى للمنصور الفاطمي أن يقضي على أعداء دولته وأن يبني مدينة المنصورية (على مقربة من القيروان) ويتخذها عاصمة للفاطميين وأن يبني

أسطولاً وجيشاً وأن يحفظ ثروة بلاده، ولهذا فعندما توفي نتيجة مرض ألم به في شوال من عام ٣٤١ وخلفه ابنه المعز لدين الله، لم يكن أمام الفاطميين صعاب في الجانب العسكري بل وجه المعز كل قوته السياسية في لم شمل القبائل بشمال أفريقيا من حوله ونجح في ذلك نجاحاً كبيراً، فامتدت دولته من ليبيا إلى شاطىء المحيط الأطلنطي (باستثناء الجيب الذي يقيم به الجيش الأندلسي) وجنوباً لمسافة تصل إلى ألف كيلومتر تقريباً بداخل العمق الأفريقي. وأصبحت الدولة الفاطمية الموحدة أقوى قوة إسلامية في أفريقيا. . . ولهذا فقد تطلعت شرقاً لتدخل مصر وتقيم فيها امبراطورية ذات بأس شديد.

٣٠٠ البيزنطيون يزحفون على شمال الشام (٣٤٨هـ/ ٩٥٩م)

إن سيف الدولة الحمداني الذي أسس دولة الحمدانيين بحلب في شمال الشام الغربي وجد نفسه كصاحب دولة لها حدود مع البيزنطيين في حالة حرب مستمرة معهم، ويبدو أن العداوة قد زادت بعد أن تمكن سيف الدولة من أسر قائد الجيش البيزنطي قسطنطين بن الدمستق، فزحف البيزنطيون بجيوش جرارة على شمال الشام فخربوا الضياع والأراضي حتى وصلوا إلى مشارف مدينة طرسوس (السورية). ولقد صاحب زحفهم هذا هجرة السكان المسلمين من الشمال إلى الجنوب، فاضطربت أحوال الدولة الحمدانية ومن ورائها العباسية من جراء ذلك.

٣٠١ جوهر الصقلي يطرد الأندلسيين من المغرب الأقصى ويسترد مدينة فاس (٣٤٨هـ/ ٩٥٩م)

مكث الفاطميون عدة سنوات يبنون قوتهم ويحصنون مدنهم ويراقبون موقف الأندلسيين الذين سيطروا على جانب من الأراضي في المغرب الأقصى بما في ذلك مدينة فاس الاستراتيجية، حتى أمر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله قائده المحنك جوهر الصقلي بالزحف بالجيش الفاطمي تجاه المغرب الأقصى لوضع نهاية للوجود الأموي الأندلسي هناك، ويبدو أن الفاطميين كانوا في حاجة إلى مساعدة قبيلة صنهاجة القوية ـ التي كانت سبباً قوياً في قيام واستمرار دولتهم ـ لضمان النصر. وقام جوهر الصقلي بقيادة الجيش الفاطمي ومعه زعيم

قبيلة صنهاجة زيري بن مناد وتقابلوا مع الأندلسيين وانتصروا علهيم. . . وبذلك سيطر الفاطميون على المغرب الأقصى ودخلوا عاصمته فاس عام ٣٤٨هـ.

٣٠٢ اغتيال أمير دولة الإخشيد بمصر (٣٤٩هـ/ ٩٦٠م)

جاء أبو القاسم أنوجور في حكم مصر بعد وفاة أبيه الإخشيد، وكان الوزير كافور وصياً عليه لصغر سنه فاستبد بالأمر وسيطر على أمور الدولة وأبعد أنوجور عن التدخل في أي شأن من شئونها، وهيأ له حياة القصور بترفها وملذاتها، ولكن أنوجور عندما بلغ الثامنة والعشرين من العمر وجد أن المُلك يُسرق منه فحاول منازعة كافور ولكن لم يتسن له ذلك، وخشي كافور أن يلجأ أنوجور للحيلة فسارع بدس سم له في طعامه فقتله وكان ذلك عام ٣٤٩ للهجرة، فخلفه شقيقه أبو الحسن علي.

٣٠٣ البيزنطيون يعاودون احتلال جزيرة كريت (٣٥٠هـ/ ٩٦١م)

ازدادت أطماع البيزنطيين في الشام وجزر البحر المتوسط نتيجة سببين هامين: الأول هو النزاعات المستمرة بين المسلمين، والثاني ظهور روح حماسية شديدة في القسطنطينية لدحر العرب وإيقاع الهزيمة بهم. فجهز قائدهم نقفور أسطولاً حربياً مكوناً مما يزيد على ألفي سفينة حربية وأبحر به في اتجاه جزيرة كريت التي كان المسلمون الأندلسيون قد نزلوا بها عام ٢١٢هـ. وسرعان ما أحاط الأسطول البيزنطي بالجزيرة فدمر سفن المسلمين بها ثم دخل الروم مدنها فخضعت لهم بكاملها لتزيد من ضعف المسلمين في الشرق.

٣٠٤ تولي المستنصر حكم الأندلس (٣٥٠هـ/ ٩٦١م)

توفي الخليفة الأموي الناصر (عبد الرحمن الثالث) عام ٣٥٠ للهجرة بعد أن حكم الأندلس الموحدة خمسين عاماً متصلة. وطوال هذه الفترة حافظ على دولة المسلمين بالأندلس متماسكة قوية مزدهرة. ولهذا فعندما تولى من بعده ابنه الحكم الثاني (المستنصر) وكان عمره أربعين عاماً، سار على نهج أبيه وحافظ على الدولة أمام أعدائها من الداخل والخارج معاً، فباتت الدولة في عنفوان الشباب.

٣٠٥ البيزنطيون يهاجمون حلب ويدمرونها ويذبحون أهلها (٣٥٠هـ/ ٩٦٢م)

أخذ سيف الدولة الحمداني في الهجوم على البيزنطيين الذين هددوا الشام، مما دفع بهؤلاء إلى تجهيز جيش كبير بقيادة زعيمهم نقفور ثم زحفوا به على شمال الشام وفرضوا الحصار من حول حلب (عاصمة الدولة الحمدانية) حتى تمكنوا من اقتحامها وأجروا السيف في رقاب أهلها حتى بلغ عدد من قتل من المسلمين الأبرياء بالمدينة عشرة آلاف إنسان... ثم أخذوا يدمرون المدينة وأشعلوا فيها النيران.

٣٠٦ هزيمة الروم من الفاطميين في معركة المجاز (٣٥٣هـ/ ٩٦٤م)

كانت قوة العباسيين تزداد ضعفاً وقوة البيزنطيين والفاطميين تزداد بأساً. ولهذا تركز الصراع على جزيرة صقلية (وهي قريبة من السواحل الايطالية وسواحل الفاطميين في شمال أفريقيا) بين الروم والفاطميين. فقد أعد الأمبراطور البيزنطي نقفور ـ الذي استولى منذ ثلاثة أعوام على كريت ـ أسطولاً كبيراً واتجه به نحو جزيرة صقلية فعلم بذلك حاكمها الحسن الكلبي فأرسل بطلب النجدة من الفاطميين في شمال أفريقيا. وقد أبحر أسطول فاطمي كبير مسرعاً تجاه الجزيرة حيث تقابل مع الأسطول البيزنطي فأحبط خططه ودمر جانباً كبيراً من سفنه وقتل حوالي عشرة آلاف بيزنطي في معركة كبرى سميت المجاز.

٣٠٧ مصرع أبي الحسن علي أمير دولة الإخشيد بمصر (٣٥٥هـ/ ٩٦٦م)

أخذ الوزير الاخشيدي كافور يتسلط على الأمير أبي الحسن علي، كما تسلط على أخيه أنوجور من قبل حتى ضاق أبو الحسن بكافور فأحس الأخير بالخطر وقام باعتقال الأمير وذاع بين المصريين وقتئذ أنه قتله بعد ستة أعوام من اعتقاله. ولقد كانت وفاة أبي الحسن في شهر المحرم من عام ٣٥٥ للهجرة.

٣٠٨ كافور... وعام الكوارث في مصر (٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)

تمكن كافور من اعتلاء حكم مصر بعد تخلصه من أبي الحسن علي، فأظهر للناس موافقة الخليفة العباسي على أن يتولى حكم البلاد. فقبل المصريون ذلك وتمكن كافور من أن يسيطر على خزائن مصر التي كانت تمر في

ذلك الوقت بكوارث متتالية حيث وقع زلزال شديد حتى خاف الأهالي وتركوا ديارهم وفروا إلى الخلاء، وتبع ذلك حريق هائل قضى على ألف وسبعمائة دار بمدينة الفسطاط غير ما خسره الأهالي من السلع والبضائع، ثم تلي ذلك انخفاض حاد في مياه النيل فشرقت الأراضي الزراعية وأرتفعت أسعار السلع والحبوب حتى عمت المجاعة والقتل والسرقات. وصاحب ذلك هجوم القرامطة على قوافل الحجاج المصريين وهجوم آخر من النوبيين على صعيد مصر حيث خربوا القرى وأشعلوا بها النار، وبالرغم من كل ذلك كان كافور يتمتع بالثراء الفاحش حيث ذُكر أن ثروته فاقت ثروة مؤسس الدولة الاخشيدية ذاته. ومهما كان الأمر فقد مات كافور بعد ثلاثة أعوام تقريباً من حكمه للبلاد المصرية.

٣٠٩ **شح النيل والطاعون يقضيان على ستمائة ألف مصري.** (٣٥٧هـ/ ٩٦٧م)

أخذت مياه النيل تقل حتى هبط مستواها إلى أدنى درجات له، فجفت أرض مصر جفافاً شديداً وحدثت المجاعات وزادت الوفيات وانتشرت الفئران حتى ظهر الطاعون في كل أنحاء مصر فلقي حوالي ستمائة ألف مصري حتفهم، مما جعل المصريين يهاجرون جماعات إلى البلدان المجاورة أو يقطنون الصحراء هرباً من الوباء الذي أحاطهم.

٣١٠ **الفاطميون يدخلون مصر** (٣٥٨هـ/ ٩٦٨م)

توفي عبد الله المهدي الخليفة الفاطمي الأول ومؤسس الدولة الفاطمية بالمغرب فخلفه ابنه أبو القاسم (القائم) عام ٣٢٢هـ فمكث بالحكم حتى توفي عام ٣٣٤هـ، فخلفه ابنه المنصور الذي ساس دولته وقواها حتى توفي عام ٣٤١هـ فخلفه ابنه الطموح المعز لدين الله الذي رأى الدول تتساقط في الشام (دولة الحمدانيين) وفي مصر (الإخشيد) فعمل على تجهيز جيش ضخم قوامه مائة ألف رجل عين له قائده جوهر الصقلي فزحف بالجيش نحو مصر في ربيع الأول من عام ٣٥٨ للهجرة فدخلها بدون قتال حيث كان ابن الفرات (وهو الوزير الاخشيدي الذي حل محل كافور) ملتفتاً لأطماعه الشخصية فترك البلاد للفاتحين الشيعة. ومنذ ذلك العام (٣٥٨هـ) وحتى عام ٥٦٧هـ حكمت مصر

لأول مرة منذ دخول الإسلام بها بطائفة الإسماعيلية الشيعية. . . ومنذ ذلك العام أيضاً أصبحت مصر لأول مرة موطناً لدولة إسلامية مستقلة تماماً عن الدولة العباسية. . . دولة تمتعت بقوة ضخمة جعلتها نواة لامبراطورية إسلامية مترامية الأطراف.

٣١١ الفاطميون يسيطرون على الحجاز (٣٥٨هـ/ ٩٦٨م)

تطلع الخليفة الفاطمي المعز لدين الله إلى مد نفوذه نحو الحجاز ليزيد من الوزن السياسي والروحي لدولته، ولم يكن بسط النفوذ الفاطمي على الحجاز (مكة والمدينة) بغرض احتلال الأرض بقدر ما كان لاضفاء الشرعية على الحكم الفاطمي، وخاصة أن الفاطميين كانوا يؤمنون بأنهم من سلالة السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ. ويبدو أن دعوة المعز لدين الله قد وجدت من يستمع لها في مكة حيث قام أميرها الحسن بن جعفر باعلان ولائه للفاطميين وقطع علاقاته مع العباسيين الذين كانوا يزدادون ضعفاً يوماً بعد يوم. ففي خلال ثمانية أعوام ضاعت منهم كريت وحلب وصقلية ومصر والحجاز.

٣١٢ البيزنطيون يحتلون أنطاكيا (٣٥٩هـ/ ٩٦٩م)

لم يكتف البيزنطيون (الذين رأوا مستوى أداء الحمدانيين الضعيف في حماية حلب) بما حققوه على حساب الدولة العباسية، ولكنهم أخذوا يكيلون ضرباتهم إلى شمال الشام وشمال العراق حتى تمكن أمبراطورهم نقفور من حصار ولاية أنطاكيا الثرية واقتحامها عنوة، وأخذ جنده يدمرون المعالم الإسلامية الرائعة فيها والتي كانت قد أنشئت على مدى ثلاثمائة عام منذ دخلها الأمويون لأول مرة.

٣١٣ بناء مدينة القاهرة عاصمة الدولة الفاطمية (٣٥٩هـ/ ٩٦٩م)

اختار جوهر الصقلي مكاناً متسعاً كبيراً يقع في الصحراء شمال الفسطاط ليبني فيه مدينة الفاطميين الكبرى التي سميت القاهرة، يحدها من الشرق جبل المقطم ومن الغرب وادي النيل. . . وهو موقع استراتيجي يضمن لها الحماية وامدادات المياه العذبة الوفيرة. ولما كان الفاطميون بمصر يمثلون دولة بالغة

القوة والثراء فقد أرادوا للقاهرة أن تكون مدينة كبرى مزدهرة تضارع عواصم العالم الكبرى المعروفة..

فأخذوا يحيطونها بالحدائق المزدهرة والحمامات والمتنزهات والمتاجر العامرة بشتى أصناف الطعام والشراب والسلع فغدت كالجوهرة اللامعة المزدانة بصنوف الروعة والجمال. وأحيط بالقاهرة سور كبير يفصلها عن الفسطاط والقطائع شددت الحراسة عليه في كل الأوقات ولذلك سميت القاهرة المحروسة، وكان بتلك الأسوار حوالي عشر بوابات كبرى للخروج من المدينة والدخول إليها أهمها باب زويله وباب الفتوح وباب النصر وباب الفرج. وتم بناء قصر الخليفة الفاطمي (القصر الكبير) في شمال شرق المدينة بداخل الأسوار. وكان ضخماً شاسعاً ترى منه كل أنحاء المدينة بحدائقها ومبانيها وشوارعها. هذا وقد تم الانتهاء من بناء المدينة في ثلاثة أعوام ليدخلها الخليفة الفاطمي المعز لدين الله (أنظر عام ٣٦١هـ)

٣١٤ جوهر الصقلي يفتح الشام وفلسطين (٣٥٩هـ/ ٩٦٩م)

سرعان ما تحول جهد جوهر الصقلي إلى فتح الشام وفلسطين التي كانت لا تزال تحت حكم بقايا الإخشيد. فكلف لذلك جعفر بن فلاح وهو قائد حربي مغربي واسع الخبرة وينتمي لقبيلة كُتامة القوية التي ساعدت مساعدة مباشرة على نجاح الدعوة الفاطمية وهزيمة دولة الأغالبة، ولقد دارت معركة فاصلة بين الجيش الفاطمي وجيش الإخشيد انتصر فيها الفاطميون وتمكنوا بذلك من بسط نفوذهم الفاطمي على دمشق وفلسطين عام ٣٥٩هـ.

وبذلك أصبحت الدولة الفاطمية الشيعية تسيطر على مساحة هائلة من الأراضي تمتد من الشام والحجاز شرقاً إلى شواطىء المحيط الأطلنطي عند المغرب الأقصى غرباً.

٣١٥ مصرع زعيم قبيلة صنهاجة القوية بالمغرب (٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)

بالرغم من أن قبيلة صنهاجة ـ من أقوى قبائل البربر بشمال أفريقيا ـ كانت على المذهب السني. إلا أن دعمها للدعوة الفاطمية الشيعية وحمايتها لها

مكن الفاطميين من إنشاء دولة قوية في العالم الإسلامي.

ومع قيام الفاطميين بفتح مصر ظلت قبيلة صنهاجة على ولائها للفاطميين وقاتلت من أجلهم قبيلة مغربية قوية أخرى هي قبيلة زناتة. ففي شهر رمضان من عام ٣٦٠هـ تصادمت جيوش القبيلتين من أجل السيادة على الأراضي الي سيتركها الفاطميون بعد تحولهم إلى مصر... وكان من جراء تلك المعركة أن قتل زعيم قبيلة صنهاجة زيري بن مناد صريعاً.

ويبدو أن ذلك الإخلاص المنقطع النظير من قبل صنهاجة للفاطميين بالرغم من اختلاف مذهب كل منهما، كان السبب الرئيسي الذي جعل الفاطميين يتركون شمال أفريقيا الغربي لتلك القبيلة (أو ربما كان ذلك ثمناً للتعاون المشترك بينهما).. ففي العام الذي انتقل فيه المعز لدين الله الفاطمي إلى القاهرة، قام بلكين بن زيري بفرض سيادته على المغرب بدعم الفاطميين في مصر.

٣١٦ **بناء الأزهر الشريف** (٣٦١هـ/ ٩٧٢م)

لما استقر الفاطميون بمصر شرعوا في بناء مدينة القاهرة كعاصمة لدولتهم الفتية... ولما كان الأمر يستدعي للمدينة الجديدة مسجداً جامعاً لها، فقد شرع جوهر الصقلي في بناء الجامع الأزهر الشريف في شرق العاصمة وذلك في الثاني والعشرين من شهر جمادى الأولى عام ٣٥٩هـ. واستمر العمل في بنائه حتى رمضان عام ٣٦١هـ وربما يكون من أسباب بناء الجامع داخل القاهرة هو عدم رغبة الفاطميين في الضغط على المصريين السنة وتحويلهم إلى المذهب الشيعي حتى لا يفقد الفاطميون ود المصريين وتأييدهم في ظروف صعبة صاحبت تأسيسهم لدولتهم في مصر.

ولقد تجارو موقع الأزهر الشريف مع موقع قصر الخليفة المعز لدين الله الذي تعود أن يخطب فيه أثناء صلاة الجمعة، وقد أقيم للأزهر الشريف مدخل غربي رئيسي كُتبت عليه الآية القرآنية (نصر من الله وفتح قريب)، ثم يعقب ذلك المدخل ساحة كبرى أقيم حولها ٣٨٠عموداً من الأعمدة المرمرية الأسطوانية الشكل، وهو أكبر عدد من الأعمدة موجود في أحد مساجد مصر.

وقد استمر العمل على مر العصور ـ وحتى يومنا هذا ـ في توسيع وترميم

ذلك المسجد العظيم حتى بلغت مساحته حوالي ١٢ ألف متر مربع وزيادة عدد أبوابه حتى بلغت ثمانية ومآذنه إلى خمس.

وفي عام ٣٧٨هـ تحول الأزهر الشريف من مسجد للصلاة فحسب إلى جامعة دينية وأدبية وعلمية وهو بهذا أصبح أول جامعة شاملة في الإسلام وفي العالم على حد سواء مما أعطاه وزناً ومكانة رفيعة في السجل التاريخي للحضارة الإسلامية.

ويأتي بناء الأزهر الشريف كثالث مسجد جامع في مصر بعد مسجد عمرو بن العاص ومسجد أحمد بن طولون. وقد سمى الجامع بعد بنائه مباشرة بجامع القاهرة، ولكن الخليفة الفاطمي العزيز بالله (أنظر عام ٣٦٥هـ) هو الذي سماه بالأزهر تقرباً من السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ.

٣١٧ الخليفة الفاطمي المعز لدين الله يدخل مصر (٣٦١هـ/ ٩٧٢م)

أرسل جوهر الصقلي الذي فتح مصر عام ٣٥٨ هجرية وبنى القاهرة والأزهر وقصر الخلافة، دعوة الحضور إلى الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، فترك مدينة المنصورية بتونس قاصداً مصر ليتخذها عاصمة لدولته هو وأحفاده من بعده. فدخل الأسكندرية في الرابع من شعبان ثم القاهرة في السابع من رمضان عام ٣٦١هـ وقصد قصره وسجد لله تعالى شكراً على نعمته وفضله.

وقد حمل المعز لدين الله معه إلى مصر ألف وخمسمائة جمل محملة ذهباً.. وحمل معه كذلك رفات أهله وأجداده ليعاد دفنها بالقاهرة.

ومنذ تلك السنة أصبحت مصر أقوى دولة إسلامية في ذلك الوقت، وأصبحت القاهرة حاضرة العالم المتلألئة بكل صنوف الازدهار العقلي والثقافي والحضاري وعلى مدى ما يزيد على مائتي عام.. بعد أن كانت (أي مصر) في العصرين الأموي والعباسي ولاية من الولايات.

٣١٨ تأسيس الدولة الزيرية مكان الفاطمية في تونس (٣٦٢هـ/ ٩٧٣م)

ركز الفاطميون جل جهودهم للاحتفاظ بمصر والشام والحجاز واليمن، ونجحوا في ذلك.. فلم يجد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ضرراً في أن

يعطي تونس (المغرب الأوسط) إلى بلكين بن زيري زعيم قبيلة صنهاجة، ليؤسس هناك دولة عرفت باسم الدولة الزيرية وذلك لإخلاصه للفاطميين وخبرته الواسعة بشئون المغرب، ويبدو أن انتشار مذهب الإمام مالك بن أنس بالقيروان قد ساعد ابن زيري على تأسيس دولته الجديدة بسرعة، فقد التف من حوله العلماء وأفراد الشعب.

٣١٩ القرامطة يهددون الدولة الفاطمية (٣٦٢هـ/ ٩٧٣م)

زاد الصراع بين القرامطة والفاطميين على الشام.. وقد سبق الفاطميون القرامطة إلى دمشق ودخلوها ولكن القرامطة زحفوا على المدينة وهزموا الفاطميين عام ٣٥٩هـ ويبدو من ذلك أن الفاطميين لم يدركوا مدى قوة القرامطة الذين ما أن سيطروا على الشام حتى زحفوا بسرعة اتجاه مصر مروراً بفلسطين، فأعد جوهر الصقلي قوات ضخمة من مصر وزحف لمواجهة القرامطة شرقي القاهرة، فدارت معركة قاسية استطاع الفاطميون فيها هزيمة القرامطة الذين ارتدوا تجاه الشام.

٣٢٠ البويهيون يعزلون الخليفة العباسي المطيع لله. (٣٦٣هـ/ ٩٧٤م)

توفي مؤسس دولة بني بويه في العراق معز الدولة عام ٣٥٦هـ وترك ابنه بختيار خلفاً له في الوزارة في العراق. فاستبد بالحكم وقام بعزل الخليفة العباسي الفضل بن المقتدر (المطيع لله) وجاء خليفة عباسي آخر لقبه بالطائع لله. وبالرغم من ذلك لم تستقر الأوضاع بين السنة والشيعة في العراق إلى أن قتل بختيار فيما بعد عام ٣٦٧هـ.

٣٢١ الحرب بين الفاطميين والقرامطة (٣٦٣هـ/ ٩٧٤م)

إن القرامطة الذين أقلقوا الدولة العباسية تعرضوا للكثير من الخسائر والضربات حتى أخذت الانقسامات تظهر فيما بينهم، فبالرغم من أنهم من الشيعة (ولكن يميلون إلى التطرف) إلا أن انقساماتهم أدت بطائفة منهم لأن تعادي الفاطميين الشيعة بمصر. ولهذا قام زعيم القرامطة المعادين للفاطميين (ويدعى الحسن الأعظم) بالزحف على دمشق واحتلالها. ثم هزمه جوهر الصقلي عندما

حاول غزو مصر فارتد إلى الشام وبقي هناك عامين ثم عاد بجيشه لغزو مصر مرة أخرى. وحينما تقابل مع القوات الفاطمية شرقي القاهرة، هُزمت قواته وفر بها ألى الشام... ولكن في تلك المرة زحف خلفهم الفاطميون حتى شتتوهم في البقاع ودخلوا دمشق ليصبح الشام ومصر تحت النفوذ الفاطمي المحكم.

٣٢٢ البيزنطيون يزحفون على العراق (٣٦٤هـ/ ٩٧٤م)

بعد انتصارات البيزنطيين في الشام وشمال العراق يبدو أنهم طمعوا في تدمير الخلافة العباسية ذاتها في بغداد. فقد سيّر امبراطور البيزنطيين يوحنا زيمسكيس جيشاً ضخماً من أنطاكيا في شمال غرب العراق إلى طريق بغداد عاصمة الخلافة. ولكن يبدو أن الجنود البيزنطيين قد ضاقوا بطول المسافة فاكتفوا بما حملوه من أسلاب وغنائم سرقوها من المدن والقرى العراقية التي مروا بها وعادوا إلى بلادهم دون أن يحققوا هدفهم.

٣٢٣ البيزنطيون يزحفون على فلسطين (٣٦٤هـ/ ٩٧٥م)

لم تمر أشهر على محاولة البيزنطيين الزحف على بغداد حتى زحفوا مرة أخرى على فلسطين، وكان يوحنا زيمسكيس يقود تلك الحملة أيضاً فنشر بقواته الرعب في مدن الشام الكبرى مثل حلب ودمشق ثم دخل بيروت وصيدا وعكا ثم بيت المقدس. وبالرغم من انتصاراته السريعة تلك إلا أنه لم يبق في أي من المدن التي دخلها... وذلك قد يوضح لنا أن ضعف الجناح الشرقي من العالم العربي ساعد على أن يقوم الروم البيزنطيون باختبار دفاعات الامارات العربية في الشام كتجربة هامة قبل أن يقوموا بغزو أوسع وأعمق وأكثر بقاء... وهذا ما فعلوه بالحملة الصليبية الأولى بالفعل فيما بعد.

٣٢٤ العزيز بالله يتولى الخلافة الفاطمية (٣٦٥هـ/ ٩٧٥م)

بقي المعز لدين الله الفاطمي بمصر حوالي عامين ونصف ثم مات فخلفه ابنه أبو منصور نزار الذي لقب بالعزيز بالله ويعتبر الثاني من خلفاء الفاطميين الذين حكموا بمصر. وكان العزيز بالله قد ولد بالقيروان عام ٣٥٤هـ ودخل مصر مع أبيه.

وقد اشتمل عهد العزيز نزار على عدة انتصارات ضد أعداء الدولة وخاصة القرامطة الذين دحروا عند الرملة عام ٣٦٨هـ. فاستقر بذلك الحكم في الدولة وتفرغت للبناء والثقافة فغدا عصر العزيز بالله عصر رخاء وازدهاء كبيرين.

٣٢٥ بناء مدينة أشير عاصمة للدولة الزيرية بالمغرب الأوسط (٣٦٥هـ/ ٩٧٦م)

تمكن آل زيري من كسب ثقة الفاطميين فسيطروا على المغرب (تونس) وأقاموا لهم دولة قوية تعتمد على قوة قبيلة صنهاجة، وسرعان ما شرعوا في بناء عاصمة لدولتهم مثلهم في ذلك مثل بناة الدول، فاختاروا قرية صغيرة تقع على مشارف الجبال وطرق التجارة وخاصة الساحلية منها تسمى أشير وبنوا بها القصور والمتاجر والمساجد وغدت مدينة متسعة تتمتع بالازدهار. وفي الحقيقة فقد قام الفاطميون بمصر بمساعدة بني زيري في بناء مدينة أشير حيث اشترك المهندسون المصريون في تخطيطها وبنائها.

٣٢٦ هشام الثاني يحكم الأندلس (٣٦٦هـ/ ٩٧٦م)

ظل المستنصر يحكم الأندلس ستة عشر عاماً متتالية إلى أن مرض، فأحس بالنهاية فجمع أركان أسرته الأموية حوله واستحلفهم أن يوافقوا على مبايعة ابنه هشاماً (وكان يبلغ من العمر عشر سنوات) خليفة عليهم.

ولكن بعد وفاة الحكم المستنصر عام ٣٦٦هـ ومبايعة الأمويين هشام للخلافة، أخذت المطامع في الأسرة الأموية في الظهور... فهشام طفل صغير قد يطمع الأسبان في ملكه عندما يرون مدى جهله بالسياسة والإدارة. وقد ظهر رجل قوي يدعى ابن أبي عامر استطاع بذكائه الفذ اقناع بني أمية بتعيينه حاكماً للأندلس (في ظل الخليفة الطفل هشام). ولما رأى الأمويون إخلاص ابن أبي عامر (وهو ليس من البيت الأموي بل أن نسبه يصل إلى قبيلة قحطان بالجزيرة العربية) وفطنته وعلمه أيدوه، وسار خلفه قادة الجيوش والفقهاء الذين منحوه لقب: حامي الإسلام.

ومنذ ذلك الوقت أخذ حكم بني أمية الفعلي في الزوال لتدخل الأندلس في حكم الدولة العامرية القوية... وسمى ابن أبي عامر نفسه المنصور.

٣٢٧ المنصور يبني مدينة الزاهرة بالأندلس (٣٦٨هـ/ ٩٧٨م)

سيطر المنصور ابن أبي عامر على الأندلس سيطرة كاملة باسم الخليفة الأموي هشام المؤيد. وبهذا تمكن من وضع أساس مدينة كبيرة مزدهرة سميت بالزاهرة تكون مقراً له كوزير للخليفة، وتقع الزاهرة ـ التي استمر بناؤها عامين ـ إلى الشرق من مدينة قرطبة، وتطل على نهر الوادي الكبير وقد انتقل إليها معظم دوادين الدولة وأخذت تتسع وتزدهر اقتصادياً وعمرانياً حتى سقطت (مع سقوط قرطبة) في يد الأسبان (أنظر عام ٦٣٣هـ).

٣٢٨ المصنور ينتصر على الاسبان في موقعه سيمانكس (٣٧١هـ/ ٩٨١م)

ارتبط اسم الحاجب المنصور بانتصاراته على الاسبان، ولعل أهم تلك الانتصارات انتصاره على قوات اسبانية من ثلاث ممالك اسبانية هي قشتالة وليون وبنبلونة بالقرب من سانت مانكس، المعروفة باسم سيمانكس، حيث دمر جيوش الأسبان وأسر منهم الألوف. ومنذ ذلك الحين أصبحت تلك الممالك وخاصة مملكة ليون تدفع الجزية إلى الحاجب المنصور.

٣٢٩ ظهور رسائل إخوان الصفا (٣٧٣هـ/ ٩٨٣م)

إخوان الصفا جماعة من الشيعة ذوي النزعة المتطرفة اتخذوا من مدينة البصرة جنوبي العراق مقراً لهم، وتتركز فلسفتهم التي ضمنوها في ٥٢ رسالة في السعي إلى التعاون فيما بينهم لكي تسعد نفوسهم بالصفاء والخلود عن طريق الارتقاء الروحي. وقد نشرت تلك الرسائل لشرح الطرق التي يمكن بها للنفس الإنسانية بأن ترتقي لتعود إلى الله . . . فهم يؤمنون بأن النفس الفردية جزء صغير من النفس الكلية التي هي الله تعالى. وعلى هذا يجب على كل إنسان أن يرتقي بنفسه ليتشبه ـ بقدر إمكانه واستطاعته ـ بصفات الله.

وهناك بطبيعة الحال تشابه بين مضمون رسائل إخوان الصفا وبين مضمون الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية. ولم تتحول تلك الرسائل إلى حركة سياسية، ولم يكن لأصحابها خطر سياسي على الدولة العباسية بأي صورة من الصور.

٣٣٠ عقد اتفاق للتصالح بين الفاطميين والبيزنطيين (٣٧٧هـ/ ٩٨٧م)

كان ضعف الإخشيد والعباسيين سبباً مباشراً في أن يطمع البيزنطيون في بعض أجزاء الشام. ولكن لما سيطر الفاطميون على الشام وفلسطين جاوروا بقوتهم حدود الدولة البيزنطية. ولهذا شعر البيزنطيون بالخطر فسارعوا بإرسال بعثة تصالح مع الخليفة العزيز بالله، فتم بين الدولتين الاتفاق على عدم اعتداء أي منهما على الأخرى لمدة عشر أعوام، وأن يذكر اسم الخليفة الفاطمي أثناء صلاة الجمعة بجامع القسطنطينية. وكان من قبل يخصص لذكر اسم الخليفة العباسي. ولم يكن ذلك الاتفاق موجهاً ـ من الناحية العسكرية ـ للدولة العباسية، فلم يحدث اعتداء بيزنطي ضد الأراضي الفاطمية طوال مدة ذلك الاتفاق.

٣٣١ خلع الخليفة العباسي الطائع واستخلاف القادر بالله. (٣٨١هـ/ ٩٩١م)

تصادم الخليفة العباسي الطائع مع أمير أمرائه بهاء الدولة (من أسرة بني بويه المسيطرة على العراق) بسبب استبداد الثاني وطمعه في ثروة الطائع لتعويض ما أنفقه على حروبه الشخصية التي كان يخوضها ضد أعدائه وخاصة شقيقه صمصام الدولة للفوز بفارس، فقام بهاء الدولة بدخول قصر الخليفة مع المتآمرين معه وعزل الخليفة من منصبه وسرق قصره وممتلكاته واختار للخلافة أحمد بن إسحق بن المقتدر (القادر بالله) عام ٣٨١هـ.

وبذلك استمر بنو بويه في التلاعب بمصير الخلفاء العباسيين.

٣٣٢ الحاكم بأمر الله يتولى الخلافة الفاطمية (٣٨٦هـ/ ٩٩٦م)

انقضى أجل العزيز بالله في رمضان من عام ٣٨٦هـ، فخلفه ابنه أبو علي منصور الملقب بالحاكم بأمر الله، وهو أول خليفة فاطمي يولد بالقاهرة (حيث ولد عام ٣٧٥هـ). ولصغر سنه تولى وصيه علي العرش برجوان تسيير أمور الدولة.

ويعتبر عهد الحاكم بأمر الله من أعجب العهود التي عاشتها مصر في مجمل تاريخها، فبالرغم من أن الفترة الأولى من حكمه اتصفت بالاعتدال لأن برجوان الوصي كان هوالذي يحكم مصر فعلياً، إلا أن الحاكم بعد أن دخل سن الشباب والرجولة أمسك بالأمور كلها في يده فتحول إلى سفاك شره للدماء،

فقتل برجوان، واضطهد أهل الذمة، وكل الذين أحس أنهم يخالفونه. ثم اشتط في إصدار القرارات... فمنع الناس من الخروج ليلاً، ومن تناول بعض الأطعمة ومن زراعة العنب وصيد بعض أنواع الأسماك، فعاش المصريون كافة تحت حصار الطغيان والخوف. ولم يسلم من بطش الحاكم أقرب الدي عاشوا من حوله حتى أن الكثيرين منهم تعرض للقتل ومصادرة الأموال والممتلكات. وبلغ الأمر بالحاكم حداً بعيداً من الضلال عندما ادعى الربوبية والإحاطة بعلم الغيب.

٣٣٣ المنصور يحطم مدينة سانتياجو الاسبانية (٣٨٧هـ/ ٩٩٧م)

هذه واحدة من أهم حملات المنصور (ابن أبي عامر) على الاسبان إن لم تكن أهمها على الإطلاق.

فقد استخدم المنصور كلاً من جيشه البري واسطوله البحري (كان لعبد الرحمن الناصر مائتا سفينة حربية تركها لأحفاده) في الوصول إلى مدينة سانتياجو الأسبانية بالقرب من نهر دويره غربي الأندلس حيث نصب حولها حصاراً محكماً، ثم اكتشف أن الاسبان كانوا قد أخلوها فدخلها وقواته حيث دمروا ما عليها من منشآت. ولا شك أن تلك الغزوة قد أضعفت الروح المعنوية للأسبان في تلك المنطقة التي كانوا ينطلقون منها للإغارة على المدن والقرى والضياع والحصون الإسلامية غربي الأندلس... ولا شك كذلك أنها ساعدت في تمكين المنصور من ترسيخ حكمه للأندلس.

٣٣٤ وفاة البوزجاني عالم الهندسة والرياضيات (٣٨٩هـ/ ٩٩٨م)

ولد أبو الوفاء البوزجاني بفارس، وتلقى علمه في العراق. وسرعان من ما ذاعت شهرته في العلوم الهندسية والرياضيات لاسهاماته الفريدة ونظرياته الرائدة مما أثر بشكل كبير في المعارف الهندسية والرياضية في العالم في ذلك الوقت. ولقد عكف على قراءة أبحاث البوزجاني عدد من كبار العلماء في أوروبا وشهدوا له بالتفوق والعبقرية.

كذلك نبغ البوزجاني في علم الفلك لأنه استخدم معارفه الهندسية لدراسة حركة الأجرام السماوية. . .وله في ذلك مؤلفات عديدة كان أهمها كتابه (الكامل) والذي ترجم إلى لغات أوروبية عديدة.

وقد توفي رحمه الله ببغداد عام ٣٨٩هـ.

٣٣٥ قيام الدولة الغزنوية وزوال السامانية (٣٨٩هـ/ ٩٩٩م)

كانت مدينة غزنة تحت سلطة السامانيين إلى أن أخذت الدولة السامانية في الضعف، فاستقلت غزنة عنها وأخذ القادة الغزنويون من محاولات التوسع على حساب الدولة السامانية. وفي عام ٣٦٦هـ تمكن رجل غزنوي يدعى سبكتكين من تأسيس الدولة الغزنوية بعد سلسلة فتوحات شملت خراسان وقصدار وبست. وبعد وفاته خلفه ابنه إسماعيل الذي تمكن من القضاء على الدولة السامانية ودخلو نيسابور وبخارى عام ٣٨٩هـ وبذلك امتدت الدولة الغزنوية الصغيرة الناشئة لتغطي كل مساحات الدولة السامانية في فارس وبلاد ما وراء النهر. . . بل أن محموداً الغزنوي تمكن من إخضاع بلاد أخرى في الشرق منها البنجاب، وقام بإعلان ولائه للخليفة العباسي القادر بالله فأقره على البلاد التي تحت سيطرته.

٣٣٦ المنصور ينتصر في موقعة جربيرة بالأندلس (٣٩٠هـ/ ٩٩٩م)

استمر ابن أبي عامر(المنصور) في ضغطه على الأسبان حتى دمر لهم مدينة سانتياجو بما فيها مبنى سانت يعقوب ذي المكانة الروحية. ولكن الاسبان عندما أحسوا بخطر المنصور يزداد خشوا من زوال ممالكهم الأسبانية نهائياً (وكانت محصورة في شمال وشمال غرب الأندلس) فاجتمعوا جميعاً في جيش كبير ضم رجال الدين الكاثوليك في حملة قصد بها إيقاع الهزيمة بالمسلمين. ولكن ذلك لم يحدث، فالمنصور كان أكثر تصميماً من الاسبان على النصر فجمع قوات وجيوش مسلحة بكل أدوات القتال ومن كافة أرجاء الأندلس، وتقابل مع الجيوش الاسبانية وأنزل الهزيمة الشديدة بها. . . فتراجع الأسبان على إثر تلك الموقعة (موقعة جربيرة) إلى الشمال.

٣٣٧ تأسيس دولة بني حماد بالمغرب الأوسط (٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م)

ترتبط دولة بني حماد إرتباطاً كبيراً بدولة بني زيري. فبعد أن استقرت أمور الدولة الزيرية بتونس، قام حاكمها الأمير منصور بن بلكين بتعيين أخيه حماد حاكماً على ولاية أشير بالمغرب الأوسط (جزء من الجزائر اليوم). فأخذ حماد يقوي إمارته بكل السبل، وتمكن من دحر قوات تابعة لقبيلة زناتة التي أرادت السيطرة على المغرب الأوسط عام ٣٩٥هـ. وكانت تلك السنة هي الوقت الذي أصبح فيه المغرب الأوسط خاضعاً خضوعاً تاماً لحماد، فسارع ببناء قلعة كبرى سماها قلعة أبي طويل على جبل كيانة الاستراتيجي، وبذلك ضمن أمن ولايته الواسعة، فأخذت دولة بني حماد ترسخ من وجودها حتى غدت في سنوات قلائل من أعظم دول المغرب.

٣٣٨ الفاطميون ينشئون دار الحكمة بمصر (٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م)

أسس الحاكم بأمر الله دار الحكمة بالقاهرة عام ٣٩٥ للهجرة لتنافس المكتبات الكبرى التي كانت مزدهرة في بغداد العباسية وقرطبة الأموية، وقد ذكر أن دار الحكمة كانت تشتمل على كتب لم يكن لها مثيل في بلاد المسلمين وقتئذ. ولم تكن كتب دار الحكمة مأخوذة من كتب القصر الفاطمي التي قدرت بمئات الألوف... ولكنها كانت تجمع من كل مكان لتوضع في تلك الأكاديمية الثقافية بصفة خاصة. وكان هناك موظفون يصنفون الكتب والوثائق والأبحاث والمخطوطات، ونساخون ينسخون الكتب ويصدرونها إلى كل بقاع العالم الإسلامي، ومترجمون يترجمون الكتب القيمة من لغات عديدة أجنبية إلى اللغة العربية أو العكس.

ومع ازدهار تلك المكتبة طوال العصر الفاطمي الشيعي في مصر نجد أنها قد أخذت في الاضمحلال التدريجي على عهد الدولة الأيوبية التي أخذت تتخلص من كتب الفاطميين العقائدية.

٣٣٩ الفاطميون يستولون على حلب وينهون حكم الدولة الحمدانية (٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م)

اتصف عهد سيف الدولة الحمداني بكثرة معاركه مع البيزنطيين مما عاد

على دولته بالمدح والثناء. ولكن بوفاة سيف الدولة عام ٣٥٦هـ أخذ الضعف يسري في بنيان دولته، فتصارع أقطاب الأسرة الحمدانية وزاد نفوذ الروم والترك، فسارع الفاطميون بدخول حلب حيث سلمها لهم منصور بن لؤلؤ الخادم الوصي على العرش الحمداني، فباتت حلب منذ ذلك الوقت في أيدي الفاطميين... وانتهت بذلك الدولة الحمدانية بحلب عام ٣٩٩هـ.

٣٤٠ سقوط الدولة العامرية بالأندلس (٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م)

حافظ ابن أبي عامر(الحاجب المنصور) على الأندلس قوية موحدة من الداخل، تملك سبل الردع أمام أعدائها الأسبان من الخارج. فانعكست تلك القوة على الحياة الاجتماعية للسكان فغدوا في رغد من العيش. ولما مات المنصور عام ٣٩٢هـ وهو في أحد غزواته ضد الأسبان في الشمال خلفه ابنه محمد بن أبي عامر فسار على نهج أبيه إلى أن توفي هو الآخر، فخلفه شقيقه عبد الرحمن الذي وهب نفسه للملذات ومتع الحياة. فأخذ الفساد ينتشر والفتن تتصاعد. وطمع عبد الرحمن في خلافة الخليفة هشام (الذين حكم الأندلس من خلاله ابن أبي عامر وبنوه) فوافقه هشام، ولكن الأمويين رفضوا بشده فقاموا بالتمرد ضده وحاصروه وقتلوه واختاروا رجلاً أموياً هو حفيد الناصر يدعى محمد بن هشام بن الناصر.

وبمصرع عبد الرحمن انتهت الدولة العامرية بالأندلس التي كان قد أسسها ابن أبي عامر عام ٣٦٦هـ.

٣٤١ تدمير مدينة الزهراء بالأندلس (٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م)

كان من آثار اندثار الدولة العامرية بالأندلس، تدمير مدينة الزهراء التي بناها أعظم حكام المسلمين بالأندلس الخليفة الناصر، ولما سيطر ابن أبي عامر على حكم الأندلس قام ببناء مدينة الزهراء على مقربة من قرطبة. ولكن لما توفي ابن أبي عامر (المنصور) وتولى حفيده عبد الرحمن الحكم وأخذ يتصارع مع البيت الأموي، دخل مدينة الزهراء وأخذ يدمرها تدميراً نكاية في الحضارة الأموية التي شيدتها، ولا شك أن الأسبان كانوا على بينة بما يحدث أمام أعينهم فأخذوا يعدون العدة لحروب الاسترداد الكبرى على حساب المسلمين.

٣٤٢ وفاة ابن يونس عالم الفلك المصري الكبير (٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م)

ولد ابن يونس بمصر إبان حكم الدولة الفاطمية الأول.. ثم أخذ يتعلم في الأزهر علوم الدين واستهوته اهتمامات الفاطميين بالفلك والنجوم فظهرت عبقريته العلمية بسرعة فغدا أشهر عالم فلكي في عصره. ولابن يونس يرجع فضل اختراع رقاص الساعة الذين نسبه الأوروبيون للعالم الإيطالي جاليليو... ولكن الصحيح اليوم أن ابن يونس المصري هو الذي اخترعه بعد أبحاثه ودراساته في مرصد المقطم الشهير. ولقد تمكن ابن يونس كذلك بواسطة مرصد المقطم من تسجيل الكسوف الذي حدث للشمس عام ٣٦٨هـ. وقد توفي بمصر ودفن فيها عام ٣٩٩ للهجرة.

٣٤٣ وفاة أبو القاسم الزهراوي الطبيب العربي الكبير (٤٠٣هـ/ ١٠١٣م)

الزهراوي هو أحد أكبر العلماء الأندلسيين. ولد بمدينة الزهراء التي شهدت الازدهار الأموي، ويعد الزهراوي واحداً من أعظم علماء الطب العرب في القرن الرابع الهجري وقد صنف معلوماته الطبية الدقيقة في واحد من أهم كتب الطب التاريخية المعروفة والتي استمر الأوروبيون يعكفون على دراستها حتى القرن الحادي عشر الهجري وهو كتاب: (التصريف لمن عجز عن التأليف). ويحوي الكتاب العديد من طرق الفحص الطبي للأمراض كما يحوي طرقاً عديدة لإجراء الجراحات الخارجية والداخلية واستخدام الكيمياء والعقاقير للتداوي.

ولأن الزهراوي توفي عام ٤٠٣ هجرية، فإنه يكون قد سبق ابن سينا في المعارف الطبية والجراحية بالرغم من عدم وصوله إلى مكانته.

٣٤٤ ظهور المذهب الدرزي (٤٠٨هـ/ ١٠١٨م)

إن الفكر المتطرف ينمو دائماً في وسط المجتمعات التي يحكمها الطغيان ويعتقد فيها الحكام أنهم أسمى من كل البشر، ففي سنة ٤٠٨هـ، وبينما كان الحاكم بأمر الله الفاطمي يصل إلى قمة طغيانه وعسفه وظلمه، ظهر رجل شيعي متطرف يُدعى حمزة بن علي الزوزني أخذ يدعو لتأليه الحاكم بأمر الله (عن طريق حلول روح الله تعالى في آدم عليه السلام ثم في علي بن أبي طالب

رضي الله عنه حتى استقرت في الحاكم بأمر الله)! ولما كان الحاكم مختلاً في العقل طاغية في المسلك فقد صدق الزوزني، فانتشرت الفكرة بين الكثيرين من السذج وخاصة في الشام، ولما قتل الحاكم جنوب القاهرة (أنظر عام ٤١١هـ) لم يعترف هؤلاء بموته بل اعتقدوا أنه سيرجع لأنه المهدي المنتظر. ولا عجب أن بعضهم حتى يومنا هذا لا زال يقْسُم - في المعاملات اليومية - بغيبة الحاكم وليس موته. وقد انتشرت أفكار حمزة بن علي الزوزني في الشام بواسطة رجل فارسي شيعي متطرف يدعى محمد بن اسماعيل البخاري الدرزي، وإليه ينسب المذهب الدرزي.

٣٤٥ الإسلام يدخل كشمير (٤٠٨هـ/ ١٠١٨م)

إن قوة الدولة الغزنوية في عهد محمود الغزنوي واتساعها وثروتها، مكنت محموداً من فتح مناطق نائية في آسيا وادخال الإسلام فيها. ولقد تكررت محاولات الغزنونيين في فتح كشمير، ولكن الأمطار والفياضانات كانت تمنع الفاتحين من دخولها، إلى أن تم لمحمود الغزنوي ذلك الشرف فزحف برجاله حتى شارف على حدود تلك الولاية فعلم حاكمها بمقدم الفاتحين فخرج لهم وأسلم على أيديهم بدون قتال.

وفي الحقيقة فقد جاء فتح كشمير من ضمن سلسلة طويلة من الحملات على بلاد الهند الشاسعة قام بها محمود الغزنوي بصفة سنوية تقريباً وعلى مدى سنوات حكمه. . وإليه يرجع الفضل في إدخال الإسلام بلاد الهند والبنجاب.

٣٤٦ اغتيال الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٤١١هـ/ ١٠٢٠م)

إن الاضطراب العقلي الذي أصاب الحاكم بأمر الله الفاطمي، كان السبب المباشر في سياساته القمعية التي سلطها على مصر والمصريين، ولا يمكن معرفة السبب المباشر وراء اغتيال الحاكم. . . فحياته كانت محاطة بغموض أقرب إلى السحر والطلاسم، ولكن يبدو أن شقيقته ست الملك (أو النصر) كانت قد تضررت من وجوده بعد أن شَهَّرَ بها وذكر عنها ما يشينها وسعى لقتلها فسعت للخلاص منه.

وقد كان من عادة الحاكم في سنوات حكمه الأخيرة أن يخرج ليلاً ممتطياً حماراً ويتنزه في منطقة صحراء حلوان (٣٠ كيلو متراً إلى الجنوب من القاهرة)، فاتفقت ست الملك مع وزير الحاكم بأمر الله - ويدعى سيف الدين بن رواش - على إرسال عدد من العبيد خلف الحاكم لقتله.

وفي حلوان، وبينما كان الحاكم مختلياً بنفسه دون حراسه، التف حوله العبيد وقتلوه (في شوال من عام ٤١١هـ). ولما تأخرت عودة الحاكم للقاهرة أخذ جنده يبحثون عنه لمدة سبعة أيام حتى وجدوا حماره وقد قطعت أرجله الأربع وثياب الحاكم وبها آثار الدم والطعنات. ولما علم أهل مصر بالخبر صدقوا قتله، أما الشيعة بالشام فقد اعتبروه إماماً مختفياً سيعود يوماً ما (ويتفق قولهم هذا مع قولهم عندما اختفى الامام الثاني عشر للشيعة - أنظر عام ٢٦٥هـ) هذا وقد خلف الحاكم في الخلافة الفاطمية إبنه الظاهر لإعزاز دين الله.

٣٤٧ استشهاد أول رجل يبشر بالإسلام في أفريقيا السوداء (٤١٤هـ/ ١٠٢٣م)

بعد أن انتشر الإسلام بين قبائل البربر بشمال أفريقيا وخاصة قبيلة لمتانة، أخذت رحلات التجارة الإسلامية التي تعبر الصحراء العظمى لتصل مملكة غانا القوية تبشر سكان أفريقيا بالرسالة المحمدية. وكان زعيم قبيلة لمتانة المسمى تارسينا قد حمل على نفسه تلك المهمة المشرفة، وخاصة بعد أن قوي دينه بزيارة بيت الله الحرام. ولكن الزنوج في أفريقيا - وكانوا من عبدة الأصنام والطواطم - لم يكونوا بعد على استعداد لتقبل الدين الجديد فهجموا على قافلة تارسينا وقاتلوه حتى صرعوه، وبهذا مات شهيداً في سبيل الدعوة الإسلامية. وبالرغم من ذلك فقد أخذ التجار المسلمون يسافرون إلى مملكة غانا وأصبح لهم بالتدريج أحياء خاصة بأهم مدنها يمارسون فيها شعائر الإسلام بحرية، ولا شك أن بساطة المسلمين وتقواهم وصدقهم في المعاملات التجارية عرفت سكان أفريقيا بسماحة الإسلام وقيمه النبيلة.

٣٤٨ وفاة الخليفة العباسي القادر بالله (٤٢٢هـ/ ١٠٣١م)

إن عهد القادر بالله يمثل قمة نفوذ بني بويه في العراق، بالرغم من التصادم بين الشيعة والسنة وخطر الأتراك المتزايد. إلا أن حكم البويهيين استمر

بدون تصدع، ولا يجب الحكم على طول عهد الخليفة القادر بالله الذي استمر واحداً وأربعين عاماً هجرية إلا بأنه كان بلا حول ولا قوة أمام أسرة بني بويه التي سلبت إرادته وتحول هو إلى أداة لتنفيذ مآربهم كلما طلبوا منه ذلك، فلم يتعرضوا له بالأذي. وتركوه يتعبد إلى أن مات عن عمر يناهز سبعة وثمانين عاماً. وكانت وفاته عام ٤٢٢ للهجرة، فخلفه ابنه الذي لقب بالقائم بأمر الله.

٣٤٩ عصر الفتن وسقوط الدولة الأموية بالأندلس (٤٢٢هـ/ ١٠٣١م)

أخذت الصراعات تدب في جسد الدولة الأموية بالأندلس.. فتعاقب الخلفاء وعزلوا في فترات زمنية وجيزة نتيجة الطمع والدسائس والاستعانة بملوك الأسبان حتى تفسخت أرجاء الدولة وانقسمت، أخذ كل قسم يعادي الأقسام الأخرى فتبددت طاقة المجتمع وذهبت مهابة الدولة وتحول نظام الحكم من الحكومة المركزية القوية إلى حكم دويلات صغيرة. وسيطر الغوغاء على قرطبة وطاردوا بني أمية وخلعوا المعتمد بالله (هشام الثالث). وطويت بذلك صفحة حكم بني أمية المزدهرة بالأندلس.

٣٥٠ وفاة الخليفة الفاطمي الظاهر لدين الله (٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م)

تولى الظاهر لدين الله الخلافة وهو في السادسة عشر من عمره خلفاً لأبيه الحاكم بأمر الله. فقامت عمته ست الملك بالإشراف علي شؤون الدولة مدة أربعة أعوام حتى توفيت، فأكمل الظاهر حكم الدولة متخذاً من حسن السيرة والسياسة أسلوبه، فكسب حب الرعية من المسلمين ومن أهل الذمة على حد سواء.

ولقد أصيب الظاهر لدين الله بالمرض الذي اشتد عليه حتى وافته المنية في شعبان من عام ٤٢٧هـ، فخلفه ابنه أبو تميم معد، الذي لقب بالمستنصر بالله.

٣٥١ وفاة ابن سينا أشهر علماء الطب في العالم الإسلامي (٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)

ابن سينا الملقب بالرئيس هو أشهر علماء الإسلام والعالم في الطب حتى القرن الحادي عشر للهجرة، ولد بمدينة خرميشن ببلاد بخارى عام ٣٦٢ للهجرة، ووجد نفسه منذ طفولته مغرماً بالطب وعلومه ومعارفه فوجه عبقريته

الفذة لدراسته وتعلمه ثم تطبيعه. ولما ذاعت شهرته كان الأمراء يستدعونه لعلاجهم ومداواتهم.

ويعتبر كتابه (القانون) أهم كتاب طبي عرف في كافة بقاع العالم خلال عصره، حيث ترجم إلى مختلف لغات العالم، وبفضله سماه علما الغرب بأبقراط الإسلام.

وكتاب القانون في الطب لا يحوي المعارف الطبية وحدها، بل أن طريقة كتابته وتنظيم فصوله وشروحها جعلت منه مرجعاً علمياً لا غنى عنه لأي جامعة غربية حتى القرن الحادي عشر الهجري، ولابن سينا كذلك مؤلفات في الفلسفة والمنطق وعلم النفس وهي وغيرها من مؤلفاته التي زادت على المائة، تجعل منه واحداً من أكبر العقول التي أنجبها الإسلام على مر العصور.

وقد توفي بهمذان ـ بفارس ـ عام ٤٢٩ للهجرة.

٣٥٢ تأسيس الدولة السلجوقية وزوال الغزنوية (٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)

السلاجقة هم من قبائل الغز في وسط آسيا (نسبة إلى سلجوق بن تقاق زعيمهم) وقد دخلوا في الإسلام وشكلوا عنصر قوة في الجناح الشرقي للدولة العباسية. وسرعان ما سيطروا على تركستان والهند وأفغانستان، ثم دخلوا خراسان (مدينة نيسابور) عام ٤٢٩ للهجرة بعد موقعة حربية ضخمة عند مدينة سرخس في شهر شعبان وكان يقودهم طغرلبك بن سلجوق فقضوا بذلك على الدولة الغزنوية وأسسوا دولتهم التي كانت واحدة من أقوى الدول الإسلامية في الشرق والتي تمكنت على مدى عقود طويلة ممتدة من تجديد حيوية وقوة العالم الإسلامي

٣٥٣ وفاة ابن الهيثم عالم الضوئيات الإسلامي الكبير (٤٣١هـ/ ١٠٣٩م)

ابن الهيثم هو مؤسس علم الضوئيات الحديثة. ولد بمدينة البصرة عام ٣٥٥ للهجرة، وانصبت عبقريته على هدم الآراء التي كانت منتشرة في عصره عن كيفية سريان الضوء، وقام بوضع الأسس القوية التي أوضحت أن الضوء موجود بذاته وأنه يسري في الفضاء وينكسر وينعطف وأنه لا يخرج من عين

الإنسان بل هو ظاهرة خارجية يمكن قياسها وإحداثها.

ويعتبر كتابه (المناظر) أهم كتبه والذي يحوي مجمل نظرياته العلمية عن الضوء التي هدمت الكثير من النظريات التي كان العلماء يعملون في إطارها، ووضع بذلك أسس علم الضوئيات الحديثة التي لا زالت تستخدم حتى يومنا هذا.

وقد توفي بمصر عام ٤٣١ للهجرة.

٣٥٤ تأسيس دولة المرابطين بالمغرب (٤٤٢هـ/ ١٠٥٣م)

قامت دولة المرابطين على أثر الدعوة الدينية التي حملها عبد الله بن ياسين والتي تقبلها الناس قبولاً حسناً منه والتي تتمحور حول فكرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخذت الدعوة تتسع فيزداد عدد المؤمنين بها والذين سموا بالمرابطين حتى دخلتها قبيلة لمتونة (وهي من قبائل البربر القوية) فخرج منهم رجل يدعى أبا بكر بن عمر وأخذ يكمل الدعوة ويستزيد من الفتح، فدارت بينه وبين القبائل المتناثرة بالمغرب معارك عديدة كان يفوز فيها حتى اتسعت رقعة الأرض التي يسيطر عليه المرابطون وامتدت من جنوب المغرب الأقصى وحتى القيروان.

٣٥٥ المرابطون يبنون مدينة مراكش (٤٤٤هـ/ ١٠٥٣م)

عندما استقرت الأحوال نسبياً للأمير أبي بكر بن عمر، أخذ يختار أنسب المواقع لبناء مدينة تصلح لإدارة دولة المرابطين الممتدة الأطراف. فوقع بصره على مساحة خضراء خصبة من الأرض بداخل الصحراء وبالقرب من وادي نفيس لبناء تلك المدينة التي استمر بناؤها ثمانية أشهر. ثم جاء يوسف بن تاشفين (أقوى حكام المرابطين) فوسع المدينة ثم جاء ابنه علي، فابتنى لها سوراً وثماني عشرة بوابة.

ولقد أصبحت تلك المدينة المزدهرة منذ بنائها مركزاً للحكم والتجارة والصناعة والثقافة في شمال أفريقيا وذلك لصفاء جوها ووفرة خيراتها.

أما اسم مراكش فيعود إلى أن المكان الذي بنيت فوقه المدينة كان مكاناً

موحشاً بلا عمران، ولهذا فإن كلمة مراكش تعني بلغة قبيلة المصامدة (وهي قبيلة من قبائل شمال أفريقيا الغربي)، العبور السريع (حتى لا تستوحش المكان الذي بلا عمران).

٣٥٦ النورمانديون يحتلون جزيرة قبرص (٤٤٤هـ/ ١٠٥٤م)

تم سقوط جزيرة قبرص في يد النورمانديين نتيجة خيانة حاكمها القادر بالله والذي كان تابعاً للبيت الفاطمي في مصر. فعندما حدثت الحرب الأهلية بالجزيرة ـ والتي أعقبت وفاة أبي الفتح يوسف حاكم الجزيرة القوي ـ أخذ الأمراء في قبرص يستقلون بأرضها ويطلبون مساعدة البيزنطيين لتمكينهم من هزيمة بعضهم بعضاً. وفي معركة هزم فيها القادر بالله إبان تلك الحرب الأهلية، سارع ذلك القائد المهزوم إلى النورمانديين (المتحالفين مع البيزنطيين وبابا الفاتيكان) يطلب تدخلهم لانقاذ حكمه، فسارعوا بالنزول إلى الجزيرة واحتلالها، ولم يتمكن الأسطول الفاطمي من إنقاذ الجزيرة.

٣٥٧ وفاة ابن حزم الأندلسي الفيلسوف الإسلامي الكبير (٤٤٤هـ/ ١٠٥٤م)

ابن حزم الأندلسي الوزير هو من أشهر العلماء والمفكرين الإسلاميين بالأندلس. ولد في قرطبة أعظم المدن الإسلامية الأندلسية على زمن الدولة الأموية عام ٣٨٢هـ. وسرعان ما ساعدته عبقريته على الاستفادة من الحضارة الإسلامية المزدهرة فبرع في العلوم والآداب والمنطق والفلسفة والفقه والتاريخ وعرفه العامة والخاصة بالأندلس والمغرب الأقصى. ولقد أحدثت آراؤه ثورة في الفكر حتى أن خصومه وجدوا فيها خطراً عليهم فاضطهدوه وحرقوا كتبه وأبحاثه. ولكن ذلك لم يقلل من حماسه وعزمه على الاستمرار في نشر المعارف الصحيحة وهدم كل ما يتصل بالبدع والخرافات.

ويعتبر كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) أهم كتبه المتبقية، إذ ضاع من مؤلفاته الكثير نتيجة الحروب الأهلية التي كانت تحدث في الأندلس واضطهاد أعدائه له.

وقد تضمن هذا الكتاب رأيه في نظرية المعرفة التي أصبحت سائدة في

العالم كله حتى القرن الثامن عشر الميلادي.

كما ألف ابن حزم كتباً أخرى منها (طوق الحمامة) و(رسالة المفاضلة).

وقد توفي بقرطبة عام ٤٤٤ هجرية.

٣٥٨ السلاجقة يدخلون بغداد (٤٤٧هـ/ ١٠٥٧م)

زادت قوة الدولة السلجوقية على عهد أميرهم طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق حتى دانت له العراق وكان بها الخليفة العباسي القائم بأمر الله. ولم يكن طغرلبك يود أن ينهي الخلافة العباسية لمعرفته بوزنها الروحي بين المسلمين الذين يمكنهم أن يعادوه في كل مكان. ولهذا نراه يستأذن الخليفة العباسي في الدخول إلى بغداد، فسمح له الخليفة وتقدم طغرلبك أمام عرش القائم بأمر الله وقدم له فروض الاحترام والتقدير وعاهده على أن يرفع راية الإسلام في ظل الخلافة العباسية فأنعم عليه الخليفة وقلده النياشين وأعطاه لقب ملك المشرق والمغرب.

٣٥٩ سقوط دولة بني بويه في العراق (٤٤٧هـ/ ١٠٥٧م)

أخذت دولة بني بويه في فارس والعراق في الضعف نتيجة الفتن الداخلية التي وقعت بين أبناء الأسرة، وتدخل الخليفة الفاطمي المستنصر بالله في مصر في شئونها حتى أخذ السلطان أبو كاليجار البويهي (وابنه الملك الرحيم من بعده) في تهديد الخلافة العباسية باستعدادهم للتحول إلى الدعوة الفاطمية الشيعية مما يعني زوالاً أكيداً للدولة العباسية. فلجأ العباسيون إلى السلاجقة السنيين الأقوياء ليدافعوا عنهم ضد الخطر الفاطمي المتزايد. ولقد نتج عن ذلك دخول السلاجقة بغداد بعدما أخذوا التفويض من الخليفة العباسي بالحكم وأنهوا بذلك رسمياً حكم دولة بني بويه في العراق.

٣٦٠ السلاجقة يقضون على فتنة البساسيري الخطرة (٤٥١هـ/ ١٠٦٢م)

حدث اضطراب وفتنة كبيرة بعد دخول السلاجقة الأقوياء بغداد، وقاد تلك الفتنة رجل تركي يدعى أبا الحارث البساسيري الذي غضب على العباسيين وأخذ يدعو في العراق علناً باسم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله. فقد كان ينظر

للعباسيين على أنهم سرقوا الخلافة ولا يستحقونها لأنهم ليسوا من نسل السيدة فاطمة الزهراء وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأخذ البساسيري ينشر القلاقل في العراق وفارس حتى تقاتل السلاجقة مع بعضهم البعض فحانت الفرصة للبساسيري في احتلال مدينة بغداد (عام ٤٥٠هـ) ويسيطر على العراق بمساعدة بعض طوائف بني بويه المتشيعين. ولكن ظهور الوباء والقحط بمصر عام ٤٤٦هـ، أنهى مقدرة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله على دعم البساسيري. فأعد طغرلبك الوزير السلجوقي قواته في فارس وزحف بها على بغداد فسيطر عليها، ثم طارد البساسيري الذي نشبت الفتنة بين قواته (وكانت من العرب والترك) فضعفت مقاومته وتمكن منه السلاجقة فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى الخليفة العباسي في بغداد.

٣٦١ الفاطميون بمصر يضمون اليمن لدولتهم (٤٥٣هـ/ ١٠٦٤م)

إن ظهور الدعوة الإسماعيلية الشيعية في اليمن والتي مكنت من دعم الدعوة الفاطمية حتى قامت دولتهم في شمال أفريقيا أصيبت بنكسة في اليمن ذاته مما مكن العباسيين من استمرار سيطرتهم على اليمن، حتى ظهر هناك رجل شيعي يدعى علي بن محمد الصليحي تمكن - بتشجيع الخليفة الفاطمي المستنصر بالله - من إعادة الروح للدعوة الإسماعيلية. وفي كل يوم كانت دعوته تجتذب فيه الأنصار كان الحكم العباسي باليمن يضعف إلى أن أرسل الخليفة الفاطمي المستنصر رسله ليبشروا الصليحي بمباركته له وتعيينه والياً للدولة الفاطمية على اليمن وأنعم عليه بلقب الأمير الأجل.

٣٦٢ زوال الطاعون بمصر بعد أن قضى على ثلث سكانها (٤٥٤هـ/ ١٠٦٤م)

نضبت مياه النيل بسبب انقطاع الفيضان منذ عام ٤٤٦ للهجرة فجدبت الأرض ومات الإنسان والحيوان والنبات وانتشرت الجثث في المدن والقرى والطرقات فظهر وباء الطاعون الذي قضى على ثلث سكان مصر حتى ذكر أنه كان يقضي كل يوم على عشرة آلاف مصري. أما الخليفة المستنصر (الذي سميت تلك الشدة باسمه) فقد مات كل عبيده وجواريه وغلمانه ودوابه حتى أنه كان يركب بغلة وزيره ليقضي بها بعض شئونه. وقد انفق الخليفة كل ثروته على

من بقي من جنده الذين اضطروا للعمل في حفر الآبار والبحث عن المياه وتأمينها للفلاحين. وتذكر كتب التاريخ المصري أن المجاعة والوباء استمرا سبع سنوات حتى شبه الناس تلك الشدة بالشدة التي وقعت بمصر إبان وجود النبي يوسف عليه السلام. وتذكر الكتب أن الناس كانوا لا يجدون ما يأكلونه سوى الميتة والقطط والكلاب، حتى كان الكلب يباع بدنانير خمسة والقط بثلاثة! وقد انتهى ذلك الوباء في عام ٤٥٤ هجرية بعودة المياه إلى نهر النيل.

٣٦٣ ألب أرسلان يحكم دولة السلاجقة (٤٥٥هـ/ ١٠٦٤م)

توفي السلطان طغرلبك في رمضان من عام ٤٥٥هـ فخلفه ابن أخيه ألب أرسلان، فوجد في الوزير السلجوقي نظام الملك الخبرة والدراية الواسعة بالسياسة والقضاء على المؤامرات.

وقد افتتح ألب أرسلان عهده بقتل الوزير الكندري الذي كان ساعد طغرلبك الأيمن فتهيأت دولته وانتظمت وأخذ بمشورة وزيره في اعلان الجهاد ضد الروم في غرب آسيا الصغرى ففتحت على عهده أرمينيا التي كان الروم يعاودون احتلالها.

٣٦٤ الفاطميون يعاودون بسط نفوذهم على الحجاز (٤٥٥هـ/ ١٠٦٥م)

دخل الحجاز في النفوذ الفاطمي لأول مرة عام ٣٥٨هـ على عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، ولكن كان نفوذ العباسيين يعود مرة أخرى على الحجاز.

ولقد استخدم الخليفة الفاطمي المستنصر اليمن لنشر نفوذه على الحجاز مرة أخرى حتى نجح أثناء موسم الحج لعام ٤٥٥هـ من السيطرة على مكة والمدينة، فعامل أهل المدينتين معاملة حسنة وأنفق عليهم بسخاء وأمر بكسوة الكعبة المشرفة بالديباج الأبيض وبذلك زال النفوذ العباسي من الحجاز.

ولا شك أن عصر الخليفة المستنصر كان أكثر العهود الفاطمية خطراً على الدولة العباسية، التي لم ينقذها من الفاطميين والبيزنطيين على حد سواء سوى ظهور دولة السلاجقة السنية القوية.

٣٦٥ النورمانديون يذبحون المسلمين في مدينة بربشتر الأندلسية

(٤٥٦هـ/ ١٠٦٥م)

كان المقتدر بن هود أمير مملكة سرقسطة الأندلسية في نزاع داخلي مرير مع أشقائه لبسط النفوذ على تلك المدينة (مائة ميل إلى الغرب من برشلونة) وقد أدى ذلك الصراع إلى ضعف جيش المملكة وتفرق كلمة المدافعين عنها.

وقد استغل ذلك النورمانديون (قبائل شرسة سكنت شمال أوروبا) فنزل منهم عشرة آلاف فارس على شاطىء الأندلس الشرقي وزحفوا حتى مدينة بربشتر (وهي إحدى مدن مملكة سرقسطة وتقع في شمالها الشرقي) فحاصروها حصاراً محكماً وقضوا على المقاومة خارجها، ثم اقتحموها وأخذوا يقتلون المسلمين بها حتى بلغ اجمالي عدد من قتل فيها خمسين ألفاً.

ولقد حدثت تلك المذبحة الرهيبة والمقتدر بن هود غير راغب في إرسال جيشه لانقاذ المدينة بحجة أن شقيقه يوسف المظفر هو المسؤول عنها فتركها تسقط ويذبح أهلها وتحرق مساجدها ومتاجرها وبساتينها.

وتظهر تلك المذبحة كيف كان حال ملوك الطوائف بالأندلس قبل أن يوحدها المرابطون على يد يوسف بن تاشفين.

٣٦٦ اغتيال علي الصليحي زعيم اليمن الشيعي (٤٥٩هـ/ ١٠٦٨م)

كانت حياة علي الصليحي الذي أدخل اليمن والحجاز في النفوذ الفاطمي سلسلة متصلة من الكفاح. فبالرغم من أنه تمكن من توحيد كل أقاليم اليمن في بوتقة شيعية واحدة - وهذا كان من أصعب الأمور في تاريخ اليمن الوسيط - وبالرغم من محبة الناس له في كافة أقاليم اليمن والحجاز، ورضي الخليفة الفاطمي المستنصر عليه، إلا أن أعداءه كادوا له وتربصوا بخطواته وهو في طريقه إلى مكة لاداء فريضة الحج واغتالوه وأسروا زوجته السيدة أسماء بنت شهاب وبقية مرافقيه. وقد اتضح أن سعيد الأحول من قبيلة بني نجاح كان على قيادة فرقة الاغتيال.

٣٦٧ فشل محاولة لإنهاء الحكم الفاطمي في اليمن والحجاز (٤٦١هـ/ ١٠٧٠م)

قبل أن يُغتال، ترك علي الصليحي زعيم اليمن الشيعي ابنه المكرم خلفاً له لحكم الدولة الصليحية الشيعية في صنعاء واليمن والحجاز. ولهذا فقد واجه المكرم المخاطر الجسيمة بعد مقتل أبيه. فقد قامت قبيلة بني نجاح التي قتلت الصليحي بالزحف على العاصمة صنعاء لإنهاء الحكم الشيعي الفاطمي في اليمن والحجاز، ولكن المكرم سارع بتجميع جنده والتصدي لبني نجاح وهزمهم عام ٤٦٠ للهجرة، وأخذ يطارد سعيد الأحول ورجاله حتى عثر عليه متخفياً بجبل بجنوب اليمن فحاصره وقتله وفك أسر أمه وأنهى بذلك خطر بني نجاح على دولته عام ٤٦١ للهجرة.

٣٦٨ السلاجقة يأسرون امبراطور الدولة البيزنطية في موقعة ملاذجرد (٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)

زحف جيش الأمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع وقوامه مائة ألف رجل لانقاذ ولاية أرمينيا من السلاجقة، وتمكن البيزنطيون من الضغط على الجيش السلجوقي واسترداد حصن ملاذجرد الضخم. ويبدو أن المفاجأة كانت السبب في سرعة الاستيلاء على الحصن من قبل الروم. ولهذا فسرعان ما استعاد السلاجقة بأسهم وعاودوا قتال البيزنطيين حتى طردوهم من أرمينيا وتم لهم أسر الأمبراطور رومانوس الرابع فتهاوت سمعة الدولة البيزنطية في مجمل أنحاء أوروبا لأنها كانت المرة الأولى التي يسقط فيها الأمبراطور البيزنطي أسيراً في يد أشد أعداء الروم، أي المسلمين. وتجدر الإشارة إلى أن ولاية أرمينيا لم تكن أبداً سهلة الانقياد للحكم الإسلامي منذ دخلها المسلمون لأول مرة عام ٢٤ للهجرة، وكانت ثوراث الأرمن تتوالى مما جعل قبضة الدولة العباسية عليها تضعف حتى عادت للحكم البيزنطي. ولقد أطلق السلاجقة سراح الإمبراطور البيزنطي بعد انتصار ملاذجرد التاريخي نظير فدية قيمتها مليون ونصف مليون دينار من الذهب. . . وهذا المبلغ يعادل ـ في ذلك العهد ـ مجمل الانتاج القومي للشام.

٣٦٩ السلاجقة يسيطرون على القدس (٤٦٤هـ/ ١٠٧٢م)

كانت القدس تحت السيطرة الفاطمية منذ عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله. ولكن تجاور الفاطميين الشيعة بالشام مع السلاجقة السنة في العراق، جعل السلاجقة ـ المدافعين عن الخلافة العباسية ـ يضغطون على الفاطميين حتى تمكنوا من السيطرة على القدس بعد حملة عسكرية شنوها عام ٤٦٤ للهجرة، فأبطلوا الدعوة الفاطمية من على منبر المسجد الأقصى.

٣٧٠ مصرع ألب أرسلان سلطان السلاجقة (٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م)

إن مصرع ألب أرسلان ذلك القائد السلجوقي الفذ الذي دحر الروم في موقعة ملاذجرد قد حدث ربما نتيجة صدفة من صدف الزمن، فقد خرج على رأس جيش كبير ليخضع إحدى بقاع بلاد ما وراء النهر، فلما وصل هناك استعصت إحدى القلاع في وجهه فأمر بعض جنده باستخدام الحيلة وأسر قائد هذه القلعة وكان يدعى يوسف الترزمي. ولما نجح الجند في أسره أحضروه أمام ألب أرسلان فأمر بصلبه على الأرض حتى يعذبه ثم يقتله ولكن الترزمي صاح في أرسلان أن يكف عن هذا، فهو قائد عسكري لا يجوز أن يقتل هكذا. ففك ألب أرسلان وثاقه واستهدفه بسهم فأخطأه فسارع الترزمي بخطف خنجر من أحد الجنود وطعن به ألب أرسلان طعنة قاتلة أودت بحياته وكان عمره أربعين عاماً. أما يوسف الترزمي فقد قتله أحد جنود ألب أرسلان.

وقد خلف ألب أرسلان في حكم السلاجقة ابنه ملكشاه وكان شاباً صغيراً يبلغ السابعة عشرة من عمره، فحكم تلك الأمبراطورية المترامية الأطراف وتوسع فهيا إلى أن بلغ حدود الصين.

ويذكر عن صفات ملكشاه أنه كان كريماً محباً للعلم والأداب فازدهرت دولته ازدهاراً كبيراً.

٣٧١ وفاة الخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م)

توفي الخليفة العباسي القائم بأمر الله عام ٤٦٧ للهجرة بعد حكم استمر خمسة وأربعين عاماً، أي أنه بذلك يعد أطول الخلفاء العباسيين عهداً، ومع ذلك

فلم يبق للدولة العباسية إلا الاسم ومدينة بغداد، وانسحبت كل قوة الخليفة إلى سلاطين السلاجقة الأقوياء.

٣٧٢ **السلاجقة يسيطرون على الشام ودمشق** (٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م)

بعد توسع الدولة السلجوقية في الشرق وجدوا أن الفاطميين لا يزالون يشكلون خطراً عليهم من الغرب وخاصة في الشام. ولقد كان الفاطميون قد أخذوا في الضعف بعد الشدة المستنصرية (الوباء والقحط ـ أنظر عام ٤٥٤هـ) فتراجعت قوتهم في الشام فطمع فيه السلاجقة الذين أرسلوا حملات عسكرية متكررة حتى تمكنوا من دخول دمشق وحلب وغور الأردن. . . وكانوا قبل أربعة أعوام قد استولوا على القدس.

٣٧٣ **المرابطون يهزمون مملكة غانا غربي أفريقيا** (٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م)

شن المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين هجوماً واسع النطاق على مملكة غانا بغربي أفريقيا جنوب الصحراء بسبب كثرة تعديها على التجمعات التجارية الإسلامية في دولة المرابطين بشمال أفريقيا مستغلين الطرق الخفية بين التلال الواقعة على ساحل المحيط الأطلنطي.

ولقد انتصر المرابطون على مملكة غانا وحطموا نفوذها السياسي، مما شجع الزنوج في مناطق نهري النيجر والسنغال على دخول الإسلام والتخلص من ديكتاتورية الحكم الإقطاعي القبلي لمملكة غانا والذي استمر زمناً طويلاً.

وبمرور الوقت وبازدهار التجارة دخلت بلاد مالي الإسلام حيث اعتنقته الأسرة الحاكمة هناك.

وبذلك الانتصار أصبحت دولة المرابطين أقوى دولة إسلامية في أفريقيا ـ ربما باستثناء الدولة الفاطمية ـ حيث سيطرت على مساحة مترامية الأطراف تمتد من المحيط الأطلنطي غرباً إلى الجزائر شرقاً، ومن البحر الأبيض شمالاً حتى بلاد النيجر والسنغال جنوب الصحراء العظمى.

٣٧٤ **إنهيار دولة القرامطة** (٤٧٠هـ/ ١٠٧٨م)

إزاء الحصار الذي فرضه العباسيون على القرامطة في العراق، لجأ

هؤلاء إلى إقامة دولة قوية لهم في البحرين.

ولما قامت الدولة الفاطمية في مصر شجع الخليفة العزيز بالله الفاطمي القرامطة على مهاجمة الدولة العباسية، ومحاصرة الكوفة عدة مرات. ولكن عندما سيطر السلاجقة على الخلافة العباسية، قاموا بوضع خطط لتدمير دولة القرامطة في البحرين والإحساء وجزيرة أوال، فهاجمهم السلاجقة في تلك الجزيرة وهزموهم، ثم حاصروهم بجيش كبير في البحرين عام ٤٦٢هـ، فتجمع القرامطة في الإحساء... ولكن السلاجقة سيروا لهم جيشاً كبيراً تمكن من هزيمتهم هزيمة قاسية في معركة الخندق عام ٤٧٠ للهجرة، وأنهو وجودهم هناك.

أما من بقي من القرامطة بعد ذلك فقد تجمعوا في بعض مناطق الخليج العربي بالقرب من البحرين وبجنوب الأردن، وفلسطين حيث حاولوا فيما بعد مهاجمة مصر، مما دفع صلاح الدين الأيوبي لبناء سور حجري قوي حول مدينة القاهرة ليحميها من الغزاة. (أنظر عام ٥٧٢هـ).

٣٧٥ زوال النفوذ الفاطمي بالمغرب الأوسط (٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م)

أدى ضعف الفاطميين بمصر الناتج عن الوباء من ناحية، وازدياد قوة ونفوذ السلاجقة من ناحية أخرى إلى زوال الحكم الفاطمي بالمغرب الأوسط. ولقد قام بتلك المهمة المعز بن باديس الذي جمع الناس حوله في القيروان ونشر فكر السنة. وبالرغم من قيام الفاطميين بإرسال حملات لبسط نفوذهم مرة أخرى هناك، إلا أن سكان المغرب استمروا في مقاومة الفاطميين ومذهبهم الشيعي.

٣٧٦ سقوط مدينة طليطلة الأندلسية في يد الأسبان (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)

أدى انهيار الحكم الأموي في بلاد الأندلس عام ٤٢٢ هجرية، إلى فوضى سياسية عامة، مما أدى بدوره إلى تفكك الأمة الأندلسية إلى ولايات أو ممالك وطوائف متخاصمة يعادي بعضها بعضاً ويحكم كل منها أمير يتصارع مع الأمراء الآخرين ولا يخجل من الإستعانة بالأسبان في سبيل هزيمة الأمراء

المسلمين الآخرين الذين اعتبرهم أعداء له. ولا شك أن ذلك الوضع المهين دفع بالأسبان إلى التلاعب بأمراء الممالك الأندلسية المسلمين. وقد حدث عداء شديد بين القادر بن ذي النون وهو من أصل البربر بشمال أفريقيا وأمير مدينة طليطلة الأندلسية، وبين المقتدر بن هود أمير مدينة سرقسطة الأندلسية.. ومما زاد الصراع تأججاً أن كلاً منهما سارع في طلب حماية الأمراء الأسبان له نظير دفع جزية. ولما طمع الأسبان في المزيد من الطلبات أخذت موارد طليطلة في النضوب فثار سكانها ضد القادر وطردوه منها فذهب يتسول معونة الفونسو السادس القائد الأسباني المعروف بكراهيته للعرب، فوعده هذا ـ كذباً ـ بالمساعدة، وجهز جيشاً أسبانياً ضخماً توجه به إلى طليطلة فحاصرها تسعة أشهر وتمكن في النهاية من اقتحامها واخضاعها للحكم الاسباني. فضاعت بذلك قطعة عزيزة غالية من أرض المسلمين بالأندلس.

ويعتبر سقوط طليطلة أسوأ خسائر المسلمين في الأندلس حتى ذلك الوقت. ولقد أدى سقوطها إلى حدوث صدمة كبرى بين ملوك الطوائف المتصارعين... ولكن واحداً منهم فقط سعى بجد إلى طلب مساعدة المسلمين في شمال أفريقيا وحث يوسف بن تاشفين بالمغرب الأقصى لعبور البحر لإنقاذ الأندلس من السقوط السريع.

وتجدر الإشارة إلى أن مدينة طليطلة كان يحميها حصن قوي يسمى مجريط بنيت من حوله مدينة سميت باسمه (وهي اليوم مدينة مدريد)... وقد تمكن الأسبان من حصاره واسقاطه قبل دخولهم طليطلة بعامين مما ساعد على سقوط طليطلة.

٣٧٧ المرابطون يعبرون جبل طارق لانقاذ الأندلس (٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م)

كان المسلمون بالأندلس يزدادون تقاتلاً وتصارعاً وضعفاً، وكان المرابطون في المغرب الأقصى يزدادون توحداً وقوة. ولكن الأسبان في الشمال بعد تلاعبهم بملوك الطوائف وسيطرتهم على الصراع الدائر بين الملوك لم يخطر ببالهم أن أميراً أندلسياً سوف يلجأ إلى المرابطين لكي ينقذوا الأندلس... هذا الأمير هو المعتمد بن عباد أمير مقاطعة أشبيلية الذي قال لابنه الذي حذره من

بأس المرابطين أنه يكره أن يذكر عنه التاريخ أنه أعاد الأندلس داراً للكفر فتحل عليه لعنة المسلمين.

فقام المعتمد بعبور البحر وذهب إلى مدينة سبتة المغربية ليقابل يوسف بن تاشفين ويدعوه لانقاذ الأندلس. ولقد تشاور ابن تاشفين مع قادته ومستشاريه، فأخبروه أن نجدة المسلم لأخيه المسلم واجبة، فقام ودعا للجهاد والعبور لإنقاذ الأندلس.

ولم يكن المرابطون مفتونين بمتاع الدنيا بل غلب عليهم التقوى والورع والتمسك بالدين الحنيف. ولذلك عندما تقرر أن يسافروا عبر مضيق جبل طارق سارع كل رجل منهم للجهاد معبراً بذلك عن عقيدة راسخة قوية في قلبه.

ولقد اجتمع عشرون ألف مقاتل مرابطي فوق مائتي سفينة حربية نقلتهم على شاطىء الجزيرة الخضراء المطلة مباشرة على المضيق.

٣٧٨ المرابطون يهزمون الأسبان في موقعه الزلاقة (٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م)

لم يضيع يوسف بن تاشفين الوقت في الأندلس، فنظم صفوف جنده الأقوياء واتجه بهم لملاقاة الجيش الأسباني الضخم والذي كان تحت قيادة الفونسو السادس الذي أذل ملوك دول الطوائف من قبل وفرض نفوذه على طليطلة.

ولقد دارت معركة من أكبر المعارك في التاريخ الإسلامي وهي معركة الزلاقة (نسبة إلى سهل الزلاقة بالقرب من مدينة بطليوس جنوب غرب الأندلس). وبالرغم من تكتيكات الفونسو أمام المرابطين إلا أن يوسف بن تاشفين ورجاله كانوا على يقين بالنصر، فحاصروا الأسبان من كل صوب وأخذوا يبيدوهم حتى أفنوهم، وتمكن الفونسو من الفرار بعد إصابته تاركاً بقايا أسلحته وجثث رجاله تملأ السهل المتسع.

٣٧٩ الخليفة العباسي المقتدى يتزوج ابنة السلطان السلجوقي ملكشاه (٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م)

عندما سيطر السلاجقة على الدولة العباسية ظل الخليفة العباسي محتفظاً

بلقب أمير المؤمنين، وهو بهذا المنصب الروحي الكبير أهم شخصية إسلامية في العالم الإسلامي يتودد إليه الأمراء والسلاطين.

وقد تزوج الخليفة العباسي المقتدي من ابنة السلطان السلجوقي ملكشاه والمسماة (خاتون) وذلك في شهر المحرم من عام ٤٨٠ للهجرة. وقد نقلت العروس إلى قصر الخلافة ببغداد تسبقها وتعقبها الجمال المحملة بملابسها وحليها وجواهرها التي لا تقدر بثمن وتحيط بها مائتا جارية من حاملات الشموع، وكان من ضمن جهاز إبنة السلطان سرير مطلى بغلاف من الذهب السميك وإثنا عشرة صندوقاً من الفضة بداخلها كل نفيس وعظيم من الجواهر والحلي.

٣٨٠ تأسيس دولة المرابطين بالأندلس ونهاية حكم ملوك الطوائف
(٤٨٤هـ/ ١٠٩١م)

انتشر إعجاب المسلمين بالأندلس بيوسف بن تاشفين زعيم المرابطين الذي انقذ الأندلس وهزم أكبر قادة الأسبان الفونسو السادس. ومع ذلك فبعد الانتصار في معركة الزلاقة، سارع يوسف بالعودة إلى المغرب لمباشرة شئون دولته. وبعودته عاد النزاع بين ملوك الطوائف مرة أخرى فطمع الفونسو السادس في ممالكهم، فسافر المعتمد بن عباد إلى المغرب طالباً تدخل يوسف بن تاشفين مرة أخرى لإنقاذ الأندلس المضطربة بالنزاعات والأطماع، فسافر بن تاشفين إلى الأندلس هو وجيشه ودعا ملوك الطوائف للاجتماع به في حصن (لييط) محل خصوماتهم، وتوحيد صفوفهم للجهاد معاً ضد الأسبان، فلم يهتم ملوك الطوائف بدعوته واستمروا في غيهم بالرغم من ثورة شعبهم عليهم، فقرر يوسف بن تاشفين إزالة هؤلاء الملوك من ممالكهم وسير الحملات المرابطية تجاه خمس من تلك الممالك لاخضاعها... وبحلول عام ٤٨٤ للهجرة أصبحت الأندلس تحت سيادة دولة المرابطين بالمغرب الأقصى وانتهت بذلك دول الطوائف.

٣٨١ إغتيال الوزير السلجوقي نظام الملك (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م)

إن الوزير نظام الملك قدم أعمالاً جليلة لدولة السلاجقة منذ تأسيسها

وحتى بلوغها ذروة القوة. فهو الذي ساعد السلطان طغرلبك على اخماد الفتن التي كانت تقع في الدولة، وهو الذي أشار على ألب أرسلان بخوض المعارك ضد الروم وخاصة معركة ملاذجرد المجيدة. وهو الذي ساعد السلطان ملكشاه على التخلص من الإضطرابات التي حدثت بمقاطعة كرمان حتى لقبه ملكشاه بلقب أتابك (أبو الأمراء) وأعطاه مدينة طوس بفارس. ولما بلغ نظام الملك أرقى المراتب في الدولة، أخذ يحابي الأتراك السنة على حساب الشيعة بفارس (وهو من مدينة طوس الشيعية)، فغضب الشيعة عليه وتمكن ثائر منهم من دس السم له في الشراب، وقد اتصف الوزير نظام الملك بصفات أخلاقيه رفيعة منها حبه للفقراء والورع والكرم.

٣٨٢ وفاة السلطان السلجوقي ملكشاه وتفكك الدولة السلجوقية (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م)

مات السلطان السلجوقي ملكشاه قبل أن يقضي على الفاطميين، وقبل أن يرى دويلات مملكته وخاصة في آسيا الصغرى والشام تقع تحت الاستعمار الصليبي.

وبوفاة ملكشاه انقسم البيت السلجوقي على نفسه وزادت الأطماع الإنفصالية بين أقطابه حتى تحولت الدولة الفتية القوية الموحدة إلى ممالك مستقلة تصارع بعضها بعضاً يمكن بسهولة أن تنفذ منها الجيوش الصليبية الجرارة الموحدة.

٣٨٣ سقوط مدينة بلنسية الأندلسية في يد الاسبان (٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م)

كانت معركة الزلاقة التي انتصر فيها المرابطون على الأسبان لطمة شديدة الإذلال ليس فقط للأسبان ولكن لكل دول أوروبا التي كانت تعبىء الرأي العام الأوروبي لتسيير حملة صليبية ضخمة تدمر الدول الإسلامية في المشرق وتسيطر على بيت المقدس. ولهذا فسرعان ما تكاتف الأوروبيون وراء رجل أسباني يدعى السيد القمبياطور الذي راح يظهر أطماعه لايقاع الهزيمة بالمرابطين في الأندلس.

وفي الحقيقة فقد تمكن القمبياطور من ذلك بسبب خطأ من المرابطين. . .

حيث طمع القمبياطور في الاستيلاء على مدينة بلنسية (وهي مدينة كبيرة تطل على البحر المتوسط) فسار إليها وحاصرها ولكن المرابطين سارعوا لفك الحصار بمساعدة أهل المدينة فغادرها القمبياطور، ولما رأى قائد المرابطين أبو بكر اللمتوني أن المدينة قد غدت سالمة تراجع عنها، فعلم بذلك القمبياطور وسارع بدخولها وتأمينها بجنده.

٣٨٤ بركيا روق يتولى حكم الدولة السلجوقية بفارس (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)

بعد وفاة السلطان السلجوقي ملكشاه، وافق الخليفة العباسي المقتدي على تعيين محمود بن ملكشاه سلطاناً للسلاجقة خلفاً لأبيه، بعد سلسلة متصلة من استغلال النفوذ والدسائس التي قامت بها زوجة ملكشاه المسماة (تركان خاتون) بالرغم من صغر سن ابنها محمود الذي لم يتجاوز الرابعة من العمر، وكان من أثر ذلك أن توترت العلاقات بين الأوصياء على محمود وبين أشقائه (من أبيه) وخاصة شقيقه الأكبر سناً والمدعو بركيا روق، وسرعان ما اندلع القتال المرير في الأسرة السلجوقية، فزحف بركيا روق بجيش كبير لمقاتلة جنود السلطان الطفل فهزمهم وطاردهم حتى دخل مدينة أصبهان، وقبل محمود وأمه دفع الجزية كما وافقا على أن يكون بركيا هو سلطان السلاجقة.

ومع ذلك لم تنته الخلافات في الدولة السلجوقية. إذ سرعان ما انقسمت بعد ذلك بعدة أعوام إلى دويلات سلجوقية مستقلة في فارس والعراق والشام وآسيا الصغرى.

٣٨٥ وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)

ظل الخليفة الفاطمي المستنصر بالله يحكم الدولة الفاطمية قرابة الستين عاماً، وهو بعد ذلك أكثر الذين عمروا في حكم مصر. وفي عهده اتسع ملك الدولة حتى شمل مصر والشام وشمال أفريقيا والحجاز واليمن وفلسطين وصقلية وإمارة الموصل، ولكن في أواخر سنوات حكمه تقلصت إمارات الدولة واستقرت على مصر وليبيا واليمن والحجاز وبعض أجزاء فلسطين والشام.

وقد توفي المستنصر بالله بالقاهرة عن عمر يناهز الثامنة والستين، فخلفه ابنه أحمد المستعلي بالله

٣٨٦ ظهور مذهب الشيعة النزارية المتطرف وتأسيس أول جماعة للاغتيال السياسي في العالم الإسلامي (٤٨٧هـ/ ١٠٩٥م)

إن تأسيس أول جماعة للاغتيال السياسي في العالم الإسلامي لا يعود إلى سنة محددة في التاريخ، ولكنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بذلك الصراع الدموي الذي حدث بين ابني الخليفة الفاطمي المستنصر بالله بعد وفاته.

فقد أراد الخليفة ـ قبل وفاته ـ أن يخلفه في الحكم ابنه نزار، ولكن الوزير الفاطمي الأفضل أحبط تلك المحاولة ودعا إلى تولية ابن المستنصر الأصغر أبي القاسم أحمد (المستعلي بالله). ولقد دارت نزاعات مريرة بين الأخوين قتل فيها نزار وتمكن المستعلي من السيطرة على الحكم. ولكن الحسن الصباح الداعية المتطرف، اتخذ من نزار إماماً ونسج دعوة تقوم على أوهام خرافية مكنته من تأسيس دولة إسماعيلية بالغة التطرف في خراسان تقوم على فكرة الإمام الغائب أو المستور، ووجوبية الدعوة له وطاعة نائبه في الأرض عمياء لا تشوبها شائبة. وقد اتخذ النزارية الباطنية من المؤمنين بالمذهب السني عدواً يجب قتله في كل مكان. فتأسست بهم جماعة الحشاشين المشهورة بالاغتيالات السياسية، والتي ينسب لها مصرع العديد من زعماء العباسيين وقادة الجيوش وكبار الشخصيات. وكان الحشاشون يقتلون ضحاياهم من المسلمين يوم الجمعة، وضحاياهم من النصارى (وخاصة من الصليبيين) يوم الأحد. واتخذوا من قعلة الموت مقراً لقيادتهم بالرغم من وجود المئات من القلاع الأخرى في الشام وشمال العراق وخراسان وفارس.

ولم تنته دولة الحشاشين بموت الحسن الصباح عام ٥١٨ للهجرة، ولكنها استمرت حتى غزا المغول بلاد فارس وخراسان فتفرقوا في الأرض وتخفوا عن الأنظار ودخلوا طور الكمون حتى عادوا للظهور مرة أخرى في القرن التاسع عشر الميلادي ولكن بصورة سلمية. حيث ظهر عام ١٨١٧ الإمام محمد حسين المعروف باسم أغاخان. واليوم، فإن المذهب النزاري الشيعي يوجد في مناطق مهمة بالهند وكشمير وأفغانستان وبعض أجزاء من الخليج العربي (أنظر ظهور دعوة أغاخان بالهند عام ١٢٥٥هـ).

٣٨٧ البابا أوربان الثاني يدعو النصارى للزحف على العالم الإسلامي

(٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)

زادت مشاعر الكراهية من الأوروبيين الذين سيطر عليهم الكهنوت البابوي في روما، فسافر البابا أوربان الثاني إلى فرنسا حيث نظم في مدينة كليرمونت مؤتمراً حاشداً (٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م) ضم فئات عديدة من رجال الدين من مختلف البقاع الأوربية. وهناك ألقى أوربان الثاني خطاباً حماسياً مطولاً استعرض فيه ما وصفه بالإضطهاد الإسلامي للحجاج المسيحيين في بيت المقدس، وأن الضرورة تحتم على كل كاثوليكي مخلص الزحف على الأراضي الإسلامية وتحرير الهيكل النصراني المقدس من الكفرة (أي المسلمين). ولقد وزع البابا صلباناً على المتطوعين السذج الذين تجمعوا بأعداد غفيرة من حوله (ومن هنا اتخذ الصليب رمزاً للحملات الصليبية على البلاد الإسلامية). وما إن انتشرت دعوة البابا في أوروبا حتى خرج ثلاثمائة ألف رجل من كافة أنحاء أوروبا في جيوش جرارة قاصدة العالم الإسلامي لتدميره وذبح الأبرياء من أبنائه أطفالاً ونساءً وشيوخاً وتدنيس القدس الشريف.

ولقد صاحب دعوة البابا العدوانية تلك، تفكك الدولة السلجوقية، وضعف الدولة الفاطمية، وهما الدولتان اللتان واجهتا الصليبيين فيما بعد. وفي ذات الوقت أخذت البلدان الأوربية تتحد وتقوى وتنبذ خلافاتها وتبحث عن أراضي جديدة تستنفد خيراتها الاقتصادية وابتكاراتها التكنولوجية لكي تحل مشاكل الفقر والبؤس التي كانت الشعوب الأوروبية تعيش فيه.

٣٨٨ الحملة الصليبية الأولى (٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م)

بعد دعوة البابا أوربان الثاني للأوروبيين لكي يخرجوا في حملة صليبية تخضع المشرق الإسلامي وتحتل القدس الشريف أخذت الحشود تتجمع في كل مكان على طريق الحملة حتى بلغ عدد جنودها سبعمائة ألف رجل. وأخذت تلك الحشود تنطلق على شكل موجات متتالية تحت قيادة أمراء من معظم الدول الأوربية يحملون الصلبات والتعاويذ البابوية. وبالرغم من بطء سير الحملة نتيجة تعرضها لقطاع الطرق في جنوب أوروبا، والاختلاف الذي حدث بين قادتها

وقادة الدولة البيزنطية في القسطنطينية، إلا أن الحملة استمرت في زحفها حتى بلغت مشارف دولة سلاجقة آسيا الصغرى (إحدى دويلات دولة السلاجقة التي تفككت) فاقتحموها ودخلوا عاصمتها نيقية وأخذوا في السلب والنهب والذبح والتدمير.

٣٨٩ قيام امبراطورية كانم الإسلامية الأفريقيا (٤٩٠هـ/ ١٠٩٧م)

تمكن حاكم دولة كانم واسمه ماي هوميه بعد أن دخل في الإسلام، من تأسيس امبراطورية إسلامية كبرى جنوب الصحراء الكبرى تمتد من وسط السودان شرقاً مروراً بجنوب بلاد النوبة وحتى نهر النيجر وشمال نيجيريا (منطقة الهوسا) غرباً. وتعتبر تلك المنطقة المدارية الشديدة الحرارة من أخصب مناطق أفريقيا جنوب الصحراء. فقد استفادت من مياه نهري النيل والنيجر وبحيرة تشاد العذبة ومن الأمطار الغزيرة الهاطلة على أراضيها.

ولكن انغلاق تلك الأراضي في وسط أفريقيا جعلها بعيدة إلى حد ما من التأثر بالحضارة المزدهرة في وادي النيل وشمال أفريقيا مما عرضها لأطماع الأعداء، فانقسمت إلى عدة دول في مستهل القرن السادس عشر الميلادي.

وجدير بالذكر أن عاصمة إمبراطورية كانم كانت مدينة (نيجمي)، وكان مذهب المسلمين فيها ـ ولا يزال ـ هو مذهب الإمام مالك.

٣٩٠ الفاطميون يستولون على القدس من السلاجقة (٤٩١هـ/ ١٠٨٩م)

بقيت القدس تحت سيادة السلاجقة منذ عام ٤٦٤هـ، حتى هاجم الصليبيون إمارات السلاجقة من الشمال (آسيا الصغرى) فضعفت قبضتهم على القدس. عندئذ سارع الفاطميون البعيدون عن الخطر الصليبي حتى ذلك الوقت بالزحف بحملة عسكرية فدخلوا المدينة.. وبقيت الحملة هناك حتى احتلها الصليبيون عام ٤٩٢ للهجرة.

٣٩١ الصليبيون يؤسسون إمارة الرها الصليبية (٤٩١هـ/ ١٠٩٨م)

تقع الرها في شمال غرب العراق ويعتبرها البعض مدينة الخليل إبراهيم أبي الأنبياء عليه السلام. وبعد أن أخضع الصليبيون غربي آسيا الصغرى لنفوذهم

زحف الملك الصليبي بلدوين الثاني مع جيش كبير إلى إمارة الرها التي كانت في ذلك الوقت تابعة لأرمينيا في آسيا الصغرى. ولقد ساعدت حالة الانقسام بين السلاجقة حول الإمارة، وبعض السكان الأرمن بلدوين على اقتحام المدينة فدخلها عام ٤٩١هـ (فبراير ١٩٠٨م) حيث أسس فيها أول مملكة صليبية في الشرق الإسلامي.

٣٩٢ الصليبيون يؤسسون إمارة أنطاكيا الصليبية (٤٩١هـ/ ١٠٩٨م)

اتجه جيش صليبي ثان بعد السيطرة على غربي آسيا الصغرى إلى إمارة أنطاكيا (وهي في جنوب تركيا وتطل على شمال الساحل الشرقي للبحر المتوسط). وكان يقود ذلك الجيش رجل يدعى بوهيمند سرعان ما تمكن من فرض الحصار على المدينة القوية التحصين والمدججة بالسلاح. وقد حاول أمراء دمشق وحمص السلاجقة فك الحصار من حول أنطاكيا عدة مرات، ولكن الصليبيون كانوا مصممين على احتلالها. فقد كانت أهم ثالث مدينة بيزنطية بعد القسطنطينية والاسكندرية.. ومع ذلك استمر الحصار تسعة أشهر كاملة كان اليأس قد أخذ خلالها يدب في نفوس الجنود الصليبيين نتيجة قلة الطعام والزاد ونتيجة الهجمات التي كان المسلمون يشنونها عليهم. ولكن مما زاد من حماس الصليبيين ذهاب وفد فاطمي إلى بوهيمند للاتفاق على تقسيم الشام نكاية في السلاجقة والعباسيين وقد اقترح الوفد الفاطمي أن تكون أنطاكيا خاضعة للصليبيين وبيت المقدس خاضعاً للفاطميين. ولهذا فقد تمكن الصليبيون من استمالة بعض الأرمن المدافعين عن المدينة ففتحوا للصليبيين أحد أبواب المدينة فتدفقوا منه إلى داخلها فخضعت لهم بسرعة وكان ذلك في نهاية عام ٤٩١ للهجرة. فأخذ بوهيمند يؤسس مملكة صليبية ثانية في أنطاكيا، تلك المملكة التي استمر الوجود الصليبي فيها حتى حررها الظاهر بيبرس (انظر عام ٦٦٦هـ).

٣٩٣ الصليبيون يؤسسون إمارة بيت المقدس الصليبية ويذبحون سبعين ألف مسلم (٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م)

حاصرت القوات الصليبية مدينة القدس الشريف أربعين يوماً متصلة عجز فيها الفاطميون بداخل المدينة أن يصمدوا بالرغم من الكفاح البطولي الذي

أبدوه مع سكان المدينة. وحينما دخل الصليبيون المدينة بدأوا يقتلون المصلين بالمسجد الأقصى حتى امتلأت ساحة المسجد وبهوه وممراته بجثث المسلمين. ثم طاردوا سكان البلدة المقدسة فقتلوا كل من رأوه حتى قدر عدد الشهداء سبعين ألف مسلم.

وقد امتلأت كتب التاريخ الإسلامي القديمة بصفحات مريرة عن وصف تلك المذبحة وتصوير الهيستيريا الجماعية العدوانية التي سيطرت على الحملة الصليبية وهم يتلذذون بذبح الأبرياء الذين ملأ الرعب قلوبهم وهم يرون الإشلاء وقد غطت الأرض في كل مكان.

للقارىء أن يعود إلى عام ١٦هـ عندما دخل الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه القدس والعهد الذي عاهد به بطريرك المدينة للحفاظ على الأرواح والممتلكات حتى يرى الفرق بين أخلاق المسلمين وأخلاق الأوروبيين حملة الصليب. وللقارىء كذلك أن ينظر في الأخلاق الرفيعة لصلاح الدين الأيوبي عندما حرر القدس الشريف عام ٥٨٣هـ.

٣٩٤ هزيمة الفاطميين في عسقلان (٤٩٣هـ/ ١١٠٠م)

لا شك أن الفاطميين قد ذهلوا عند دخول الصليبيين بيت المقدس وقيامهم بذبح المسلمين ولهذا فقد قام الوزير الفاطمي الأفضل (وهو من وزراء العصر الفاطمي الثاني الذي اتسم بالضعف) بقيادة جيش فاطمي حتى وصل إلى مدينة عسقلان (شمال شرق مدينة غزة) القريبة من القدس. وسرعان ما وصلت الأنباء إلى جودفري قائد الصليبيين السفاح في بيت المقدس، فجمع صفوف جيشه وهجم على الجند الفاطميين فهزمهم هزيمة قاسية راح ضحيتها عشرة آلاف رجل وفر الوزير الأفضل غرباً حتى عاد إلى القاهرة.

ومع ذلك فقد حدث نزاع بين جودفري وبين أحد القادة الصليبيين ويدعى ريموند الذي أقنع جودفري بترك المدينة في يد الفاطميين حتى يتقي نقمة أهلها على الوجود الصليبي. وتعتبر معركة عسقلان أول معركة إسلامية ضد الوجود الصليبي في الشرق العربي، وهزيمة الفاطميين فيها لا شك قد أوضحت مدى الضعف تجاه قوة عدوهم.

٣٩٥ السلاجقة يحطمون هجمات صليبية جديدة (٤٩٣هـ/ ١١٠١م)

بعد نجاح الصليبيين في تأسيس ثلاث إمارات صليبية في الشام وفلسطين أخذت حشود الأوروبيين تتجمع على شكل موجات لتلقي بثقلها في تلك الإمارات لترسخ من وجودها. . ولكن سلاجقة آسيا الصغرى واجهوا الصليبيين الذين أتوا من فرنسا وألمانيا وهزموهم. ثم هزم السلاجقة هجمة فرنسية أخرى تمكنت من احتلال أنقره عام ٤٩٣هـ. ثم جاءت هجمة ثالثة ألمانية فرنسية وتمكن السلاجقة من إيقاعها في كمين وأبادوها.

ولقد شكلت تلك الإنتكاسات الصليبية انهياراً ـ ولو مؤقت ـ في الروح المعنوية للصليبيين بالرغم من أنها لم تؤد على المدى القصير إلى أي تغيير في الموقف الاستراتيجي بين المسلمين والصليبيين.

٣٩٦ محاولات الفاطميين لاسترداد القدس (٤٩٤هـ/ ١١٠٢م)

حاول الفاطميون مراراً هزيمة الصليبيين وطردهم من بيت المقدس. فقد شن الوزير الفاطمي الأفضل هجوماً كبيراً على الصليبيين بالقرب من الرملة (جنوب اللد) ولكن الصليبيين استعدوا لصد الهجوم وساعدتهم مؤونتهم وحماسهم واغترار الفاطميين بعددهم في إيقاع الهزيمة بجيش الوزير الأفضل وكان ذلك عام ٤٩٣هـ. وفي العام التالي خرج ابن الوزير الأفضل شرف المعاني بجيش قوامه عشرون ألفاً إلى عسقلان ثم إلى الرملة فأوقع بالصليبيين هزيمة قاسية وأرسل المئات من أسراهم ليسيروا في شوارع القاهرة.

وبالرغم من ذلك فلم يكن هذا الانتصار كافياً لاسترداد القدس الشريف وطرد الأعداء منه.

٣٩٧ وفاة الخليفة الفاطمي المستعلي بالله (٤٩٥هـ/ ١١٠٢م)

حكم المستعلي بالله الدولة الفاطمية لمدة سبعة أعوام تقريباً شهد خلالها الحملة الصليبية الأولى التي نجحت في خداع الفاطميين واستولت منهم على بيت المقدس.

وقد توفي المستعلي بالله بمصر في شهر صفر من عام ٤٩٥ للهجرة فخلفه ابنه الآمر بأحكام الله.

٣٩٨ المرابطون بالأندلس يستردون مدينة بلنسية (٤٩٥هـ/ ١١٠٢م)

لم يكن سقوط بلنسية البالغة الثراء في يد السيد القمبياطور سهلاً على المرابطين خاصة وأن يوسف بن تاشفين كان لا زال يتزعم أقوى دولة إسلامية في ذلك الوقت. ولهذا فقد سارع ابن تاشفين بعزل أبي بكر اللمتوني، وشحذ الهمم لمقاتلة القمبياطور فكانت معركة كونسوجيرا هي مرحلة التحول للقضاء على القمبياطور. حيث قتل فيها ابنه ودحرت قواته حتى أنه مات بعد ذلك بعام واحد (أي بعد معركة كونسوجيرا التي وقعت عام ٤٩١هـ).

ثم سار جيش مرابطي قوي تحت قيادة محمد بن مزادلي نحو بلنسية وحاصرها ولم تفلح هجمات الإسبان المضادة أو القوات التي أرسلها الفونسو السادس في حماية المدينة التي سقطت في رجب من عام ٤٩٥هـ بعد أن حرقها الإسبان حتى لا ينتفع بها الرابطون!

٣٩٩ انتصار المسلمين على الصليبيين في معركة حران (٤٩٧هـ/ ١١٠٤م)

أخذت مطامع الصليبيين تزداد في الأراضي التابعة للدولة البيزنطية، ثم أخذت مطامعهم تزداد كذلك في الأراضي التابعة للمسلمين في شمال العراق (شرق الشام). فخرج القائد الصليبي بلدوين (أمير مملكة الرها) والقائد الصليبي بوهيمند (أمير مملكة أنطاكيا) قاصدين مدينة حران الواقعة بين الشام والعراق. ويبدو أن القادة المسلمين قد تناسوا خلافاتهم وصراعاتهم، فتجمعوا في قوة واحدة وخرجوا لملاقاة الصليبيين فالتقت الجيوش الإسلامية والصليبية بالقرب من حران، فوقعت الهزيمة بالصليبيين وقتل منهم عدد كبير وتشتت بقيتهم وأسر قائدهم بلدوين.

وبتلك الهزيمة اختفت آمال الصليبيين في احتلال العراق.

٤٠٠ انتشار الإسلام في بقاع بلاد كانم الأفريقية (٥٠٠هـ/ ١١٠٧م)

شملت بلاد كانم الأفريقية المناطق الشمالية لبحيرة تشاد والممتدة شرقاً حتى غرب النيل عند دارفور بالسودان. وقد دخلها بعض المسلمين من شمال أفريقيا سواء نتيجة الهجرة أو التجارة ثم أعلن زعيمهم ماي هوميه إشهاره للإسلام، ولكنه لم يتمكن من نشر الإسلام بين أهل بلاده الواسعة. ولكن

استمرار إرسال الفقهاء من شمال أفريقيا وازدهار دولة المرابطين في الشمال، شجع على سرعة انتشار الإسلام عبر قوافل التجارة حتى أخذت المساجد تبنى هناك فرسخت جذور الإسلام وأخذ عدد المسلمين يتزايد باستمرار.

٤٠١ وفاة يوسف بن تاشفين زعيم دولة المرابطين (٥٠٠هـ/ ١١٠٧م)

توفي يوسف بن تاشفين بعد مرض ألم به وكان عمره قد بلغ التسعين عاماً. وقد تمكن بن تاشفين من تأسيس دولة إسلامية بالغة القوة في شمال أفريقيا والمغرب الأقصى وجنوبه، ثم مد نفوذه ليشمل بلاد الأندلس التي هزم فيها الإسبان ووحد الممالك الأندلسية تحت قيادته، فأعاد أمجاد المسلمين الأوائل للأندلس بعد أن أخذ ملوك الطوائف يفرطون في بلادهم بسبب طمعهم وتحالفهم مع الأعداء. وقبل وفاته كان ابن تاشفين قد بايع لابنه علياً بالخلافة فوافق المرابطون بالمغرب على استخلافه عليهم.

٤٠٢ السلاجقة بالعراق يقضون على فتنة الأمير صدقة بن مزيد (٥٠١هـ/ ١١٠٧م)

كان الأمير صدقة بن مزيد يحكم الحلّة وواسط (منطقتان بجنوب العراق)، ولكنه طمع في المزيد من الأراضي فاحتل البصرة لكي ينازع سلطة السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي، ثم زحف بجيش كبير آخر قوامه خمسون ألفاً من الجنود قاصداً السيطرة على بغداد، فاستغاث الخليفة العباس المستظهر بمحمد بن ملكشاه فخرج بقواته من أصبران بفارس فلقي السلاجقة الهزيمة، ولكنهم تجمعوا مرة أخرى وتمكنوا من هزيمة الأمير صدقة وقتلوا ثلاثة آلاف رجل من قواته، ثم أخذوا يحيطون بالأمير صدقة حتى تمكنوا من قتله.

٤٠٣ علي بن يوسف بن باشفين يهزم الإسبان في موقعة إقليس (٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)

واجه علي بن يوسف بن تاشفين بعد استلامه حكم المرابطين عدو أبيه اللدود الفونسو السادس الذي توهم أن الأندلس قد ضعفت بعد وفاة ابن تاشفين. ولكن الخلفية الجديد سارع بالدفاع عن وحدة وقوة الأندلس. فأرسل

شقيقه تميم بن يوسف لقيادة جيش أندلسي ومحاصرة قلعة أسبانية منيعة تسمى إقليس. فلما تم الحصار أرسل الفونسو السادس ابنه سانشو لفك الحصار من حول القلعة ومدينتها. فلما وصل سانشو إلى هناك، كان المرابطون قد اقتحموا القلعة وأمنوها لهم، فخرجوا لملاقاة الجيش الإسباني وأوقعوا به هزيمة قاسية قتل فيها ابن الفونسو السادس مع عشرة آلاف فارس إسباني.

ولقد مات الفونسو السادس نفسه حزناً على ابنه بعد عام واحد من تلك الهزيمة التي تعتبر ثانية أكبر المعارك المجيدة التي انتصر فيها المرابطون على الإسبان في الأندلس.

٤٠٤ الصليبيون يؤسسون إمارة طرابلس الصليبية (٥٠٢هـ/ ١١٠٩م)

أخذت المدن في الشام وآسيا الصغرى تتساقط واحدة بعد الأخرى أمام القوات الصليبية، وخاصة المدن الواقعة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط لما لذلك من أهمية بحرية. حيث كانت الموانىء الأوروبية - وخاصة الإيطالية منها - ترسل الإمدادات والفرسان والجنود إلى الصليبيين من مراكزهم التي أنشأوها في الشام وفلسطين.

وعندما تكاثرت التحصينات الصليبية خرج ريموند الصانجلي بقواته الصليبية متوجهاً إلى مدينة طرابلس الكبيرة التي تعد من أفضل الموانىء في الشام وحاصرها ولكنه سرعان ما مات نتيجة حادث وقع له، فخلفه وليم جوردن. وقد استمر جودون في حصار المدينة التي أخذت ترسل رسائل الاستغاثة إلى العباسيين والسلاجقة ولكنهم تباطأوا، فتحولت الاستغاثة إلى الفاطميين بمصر فسارعوا لنجدة المدينة وفك حصارها وتأمينها. وإزاء ذلك أرسلت الدول الأوروبية أساطيلها ورجالها الذين تجمعوا مع الإمارات الصليبية الثلاث الأخرى (الرها وأنطاكيا وبيت المقدس) ونزلوا إلى المدينة وحاصروها براً وبحراً لفترة طويلة حتى اشتدت الأزمة على سكانها وحاميتها الفاطمية فطلبوا الأمان وبذلك دخلها الصليبيون وأسسوا فيها الإمارة الصليبية الرابعة.

٤٠٥ المرابطون يستولون على مدينة تلايوت من الإسبان (٥٠٣هـ/ ١١١٠م)

إن انتصار علي بن يوسف بن تاشفين على الإسبان في موقعة إقليس،

شجعه على العبور من الشاطىء المغربي إلى الأندلس مرة أخرى في جيش صخم قوامه مائة ألف رجل لكي يهاجم الإسبان بالمدن الأندلسية، فسار بقواته المدججة بالسلاح تجاه مدينة تلايوت، وحاصرها ثم دمر حصونها واقتحمها وطارد القوات الإسبانية التي أخذت تحتمي بعشرات الحصون في إمارة طليطلة وسط الأندلس. فسارع علي وجنده بمهاجمة تلك الحصون وأشعل فيها النيران وكانت هزيمة ثالثة للإسبان على يد الجند المرابطين.

٤٠٦ الثورة على الخليفة العباسي المستظهر بسبب التوسعات الصليبية

(٥٠٤هـ/ ١١١١م)

رأينا كيف حاول الفاطميون في مصر إنزال الهزيمة بالصليبيين.. أما العباسيون وحماتهم السلاجقة فلم يتحركوا بجدية كافية لدحر العدوان، وهذا ما دفع الناس إلى الثورة ضد الخليفة العباسي المستظهر.

وقد أخذت الثورة تتسع وهاجم المتظاهرون الخليفة المستظهر لتقاعسه عن تحرير المقدسات وترك العدو الصليبي يذبح المسلمين في كل مكان يحتله. ولذلك أمر الخليفة مودود السلجوقي أمير الموصل بالخروج لمقاتلة الصليبيين وحاول أن يحالف كلاً من أمير حلب رضوان، وأمير دمشق ضغتكين فرفضا، فلم يتمكن ـ وحده ـ من منازلة الصليبيين الذين حصنوا قلاعهم ومدنهم. وبذلك عاد مودود إلى الموصل.

وقد أظهرت تلك الحملة مدى ضعف الخليفة العباسي، ومدى عدم ثقة أمراء المدن الإسلامية السلاجقة الذين تفككت إمبراطوريتهم السلجوقية إلى ولايات منفصلة يحكم كل منها أمير لا يثق في الآخرين، ولا يثق الآخرون فيه. ولهذا فقد استمر الوجود الصليبي في الأراضي الإسلامية.

٤٠٧ المرابطون يتوسعون شمالاً ويطاردون الإسبان (٥٠٤هـ/ ١١١١م)

أخذ علي بن يوسف بن تاشفين حاكم دولة المرابطين بالمغرب والأندلس في حشد جيوشه لمطاردة الإسبان، فهزمهم في سلسلة متصلة من المعارك خاصة في القطاع الشمالي حتى تقلصت الأراضي التي كانوا قد استولوا

عليها إبان حكم ملوك الطوائف.. فبات الإسبان ينحصرون في مناطق أضيق في الشمال والشمال الغربي.

ويبدو أن تلك الانتصارات المتتالية عادت بالكثير من الطمأنينة على المرابطين فجنحوا للراحة في مدنهم.

٤٠٨ **وفاة الإمام الغزالي حجة الإسلام** (٥٠٥هـ/ ١١١١م)

ولد أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المعروف بحجة الإسلام، بمدينة طوس وهي واحدة من مدن خراسان المعروفة عام ٤٥٠هـ. مات والده وتركه طفلاً ولكن بعد أن كان قد وضع ابنه على طريق حب العلم والفقه وأصول الدين.

وسرعان ما ظهرت عبقرية الغزالي بعد رحلته الأولى إلى مدينة نيسابور واتصاله بالعالم الكبير الجويني، ثم انتقل الغزالي إلى العراق بعد أن كان اسمه قد ملأ الآفاق، فتقلد مهمة التدريس بالمدرسة النظامية بمدينة بغداد (وهي التي كان قد أسسها الوزير السلجوقي نظام الملك). وبعد أربعة أعوام غادر بغداد إلى الحجاز ثم سافر إلى القدس الشريف ثم زار مصر (الإسكندرية) ثم عاد إلى دمشق حيث أخذ يتعمق في التصوف بالمسجد الأموي لمدة عشرة أعوام، ثم عاد إلى مدينة طوس حيث مات رحمه الله عام ٥٠٥ هجرية، ووری جثمانه الثرى بمقابر الطابران.

والإمام الغزالي بلا جدال واحد من أكبر العقول في العالم الإسلامي قديمه وحديثه على حد سواء.. حتى أن بعض كبار العلماء وصفوا كتبه بأنها أقيم ما كتب في علوم الدين وأنه لو ضاعت كتب العلماء كافة وبقيت كتب الغزالي لكفت المسلمين.

والإمام الغزالي له منهج عقلي واضح كل الوضوح (وضعه في كتابه القيم المنقذ من الضلال) في تقرير الإيمان في قلوب الناس.. فقد قسم الحقائق إلى حقائق تدركها الحواس وهي أضعف من الحقائق التي يدركها العقل، وحقائق العقل - مع قوتها - أضعف من الحقائق التي يصل إليها القلب وهي أعلى مراتب اليقين. فالقلب يستطيع عن طريق التصوف والزهد وتكرار التفكر في صفات الله تعالى ومخلوقاته والابتعاد عن كل مغريات الدنيا، أن يتلقى لمحات (تجليات)

من آيات الله في داخله. . وهذه أعلى مراتب الصلة بالله والتي لا يمكن الوصول إليها عن طريق العقل أو الحواس.

ولقد تعمق الإمام الغزالي في دراسة الفلسفة بكل درجاتها. وانتقد بعين بصيرة وعقل قوي، الكثير من الفلاسفة لأنهم توقفوا عند الفلسفة العقلية التي تعد أقل منزلة من صفات القلب.

واستمر الغزالي كذلك يهاجم كل الفرق الإسلامية المتطرفة كالشيعة والمعتزلة والخوارج وسدد إليهم جميعاً ضربات قاضية في كتبه العديدة حتى دحروا. وإليه يرجع الفضل في إحياء مذهب أهل السنة لأنه يراه المذهب الوسطي الذي نادى به الرسول ﷺ.

ويصعب هنا السرد الكامل لكتب الإمام الغزالي، ولكن نشير فقط إلى أهمها وهي (إحياء علوم الدين) و (المنقذ من الضلال) و (ميزان العمل) و(الأربعين في أصول الدين) و (سر العالمين) و (أيها الولد).

٤٠٩ الصليبيون يحتلون ميناء إيلات ويعزلون مصر عن الشام والحجاز (٥٠٦هـ/ ١١١٣م)

بعد أن استوثق الصليبيون من ضعف الجبهة الإسلامية في الشام والعراق وخوف أمراء المدن الإسلامية في الشرق من بعضهم البعض، رأى بلدوين الأول الحاكم الصليبي لإمارة بيت المقدس (وهي الأقرب إلى مصر) مهاجمة الفاطميين على مرحلتين الأولى عن طريق قطع الاتصال البري بين مصر والشام والحجاز، والثانية عن طريق غزو مصر ذاتها.

فقد سير حملة برية قوية وسريعة لتصل إلى ميناء إيلات على خليج العقبة واحتلاله وبناء حصن يحمي فيه جنده ومعداتهم. . أما المرحلة الثانية لمهاجمة الفاطميين بمصر فقد جرت عام ٥١٢ للهجرة (انظر الصليبيون يحاولون غزو مصر عام ٥١٢هـ).

٤١٠ الحشاشون يغتالون مودود أمير الموصل (٥٠٧هـ/ ١١١٤م)

إن أمير الموصل مودود الذي تحمل عبء الكفاح ضد الصليبيين في الجبهة الشرقية والذي كان قد دعا أمير حلب رضوان بن تتش، وأمير دمشق

ضغتكين للتحالف معه ومقاتلة الصليبيين بعد أن طالبه الخليفة العباسي بذلك فرفضا دعوته خوفاً من قوته، سرعان ما تمكن فيما بعد من إقناع ضغتكين أمير دمشق للتحالف معه لمواجهة القوات الصليبية. وبالفعل تمكن الأميران من إنزال خسائر كبيرة في الجانب الصليبي عند صور وجسر الصنبرة.

وعندما أخذ مودود في تجميع قواته من جديد لتسديد ضربة أخرى للصليبيين وبينما هو بداخل المسجد الأموي بدمشق بعد تأدية صلاة الجمعة، إذا بأحد أفراد جماعة الحشاشين المتطرفة يقوم بطعنه طعنات أدت إلى موته مما ضيع على المسلمين قائداً مخلصاً فذاً كان يسعى لتحرير الأراضي المقدسة من دنس الأعداء.

٤١١ وفاة السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه (٥١١هـ/ ١١١٧م)

توفي السلطان محمد بن ملكشاه وهو شاب في السابعة والثلاثين من العمر بعد أن قضى على فتنة صدقة بن مزيد بجنوب العراق. وفي عهده نشطت المحاولات الإسلامية في مهاجمة الكيان الصليبي في الشام وفلسطين وإن لم يتمكن هو أو الأمراء السلاجقة في العراق والشام من تشكيل جبهة إسلامية موحدة قوية لدحرهم.

وقد خلفه في السلطنة السلجوقية ابنه محمود وكان فتى في الرابعة عشرة من العمر.

٤١٢ وفاة الخليفة العباسي المستظهر (٥١٢هـ/ ١١١٨م)

إن حياة الخليفة العباس المستظهر صادفت أشد المخاطر التي مر بها المسلمون في تاريخهم الوسيط إلا وهي نجاح الحملة الصليبية الأولى في اقتطاع أجزا هامة من العالم الإسلامي بما فيها القدس الشريف وإخضاعها للحكم البابوي الكاثوليكي لأول مرة منذ انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية ولقد بدا المستظهر للمسلمين عاجزاً عن رد الاعتبار للكرامة العربية والإسلامية، في حين بدا بابا الفاتيكان أوربان الثاني قائداً روحياً فذاً للصليبيين.

وقد توفي المستظهر ببغداد في ربيع الثاني من عام ٥١٢ للهجرة، فخلفه ابنه المسترشد بالله.

٤١٣ الصليبيون يحاولون غزو مصر (٥١٢هـ/ ١١١٨م)

بعد إن وصل بلدوين إلى إيلات على شاطىء البحر الأحمر وقطع الطريق البري بين مصر من ناحية وبين الشام والحجاز من ناحية أخرى، يبدو أنه فكر في غزو مصر. ومع ذلك فلم يبدُ أن بلدوين كان قادراً على الغزو لقوة الفاطميين بها من ناحية، ولقلة عدد الجند الذين خرجوا معه تجاه مصر من ناحية أخرى. ومن ثم فيمكننا القول أن توغل بلدوين الأول عبر صحراء سيناء ووصوله إلى البحيرة إنما كان بغرض الاستطلاع ومعرفة الدروب وطبيعة الأرض ونقاط المقاومة الفاطمية لكي يتمكن في المستقبل من إتمام الغزو ولكن بلدوين مات على أرض مصر فلم يحقق من آماله شيئاً.

٤١٤ الإسبان يهزمون المرابطين ويستولون على مدينة سرقسطة (٥١٢هـ/ ١١١٨م)

تقع مدينة سرقسطة إلى الشمال الشرقي من إسبانيا، وتبعد عن برشلونة حوالي مائتي كيلو متر إلى الغرب منها. وقد سقطت تلك المدينة الإسلامية البالغة الازدهار بعد حصار لها دام ثمانية أشهر قام به الفونسو الأول ملك ولاية أرجون الإسبانية (أقصى شمال شرق إسبانيا) والذي استمد العون الضخم من بلدان أوروبية قوية مثل فرنسا وإيطاليا الذين وجدوا في انتصارات الصليبيين في الشرق فرصة لدحر المرابطين ـ أيضاً ـ في الأندلس. ويعتبر سقوط سرقسطة بداية النهاية لدولة المرابطين.

٤١٥ هزيمة الصليبيين في معركة سهل الدماء (٥١٣هـ/ ١١١٩م)

حاصرت المدن الصليبية مدينة حلب القوية في شمال غرب الشام، والتي كانت تمثل واحدة من المعاقل الإسلامية التي تقلق الصليبيين.

ولقد تكون حلف إسلامي من المدن الإسلامية في الشام قوامه أربعون ألف رجل خرجوا لحماية حلب والذود عنها. وفي مقابل تلك القوات الإسلامية، تكون حلف صليبي من إمارات صليبية ثلاث هي الرها وبيت

المقدس وأنطاكيا. وتقدم روجر الأنطاكي بجيشه المختلط هذا لملاقاة المسلمين، فالتقى الجمعان في معركة شرسة انتصر فيها المسلمون بقيادة إيلغازي أرتق أمير مدينة ماردين بالشام وأبادوا القوات الصليبية. ولقد سمي المكان الذي وقع فيه ذلك القتال سهل الدماء لكثرة دماء الأعداء التي أُريقت فوقه بما فيها دماء روجر الأنطاكي نفسه.

٤١٦ هزيمة السلطان السلجوقي محمود أمام جيوش عمه سنجر
(٥١٣هـ/ ١١١٩م)

كان سنجر بن ملكشاه قد تولى حكم بلاد ما وراء النهر وخراسان إبان عهد شقيقه بركيا روق. وقد حافظ على تلك البلدان الشاسعة حتى تولى ابن أخيه محمود بن محمد بن ملكشاه كسلطان للسلاجقة في العراق وفارس. ويبدو أن محموداً طمع في بلاد عمه، فأرسل جيشاً لمقاتلته، ولكن قوات سنجر كانت ذات بأس شديد، ولها خبرة واسعة بالقتال وخاصة باستخدام الأفيال الضخمة التي فرقت قوات محمود وأشاعت الذعر بين خيوله وفرسانه فلحقت بهم الهزيمة.

وبالرغم من أن الخليفة العباسي المسترشد وافق على تعيين سنجر سلطاناً عاماً لدويلات السلاجقة، إلا أن الأمور تحسنت بين سنجر وابن أخيه محمود، فعاد الأخير إلى بغداد ليباشر مهام السلطنة.

٤١٧ إخماد فتنة العبيد الكبرى بقرطبة (٥١٥هـ/ ١١٢١م)

أخذ علي بن يوسف بن تاشفين في إيقاع الهزائم بالإسبان، فاسترد الكثير من الحصون والمدن التي كانت قد ضاعت في عصر ملوك الطوائف إلى أن هدأت الجبهة مع الإسبان. ولكن في عام ٥١٣هـ أخذت الأمور تضطرب في قرطبة نتيجة فتنة العبيد التي أخذت تزداد حتى حدثت معارك شرسة بينهم وبين جند المرابطين بالمدينة. وسرعان ما انضم للثورة أهالي قرطبة ضد المرابطين حتى أن الثوار حاصروا بيت الوالي وأضرموا فيه النيران ثم أخذوا يقتلون المرابطين وأسرهم. واستمرت تلك الفتنة حتى عام ٥١٥هـ عندما عبر علي بن يوسف بن تاشفين بجيشه من أفريقيا إلى الأندلس، وذهب إلى قرطبة وحاصرها إلى أن تم وضع أسس للصلح بين المرابطين والعبيد.

٤١٨ اغتيال الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي (٥١٥هـ/ ١١٢١م)

مات الوزير الفاطمي بدر الجمالي عام ٤٨٩ هجرية فخلفه ابنه الأفضل في حكم مصر تحت نفوذ الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله. ولكن الصراع أخذ يدب بين الوزير والخليفة حتى وصل إلى تنازل الوزير الأفضل عن إيمانه بالمذهب الشيعي، وتحديه بالتالي لشرعية الخليفة الفاطمي. فقام الآمر بالاتفاق مع بعض أفراد من منظمة الحشاشيين على قتل الأفضل، فتخلصوا منه. وقام الآمر بتعيين الوزير المأمون البطائحي وزيراً للدولة الفاطمية.

٤١٩ ظهور دعوة الموحدين التي نادى بها المهدي بن تومرت بالمغرب (٥١٥هـ/ ١١٢٢م)

ولد محمد بن تومرت بقرية صغيرة من قرى بلاد السوس بأقصى المغرب، واشتهر منذ صغره بالورع والتقوى وسافر عام ٥٠١هـ إلى العراق لطلب العلم ودراسة الفقه، ثم سافر إلى الإسكندرية حيث أكمل تعليمه على يد العالم الفقيه أبي بكر الطرطوشي، ثم عاد إلى المغرب ليقوم بتدريس الوعظ فأحبه الناس والتفوا من حوله في المجالس، وأخبرهم أن خلاصة دعوته ترتكز على النهي عن المنكر والأمر بالمعروف. ثم التقى ابن تومرت بتلميذه عبد المؤمن بن علي، وأخبره عن دعوته وأسرارها، وأن من يؤمن بها من الناس يعتبر من الموحدين الحقيقيين بالله. ولما بلغ علي بن يوسف بن تاشفين أن دعوة ابن تومرت قد أصبحت خطراً عليه خاصة بعد أن ادعى نسبه للنبي عليه الصلاة والسلام، وأنه هو المهدي المنتظر، قام بنفيه خارج الحدود (أي حدود دولة المرابطين) إلى بلاد السويس. وهناك بايعه الناس وبدأت رسمياً الدعوة إلى قيام دولة الموحدين تأخذ تارة صفة الرسائل السلمية للقبائل للانضمام للموحدين.. وتأخذ تارة أخرى صفة الغزوات.

٤٢٠ المسلمون يأسرون ملك إمارة الرها الصليبية (٥١٦هـ/ ١١٢٢م)

ظهر بطل إسلامي آخر في مواجهة الصليبيين هو بلك بن بهرام أمير مدينتي حران وخرتبرت (شمال غرب العراق). ولمّا كان بن بهرام يجاور إمارة الرها الصليبية، فقد أخذ الصليبيون يهاجمون حران. ولكن ابن بهرام تمكن

ببراعة من نصب كمين لأمير إمارة الرها جوسلين دي كورتناي أوقعه فيه أسيراً وهي المرة الأولى التي يتم فيها أسر قائد صليبي كبير منذ تأسيس الإمارات الصليبية في المشرق العربي.

٤٢١ المسلمون يأسرون ملك إمارة بيت المقدس الصليبية (٥١٧هـ/١١٢٣م)

كان جوسلين دي كورتناي قد تولى إمارة الرها الصليبية على أن يكون تابعاً لإمارة بيت المقدس الصليبية التي يحكمها بلدوين الثاني. ولهذا فعندما وقع جوسلين أسيراً في يد ابن بهرام، سارع بلدوين الثاني نحو حران لإطلاق سراحه. ولكن لم يكن ذلك ممكناً، حيث إن ابن بهرام كان يسيطر على الأراضي والدروب المحيطة بمدينته. وسرعان ما علم بمقدم بلدوين وجنده فنصب له هو الآخر كميناً أوقعه فيه أسيراً. ولقد أدى ذلك إلى تدهور سريع في الروح المعنوية للصليبيين داخل بيت المقدس.

٤٢٢ اغتيال الوزير الفاطمي المأمون البطائحي (٥١٩هـ/ ١١٢٥م)

كان المأمون البطائحي من الشيعة الباطنية الذين شاركوا في اغتيال الوزير الأفضل عام ٥١٥هـ، فكافأة الخليفة الفاطمي الآمر بمنصب الوزارة. ولكن يبدو أن البطائحي إما قد أسرف في جمع المال حتى غضب الآمر منه فأمر بقتله، وإما أن ابن الوزير الأفضل أراد الانتقام لأبيه من المأمون فقتله والاحتمال الأول يعززه اكتشاف الآمر لكنوز كبيرة تخص المأمون. أما الاحتمال الثاني فيعززه قيام أحمد بن الأفضل بالتقرب إلى الخليفة الآمر ومصاحبته.

إن تلك الصراعات بلا شك توضح كيف تحول الحكم الفاطمي إلى حكم ضعيف يقترب من نهايته، في الوقت الذي كانت فيه مصر مهددة من قبل الصليبيين.

٤٢٣ الخليفة العباسي المسترشد يخمد فتنة دبيس بن صدقة (٥١٩هـ/ ١١٢٥م)

كان دبيس بن صدقة أميراً على منطقة الحلة ينتظر هزيمة السلطان السلجوقي محمود من عمه سنجر حتى يثور ويهدد الخليفة العباسي المسترشد

باقتحام بغداد وتدميرها. فغضب الخليفة لذلك وسار بجيش عباسي بنفسه فالتقى بجيش دبيس وهزمه هزيمة قاسية، فقضى بذلك على فتنته وثورته.

وهذه هي المرة الأولى التي يقوم فيها الخليفة العباسي (في الدولة العباسية الثانية) بقيادة جيش للقتال بنفسه مما أظهر للسلاجقة المسيطرين على بغداد بخطورة قيام قوة سياسية وعسكرية للخليفة العباسي يمكن أن تهددهم في المستقبل، وربما يكون ذلك من الأسباب التي أدت إلى اغتيال الخليفة المسترشد فيما بعد.

٤٢٤ الحشاشون يغتالون القائد الإسلامي آق سنقر البرسقي (٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)

بعد اغتيال الأمير مودود صاحب الموصل، حل محله في مكافحة الصليبيين الأمير آق سنقر الذي تمكن بفضل حماسه وإخلاصه من إخضاع حلب التي كان أميرها رضوان بن تتش قد رفض التحالف مع الموصل لمواجهة الخطر الصليبي.. فقد نجح آق سنقر في دخول حلب، وبذلك أخذت مدن الشام الكبرى تتوحد من جديد في مواجهة الأعداء.

ولكن جماعة الحشاشين المتطرفة تمكنت من اغتيال آق سنقر بالموصل.

٤٢٥ السلاجقة يقتحمون بغداد وينهبون قصر الخلافة العباسية (٥٢١هـ/ ١١٢٧م)

غضب السلطان السلجوقي محمود من ازدياد القوة السياسية للخليفة العباسي المسترشد فقام لإثبات أنه لا زال مسيطراً على الأمور وأنه صاحب السلطة السياسية، بتقديم طلب للخليفة لدخول بغداد ومعه قواته وأسلحته، فرفض الخليفة ذلك لتألم الناس في المدينة من كثرة الفتن والمعارك، فما كان من السلطان محمود إلا وهاجم قوات الخليفة وهزمها. وخرج الخليفة من بغداد ساخطاً فدخلها محمود وجنده الذين اقتحموا قصر الخلافة ونهبوه.

وبالرغم من أن السلطان محمود قد أبدى ندمه وقدم اعتذاره للخليفة وترجاه في العودة إلى بغداد، إلا أن الصليبيين لا شك كانوا يتابعون ما يحدث ويغتبطون له.

٤٢٦ هزيمة الموحدين من المرابطين في موقعة البحيرة (٥٢٤هـ/ ١١٣٠م)

أخذت دعوة محمد بن تومرت الموحدي تنتشر بين القبائل المغربية حتى أقلقت الدولة المرابطية ليس فقط في شمال أفريقيا ولكن في الأندلس كذلك. فقام ابن تومرت بجمع رجال الموحدين وأخبرهم بالذهاب لإخبار المرابطين بأن يدخلوا في الدعوة الموحدية، وقتالهم في حالة الرفض. وقد سار الموحدون بقيادة عبد المؤمن بن علي تجاه مدينة مراكش (التي بناها المرابطون عام ٤٥٤هـ)، ولكن الجيش المرابطي خرج لهم بقيادة الزبير بن علي بن يوسف بن تاشفين، فلم يقبل المرابطون الدعوة الموحدية فدارت معركة كبرى عند موضع يدعى البحيرة وهزم الموحدون، ولكن عبد المؤمن نجا من الموت، فنجت دعوته كذلك.

٤٢٧ وفاة المهدي بن تومرت مؤسس الدعوة الموحدية بالمغرب الأقصى (٥٢٤هـ/ ١١٣٠م)

بالرغم من هزيمة الموحدين أمام المرابطين في موقعة البحيرة إلا أن المهدي بن تومرت كان واثقاً من استمرار دعوته وهزيمة المرابطين في النهاية.

فلما مرض ابن تومرت جمع رجاله وخطب فيهم خطبة حماسية زادت من احترامهم له وثقتهم بدعوته.. ثم أنه اختار لهم تلميذه المخلص عبد المؤمن بن علي ليكون أميراً عليهم فرضوا به أميراً عليهم. أما ابن تومرت فقد توفي بعد مرضه بأيام.

٤٢٨ اغتيال الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله (٥٢٤هـ/ ١١٣٠م)

يبدو أن قبضة الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله قد أخذت تضعف وتلجأ للمؤمرات والدسائس، بينما كان يسعى وراء ملذاته ولهوه فكثر أعداؤه وتربصوا به. فبينما هو عائد ليلاً إلى القاهرة من جزيرة الروضة وهو في حالة سكر، وعندما أنهى عبور الجسر المقام فوق النيل، هجم عليه بعض الرجال يقال أنهم من العبيد أو من طائفة الباطنية المتطرفة (الحشاشين) فأسقطوه من فوق فرسه وطعنوه عدة طعنات فقتل وحُمل جسده إلى قصره فخلفه ابن عمه الحافظ

لدين الله حيث إنه (أي الآمر) لم يكن له ولد يخلفه.. بالرغم من أنه ترك زوجته حاملاً، فلما ولدت جاء المولود بنتاً.

٤٢٩ مصرع ملك إمارة أنطاكيا الصليبي في معركة عين زربه (٥٢٤هـ/ ١١٣٠م)

بعد اغتيال آق سنقر البرسقي أمير حلب بيد الحشاشين ضعفت أحوال المدينة فطمع فيها الصليبيون بإمارة أنطاكيا والتي كان يحكمها بوهيمند الثاني ولكن أطماع بوهيمند اصطدمت بأمير مسلم آخر هو إيلغازي بن الدانشمند أمير مدينة ملطية الذي ضغط على انطاكيا بقواته حتى لا تغزو مدينة حلب. ويبدو أن النزاع أخذ يتصاعد حتى جهز كل من الطرفين قواته فدارت معركة كبرى في سهل عين زربه هزم فيها الصليبيون هزيمة قاسية وقتل فيها بوهيمند الثاني نفسه مع خيرة قادته.

٤٣٠ اعتقال الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله (٥٢٤هـ/ ١١٣٠م)

لم يكن للخليفة الآمر أبناء، فخلفه ابن عمه الحافظ لدين الله. وكان الوزير الفاطمي في ذلك الوقت هو أبو علي بن الأفضل الذي أخذ يحد من سلطات الخليفة الجديد وطمع في ثروته حاسباً أنها كانت لأبيه الأفضل، فنهب القصر واعتقل الحافظ لدين الله ثم تطور ذلك العدوان إلى مطاردة الشيعة بمصر حتى ضاقوا بالوزير وقتلوه وأطلقوا سراح الخليفة.

ويدلنا ذلك الحدث على مدى الانهيار في مركز الخلافة الفاطمية بمصر، ومدى تصارع مراكز القوى بينما كان الصليبيون على أبواب مصر.

٤٣١ وفاة السلطان محمود السلجوقي (٥٢٥هـ/ ١١٣١م)

توفي السلطان السلجوقي محمود بن محمد ملكشاه وكان شاباً في السابعة والعشرين من العمر بعد مرض ألم به... وقد قضى فترة حكمه في قمع الفتن أو التصدي لها ومحاربة أعدائه من داخل الدولة السلجوقية. وقد خلفه ابنه داود وكان صبياً صغيراً، فحاربه عمه مسعود بن محمد بن ملكشاه حتى هزم قواته ودخل بغداد فمنحه الخليفة المسترشد لقب السلطان (وكان ذلك بعد عامين من تولي داود الحكم).

ولقد حدثت كل تلك الصراعات بينما الأمير عماد الدين زنكي أمير الموصل يحاول أن يجمع الصفوف لهزيمة الصليبيين.

وإذا ما نظرنا لأحوال المسلمين في ذلك الوقت فإننا سنجد دولة ضعيفة في الشرق هي الدولة العباسية تسيطر عليها أطماع الأمراء السلاجقة، ودولة ضعيفة في مصر والحجاز - وهي الدولة الفاطمية - يسيطر عليها الوزراء ذوو الأطماع والمصالح الخاصة.

٤٣٢ السلطان السلجوقي مسعود يعتقل الخليفة العباسي المسترشد

(٥٢٩هـ/ ١١٣٥م)

استبد السلطان السلجوقي مسعود بالحكم في بغداد، في الوقت الذي كانت الولايات السلجوقية المجاورة للصليبيين في الشام وشمال العراق تتصارع مع بعضها البعض. وقد وجد السلطان مسعود أن الخليفة لم يكن قادراً على إنهاء النزاعات فاعتقله ورحلّه إلى أحد حصون همذان بفارس. وما إن غاب الخليفة المسترشد عن المسلمين في العراق حتى تعرضت بغداد لزلزال شديد فظن الناس أن غياب الخليفة هو السبب في حدوث تلك الزلزلة.. فاستشعر سنجر (وكان الأب الروحي للبيت السلجوقي) الخطر وأرسل إلى ابن شقيقه مسعود يطالبه بإعادة الخليفة إلى بغداد وتقديم الاعتذار له مراضاة لمشاعره ومشاعر المسلمين. فعاد الخليفة إلى قصره، ولكن يبدو أن مسعوداً كان يدبر أمراً آخر للخليفة.

٤٣٣ اغتيال الخليفة العباسي المسترشد بالله (٥٢٩هـ/ ١١٣٥م)

تطورت الصراعات في البيت السلجوقي فأثرت بالتالي على البيت العباسي في بغداد حتى أنه حدثت بعض المعارك بين السلاجقة وبين الجند العباسيين خاصة في بغداد فقد أرسل السلطان السلجوقي مسعود جيشاً للاستيلاء على العاصمة وخلع الخليفة المسترشد، لم يتمكن عماد الدين زنكي (الذي استعداه المسترشد للدفاع عنه) من وقفه، فدخل جيش مسعود بغداد وأسر المسترشد. ولكن لم يكن السلطان مسعود فقط هو عدو الخليفة ولكن كانت جماعة الحشاشين المتطرفة من أعدائه كذلك، حيث تمكن بعض من أعضائها

من الاندساس وسط بعض الجند واغتيال المسترشد في ذي القعدة من عام ٥٢٩ للهجرة، فخلفه الخليفة الراشد في الحكم. ويعتبر اغتيال الخليفة المسترشد أشد الأحداث قسوة على المسلمين في الشرق العربي.

٤٣٤ السلاجقة يخلعون الخليفة العباسي الراشد ويأتون بالمقتفي (٥٢٩هـ/ ١١٣٥م)

استمر النزاع بين السلاجقة والعباسيين بعد اغتيال المسترشد بالله ومجيء الخليفة الراشد في الحكم العباسي. فقد أخذ كل من السلطان السلجوقي مسعود والخليفة العباسي الراشد يتهم كل منهما الآخر في حادث اغتيال المسترشد. وقد زحف مسعود نحو بغداد (وكان يحكم خارجها) فخرج منها الراشد واتجه إلى الموصل في حماية عماد الدين زنكي. فدخل مسعود المدينة وأمر بخلع الخليفة الراشد ومبايعة المقتفي للخلافة.

٤٣٥ الوزير بهرام الأرمني يضطهد المصريين (٥٣١هـ/ ١١٣٦م)

بعد مصرع الوزير أبي علي بن الأفضل، عين الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله بهرام الأرمني وزيراً على مصر. ولما كان بهرام من النصارى الكاثوليك فقد أخذ يضطهد المصريين ويكثر من المظالم، وعاونه على ذلك ثلاثون ألفاً من الأرمن الذين أخذوا في نهب الأموال والاعتداء على الممتلكات والأعراض. ولما ضج الناس وثاروا، أمر الخليفة جيشه بمحاصرة القاهرة وطرد بهرام والأرمن خارجها.

وهذه أول مرة يوافق فيها خليفة فاطمي على أن يستوزر وزيراً أرمينياً كاثوليكياً غير مصري على مصر الإسلامية.

٤٣٦ اغتيال الخليفة العباسي الراشد (٥٣٢هـ/ ١١٣٦م)

لم يزل الخليفة العباسي الراشد في الموصل في حماية عماد الدين زنكي حتى تمكن الخليفة المقتفي من استمالة زنكي وإقناعه بأن يبايعه كخليفة وأن يترك تأييده - بالتالي - للراشد. فقبل زنكي ذلك لأنه كان يعلم أن الصليبيين يراقبون الصراعات في العراق ويستعدون لتوجيه قواتهم تجاه حلب في الشمال

الغربي من الشام، فيسيطرون بذلك على مدينة بالغة الأهمية.

ولما رأى الراشد ذلك خرج من الموصل متجهاً إلى أصبهان الفارسية فكمن له بعض أفراد جماعة الحشاشين الباطنية المتطرفة وقتلوه.

٤٣٧ عماد الدين زنكي يوحد الجبهة ضد الصليبيين (٥٣٤هـ/ ١١٣٩م)

كانت الموصل هي أكثر المدن التي أخرجت الأبطال الذين يقاتلون ضد الصليبيين من الشرق العربي. فها هو عماد الدين زنكي يحكم الموصل ويصل إلى النتيجة المنطقية التي تفيد بأن هزيمة العدو لن تتأتى قبل توحيد قوى الإمارات الإسلامية. ولهذا نراه يتقرب من رضوان أمير حلب فيتزوج ابنته ومن ثم يوحد المدينة مع الموصل. ثم نراه ـ مرة أخرى ـ يستخدم الحيل ليضم حماه ثم حمص إلى حلفه وسرعان ما أصبح يسيطر على مساحة كبيرة من الأرض أحاطت بمملكة الرها الصليبية من الشرق والجنوب الغربي.

٤٣٨ تحالف حاكم دمشق السلجوقي مع الصليبيين ضد عماد الدين زنكي (٥٣٥هـ/ ١١٤٠م)

وقف حاكم دمشق القوي معين الدين أمام جهود عماد الدين زنكي لتوحيد الجبهة الإسلامية أمام الكيان الصليبي. وعندما رفض مراراً دعوات زنكي ـ بالرغم من موافقة أهالي دمشق ـ قام زنكي بالزحف على دمشق وحصارها، ولكن معين الدين سارع بطلب حماية الملك فولك الصليبي حاكم إمارة بيت المقدس. وتمكن معين الدين من إقناع فولك بأن زنكي إنما يرغب في إخضاع دمشق لكي يدمر ـ بعد ذلك ـ مملكة بيت المقدس الصليبية، فصدقه فولك وأرسل جيشاً كبيراً لمهاجمة قوات زنكي الذي لم يكن يود أن تضيع الدماء الإسلامية في معركة لا فائدة منها ولهذا سحب قواته من أمام دمشق وعاد بها إلى الموصل.

٤٣٩ هزيمة جيوش عميد السلاجقة سنجر على يد الأتراك المجوس (٥٣٦هـ/ ١١٤١م)

تعرض سنجر عميد السلاجقة الذي حكم بلاد خراسان الواسعة منذ عام ٤٩٠هـ، لهجمة شرسة من الأتراك الذين كانوا يعيشون في شمال بلاد ما وراء

النهر. حيث اقتحموا خراسان بجيش ضخم هزم جيوش سنجر هزيمة قاسية ومات فيها من جنوده مائة ألف. وتمكن الترك المجوس من التوغل في أراضي خراسان فسيطروا على نيسابور وسرخس وبيهق وهي مدن إسلامية مزدهرة في ذلك الوقت.

٤٤٠ قيام الدولة الخوارزمية المستقلة (٥٣٦هـ/ ١١٤١م)

ترجع بداية قيام الدولة الخوارزمية إلى تعيين السلطان السلجوقي بركيا روق لقطب الدين محمد أميراً على بلاد خوارزم حيث كان أبوه من المقربين للسلطان السلجوقي، وكان ذلك عام ٤٩٠هـ. وقد اتصف قطب الدين بحبه للعلم والأدب، وكان سياسياً يقظاً مخلصاً للدولة السلجوقية حتى مات عام ٥٢١هـ فحل محله ابنه أتسز، الذي طمع في القيام بإعلان استقلاله عن الدولة السلجوقية وتأسيس دولة خاصة به في خوارزم. وكان من نتيجة ذلك أن وقعت سلسلة من المعارك بينه وبين السلاجقة تمكن فيها أتسز من التحالف مع قبائل تركية من غير المسلمين والذين تمكنوا من هزيمة السلاجقة هزيمة كبرى (هزيمة عميد السلاجقة سنجر) عام ٥٣٦هـ أعلن بعدها أتسز استقلاله بخوارزم وهي بلاد أخذت في الاتساع على حساب جيرانها الأقل قوة حتى دخلها المغول (انظر عام ٦١٦هـ).

٤٤١ انتحار تاشفين بن علي آخر ملوك المرابطين بالمغرب الأقصى (٥٣٩هـ/ ١١٤٤م)

توفي علي بن يوسف بن تاشفين عام ٥٣٧ للهجرة، بعد أن علم بمدى الضعف الذي آلت إليه دولة المرابطين في المغرب والأندلس.. فترك ابنه تاشفين وحده في مواجهة النفوذ الموحدي المتزايد.. وسرعان ما طارده الموحدون من مدينة إلى أخرى حتى استقر هو وأتباعه في وهران، فحاصرها الموحدون فأدرك تاشفين بقرب النهاية ولم يحتمل أن يرى نفسه وقد أسر أو عذب، فاختار الانتحار ليضع نهاية لحياته وحكمه. فركب جواده وقفز به في البحر فغرق ويقال أن الموحدين لكي يتأكدوا من وفاته استخرجوا جثته من البحر وأحرقوها.

٤٤٢ عماد الدين زنكي يحرز نصراً كبيراً على الصليبيين ويحرر إمارة الرها (٥٣٩هـ/ ١١٤٤م)

كانت إمارة الرها الصليبية أول إمارة تتأسس للكيان الصليبي . . كما أنها كانت أول إمارة يتم تحريرها منهم. وقد بدأت جهود عماد الدين زنكي لتحرير الرها عندما حدث نزاع بين حاكمها جوسلين الثاني، وبين حاكم إمارة أنطاكيا الصليبية ريموند ديبواتيه، تطور إلى اضطراب أخذ يضعف البنيان المعنوي للإمارة. فسارع عماد الدين زنكي بجيشه الضخم وفرض الحصار عليها لمدة تقرب من الشهر سقطت بعده الإمارة وما حولها من القلاع والحصون في أيدي المسلمين. ويعتبر نجاح عماد الدين زنكي في تحرير إمارة الرها من الوجود الصليبي نصراً مؤزراً كبيراً اعتبر بداية لتحطيم الكيانات الصليبية الثلاث الأخرى. وقد أحدث ذلك التحرير فرحة عارمة في العالم الإسلامي ونكسة كبرى لمشاعر الأوروبيين.

٤٤٣ الموحدون يحاصرون مراكش ويذبحون المرابطين (٥٤١هـ/ ١١٤٦م)

بعد مصرع تاشفين بن علي منتحراً بمدينة وهران عام ٥٣٩هـ، ومجيء شقيقه إسحق بن علي لحكم بقايا المرابطين، أخذ ـ وهو تحت وطأة الضغط الموحدي ـ يحاول تجميع شمل قواته في مدينة مراكش. ولكن بعض المرابطين اختاروا الوقوف خلف إبراهيم بن تاشفين بن علي، فحدث الشقاق الأخير في البيت المرابطي الذي أنهى دولتهم . . حيث ظهر للموحدين مدى تصارع زعماء المرابطين، فسارعوا بقوات كثيفة لمحاصرة العاصمة المرابطية مراكش واقتحموها عام ٥٤١هـ وجرت مذبحة كبيرة لأهلها من المرابطين. حتى يستوثق الموحدون من أن كل آثار القوة لدى خصومهم قد انتهت فقتلوا كل من علموا بصلته بأسرة المرابطين بما فيهم إبراهيم بن تاشفين واسحق بن علي وبذلك سقطت دولة المرابطين وطويت صفحتها في التاريخ، وقامت على أنقاضها دولة الموحدين.

٤٤٤ اغتيال عماد الدين زنكي أمير الموصل ومحرر إمارة الرها من الصليبيين (٥٤١هـ/ ١١٤٧م)

لم يمض عامان على تحرير إمارة الرها من الصليبيين، إلا وقام أحد غلمان عماد الدين زنكي بقتله. ولا يكاد يُعرف السبب من وراء ذلك. فعماد الدين زنكي ظل يحكم لمدة عشرين عاماً بدون أن يتعرض لمحاولات للاغتيال من جماعة الحشاشين المتطرفة. ولكن قيام غلام له بقتله يفسره البعض على أنه ليس سبباً سياسياً. فربما يكون قد انتهر الغلام أو عاقبه على بعض أخطائه فانتقم منه بقتله.. ومع ذلك فإن هذا لا يعتبر سبباً قوياً للقتل مما يوحي لنا بأن بعض أعدائه ربما من قبل الحشاشين أو من الصليبيين أو من حاكم دمشق معين الدين، قد يكون وراء الاغتيال.

وعلى أي حال فقد أدى عماد الدين زنكي دوره السياسي كاملاً وأخلص لأمانة الحكم وهزم الأعداء وحرر أرضاً إسلامية وضرب المثل القوي على أن العرب والمسلمين إذا ما اتحدوا فأنهم قادرون على هزيمة أعدائهم.. وهذا المثل هو ما طبقه صلاح الدين الأيوبي فيما بعد.

٤٤٥ الأوروبيون يغزون مدينة طرابلس الغرب ويدمرونها فجأة (٥٤٢هـ/ ١١٤٦م)

جاءت تلك الغزوة بعد تحرير الملسمين لإمارة الرها، وإسراع الأوروبيين بالتجمع لغزو المشرق الإسلامي مرة أخرى. فقد قام أسطول نورماندي ضخم من جزيرة صقلية بالإبحار نحو الساحل الليبي حيث رست سفنه على شواطىء مدينة طرابلس التي كانت في ذلك الوقت تحت سلطة بني سليم وبني هلال (الذين كانوا قد هاجروا من مصر أيام الخليفة الفاطمي المستنصر بالله). وقام النورمانديون بتحطيم حصون المدينة وقتل حاميتها ثم اقتحموها وقتلوا الكثير من سكانها، ثم دمروا أغلب أحيائها وأسواقها ومزارعها وأخضعوا المدينة لهم على أن تدفع جزية سنوية كبيرة.

٤٤٦ فشل الحملة الصليبية الثانية (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)

أحدث سقوط إمارة الرها الصليبية القوية زلزالاً شديداً في البلدان الأوروبية التي سارعت بحشد الجيوش وتجهيز السلاح وتجمع الجيش الفرنسي وقوامه سبعون ألف جندي بقيادة ملك فرنسا لويس السابع، والجيش الألماني وقوامه سبعون ألفاً كذلك بقيادة الإمبراطور كونراد الثالث. وسار الجيشان كل في طريق مختلف.. أما الجيش الإلماني فقد رست سفنه على شواطىء آسيا الصغرى فهاجمه السلاجقة وأضطروه إلى العودة. وأما الجيش الفرنسي فسار براً حتى القسطنطينية وهناك علم بالحشود الإسلامية في إمارة الرها، فتجاوزها إلى بيت المقدس حيث اتفق ملك فرنسا مع بلدوين الثالث ملك بيت المقدس، وكونراد الثالث الإمبراطور الإلماني (الذي تمكن من التخفي مع قسم من جيشه عن أعين السلاجقة ودخل بيت المقدس) على الزحف نحو دمشق واحتلالها بالرغم من أن هناك وقتئذ حلفاً كان معقوداً بين أمير دمشق معين الدين وبين الصليبيين بأن لا يهاجموا دمشق نظير جزية سنوية وتمت محاصرة المدينة، ولكنها كانت بالغة القوة والتحصين. وسارعت قوات إسلامية عديدة لفك حصارها مما جعل الجيوش الصليبية تسارع بالفرار لتفادي معركة دموية كبرى.. ومن ثم فشلت الحملة الصليبية الثانية التي كان هدفها استرداد إمارة الرها، وانسحبت الجيوش إلى أوروبا عام ٥٤٤هـ.

ولقد ترك ذلك الفشل شعوراً مريراً لدى الأوروبيين ولدى الصليبيين في المشرق على حد سواء.. مما مكن المسلمين من المزيد من الانتصارات المجيدة عليهم فيما بعد.

٤٤٧ سقوط مدينة لشبونه الأندلسية في يد الإسبان (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)

أثناء الحملة الصليبية الثانية التي قادها ملوك أوروبا لغزو المشرق بعد سقوط إمارة الرها في يد المسلمين، تعرض الجيش الإنجليزي الذي كان مقرراً السفر للمشرق الإسلامي لعاصفة شديدة اضطرت سفنه للرسو على شاطىء الأندلس الغربي فلم يتمكن الإنجليز من السفر للشرق وفضلوا التحالف مع الجيش البرتغالي بقيادة الفونسو أنريكيت لمهاجمة مسلمي الأندلس وإيقاع

الهزيمة بهم. فحاصرت الجيوش الاتحادية مدينة لشبونه (عند مصب نهر تاجة على المحيط الأطلنطي) والتي سرعان ما سقطت لعدم إرسال الإمدادات البرية أو البحرية لها.

٤٤٨ النورمانديون يحتلون مدينة المهدية بشمال أفريقيا (٥٤٢هـ/ ١١٤٨م)

استقل بنو حماد - بالاتفاق مع الفاطميين في مصر - ببلاد المغرب الأوسط واتخذوا المهدية - التي كان الخليفة الفاطمي المهدي قد بناها - عاصمة لهم. ولكن عندما احتل النورمانديون جزيرة صقلية شرع الحماديون في بناء عاصمة أخرى جديدة لهم هي مدينة بجاية التي صممت لتكون ميناء ضخماً تقام به قاعدة بحرية قوية تردع النورمانديين من التفكير في مهاجمة الحماديين. ومع مرور السنين أخذ النورمانديون يحاولون مهاجمة الساحل المغربي ولكنهم كانوا يهزمون. وفي عام ٥٢٨هـ كان يحكم المهدية حاكم ضعيف يدعى الحسن بن علي، فهاجم النورمانديون شواطىء بلاده هجوماً شرساً، اكتشفوا من خلاله مدى ضعف المهدية فشرعوا في تجهيز أسطول بحري ضخم وساروا به عام ٥٤٢هـ نحو المهدية التي أسرع حاكمها ومعه أهله بمغادرتها فنزل بها النورمانديون ودمروها وأخذوا يتوسعون منها حتى احتلوا مساحات واسعة.

وتجدر الإشارة إلى أن النورمانديين كانوا قد هاجموا المهدية عام ٤٧٦هـ وذبحوا عدداً من أهلها ثم غادروها.

٤٤٩ المسلمون يقتلون ملك أنطاكيا الصليبي ويهزمون جيشه (٥٤٣هـ/ ١١٤٩م)

إن نور الدين زنكي الذي خلف أباه عماد الدين زنكي كان يهدف مثله إلى توحيد الإمارات الإسلامية في المشرق لهزيمة الكيان الصليبي ولهذا لم تضعفه الحملة الصليبية الثانية التي هدفت إلى إعادة احتلال إمارة الرها وغيرت ذلك الهدف لاحتلال مدينة دمشق.. بل إن تلك الحملة زادته بالفعل قوة وإيماناً بهدفه. ولما فشلت تلك الحملة الصليبية أصبحت المدن الإسلامية متاحة أمامه فسار نحو حمص وضمها للحلف الإسلامي في الشرق ثم أخذ يهاجم القلاع والحصون في إمارة أنطاكيا الصليبية فخرج له ريموند دي بواتييه وجيشه ودارت

معركة شرسة بالغرب من حصن إنب، كان من نتيجتها مصرع ريموند ملك أنطاكيا ودحر جيشه.

وكان من نتيجة تلك الهزيمة سقوط منطقة شرق أنطاكيا في يد نور الدين زنكي وتحطيم معنويات الصليبية.

٤٥٠ تأسيس دولة الموحدين بالأندلس (٥٤٤هـ/ ١١٤٩م)

إن الهزائم المتتالية التي مني بها المرابطون بالمغرب الأقصى، وخاصة المذبحة التي جرت لهم في عاصمتهم مراكش من قبل الموحدين، قد أضعفت بقايا دولة المرابطين بالأندلس التي سرعان ما تفككت واندثرت مما دفع الإسبان للاعتداء على المقاطعات والمدن الإسلامية. ولهذا فقد استنجد الأندلسيون الضعفاء بدولة الموحدين القوية بمراكش كما فعلوا من قبل في نهاية عصر ملوك الطوائف. فسارع عبد المؤمن بن علي خليفة الموحدين بالمغرب الأقصى بتجهيز جيوشه والعبور للأندلس عام ٥٣٩هـ، وأمضى هناك خمسة أعوام حتى خضعت الأندلس لحكم الدولة الجديدة عام ٥٤٤ هجرية.

٤٥١ وفاة الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله (٥٤٤هـ/ ١١٥٠م)

توفي الخليفة الحافظ لدين الله ومصر في أشد أوضاعها حرجاً منذ دخول الفاطميين لها عام ٣٥٨هـ. فالوزراء يتصارعون، وكثرت أحداث القتل والقتل المضاد، وعاث الأرمن - بسبب نجاح الصليبيين في فلسطين والشام - بالمصريين في القرى والمدن فساداً وظلماً - ومع ذلك فلم تكن وفاة الخليفة الحافظ سبباً لإنهاء تلك الاضطرابات، بل كانت مجرد خطوة أخرى تقرب الدولة الفاطمية من الزوال.

٤٥٢ وفاة السلطان السلجوقي مسعود (٥٤٧هـ/ ١١٥٢م)

استمر السلطان السلجوقي مسعود في الحكم منذ عام ٥٢٧ للهجرة ولمدة عشرين عاماً قضاها في منازعات وفتن وحروب في الداخل، وتهديد صليبي من الخارج.

وبوفاته في رجب عام ٥٤٧ انتهى عصر السلاجقة العظام في بغداد وأخذت دولتهم تخبو كقوة ذات شأن، بالرغم من أن دولتهم في فارس ظلت باقية تحت سلطة زعيمهم الكهل سنجر.

٤٥٣ الصليبيون يستولون على عسقلان من الفاطميين بمصر (٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)

بقيت مدينة عسقلان (شمال غزة) في يد الفاطميين منذ أن تأسست إمارة بيت المقدس الصليبية بالرغم من محاولة الصليبيين البقاء فيها لبعض الوقت. ولكن بعد الهزائم المتتالية للصليبيين في المشرق على يد عماد الدين زنكي وابنه وبعد أن أخذ الضعف يدب في الدولة الفاطمية بمصر، سارع بلدوين الثالث ملك إمارة بيت المقدس الصليبية بالزحف على عسقلان وهي آخر الحصون الفاطمية في فلسطين ومحاصرتها ثم اقتحامها. ولا شك أن سقوط عسقلان في يد الصليبيين قد كشف نواياهم العدوانية تجاه مصر، تلك النوايا التي اتضحت بعد عشر سنوات بحملة عموري الأول الصليبي.

٤٥٤ النورمانديون يحاولون غزو دولة الموحدين (٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)

توسع النورمانديون شرقاً وغرباً حتى احتلوا المنطقة الواقعة على الساحل الأفريقي من طرابلس شرقاً إلى رأس بون غرباً. ويبدو أن انتعاش التجارة المخادع الذي جلبه روجر النورماندي جعل السكان البربر والعرب يتوقفون عن المقاومة فشعر النورمانديون بأن عليهم أن يقوموا بغزو أراضي دولة الموحدين فما إن علم الموحدون بذلك حتى خرجوا في جيش كبير تقابل مع النورمانديين في معركة ستيف حيث انهزم النورمانديون هزيمة قاسية وفروا شرقاً ليتحصنوا بقلاعهم مطالبين بالنجدة من صقلية وجنوب إيطاليا.

٤٥٥ نقل رأس الإمام الحسين إلى القاهرة (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م)

عندما شعرت الحامية الفاطمية بقرب هزيمتها في عسقلان أمام الصليبيين الذين كانوا يتابعون فتن الفاطميين بمصر، سارع بعض الشيعة بحمل

رأس الإمام الشهيد الحسين بن علي من ضريحها بعسقلان، والسفر بها إلى القاهرة في الثامن من جمادى الآخرة عام ٥٤٨هـ وهي بداخل علبة. وقد أمر الخليفة الفائز بنصر الله بحفظ العلبة في أحد سراديب قصر الزمرد إلى أن تم بناء مشهد لها بالقرب من الجامع الأزهر الشريف.

٤٥٦ اغتيال الخليفة الفاطمي الظافر (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م)

أصبح بيت الخلافة الفاطمية على شفا الهاوية.. فالوزراء يسيطرون على الخلفاء، والخلفاء يدبرون المكائد للوزراء. وما يمكن قوله هنا عن اغتيال الخليفة الفاطمي الظافر يتلخص في أنه - وكان شاباً في مقتبل العمر - كان يهوى صديقاً له يدعى نصر بن عباس، فأقنعه الخليفة بأن يقتل الوزير الفاطمي ابن السلار لاعتناقه المذهب السني على عكس المذهب الفاطمي الشيعي. فقام نصر باغتيال الوزير بن السلار، وبالتالي أصبح أبوه (عباس) وزيراً فاطمياً.

ويبدو أن المحبة التي كانت بين الظافر ونصر توثقت بصورة كبيرة حتى أن الظافر حرض نصر على أن يقتل أباه عباس، ولكن الأب اكتشف المؤامرة وسارع بإقناع ابنه بضرورة التخلص من الخليفة. فقام نصر باغتيال الخليفة وإلقاء جثته في بئر أثناء الليل... وادعى الوزير عباس بعد ذلك أن الخليفة إنما ركب مركباً في النيل ليلاً فانقلبت به وغرق. وقد وقع ذلك الحدث في شهر صفر من عام ٥٤٩ للهجرة. ويبدو أن اغتيال الخليفة الظافر أغضب المصريين والأسرة الفاطمية، فحدثت أعمال عنف واسعة النطاق في أنحاء البلاد، ولم يتمكن عباس وابنه نصر من مواجهة غضب المصريين فهربا واختفيا بالشام. ولكن تمكن بعض مرتزقة الصليبيين من أسر عباس وابنه ونهب أموالهما. وعلمت القاهرة بذلك فأرسل الفاطميون عشرة آلاف دينار هدية للصليبيين فأرسلوا عباساً وابنه إلى مصر، فخرج المصريون كافة لمشاهدتهما، وأمر الخليفة الفائز - ابن الظافر - بصلب عباس، أما ابنه نصر فأخذته نساء القصر وصلبنه وعذبنه حتى الموت ثم أحرقن جثته انتقاماً لاغتياله الخليفة الظافر.

٤٥٧ نور الدين زنكي يبسط نفوذه على مدينة دمشق (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م)

بعد مصرع القائد الكبير عماد الدين زنكي، أخذ الصليبيون يحاولون

الضغط على مدن الشام وخاصة مدينة حلب القوية مما دفع بنور الدين زنكي (الذي خلف أباه) إلى تقوية جيوشه للتصدي لهم. وسرعان ما تمكن نور الدين زنكي من حماية مدينة حمص من الصليبيين ثم ضمها لسلطانه وأخذ فيما بعد يقاتل الجيوش الأوروبية (الحملة الصليبية الثانية) عند دمشق. فلما رجعت تلك الجيوش إلى أوروبا وجد نور الدين نفسه أمام دمشق وحاكمها الخائن مجير الدين الذي تحالف مع العدو ضد المسلمين (مثله في ذلك مثل أبيه معين الدين) فسارع نور الدين بدخولها. وبذلك أصبحت القوى الإسلامية في المشرق العربي متحدة في جبهة واحدة قوية لأول مرة منذ نجاح الصليبيين في تأسيس إماراتهم بشرق الشام وفلسطين.

٤٥٨ وباء شديد يفتك بأهل الشام واليمن (٥٥١هـ/ ١١٥٦م)

وقع ذلك الوباء إبان فترة حكم كل من الخليفة الظافر والخليفة الفائز الفاطميين واستمر لبعض الوقت، حيث انتشر بسرعة بين سكان ثمانية عشر قرية بين الحجاز واليمن، فأهلك أغلب سكانها وقضى على ماشيتها حتى أن القوافل التي كانت تدخل أياً من تلك القرى كانت تهلك.

٤٥٩ وفاة سنجر ملك السلاجقة بفارس وعميد الأسرة السلجوقية (٥٥٢هـ/ ١١٥٦م)

تعرض سنجر في الخمس عشرة سنة الأخيرة من حكمه لسلسلة متصلة من الكوارث ربما تكون السبب في وفاته. فقد استقل أمير خوارزمشاه عن خراسان عام ٥٣٥هـ. وفي العام التالي هزمت جيوشه هزيمة منكره وأسرت زوجته وسقط العديد من إمارات خراسان في يد ملاحدة الترك الذين دفعهم أتسز (أمير خوارزمشاه). وفي عام ٥٤٨هـ هُزم سنجر هزيمة قاسية أخرى على يد الأتراك الغزنويين الذين حطموا جيشه وعاثوا في بلاده تخريباً، وأسروه ولكنه تمكن من الفرار بعد أن زالت دولته الشاسعة الأرجاء أو كادت وظهرت للوجود دولة خوارزم بقيادة السلطان أتسز.

وقد توفي سنجر سريعاً بعد ذلك في ربيع الأول من عام ٥٥٢هـ.

٤٦٠ جيش دولة الموحدين يطرد النورمانديين من المهدية (٥٥٤هـ/ ١١٠٨م)

بعد سقوط المهدية ـ تلك المدينة التاريخية التي شهدت أوج ظهور الدولة الفاطمية في المغرب الأوسط ـ سارع وزير دولة بني حماد بمناشدة دولة الموحدين بالمغرب الأقصى بالتدخل لحصار الخطر الأوروبي الذي شرع في التوسع. ويبدو أن نجاح الصليبيين في تأسيس أربع إمارات لهم في المشرق العربي كان دافعاً قوياً وكافياً لدولة الموحدين القوية بمنع تكرار ذلك الاختراق في شمال أفريقيا، ولهذا فسرعان ما توحدت قوات بني حماد وقوات الموحدين وسارت في جيش واحد قوي قطع مئات الأميال حتى وصل إلى مشارف مدينة المهدية التي حصنها النورمانديون تحصيناً شديداً، فحاصرها المسلمون في عام ٥٥٢ براً وبحراً. ولما كان طريق البحر إلى صقلية هو المنفذ الوحيد للنورمانديين، فقد حاولوا فك الحصار عن المدينة مستخدمين في ذلك بحريتهم السريعة ولكن الأسطول الموحدي القوي تمكن من تدمير البحرية النورماندية.

ولهذا فقد طلب النورمانديون بالمهدية الانسحاب منها بدون قيد أو شرط، فمكنهم من ذلك عبد المؤمن بن علي زعيم دولة الموحدين، فسقطت المدينة سالمة في يد المسلمين في يوم العاشر من محرم (يوم عاشوراء) عام ٥٥٤هـ.

وجدير بالذكر أن الاحتلال النورماندي للمهدية كان أول احتلال أوروبي لمدينة إسلامية في شمال أفريقيا منذ دخول الإسلام تلك المناطق، ولكنه لم يكن الأخير.

٤٦١ وفاة الخليفة الفاطمي الفائز بنصر الله (٥٥٥هـ/ ١١٠٩م)

جاء الفائز بنصر الله إلى الحكم وعمره ستة أعوام بعد أن اغتيل أبوه الظافر ومبايعة الوزير عباس له. ولكن نساء القصر سارعن بطلب حضور الأمير طلائع بن زريك، وكان من أمراء الدلتا المشهورين. ولما أسر الصليبيون عباساً وابنه نصراً وتم إعداههما في القاهرة، ظل الفائز يحكم مصر لمدة ستة أعوام تقريباً (عن طريق أوصياء العرش)، ثم مرض ومات، فخلفه ابن عمه العاضد

بالله، وهو الخليفة الحادي عشر من الخلفاء الفاطميين، والذي في عهده زالت الدولة الفاطمية من الوجود.

٤٦٢ وفاة عبد المؤمن بن علي خليفة الموحدين بالمغرب والأندلس (٥٥٨هـ/ ١١٦٣م)

كان عبد المؤمن بن علي هو المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين القوية بالمغرب والأندلس. وكانت طموحاته كبيرة في هزيمة الإسبان هزيمة كبرى تخرجهم من كل بلاد الأندلس واسترداد ما كانوا قد أخضعوه من ممالك المسلمين هناك. كذلك يعود له فضل إنشاء أسطول بحري قوي وإنشاء جيش مدرب على كل أنواع القتال.

وقد توفي في جمادى الآخرة من عام ٥٥٨ للهجرة، وكان قد بايع لابنه محمداً للخلافة. ولكن بعد وفاته اختلف زعماء الموحدين على مبايعة محمد، واتفقوا على استخلاف شقيقه يوسف بن عبد المؤمن.

٤٦٣ الصليبيون يغزون مصر بقيادة عموري الأول الصليبي (٥٥٩هـ/ ١١٦٣م)

بعد توحد جبهة الشام، أخذ الصراع يظهر بين كل من الصليبيين ونور الدين زنكي للاستيلاء على مصر الفاطمية. حيث أراد كل من الطرفين ضم مصر بمواردها وموقعها وشعبها إلى قوته حتى ينتصر بها على الطرف الثاني.

وعندما أخذ الصراع ينشب بين شاور وضرغام على منصب وزارة مصر الفاطمية (إبان حكم الخليفة العاضد بالله)، أخذ الصليبيون يخططون لغزو مصر. فسارت حملة صليبية بقيادة عموري الأول ملك إمارة بيت المقدس في ذلك الوقت واتجهت صوب العريش فالفرما حتى وصلت إلى مدينة بلبيس (شرق الدلتا). وهناك واجهت الحملة جيشاً فاطمياً بقيادة الوزير الفاطمي ضرغام ألحق بها الهزيمة السريعة نتيجة فيضان النيل على أرض المعركة، فارتدت إلى مواقعها في إمارة بيت المقدس.

٤٦٤ نور الدين زنكي يهزم الصليبيين في موقعة أرتاح (٥٥٩هـ/ ١١٦٤م)

بالرغم من توحد الجبهة الشرقية أمام الصليبيين، إلا أن الدولة الفاطمية

كانت ـ كما رأينا ـ تمر بمرحلة الاحتضار، مما شجع الصليبيين لغزو مصر. ولما تطورت الأمور تمكن نور الدين زنكي من السير بجيش إسلامي مع حلفائه من ماردين وشمال الشام لمهاجمة إمارة أنطاكيا لتخفيف الضغط الصليبي على مصر. ولقد دارت معركة كبيرة مجيدة انتصر فيها المسلمون عند سهل أرتاح وتمكنوا من أسر أميرين صليبيين هما ريموند الثالث أمير مملكة طرابلس، وبوهيمند الثالث أمير مملكة أنطاكيا.

ولقد أضعفت تلك المعركة الخالدة من عزيمة الصليبيين (وحليفهم الوزير الفاطمي شاور) الذين كانوا بمصر يحاصرون مدينة بلبيس والتي كان بها جيش تابع لنور الدين زنكي مما عجل برحيل الجيش الصليبي خارج مصر.

٤٦٥ حملة نور الدين زنكي على مصر (٥٥٩هـ/ ١١٦٤م)

بعد فشل حملة عموري الأول على مصر استطاع الوزير الفاطمي شاور الذي رحل إلى الشام (بعد مطاردة الوزير الفاطمي ضرغام له في مصر) من إقناع نور الدين زنكي بأن يجهز جيشه ويسيطر على مصر، شريطة أن يجعله وزيراً له.

وفي الحقيقة فإن شاور كان لا يقصد توحيد صفوف المسلمين بدعوته تلك لنور الدين، بل سعى إلى هزيمة عدوه ضرغام والارتقاء إلى الوزارة الفاطمية في مصر.

وخرجت حملة نور الدين زنكي إلى مصر بالفعل تحت قيادة أسد الدين شيركوه الذي ضم ابن شقيقه صلاح الدين الأيوبي إلى قواته. وما إن علم الوزير الفاطمي ضرغام بمقدم الحملة حتى سارع باستدعاء عموري الأول الصليبي لحمايته، فأرسل عموري جيشاً لنجدة ضرغام، ولكن المصريين ثاروا على ضرغام لخيانته للمسلمين وتحالفه مع الأعداء فقتلوه. فدخل شيركوه القاهرة ومعه الوزير شاور، وبقيت قوات شيركوه في مصر لبعض الوقت فأحس شاور بخطرها فطلب منها الرحيل فرفض شيركوه، ذلك لأن شاور كان قد تعهد بجعل مصر قاعدة للجهاد ضد الصليبيين. فقام شاور باستدعاء عموري (الذي كان قد تباطأ بعد مقتل ضرغام في التوجه إلى مصر) الذي وجد الفرصة مواتية لدخول مصر، حيث حاصرت قواته قوات شيركوه في مدينة بلبيس. وهنا خرج نور

الدين محمود من الشام وهاجم حصون وقلاع الصليبيين ليخفف الضغط عن مصر وقواته بها، فطلب عموري الأول الصلح مع شيركوه. واتفق الجانبان على الانسحاب من مصر.. وتركها لشاور.

٤٦٦ وفاة الشريف الإدريسي الجغرافي الأندلسي الكبير (٥٦١هـ/ ١١٦٦م)

إن اكتشاف الإسبان لأمريكا (في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي) عبر المحيط الأطلنطي لم يأتِ نتيجة مجهودهم وحدهم. فقد عاش العرب في الأندلس ثمانية قرون وظهر منهم علماء أفذاذ في الجغرافيا وعلومها ومنهم الإدريسي الذي ولد بمدينة سبتة عام ٥٠٧ للهجرة ووضع كتاباً ضخماً سماه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) الذي يعد من أهم الكتب الجغرافية في العالم، والذي رسم فيه العديد من الخرائط التي توضح شكل الكرة الأرضية إبان القرن السادس الهجري. ولا شك أن البحارة الإسبان الذي اكتشفوا (العالم الجديد) قد استفادوا كثيراً من علم الإدريسي وخبرته وخرائطه فتمكنوا من الوصول إلى ما وصلوا إليه.

وقد توفي الإدريسي عام ٥٦١ للهجرة.

٤٦٧ الصليبيون يتوغلون في مصر ويحاصرون دمياط (٥٦٣هـ/ ١١٦٩م)

بعد أن اتفق شيركوه وعموري الأول على الانسحاب من مصر وتركها للوزير شاور على أن تبقى حامية صليبية لحماية القاهرة، وحامية زنكية في الإسكندرية، ندم شاور فيما يبدو عن خيانته لمصر فنقض اتفاقه مع الصليبيين. فغضب عموري الأول وعاد إلى مصر واحتل بلبيس وقتل الكثير من أهلها. وعلم شاور بذلك فأمر بحرق مدينة الفسطاط التاريخية (انظر حرق الفسطاط عام ٥٦٣هـ) وأرسل إلى نور الدين زنكي في الشام لمساعدته نظير قيام شاور بدفع ثلث خراج مصر (ثلث الإنتاج القومي). وسرعان ما أخذ الصليبيون يقتربون من القاهرة، ولكن المصريين كانوا يعرقلون قوافلهم وسفنهم المبحرة في النيل. وتمكن شيركوه من الوصول بقواته إلى القاهرة وتأمينها من كل الجبهات أمام الصليبيين الذين عرفوا أنهم لن يتمكنوا من احتلال القاهرة بأي صورة من الصور فغادروا مصر.

٤٦٨ الوزير شاور الفاطمي يأمر بحرق مدينة الفسطاط (٥٦٣هـ/ ١١٦٩م)

عندما هدد الصليبيون مصر بسبب الصراع بين شاور وضرغام، وزحفهم على الدلتا والقاهرة، قام الوزير شاور بإبلاغ الخليفة الفاطمي العاضد بضرورة حرق مدينة الفسطاط حتى لا يتخذها الصليبيون مركزاً لتجميع قواتهم والسيطرة على البلاد. وحينما وافق الخليفة أمر شاور بإخلاء المدينة من سكانها، وسكب العبيد النفط في أرجائها وأضرموا فيها النار، . فاستمرت الحرائق تدمر المدينة واحداً وخمسين يوماً حتى خوت من كل مظاهر الحياة وصارت ركاماً وحطاماً. ولما علم شيركوه قائد القوات الزنكية في مصر بجريمة شاور قرر التخلص منه. ومنذ ذلك الوقت اندثرت مدينة الفسطاط التي بناها عمرو بن العاص بعد فتحه مصر وتعززت مكانة مدينة القاهرة.

٤٦٩ اغتيال شاور ونهب قصره في القاهرة (٥٦٤هـ/ ١١٦٩م)

خرج الصليبيون من مصر على أمل العودة إليها مرة أخرى. فهناك - كما تصوروا - حليفهم القديم شاور الذي ما إن أحس بابتعاد الخطر الصليبي حتى نقض عهده الذي كان قد قطعه مع نور الدين زنكي. بل إنه حاول التآمر على شيركوه وصلاح الدين والتخلص منهما ولكن شيركوه - بعد جريمة شاور بحرق الفسطاط - كان قد ضاق ذرعاً بالوزير الفاطمي. ومن ناحية أخرى تمكن صلاح الدين من اكتشاف مؤامرة من شاور بقتله هو وشيركوه فأسرع بإرسال من ذهب لقتل شاور ومصادرة محتويات قصره. وبذلك انتهت المؤامرات في الدولة الفاطمية وخرج سكان القاهرة يستقبلون شيركوه وصلاح الدين استقبال الفاتحين.

٤٧٠ وفاة أسد الدين شيركوه مؤسس الوجود الأيوبي بمصر (٥٦٤هـ/ ١١٦٩م)

نجا شيركوه زعيم القوات الزنكية التي دخلت مصر لطرد الصليبيين منها من محاولة اغتيال كان قد دبرها له الوزير الفاطمي شاور. وتمكن صلاح الدين من التخلص من شاور مما أرضى المصريين فسارع الخليفة الفاطمي العاضد

بتعيين شيركوه وزيراً للدولة الفاطمية ومنحه لقب المنصور. وبالرغم من أن شيركوه كان على المذهب السني والفاطميين بمصر على المذهب الشيعي، إلا أن شيركوه قبل المنصب. فاستمر فيه ثلاثة أشهر حتى وافته المنية فخلفه في منصب الوزارة ابن شقيقه صلاح الدين الأيوبي.

٤٧١ صلاح الدين يحطم حملة صليبية جديدة بدمياط (٥٦٤هـ/ ١١٦٩م)

عندما ثار الجند السودانيون بمصر (وهم الجنود الذين جلبهم الفاطميون ووصل عددهم حوالي خمسين ألفاً) ضد صلاح الدين، سارعوا بطلب حماية الصليبيين في مملكة بيت المقدس، فتحالف عموري الأول مع البيزنطيين ضد مصر وأرسلوا مائتي سفينة حربية رست على شواطىء دمياط. وكان صلاح الدين لا زال مجهداً من مقاتلة السودانيين في القاهرة (وخاصة بحي بين القصريين وباب زويلة)، فأرسل يطلب مساعدة نور الدين محمود بالشام. ومع ذلك فقد خرج المصريون من دمياط يدافعون عن مدينتهم ببسالة فائقة وأشعل جند صلاح الدين النار في عوامات فوق سطح نهر النيل لحرق سفن الأعداء وسدوا مجراه بسلاسل تمتد بين ضفتيه فكثرت خسائر الصليبيين يوماً بعد يوم فقرروا الرحيل.

٤٧٢ كيف أنهى صلاح الدين الحكم الشيعي الفاطمي في مصر (٥٦٧هـ/ ١١٧١م)

إن صلاح الدين الذي أحبه الجند والعامة في مصر، وجد أنه من الصعب تجاهل الخليفة الفاطمي العاضد بالله والمناداة باسم الخليفة العباسي المستضىء. ولهذا فقد دعا في المساجد باسم الفاطميين فأغضب ذلك نور الدين محمود زنكي بالشام الذي أرسل إلى صلاح الدين يأمره بالدعوة إلى الخليفة العباسي وإبطال الدعوة للفاطميين. فاستشار صلاح الدين أعيان مصر فتطوع رجل يدعى الأمين وقال لصلاح الدين أنه سيسهل له أمر ذلك.

وفي الثاني من المحرم عام ٥٦٧هـ قام الرجل إلى المنبر قبيل صلاة الجمعة ودعا باسم الخليفة العباسي المستضىء بالله. فتقبل الناس ذلك بدون احتجاج أو إنكار. فأمر صلاح الدين المؤذنين بقطع الدعوة باسم العاضد وأن يدعو للخليفة العباسي السني المستضىء وبذلك أصبحت مصر مرة أخرى دولة

على المذهب السني وزال منها المذهب الشيعي رسمياً بعدما ارتبط بالوجود الفاطمي.

٤٧٣ انتحار العاضد بالله آخر الخلفاء الفاطميين بمصر (٥٦٧هـ/ ١١٧٢م)

لا شك أن سنوات حكم الخليفة الفاطمي العاضد بالله الأخيرة كانت سنوات محنة عليه وعلى دولته.. ولكن كونه يسمع علناً بانقطاع الدعوة باسمه في مساجد مصر كان كمثل القشة التي قسمت ظهر البعير فلم يتحملها الخليفة الفاطمي فابتلع فصاً من الإلماس كان معه مما أدى إلى موته في العاشر من المحرم والذي يصادف يوم عاشوراء أكبر أعياد الشيعة. وبذلك انتهى حكم الدولة الفاطمية في مصر والذي بدأ منذ عام ٣٥٨ للهجرة.

٤٧٤ صلاح الدين يمد حدود مصر حتى جنوب النوبة (٥٦٨هـ/ ١١٧٣م)

كان بمصر جنود سودانيون أستجلبهم الفاطميون حتى بلغ عددهم حوالي خمسين ألفاً. فلما رأوا أن حكم مصر يتحول إلى صلاح الدين ثاروا فهزمهم صلاح الدين وأخذ يطاردهم في القاهرة. ولكن الأمر استدعى من صلاح الدين إرسال شقيقه شاه بن أيوب لمطاردتهم حتى جنوب بلاد النوبة حيث شتتهم وأقام حامية جنوبية مصرية هناك لمراقبتهم.

٤٧٥ صلاح الدين يمد النفوذ الأيوبي إلى اليمن (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)

اندلعت الفوضى في أرجاء اليمن على أثر إنهيار الدولة الفاطمية بمصر، فقام صلاح الدين بإرسال حملة كبيرة بقيادة شقيقه الأمير شمس الدين توران شاه تمكن بها من مد النفوذ الأيوبي إلى اليمن وتوحيد قبائله على المذهب السني.

٤٧٦ وفاة نور الدين محمود زنكي (٥٦٩هـ/ ١١٧٤م)

بقي صلاح الدين الأيوبي أميراً على مصر حتى توفي نور الدين محمود زنكي في دمشق ودفن بجامع الكلاسة فخلفه في دمشق ابنه الملك الصالح إسماعيل.

ولكن صلاح الدين كانت شعبيته قد وصلت إلى الآفاق وساعده طموحه من جديد في أن يوحد الإمارات العربية في مصر والشام في دولة موحدة.

٤٧٧ صلاح الدين الأيوبي يستولي على دمشق (٥٧٠هـ/ ١١٧٥م)

خلف الملك الصالح إسماعيل أباه نور الدين محمود زنكي، ولكن الخلاف نشأ بينه وبين صلاح الدين بسبب محاولات وزراء الصالح إسماعيل التقليل من شأن صلاح الدين. ويبدو أن سكان دمشق كانوا يرغبون في أن يحكمهم صلاح الدين، فقام أحد أمراء دمشق بمراسلة صلاح الدين ودعاه للاستيلاء على دمشق. فزحف صلاح الدين بقواته تجاه المدينة فدخلها بدون قتال وسيطر عليها، ثم زحف بعد ذلك على حمص وحماه.

٤٧٨ صلاح الدين يستولي على الموصل (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م)

كانت سياسة أمير الموصل سيف الدين غازي متناقضة مع سياسة صلاح الدين حول سبل توحيد الصفوف لخلع الوجود الصليبي من المشرق العربي. وربما كان الملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق، هو الذي دفع بسيف الدين غازي (قبل أن يسقط حكمه في دمشق) لمقاتلة قوات صلاح الدين، ولكنه هزم أمامه ودخل صلاح الدين الموصل.

٤٧٩ بناء مدرسة صلاح الدين لنشر المذهب السني بمصر (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م)

عاش الفاطميون بمصر حوالي مائتي عام حولوا فيها البلاد إلى المذهب الفاطمي الشيعي، وساعدهم على ذلك إدعاؤهم النسب إلى السيدة فاطمة بنت الرسول ﷺ. ولكن بعد أن استتب الأمر لصلاح الدين، أراد أن يعيد البلاد إلى المذهب السني. فلم يشأ أن يستخدم العنف لإتمام ذلك بل سعى إلى بناء مدرسة سميت باسمه (المدرسة الصلاحية) على ساحة ضخمة من الأرض بجوار ضريح الإمام الشافعي بالقاهرة. وافتتحت تلك المدرسة للدرس والوعظ ونشر المذهب السني عام ٥٧٢هـ، وسرعان ما أخذت مدارس أخرى مماثلة تظهر في أنحاء البلاد فرسخت تعاليم الإسلام في نفوس المصريين حتى يومنا هذا.

٤٨٠ صلاح الدين الأيوبي يبني سوراً ضخماً لحماية القاهرة (٥٧٢هـ/ ١١٧٧م)

كانت الجبهة الشرقية قد غدت بالغة القوة والتحصين بفضل جهود نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي. ولكن اكتشف صلاح الدين أن القاهرة في حاجة إلى حماية كافية من أي خطر صليبي محتمل، فشرع عام ٥٧٢هـ ببناء ذلك السور الضخم من حول المدينة مستخدماً الحجر. وقد جاء موقع ذلك السور خلف سور القاهرة الضعيف الذي كان قد بناه جوهر الصقلي والذي كان كثير من أجزاءه قد دمر بسبب كثرة المعارك وحريق الفسطاط. ولقد دعم صلاح الدين السور الجديد بأبواب عالية سميكة مصفحة بالحديد بلغ عددها خمسة عشر باباً.

٤٨١ الصليبيون يدمرون مدينة تنيس المصرية (٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)

كانت مدينة تنيس على مقربة من مدينة دمياط المطلة على البحر الأبيض. وعلى مدى العصور الإسلامية أخذت تتسع حتى أصبحت عامرة بالصناعات وصنوف التجارة. ولما هزم الصليبيون على يد شيركوه وصلاح الدين لم يبق أمامهم للانتقام سوى الحملات البحرية الخاطفة التي تنقض وتدمر وتلوذ بالفرار. وهذا ما حدث لمدينة تنيس حيث رست أربعون سفينة صليبية أمام ساحلها، فترك الأهالي منازلهم ورحلوا إلى دمياط فتمكن العدو من دخول تنيس وتدميرها وإشعال النار فيها بعد أن نهبوا ما وقع في أيديهم. ولقد كان في المدينة في ذلك الوقت مائة وستون مسجداً وألفان وخمسمائة متجر وستون مطحنة غلال ومصانع لعصر الزيت وصناعة السكر والنسيج.

٤٨٢ صلاح الدين يضم حلب الاستراتيجية للحلف الإسلامي (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م)

إن الجهود التي بذلها صلاح الدين الأيوبي لتقوية مصر كان يجب أن تكلل بتوحيد الصفوف في مدن الشام وشمال العراق، وخاصة تلك المدن التي كانت لا تزال خارجة عن الحلف الذي كان يشكله صلاح الدين بعد وفاة نور الدين زنكي. ولهذا وجه صلاح الدين جهوده نحو الموصل فبسط نفوذه عليها

عام ٥٧٢هـ، ثم حلب عام ٥٧٩هـ. وكانت دمشق قد دخلت في نطاق الحلف الوحدوي عام ٥٤٩ هجرية إبان عهد نور الدين محمود زنكي ثم عام ٥٧٠ هجرية في عهد صلاح الدين.

وقد جاءت خطوات صلاح الدين تلك بسرعة بعد وفاة نور الدين حتى لا يعطي فرصة لتفكك الحلف الذي كان قد كونته أسرة زنكي على مدى السنين.

٤٨٣ بناء قلعة الجبل الضخمة بالقاهرة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م)

إن صلاح الدين الأيوبي الذي تمتع بعقل حصيف، فطن بعد دخوله القاهرة أن المدينة يمكن أن تسقط أمام أي عدو متفوق في عدد الرجال. فلم تكن تحصيناتها كافية مثلما كان الحال مع مدن الشام المنيعة. ولهذا فقد عقد العزم على بناء قلعة ضخمة بسفح جبل المقطم. ولقد استمر بناء القلعة على مدى سنوات طوال وصل إلى ثلاثين عاماً وكانت مهيأة للدفاع عن مصر منذ عام ٥٧٩ للهجرة ولقد حفرت سراديب وأنفاق أسفل القلعة، ويذكر أن حجارة جدرانها قد جلبت من بعض الأهرامات الصغيرة العديدة التي كانت منتشرة في منطقة الجيزة. وعندما اكتمل بناء القلعة اتضح أنها لا تكفي للدفاع عن القاهرة وحمايتها فحسب بل كذلك مدن العسكر والقطائع وبقايا الفسطاط. ولم تكن القلعة موقعاً حصيناً لحماية مصر فقط، بل كانت مقراً للحكم الأيوبي. واليوم فإن أسوار القلعة والبئر الكبير الذي حفر بداخلها (ويسمى بئر يوسف) هما الأثران الباقيان من البناء الأصلي الذي جرى أيام صلاح الدين الأيوبي. وعلى مدى العصور الأيوبي والمملوكي والعثماني جرت تعديلات كبيرة على القلعة وأبراجها وتحصيناتها إلى أن جاء محمد علي فأحدث تعديلات جذرية بداخلها كان أهمها بناء مسجده ذي القبة الضخمة ومأذنتيه المرتفعتين الباقيتين حتى يومنا هذا.

٤٨٤ الصليبيون يحاولون تدمير مكة والمدينة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م)

إزاء الضعف الذي حل بالصليبيين بعد هزائمهم في مصر والشام، أخذوا يطالبون بعقد هدنة مع صلاح الدين فوافقهم على ذلك. ومع ذلك خرج أمير صليبي يدعى أرناط (وكان قائداً لحصن الكرك) بجيش كبير من منطقة الكرك (جنوب شرق البحر الميت) فقطع طريق الحج إلى بيت الله الحرام، وأسر قافلة

ضخمة للحجاج ونهبها حتى قدرت قيمة الإسلاب بمائتي ألف دينار. ثم زادت أطماع ذلك الأمير الصليبي فسيّر أسطولاً بحرياً في البحر الأحمر هاجم به الموانيء التجارية المصرية، ثم عبر البحر ورسى بسفنه على مقربة من المدينة المنورة، فهاجم القبائل المنتشرة هناك ثم سافر إلى الجنوب تجاه مكة المكرمة حيث أخذ يشن حملات نهب وسلب واسعة النطاق مما أشاع الرعب بين السكان والزائرين حتى اعتقد الناس أن الكفار قد عادوا إلى الجزيرة العربية مما يعني اقتراب الساعة.

ولقد سارعت قوات الأمير العادل بن أيوب شقيق صلاح الدين بركوب البحر ومحاصرة سفن الصليبي أرناط وإشعال النيران فيها حيث تم تدميرها في معركة بحرية شمال مدينة ينبع، وقتل وأسر من كان فيها وسيق الأسرى في الأغلال إلى مصر حيث تم عرضهم في شوارع القاهرة.

٤٨٥ مصرع يوسف بن عبد المؤمن خليفة الموحدين بالأندلس (٥٨٠هـ/ ١١٨٣م)

بعد اتفاق الموحدين على مبايعة يوسف بن عبد المؤمن خليفة لدولة الموحدين، سارع بتنظيم جيوشه ومقاتلة الإسبان فحاصر مدينة طليطلة التي كان الإسبان قد أسقطوها ودمر بعضاً من حصونها وفعل بالمثل مع مدينة لشبونه بغرب الأندلس. إلا أن البرتغاليين استعملوا الحيلة ضده، فتمكن بعض منهم من التسلل إلى خيمته وطعنه طعنات قاتلة أودت بحياته في شهر ربيع الأول من عام ٥٨٠هـ. حيث خلفه ابنه يعقوب المنصور.

ويذكر أن البرتغال كانت قد استقلت عن مملكة قشتالة (أكبر وأقوى ممالك إسبانيا) عام ٥٢٣هـ (١١٢٨م) ثم أخذت تتسع على حساب مملكة قشتالة وعلى حساب المسلمين.

٤٨٦ إعدام خسروشاه آخر حكام الدولة الغزنوية (٥٨٢هـ/ ١١٨٦م)

دار صراع مرير بين خسروشاه حاكم الدولة الغزنوية بخراسان وبين شهاب الدين زعيم الغوريين (بلاد الغور الجبلية بأفغانستان وما حولها). وقد

تطور ذلك الصراع حتى تمكن شهاب الدين من محاصرة لاهور، وهي من المدن الغزنوية الهامة في ذلك الوقت ثم اقتحمها وأسر خسروشاه. وبالرغم من أنه عدوه إلا أنه لم يقتله. فلما علم غياث الدين شقيق شهاب الدين بأن خسروشاه لم يقتل أرسل إليه في سجنه من يقتله. وقد آلت ولايات الدولة الغزنوية بذلك إلى الغوريين.

٤٨٧ صلاح الدين الأيوبي ينتصر على الصليبيين في معركة صفوريه

(٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)

تمكن أرناط قائد حصن الكرك من الفرار أثناء تدمير سفنه التي هاجمت الحجاج والمدن الإسلامية المقدسة. وبالرغم من ذلك فقد عاد من جديد لمهاجة قوافل الحجاج المصريين المتجهة إلى الحجاز، فغضب صلاح الدين من ذلك ودعا جميع سكان دولته في الشام ومصر للجهاد فتكون بسرعة جيش إسلامي كبير سار به صلاح الدين من دمشق إلى الكرك حيث انضمت له قوات من مصر.. وعند قرية صفورية (إلى الشرق من عكا في فلسطين المحتلة) تقابل المسلمون مع الصليبيين في معركة كبيرة هلك فيها الجيش الصليبي وأسر من جنوده أعداد غفيرة.

٤٨٨ موقعة حطين الخالدة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)

بتدمير الجيش الصليبي في معركة صفورية لم تتوقف القوات الإسلامية كثيراً لاختيار توقيت الضربة الثانية للعدو، بل أخذت تكيل أشد الضربات لكل حصن صليبي تراه أمامها في مملكة بيت المقدس أكبر التجمعات الصليبية في المشرق العربي.

ثم تجمعت الجيوش الإسلامية في تشكيل هجومي كبير عند سهل بالقرب من بحيرة طبرية وتجمع العدو الصليبي إلى الغرب من طبريه وأمضى الليل هناك. وكانت قوات الاستطلاع الإسلامية قد تابعت سير الجيش الصليبي وأماكن معسكراته.. فقامت قوات صلاح الدين ليلاً وحاصرت القوات الصليبية إلى أن يظهر ضوء الصباح. وبالفعل بدأت المعركة الكبرى بالقرب من قرية حطين (إلى الغرب من بحيرة طبرية وإلى الشرق من مدينتي عكا وحيفا)، فأبيد

الجيش الصليبي الكبير إبادة تامة حيث لم يبق من جنوده سوى مائة وخمسين رجلاً تم أسرهم جميعاً بما فيهم كبار قادتهم وأمرائهم.. ولم يحدث مثل ما حدث للصليبيين في حطين في أي وقت أو أي مكان منذ أن دخلوا إلى ديار المسلمين، فباتت تلك الانتكاسة الكبرى من معالم الانتصارات الإسلامية على مدى التاريخ.

ويذكر أن معركة حطين صادفت شهر ربيع ثاني من عام ٥٨٣ للهجرة (الموافق شهر يوليو من عام ١١٨٧ ميلادية). ولقد طارت الأخبار في كل بقاع العالم الإسلامي بذلك النصر المجيد.. وقال عنه أحد الشعراء العرب:

يا يوم حطين والأبطال عابسة وبالعجاجة وجه الشمس قد عبسا
رأيت فيه عظيم الكفر محتقراً معفراً خده والأنف قد تعسا

٤٨٩ تحرير القدس الشريف (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)

على مدى شهرين بعد انتصار حطين أخذت الجيوش الإسلامية تدخل المدن والقلاع الصليبية حتى أن خمسين مدينة وقرية كانت تحت الاحتلال الصليبي تم تحريرها في فترة بالغة القصر. ومع ذلك فقد كان هدف صلاح الدين الذي عاهد المسلمين على تحقيقه هو تحرير القدس الشريف من دنس الأعداء.

سار صلاح الدين وقواته نحو القدس الشريف وحاصرها لمدة أسبوع حتى استسلمت حامية المدينة، فدخلها في يوم الجمعة الموافق السابع والعشرين من شهر رجب (ولعل القارىء يلاحظ أن ذلك اليوم يوافق ليلة الإسراء والمعراج التي عرج فيها رسول الله ﷺ من المسجد الأقصى بالقدس الشريف إلى السماء ليرى آيات الله الكبرى).

دخل المسلمون إذن مدينتهم الحبيبة وظهر وسطهم صلاح الدين الأيوبي ليعطي عهداً لكل من بها من نصارى بصيانة حياتهم وأعراضهم وأموالهم. تماماً كما كان قد فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما دخل القدس لأول مرة.

٤٩٠ الحملة الصليبية الثالثة (٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)

استشاط الأوروبيون غضباً بهزائم إخوانهم الصليبيين في المشرق العربي وانتكاساتهم المذلة وضياع إمارة بيت المقدس من بين أيديهم. فسارع ملوك

أوروبا بالزحف تجاه ديار المسلمين على رأس جيوش بقيادة ريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا وفيليب الثاني ملك فرنسا، وفريدريك بارباروسا إمبراطور ألمانيا. ولما كان صلاح الدين الأيوبي قد ترك مدينة صور الساحلية بدون تحرير، فقد تجمعت قوات الحملة الصليبية الثالثة بها وأخذت تهاجم جيوش صلاح الدين التي وقفت خارج المدينة. ثم انتقل الصليبيون إلى مدينة عكا حيث حاصروها بعد فشل كل محاولاتهم في إعادة احتلال القدس. ولقد استمرت المعارك عند عكا بعضاً من الوقت ثم توقفت بدون إحراز نصر لأي من الطرفين على مدى عامين حتى مل الجميع القتال حتى أن بعض الجند من المسملين والصليبيين كانوا يتسامرون ويتبادلون الهدايا. وبدا أن هناك صلحاً على وشك أن يوقع.

٤٩١ صلح الرملة بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد (٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)

توقف القتال بين الصليبيين والمسلمين وأخذت الرسل تتنقل بين الجانبين عند عكا حتى أن ريتشارد قلب الأسد عرض على صلاح الدين أن يتزوج شقيقه الأمير العادل بن أيوب من الملكة جوانا ملكة جزيرة صقلية وشقيقة ريتشارد في نظير أن يحكم مدينة القدس حكومة مشتركة من المسلمين والصليبيين معاً، ولكن صلاح الدين رفض ذلك الزواج. ولقد اتفق المسلمون والصليبيون على إرساء صلح فيما بينهم حيث لم ير صلاح الدين في ذلك انتقاصاً مما حققه من مكاسب كان أهمها هزيمة الصليبيين في صفورية وحطين وتحريره للقدس الشريف. وكان من أهم بنود الصلح الذي وقعه كل من صلاح الدين عن المسلمين وريتشارد قلب الأسد عن الصليبيين أن تخضع المساحة بين مدينتي عكا ويافا على ساحل البحر المتوسط للنفوذ الصليبي (سميت تلك المنطقة بعد صلح الرملة بمملكة عكا الصليبية) وهي مسافة تقدر بحوالي خمسين كيلو متراً. . وأن يبقى صلاح الدين وقواته مسيطرين على كافة المناطق الأخرى التي كان المسلمون قد حرروها بما في ذلك القدس مع السماح بحرية النصارى في زيارة الأماكن المقدسة في المدينة. ويمكن القول أن الحملة الصليبية الثالثة قد انتهت إلى الفشل نتيجة إخفاقها (وقد تكونت من أقوى الجيوش الأوروبية مجتمعة) في إعادة احتلال القدس، وهي المدينة التي خرجوا ـ كما أعلنوا ـ من أجلها.

٤٩٢ وفاة صلاح الدين الأيوبي (٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)

بعد توقيع صلح الرملة بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد بستة أشهر، هاجمت الحمى صلاح الدين وأخذت تشتد عليه إلى أن توفي إلى رحمة الله، وكان يبلغ سبعة وخمسين عاماً. . وكانت وفاته في شهر صفر من عام ٥٨٩هـ فدفن في دمشق (بداخل مدرسة مجاهد الدين) وكان له من الأولاد الذكور سبعة عشر ولداً خلفه منهم ابنه العزيز عثمان (العزيز بالله) وكان أصغر أولاده ملكاً على مصر، وابنه الأفضل ملكاً على دمشق، وابنه المظفر غازي علي حلب.

ويعتبر صلاح الدين الأيوبي (الذي ولد بقلعة تكريت عام ٥٣٢هـ) من أكثر الحكام المسلمين ورعاً وتقوى وكرماً. . أحب العامة واحترم العلماء ووحد كلمة المسلمين وحصن مدنهم وهزم أعداءهم، ولذلك فإن ذكراه قد بقيت في عقول وقلوب المسلمين لارتباطها بجلائل الأعمال.

٤٩٣ انتصار الموحدين على الإسبان في معركة الأرك الكبرى (٥٩١هـ/ ١١٩٥م)

كان الهدف الأول الذي سعى له خليفة الموحدين يعقوب المنصور، هو إلحاق أكبر الهزائم بالإسبان. ولهذا نراه يعبر إلى الأندلس ويغير على القلاع والحصون والمدن الإسبانية ويدمرها ويأسر منها ثلاثة عشر ألف إسباني. ولما حاول الإسبان جمع جيوشهم للانتقام، كان المنصور مستعداً بجيشه الضخم. فتقابل الجيشان عند قلعة الأرك في الثالث من شعبان عام ٥٩١ للهجرة، فأحاط الموحدون بجيوش الإسبان من كل صوب وأخذوا يهلكونهم حتى قتلوا حوالي مائة وأربعين ألف جندي إسباني وأسروا عشرين ألفاً آخرين ودمروا مستودعات العدو وخيامه وجمعوا من السلاح والدواب ما يفوق حصره ثم دخلوا قلعة الإرك حيث تمكن ملك إسبانيا الفونسو من الفرار هو وكبار قادته. وتعتبر موقعة الإرك من أكبر المعارك التي انتصر فيها المسلمون على الأوروبيين، وهي ربما تفوق انتصار يوسف بن تاشفين في معركة الزلاقة. . ولكنها مع ذلك وبكل أسف كانت آخر المعارك التي انتصر فيها المسلمون في إسبانيا.

494 بناء مسجد الكُتبية الجامع بمدينة مراكش بالمغرب الأقصى (٥٩٢هـ/ ١١٩٥م)

بني ذلك المسجد الضخم في عهد الخليفة الموحدي الكبير أبي يعقوب يوسف في مدينة مراكش المزدهرة. ويمتاز ذلك المسجد بمساحته الشاسعة وبأن مئذنته كانت مربعة الشكل، مثلها في ذلك مثل مساجد الموحدين في المغرب والأندلس. ويعلو مئذنة مسجد الكُتبية الجامع منارة كبيرة تعلوها خمس منارات أخرى أصغر منها، ويتدلى من المنارة العليا مصباح زيتي منير. وقد زينت المنارات بزخارف إسلامية رائعة من الموزاييك. ويبدو أن تسمية ذلك المسجد العظيم بذلك الاسم، إنما يعود إلى أن الكثيرين من باعة نفائس الكتب كانوا يعرضونها حول مداخله وأسواره.

وقد اكتمل بناء المسجد في عهد الخليفة الموحدي الكبير يعقوب المنصور.

495 بناء مدينة الرباط بالمغرب الأقصى (٥٩٣هـ/ ١١٩٦م)

كانت حركة الملاحة بين المغرب والأندلس قد زادت نتيجة الاهتمام الكبير الذي بذله الموحدون في بناء السفن. ولم تكن مدينة مراكش المزدهرة والتي بناها المؤيدون كافية فيما يبدو لتحمل الحركة التجارية بين شمال أفريقيا والأندلس، فقام الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بوضع الأساس لبناء مدينة كبيرة تصلح كميناء لخدمة حركة السفن وسمى تلك المدينة الرباط. ولما توفي ابن عبد المؤمن خلفه ابنه يعقوب المنصور، فأكمل بناء المدينة وبنى بداخلها مسجداً كبيراً وقصراً للخلافة وحمامات عامة ومنتزهات ومساكن للجند وأسواقاً. وبمرور السنين تحولت الرباط إلى مدينة كبرى مزدهرة. وهي اليوم واحدة من أهم وأكبر مدن شمال أفريقيا والعالم العربي والإسلامي.

496 وفاة ابن رشد الفيلسوف الأندلسي الكبير (٥٩٥هـ/ ١١٩٨م)

هو أبو الوليد محمد بن رشد. ولد بمدينة قرطبة عام ٥٢٠ للهجرة وساعده مركز أسرته الأدبي والثقافي وحضارة الأندلس في عهد الموحدين على

أن يكون واحداً من أكبر العقول العربية في العصور الوسطى.

ويعود لابن رشد الفضل في شرح نظريات الفيلسوف اليوناني أرسطو حتى أن ابن رشد لا يرى إنساناً أكمل في الحكمة من أرسطو.

وقد برع ابن رشد كذلك في علوم الطب والفقه حيث كان يعالج الأسرة الحاكمة في قرطبة في عصره (أسرة الأمير يوسف بن عبد المؤمن). ثم تقلد منصب القضاء من مدينة قرطبة كذلك مثل أبيه وجده.

ولابن رشد مؤلفات فلسفية مهمة نذكر منها (تهافت التهافت) و (الطبيعة) ولقد اهتم الأوروبيون بكتبه ومؤلفاته حيث ترجموها وأدخلوها في مناهج التدريس لديهم حتى القرن السادس عشر الميلادي.

وقد توفي بقرية اليسافة على مقربة من قرطبة عام ٥٩٥هـ.

٤٩٧ وفاة الملك الأيوبي العزيز بالله (٥٩٥هـ/ ١١٩٨م)

كانت وفاة الملك العزيز بالله (ابن صلاح الدين الأيوبي الأصغر) نتيجة حادث أثناء قيامه برحلة صيد في مدينة الفيوم (إلى الجنوب الغربي من القاهرة) عندما رأى ظبياً في الصحراء فسارع بفرسه خلفه، فاصطدم الفرس بحجر فكبا بالعزيز بالله، فدخلت مقدمة سرج الفرس في صدره فمات في التو، فحمله الأتباع إلى مدينة القاهرة حيث دفن بجوار ضريح الإمام الشافعي وخلفه ابنه المنصور محمد.

٤٩٨ صراع في البيت الأيوبي ينتهي باعتقال الملك المنصور بمصر (٥٩٥هـ/ ١١٩٩م)

كان عمر الملك المنصور محمد عندما تولى حكم مصر حوالي عشرين عاماً، مما أدى إلى تآمر أعمامه في البيت الأيوبي عليه، فدخلوا قصره واعقتلوه في قلعة الجبل (قلعة صلاح الدين). وبهذا تمكن عمه أبو بكر بن أيوب (العادل) من الاستيلاء على حكم مصر وكان ذلك في شوال من عام ٥٩٥هـ. وبهذا لم يتسن للمنصور حكم مصر سوى تسعة أشهر حيث كان قد بدأ حكمه في آخر المحرم من عام ٥٩٥ للهجرة.

٤٩٩ وفاة يعقوب المنصور خليفة الموحدين بالمغرب والأندلس
(٥٩٥هـ/ ١١٩٩م)

توفي الخليفة يعقوب المنصور صاحب انتصار الأرك على الإسبان بعد أربعة أعوام من هذا الانتصار. وبوفاته أخذ الضعف يدب في أوصال دولة الموحدين بالأندلس والمغرب الأقصى على حد سواء.. فابنه محمد (الناصر لدين الله) الذي حل محله في الخلافة لم يكن ذا طموح، بالإضافة إلى ظهور وتضخم الاضطرابات في شمال أفريقيا ثم هزيمة الموحدين أمام الإسبان في موقعة العقاب (انظر عام ٦٠٩ للهجرة).

٥٠٠ القحط والوباء يهلكان ثلث سكان مصر (٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)

حدث ذلك الوباء الشديد في عصر الملك الأيوبي العادل. حيث توقف نهر النيل عن الزيادة في الموسم الذي اعتاده المصريون حتى جفت الترع والقنوات وشرقت الأراضي الزراعية فمات الزرع وهلكت الدواب والطيور فجاع الناس حتى لم يجدوا غير القطط والكلاب والحمير ليأكلوها. وكثرت جرائم القتل والسرقة والاحتيال ومن ثم ظهر الطاعون ليهلك سكان مصر على مدى ثلاثة أعوام متتالية وذكر أن ثلث سكان مصر قد ماتوا في تلك الشدة.

٥٠١ وفاة السلطان السلجوقي بركيا روق (٤٩٨هـ/ ١٢٠٢م)

لم تكن سنوات حكم بركياروق إلا سلسلة من المصاعب والآلآم. فقد حاربه شقيقه محمود بن ملكشاه حتى مات محمود بالجدري. ثم حاربه شقيقه الثاني محمد بن ملكشاه حروباً طاحنة وأخذ منه السلطنة لبعض الوقت، ولكن بركيا روق استعادها بالدسائس والمؤمرات. ولم يكن الخليفة العباسي في ذلك الوقت (المستظهر) محباً لبركيا روق بسبب سرقاته ونهبه لأموال أهل بغداد وذمه للخليفة العباسي، فكرهه الناس وتمنوا رحيله حتى مرض بركياروق ومات في ربيع الثاني عام ٤٩٨هـ دون أن يرسل جندياً واحداً ليدافع به عن الأراضي الإسلامية التي احتلتها القوات الصليبية. وقد مات بركياروق تاركاً ابنه ملكشاه الثاني البالغ الرابعة من عمره خلفاً له في سلطنة السلاجقة.. ولكن محمد بن ملكشاه (وهو عم ملكشاه الثاني) سيطر على ذلك الطفل وأفقده البصر (وكانت

تلك عادة السلاجقة مع أعدائهم ليحرموهم من الحكم). فقام الخليفة العباسي المستظهر بالموافقة على أن يتولى محمد بن ملكشاه حكم الدولة السلجوقية مسيطراً بذلك على معظم الولايات الفارسية بدون منازع.

٥٠٢ فشل الحملة الصليبية الرابعة على الشرق الإسلامي (٥٩٨هـ/ ١٢٠٢م)

عندما تمكن الخليفة الأيوبي العادل من إعادة الوحدة للصفوف في مصر والشام، خشى الأوروبيون على مملكة عكا الصليبية، فقام البابا أنوسنت الثالث بإلقاء خطبة حماسية دعا فيها إلى تسيير حملة صليبية رابعة على الشرق الإسلامي. وخرجت الحملة فعلاً من مدينة البندقية (شمال شرق إيطاليا) عام ٥٩٨هـ ولكن قادتها عندما مروا بالأراضي التابعة للإمبراطورية البيزنطية تصارعوا مع البيزنطيين نتجية عداء قديم بين البيزنطيين والبنادقة، فحاصر الصليبيون القسطنطينية واحتلوها وقسموا ممتلكاتها فيما بينهم ونسوا هدفهم الأصلي وبهذا فشلت الحملة الرابعة في تحقيق هدفها الأساسي وهو تدمير الدولة الأيوبية.

وفي الحقيقة فلم يكن وراء أية حملة صليبية أي هدف ديني.. فالأوروبيون معروف عنهم بصفة عامة ضعف الوازع الديني حتى منذ انتشرت المسيحية في دولهم. بل إن أقطاب الكنيسة الكاثوليكية في روما كانوا شديدي الحرص على طلاء نواياهم السياسية الاستعمارية بطلاء الدين مع أن الدين المسيحي بريء مما كانوا يفعلون.

٥٠٣ ثورة ابن غانية على دولة الموحدين بشمال أفريقيا (٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م)

تعود ثورة ابن غانية على الموحدين إلى أيام دولة المرابطين. وابن غانية لقب يقصد به الشقيقين يحيى ومحمد ابني غانية (أمهما)، حيث كانا من المرابطين الذين يحكمان بعض الأمصار الأندلسية. وعندما أخذت دولة المرابطين في الضعف ذهب محمد بن غانية وسيطر على جزيرة مايورقا، واستمر يحكم فيها هو وبنوه من بعده حتى موقعة الأرك ضد الإسبان فذهب حفيده علي بن إسحق بن غانية إلى أفريقيا وسيطر على أراضٍ واسعة منها مدينة المهدية (التي بناها الخليفة الفاطمي المهدي) وساعده على ذلك العباسيون في المشرق. ولما اقترب الخطر من يعقوب المنصور خليفة الموحدين خرج على

رأس جيش بري يدعمه أسطول الموحدين القوي (بعد إجراء الصلح مع الإسبان لمدة خمسة أعوام) فحاصر الموحدون قوات ابن غانية ودمروها ولكن ابن غانية تمكن من الفرار شرقاً فخمدت فتنته وانتهت.

٥٠٤ المغول يزحفون على العالم الإسلامي (٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م)

ظهر المغول الذين سكنوا شمال الصين كقوة عظمى في الشرق إبان فترة حكم زعيمهم القوي جنكيزخان الذي اشتهر هو وأتباعه بحب القتال والتدمير وسفك الدماء. وربما كان ذلك نتيجة أنهم كانوا يعبدون ـ من ضمن ما عبدوا ـ الوحوش الضارية المفترسة. وبازدياد قوة جنكيزخان (الذي وضع دستور المغول المسمى الياساق والذي يدعو كل مغولي إلى التضحية بحياته في سبيل انتصار دولته العسكرية التي هو جندي فيها) تمكن من إخضاع الصين وشرق الهند وتركستان، ثم أخذ يعد مئات الألآف من قواته للزحف على المدن الإسلامية المزدهرة بالحضارة بادئاً بالدولة الخوارزمية. (انظر عام ٦١٦هـ).

٥٠٥ المسلمون يدخلون دلهي عاصمة الهند (٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م)

استمر انتشار الإسلام بسرعة شمال وغرب الهند إلى أن تطورت الأوضاع بصورة سيئة في إمبراطورية جايشاند وقائدها المدعو جاهادا نالا، فأراد حشد قواته لمواجهة التمرد ضده والقضاء على الغزنويين في غرب الهند. فقام قطب الدين آيبك عام ٦٠٤هـ بتجهيز جيش غزنوي ضخم تحت راية السلطان الغزنوي محمد الغوري والتصدي لجاهادا نالا وجيوشه حيث هزمهم هزيمة ساحقة وشتت جموعهم وتمكن بعد ذلك من دخول عاصمة الهند دلهي. ولما اغتيل السلطان الغزنوي محمد الغوري أثناء عودته من إحدى المعارك إلى غزنه (عاصمة الدولة الغزنوية) أصبح قطب الدين سلطاناً على شمال الهند وحكم من مدينة دلهي، وهو بهذا أول مسلم يحكم دلهي.

٥٠٦ الخوارزميون يقضون على الدولة الغورية بخراسان (٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م)

إن الدولة الخوارزمية القوية التي كانت تحمي الدولة العباسية من الشرق، وجدت الفرصة للانقضاض على الدولة الغورية بخراسان عندما أخذت الدولة

الغورية في تضييع قواها وثرواتها في الحروب المتتالية ـ على مدى القرن السادس الهجري ـ مع كل الدول التي أحاطتها في شمال الهند الغربي وبلاد ما وراء النهر. ولهذا سارع خوارزمشاه حاكم الدولة الخوارزمية بإرسال جيش قوي إلى مدينة فيروزكوه حاضرة بلاد الغور فلم يجد صعوبة كبيرة في الاستيلاء عليها. وتمكن الخوارزميون بعد ذلك من السيطرة على بلاد خراسان فأنهوا بذلك دولة الغوريين. ولكن الخوارزميين أنفسهم لم يكونوا ذوي فطنة ليقووا دولتهم الكبرى ويحصونها من الخطر المحدق بهم في وسط آسيا ألا وهو خطر المغول.

٥٠٧ هزيمة الموحدين في موقعة العقاب بالأندلس (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م)

تعتبر هزيمة الموحدين في موقعة العقاب أكبر هزيمة يلقاها المسلمون منذ معركة بلاط الشهداء. وسبب ذلك يعود أساساً إلى انتصارات المسلمين في الشرق على يد زنكي وصلاح الدين ضد الصليبيين مما جعل الصليبيين يعودون مرتدين إلى بلادهم في أوروبا وقد شملهم الذل والانكسار. ولهذا فقد تحالفوا جميعاً مع الإسبان لهزيمة المسلمين في الأندلس لتعويض نكساتهم في المشرق العربي. ولقد وقعت تلك المعركة بين جيش الموحدين الذي بلغ تعداده نصف مليون رجل وبين جيوش جراره من معظم دول أوروبا. ولكن جيش الموحدين سرعان ما أنهك على مدى تسعة أشهر عندما أخذ يحاصر حصوناً وقلاعاً ليس من ورائها هدف، فقل زاده وحماسه، فاستغل الإسبان والأوروبيون ذلك وسارعوا بمحاصرة كتائب الجيش الموحدي التي فوجئت فيما يبدو بالهجمات، فاضطربت وهزمت وقد قتل من المسلمين في تلك المعركة مئات الألآف وكان ذلك كفيلاً بانهيار دولة الموحدين.

٥٠٨ وفاة الناصر لدين الله خليفة الموحدين بالمغرب والأندلس (٦١٠هـ/ ١٢١٣م)

حطمت هزيمة الموحدين في موقعة العقاب آمال الناصر الخليفة الموحدي فمات بعدها بشهور وذلك في شعبان من عام ٦١٠هـ. فخلفه ابنه يوسف الثاني وكان شاباً صغيراً لا يتجاوز الستة عشر عاماً فبدأت الأطماع تظهر والفتن تنتشر حتى توالى الخلفاء وعزلوا تباعاً. وكان اغتيالهم سهلاً لتفشي

الضعف والاضطراب في كافة أرجاء المغرب والأندلس. ثم أخذت دعوة بني مرين تظهر وتتسع حتى سقطت دولة الموحدين عام ٦٦٧هـ.

٥٠٩ الصليبيون يحتلون دمياط (٦١٥هـ/ ١٢١٨م)

كانت الأساطيل الأوروبية ـ ومنذ بداية الحروب الصليبية ـ تتمتع بسرعة الحركة وكثرة الخبرة أمام الأساطيل العربية. وفي كل مرة كان الصليبيون يُهزمون أمام العرب في البر كانت الأساطيل الصليبية تهاجم الشواطىء والمدن الإسلامية انتقاماً من العرب. أما إذا وجدوا مدينة عربية ضعيفة التحصين فإنهم ـ اعتماداً على الجواسيس بداخل تلك المدن ـ كانوا يسارعون باحتلالها. وقد حدث هذا لمدينة دمياط التي تعرضت لغزو من الأساطيل الصليبية عام ٦١٥هـ، فسقطت المدينة وخرج منها أهلها ليقوم الصليبيون بتحويل مساجدها إلى كنائس. ويبدو أن الملك العادل الذي كان مشغولاً بإخماد الفتن الداخلية في الدولة الأيوبية لم يكن جاهزاً بأسطول يحمي به مصر، بالرغم من تعرض دمياط بالذات من قبل لكثير من الغزوات الخطرة.

٥١٠ وفاة الملك العادل الأيوبي (٦١٥هـ/ ١٢١٨م)

مات الملك العادل والصليبيون يحتلون دمياط، حيث كان في زيارة للشام، ربما ليطلب مساعدة الأيوبيين هناك لإمداده بالقوات والأسلحة والسفن لطرد الصليبيين من دمياط. فمرض هناك، ودفن بأحد المساجد بدمشق تاركاً أبناءه الثلاثة يحكمون الدولة الأيوبية: الكامل في مصر، والمعظم عيسى في دمشق والأشرف موسى في حلب.

ومنذ وفاته أخذت الحملات الصليبية تركز جهودها على مصر، فاستمرت مهددة بصفة مستمرة حتى جاء لحكمها أمراء المماليك الأقوياء.

٥١١ جحافل المغول تغزو الدولة الخوارزمية (٦١٦هـ/ ١٢١٩م)

بعد انتصارات جنكيزخان زعيم المغول المذهلة في وسط آسيا، وجه إنذاراً إلى خوارزمشاه حاكم الدولة الخوارزمية فلم يأبه خوارزمشاه برسل إمبراطور المغول وقتلهم. فاستعد جنكيزخان لتدمير الدولة الخوارزمية حيث قام بتقسيم جيوشه الضخمة المخيفة وزحف بها على مدينة أترار وحاصرها شهراً ثم

اقتحمها وأسر حاكمها المسلم إينال خان وأمر بسكب الفضة المنصهرة في عينيه وأذنيه. ثم تدفقت قوات المغول في أنحاء المدينة حيث أجروا مذابح مروعة بسكانها. ثم تحول جنكيزخان بجيوشه تجاه مدينة بخاري حيث اقتحمها ونهبها وأمر أهلها بالخروج منها وذبحهم ذبحاً جماعياً علنياً، وأبقى على بعضهم كعبيد وسبايا ثم أشعل الجند المغول النار في نواحي المدينة التاريخية المزدهرة وفي مساجدها وجمعوا المصاحف وكتب التفسير والفقه حيث مزقوها وأشعلوا فيها النيران. واستمر ذلك لمدة أسبوع تحولت فيه المدينة إلى خرائب وأنقاض.

٥١٢ **المغول يدمرون سمرقند ويذبحون أهلها** (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)

لم يمكث المغول في مدينة بخاري بعد تخريبها وذبح أهلها. فلم يكن لهم أطماع توسعية بقدر ما كان لديهم أطماع في التدمير وهذه عادة من عاداتهم لكن يطمسوا نور الحضارة ويذبحوا البشر حتى لا يبقى سواهم. فقد تحركت الجيوش الجرارة تجاه مدينة سمرقند وكانت واحدة من أكبر وأزهى المدن الخوارزمية وأكثرها رخاء. فحاصروها وقتلوا حاميتها من الجند الخوارزمية ثم أمروا أهلها بعشرات الألآف بالخروج من ديارهم ومساجدهم حيث تم ذبحهم بدون تفرقة بين رجل وطفل وامرأة وحطموا كافة مساجدها وأشعلوا فيها النيران، ونهبوا المدينة وأسواقها ومتاجرها حتى بدت المدينة كمدن الأشباح الخاوية. وسرعان ما سقطت كل مناطق الدولة الخوارزمية في زمن قياسي.. فرحل عنها المغول ليزحفوا على شرق أوروبا حيث دمروا مدناً مسيحية كبرى مثل كييف وموسكو ووارسو.

٥١٣ **الحملة الصليبية الخامسة تغزو مصر وتلقى الهزيمة** (٦١٨هـ/ ١٢٢١م)

تمكن الصليبيون في مملكة عكا الصليبية (التي تأسست بعد حملة ريتشارد قلب الأسد) من نقض الهدنة التي كانوا عقدوها مع الملك العادل الأيوبي ـ قبل وفاته ـ وزحفوا على مصر حيث تمكنوا من حصار دمياط واقتحامها. ثم جاءت الحملة الصليبية الخامسة لتصب كل جهدها في المدينة المصرية على أمل توسيع غزو مصر وإنهاء حكم الدولة الأيوبية هناك. ولم يجد الملك الكامل أيوب سوى إبداء استعداده للتفاوض مع الصليبيين وهم يحتلون

دمياط، وعرض عليهم إعطاءهم مدينة بيت المقدس (التي كان صلاح الدين قد حررها) لكي يتركوا مصر فأبوا بعد أن تملكهم الغرور وأرادوا إذلال مصر.. ولكن المصريين خرجوا عن بكرة أبيهم واتجهوا نحو الأعداء مستغلين مياه فيضان النيل وأخذوا يسدون الترع بالجنازير ويشعلون مياهها بالنفط ويحطمون الجسور حتى أغرقت المياه جيوش الصليبيين فطلبوا الأمان فأجابهم الملك الكامل على أن يخرجوا من دمياط دون شروط. وبهذا هزمت الحملة الصليبية الخامسة.. وبالرغم من ذلك فإنها لم تكن الأخيرة.

٥١٤ قيام دولة الحفصيين في تونس (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)

يرجع قيام دولة الحفصيين بتونس إلى زعيم قبائل مصمودة أبي حفص يحيى الهنتاني الذي كان يساعد الموحدين. وبالرغم من انهيار دولة الموحدين في الأندلس (بعد هزيمة العقاب) ثم في المغرب إلا أن الحفصيين (وهم من المؤمنين بمبادىء الموحدين) حافظوا على الفكر والدعوة الموحدين في تونس إلا أنهم أخذوا الحكم لأسرتهم دون أسرة الخلفاء الموحدين.

وقد قامت الدولة الحفصية عندما أخذت دولة الموحدين تتهاوى في شمال أفريقيا الغربي.. وسرعان ما تمكن الحفصيون من السيطرة على جانب من الأندلس ولكن دولتهم القوية كانت بصفة أساسية في تونس على عهد أبي زكريا الحفصي.

٥١٥ الحملة الصليبية السادسة وتوقيع الهدنة مع السلطان الكامل (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)

بعد هزيمة الحملة الصليبية الخامسة في مصر على يد المصريين، سارع الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني بتجهيز حملة إلى مصر يقودها بنفسه حيث وصل بها إلى عكا. ولما علم الملك الكامل بذلك أبدى استعداده كملك يحكم مصر والشام وفلسطين للتفاوض مع فريدريك الثاني. وتم الاتفاق بين الحاكمين على عدم إرسال أي حملات صليبية جديدة إلى مصر على أن يقوم الملك الكامل بتسليم مدينة بيت المقدس إلى الصليبيين وينهي سيطرته عليها، وأن تستمر تلك الهدنة لمدة عشرة أعوام تبدأ من تاريخ توقيعها (سبتمبر ١٢٢٨م).

وقد تعهد فردريك للكامل بعدم شن أي هجمات صليبية أوروبية جديدة على مصر والشام. . بل إنه عرض التحالف مع الملك الكامل ضد أي عدو للدولة الأيوبية.

٥١٦ الملك الكامل يسلم القدس للصليبيين ويتحمل سخط المسلمين
(٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)

في غرة ربيع الآخر من عام ٦٢٦ للهجرة ـ وطبقاً للاتفاق بين الملك الكامل الأيوبي وبين فريدريك الثاني امبراطور المانيا ـ تم إخلاء مدينة القدس من حاميتها المسلمة وتسليمها للصليبيين.

ولا بد أن ذلك العمل كان أكبر وصمة عار في تاريخ الدولة الأيوبية حيث ثار المسلمون في الشام والعراق ومصر منددين بفعلة الملك الكامل الذي فرط في المقدسات.

ومع ذلك فيجب معرفة وجهة نظر الملك الكامل في ذلك الحدث، فقد رأى أن تجنيب مصر الخطر الصليبي سيمكنها في المستقبل عندما تكتمل قوتها من تحرير القدس. . أما إذا سقطت مصر أمام الصليبيين فإن القدس والشام سيسقطان لا محالة إلى أجل غير معلوم.

ومهما كان الأمر فقد تمكن المصريون تحت حكم الملك الصالح أيوب من إعادة تحرير القدس الشريف مرة أخرى (انظر عام ٦٤٠هـ).

٥١٧ وفاة المؤرخ العربي الكبير ابن الأثير (٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)

ولد علي بن أحمد بن الأثير بالقرب من الموصل بشمال العراق حيث أخذ ينهل من معارف أساتذته، ثم سافر إلى بغداد والشام وحلب والقدس فزاده السفر علماً وثقافة وحكمة وخاصة في معارف التاريخ وعبره.

وقد برع ابن الأثير في كتابة التاريخ الإسلامي والفتوحات الإسلامية بدءاً من القرن الرابع الهجري. . ويعد كتابه (الكامل في التاريخ) من أهم المؤلفات التاريخية الإسلامية التي يعتمد عليها أي باحث لدراسة التاريخ الإسلامي

الوسيط. ولابن الأثير كذلك كتب هامة أخرى مثل (الباهر) و(أسد الغابة في معرفة الصحابة).

وقد توفي عم ٦٣٠ للهجرة مخلفاً كنزاً ثقافياً بقي للأجيال بعده.

٥١٨ تأسيس دولة بني الأحمر في غرناطة (٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)

كان لضعف النفوذ الموحدي في الأندلس أثر كبير على انتهاء القوة والنفوذ الإسلامي في مدن أندلسية عديدة مما شجع الإسبان والبرتغاليين على أن يهاجموها على مدى سنوات عدة. ويبدو أن ذلك دفع العديد من المسلمين إلى مغادرة أغلب أراضي الأندلس والتوجه إلى الجنوب حيث إمارة غرناطة التي ما إن جاءت سنة ٦٣٠ للهجرة حتى تأسست بها دولة فتية تسمى دولة بني الأحمر تلك المملكة المحاطة بالجبال المنيعة من الشمال والغرب، والقريبة من شمال أفريقيا - عبر مضيق جبل طارق - من الجنوب.

وكان لهجرة المسلمين من شمال ووسط الأندلس إلى غرناطة أثره البالغ في زيادة نهضتها ورقيها الحضاري والعلمي والثقافي.

وتجدر الإشارة إلى أن دولة بني الأحمر قد أسسها رجل قوي يدعى محمد بن يوسف وهو من أسرة بني نصر فقام - هو وأحفاده من بعده - ببناء العديد من القلاع والحصون التي حمت المملكة من هجمات الإسبان على مدى مائتين وخمسين عاماً متتالية.

٥١٩ إنتهاء حكم الموحدين بالأندلس (٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م)

إن الدول تزول لسببين اثنين: الأول هو تعرضها لغزو خارجي أو هزيمة كبرى من أعدائها، والثاني هو تعرضها من الداخل للصراع والفتن لميل أولي الأمر فيها إلى الترف والنعيم والافتتان بالدنيا. وإذا كان سبب واحد من السببين كافياً في أحوال كثيرة لزوال الدولة، إلا أن دولة الموحدين زالت نتيجة السببين معاً. فهزيمة العقاب هدمت جيوشها فسارع أمراؤها وجندها إلى التصارع والتقاتل وتدبير الدسائس والمؤامرات، فمهد ذلك للإسبان استغلال ذلك الضعف، كما مهد لأعداء الموحدين في شمال أفريقيا (المرينيين) بالاجهاز عليهم فسقطت دولتهم وزال ملكهم عام ٦٣٣هـ.

٥٢٠ سقوط قرطبة في يد الإسبان (٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م)

تفككت أوصال الأندلس إلى حد كبير بعد الهزيمة التي مني بها الموحدون في معركة العقاب. وتمكنت الدول الأوروبية ـ التي انهزمت في الشرق من الأيوبيين ـ من شحذ الهمة والأخذ في محاصرة المدن الإسلامية الكبرى في الأندلس.. ويعد سقوط قرطبة عاصمة الدولة الأموية الكبرى بالأندلس أكبر نكسة مني بها المسلمون بعد معركة العقاب إذ قام فرناندو الثالث بمحاصرة المدينة حصاراً محكماً واقتحمها في ٢٣ شوال من عام ٦٣٣هـ فسقطت المدينة وأخذ النصارى الإسبان يحولون كل معالمها الإسلامية الرائعة إلى كنائس بما في ذلك مسجد قرطبة الجامع الذي كان أكبر مساجد أوروبا وأكثرها روعة وشهرة. ولم يكتف النصارى بذلك بل قاموا بطرد كل المسلمين بالمدينة إلى خارجها فاتجهوا إلى مملكة غرناطة الإسلامية. هذا وقد دمر الإسبان مدينة الزهراء التي كان قد بناها المنصور بن أبي عامر (انظر عام ٣٦٨هـ).

٥٢١ بناء مدينة الحمراء الأندلسية (٦٣٥هـ/ ١٢٣٩م)

تقع مدينة الحمراء الأندلسية إلى الجنوب الشرقي من غرناطة، وبها أكبر تجمع للآثار والفنون الإسلامية التي برع العقل الإسلامي الأندلسي في تشييدها على مدى قرون ممتدة وخاصة المائتي عام الأخيرة التي سبقت سقوط غرناطة. وقد سميت المدينة بالحمراء لاحمرار التلال المحيطة بها أو لاختيار اللون الأحمر لأسقف مبانيها، أو لأنها بنيت في عصر دولة بني الأحمر (٦٣٥هـ ـ ٨٩٧هـ) فقد سيطر محمد الأول الغالب بالله على غرناطة عام ٦٣٥ للهجرة، وبني هناك قصراً ضخماً محصناً سماه قلعة الحمراء. ولقد قام ملوك بني الأحمر (بني نصر) على مدار السنين ببناء مجموعة هائلة من الآثار الإسلامية الأندلسية التي تبهر العقل لما تحويه من فنون اكتملت فيها العبقرية الفنية المعمارية التي لا زالت موجودة حتى يومنا هذا. فهناك قصر الحمراء وهناك بهو السباع، وجنة العريف، وفناء الريحان والقصبة القديمة البرج الكبير (برج قمارش)... الخ. وهي كلها آثار يعكف على زيارتها سنوياً ملايين السائحين الزائرين لإسبانيا.

وجدير بالذكر أن اسم مدينة غرناطة الأندلسية قد أطلق عى بعض المدن في العالم بعد احتلال الإسبان لها. فهناك جزيرة كبيرة من جزر الهند الغربية لها نفس ذلك الاسم. كذلك هناك مدينة أمريكية باسم غرناطة ومدينة أخرى باسم قرطبة.

٥٢٢ وفاة الملك الأيوبي الكامل (٦٣٥هـ/ ١٢٣٩م)

لم تمض على تسليم الملك الكامل القدس للصليبيين سوى ست سنوات حتى توفي تاركاً إياها تحت الاحتلال. فبينما هو في دمشق هاجمه مرض شديد مات بسببه، وكان ذلك في العشرين من رجب عام ٦٣٥ للهجرة. وبهذا يكون مجمل سنوات حكمه في مصر عشرين عاماً. وقد خلفه على حكم مصر ابنه العادل سيف الدين أبو بكر (انظر عام ٦٤٠ للهجرة).

٥٢٣ سقوط مدينة بلنسية في يد الإسبان (٦٣٦هـ/ ١٢٣٩م)

لم تكن مدينة بلنسية ذات شأن إبان عهد الدولة الأموية التي حكمت من قرطبة. ولكن المنصور بن أبي عامر قد اهتم بها، حيث ظهرت في الوجود كمدينة ذات ازدهار واسع وأصبحت أثناء حكمه وبعده من أهم مدن شرق الأندلس وأكثرها حركة ثم تحولت إلى مملكة مستقلة بذاتها إبان عصر ملوك الطوائف مما شجع الفونسو السادس ملك قشتالة الإسباني على الاستيلاء عليها عام ٤٧٨ هجرية. إلا أن المرابطين تمكنوا من استردادها في رجب عام ٤٩٥هـ، حيث استمر حكم المسلمين لها حتى حاصرتها جيوش جيمس الأول ملك أراجون (مقاطعة إسبانية) واستولى عليها عام ٦٣٦هـ بعد حصار دام سنوات وقد اشتهرت مدينة بلنسية الأندلسية على عهد العرب بصناعة أفخر أنواع الزجاج، وكذلك بالعمائر الإسلامية الراقية التي لا زال بعضها باقياً حتى يومنا هذا بما في ذلك قلعتها الشهيرة ومساجدها التي تحولت إلى كنائس.

٥٢٤ قيام إمبراطورية مالي الإسلامية الكبرى في أفريقيا الغربية (٦٣٦هـ/ ١٢٤٠م)

عندما تولى سندياته مُلك مملكة مالي، نظم قواته وهاجم مملكة صوصه

أحد ممالك غانة وأخضعها لحكمه. ثم اتبع ذلك بإخضاع مملكة لبى والنيجر. وكانت تلك الممالك خاضعة لمملكة غانا منذ أن دخلها الإسلام في عصر المرابطين ثم أخذ سندياته يعد العدة ويجهز قواته لدخول مملكة غانا ذاتها. وقد استغرق ذلك ستة أعوام، حيث زحف عليها عام ٦٣٦هـ، وبذلك تمكن من القضاء على إمبراطورية غانا التي عاشت عدة قرون فاتسعت حدود إمبراطوريته لتشمل كل مناطق وسط أفريقيا وحتى سواحلها الغربية المطلة على المحيط الأطلنطي (وهي مساحة مقسمة اليوم إلى عدة دول أفريقية تعيش فيها أغلبية من المسلمين). وقد أصبحت مدينة تمبكتو عاصمة لتلك الإمبراطورية فكانت أزهى مدن أفريقيا.

٥٢٥ الأيوبيون يستردون القدس الشريف (٦٤٠هـ/ ١٢٤٤م)

بعد وفاة الملك الكامل دب النزاع بين أبنائه، وبينهم وبين مناوئيهم وخاصة في مصر. فقد نازع الملك العادل شقيقه الصالح نجم الدين فاعتقله بالقلعة حيث تولى حكم مصر وبهذا مكث العادل في الحكم حوالي العام. ثم وجد الصالح أيوب نفسه مهدداً بحلف صليبي ـ إسلامي اشترك فيه أمير دمشق الصالح إسماعيل وأمير الكرك الناصر داود وأمير حمص المنصور إبراهيم، فهاجم الصالح أيوب دمشق ثم سار بقواته نحو مدينة القدس فدخلها بسرعة وكان ذلك عام ٦٤٠ للهجرة.

٥٢٦ هزيمة الصليبيين الكبرى في موقعة حربيا (٦٤٠هـ/ ١٢٤٤م)

بعد أن نجح الصالح أيوب في تحرير القدس، واجه مرة أخرى قوات الحلف الإسلامي ـ الصليبي حيث كان الصراع قد أخذ يدور لمنع الصالح أيوب من بسط نفوذه على الشام وخاصة دمشق فتقابلت جيوش الطرفين المدججة بالسلاح عند قرية صغيرة بين عسقلان وغزة ودارت معركة كبرى بين المصريين وبين قوات الحلف انتصر فيها المصريون انتصاراً باهراً وقتل في المعركة خمسة آلاف صليبي.

وبهذا النصر فُتحت مدن الشام أمام الصالح أيوب بما فيها دمشق التي دخلها في شهر أبريل من العالم التالي (عام ١٢٤٥م).

٥٢٧ الصالح أيوب يحرر طبرية وعسقلان من الصليبيين (٦٤٤هـ/ ١٢٤٧م)

اتسعت مساحة مملكة الصالح أيوب حتى شملت مصر والشام، فسارت جيوشه المصرية نحو جنوب الشام فسيطرت على طبرية (وهي مدينة استراتيجية في ذلك الوقت بين الشام وفلسطين)، ثم سار المصريون جنوباً فدخلوا عسقلان وبذلك انحصرت القوات الصليبية في شمال غرب فلسطين في المنطقة المحدودة الواقعة بين عكا ويافا، مما أشعل نار الغضب في نفوس الأوروبيين وخاصة في فرنسا التي قرر ملكها لويس التاسع تجهيز أسطول فرنسي ضخم وضع له هدفاً واحداً، وهو احتلال مصر.

٥٢٨ وفاة ابن البيطار عالم النبات الإسلامي الكبير (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)

ابن البيطار هو أشهر عالم من علماء النبات الإسلاميين. فقد برع براعة فائقة في دراساته عن النباتات والأعشاب.. ومكنه تجواله وسفره من الاطلاع على معارف بلدان عديدة من المشرق والمغرب ومكث بمصر على أيام الملك الكامل وهو من ملوك الدولة الأيوبية، فعينه الملك الكامل في منصب كبير يشرف فيه على علماء النبات والأعشاب ويعتبر مؤلفه الهام (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) أحد أهم الكتب في علوم النبات وفوائدها الطبية والوقائية للإنسان. وترجم ذلك الكتاب إلى لغات عديدة نظراً لما به من فوائد علمية وعلاجية شتى. وقد توفي بمدينة دمشق عام ٦٤٦ للهجرة.

٥٢٩ سقوط مدينة أشبيلية في يد الإسبان (٦٤٦هـ/ ١٢٤٠م)

تقع مدينة أشبيلية الأندلسية إلى الجنوب الغربي من قرطبة. دخلها المسلمون الأوائل في سنة فتح الأندلس عام ٩٣ للهجرة. واستمر الإسلام فيها حوالي خمسة قرون ونصف.. وسرعان ما أصبحت واحدة من أجمل المدن الإسلامية هناك، ثم أصبحت عاصمة مملكة من ممالك الطوائف الأندلسية (بعد زوال الحكم الأموي هناك وانقسام الأندلس إلى ممالك الطوائف) تسمى مملكة

بني عباد. . ولما وحد المرابطون الأندلس أصبحت المدينة قاعدة عسكرية هامة لدولتهم القوية. ثم استمرت أهميتها على عهد الموحدين. ولما أخذت الأندلس في الضعف التدريجي حاصرتها القوات الإسبانية بقيادة فريديناند الثالث بقوات ضخمة وحرقت مزارعها وحدائقها وبساتينها، وطال الحصار لمدة عام ونصف جاهد المسلمون فيه جهاداً مستميتاً. ولم تكن دولة شمال أفريقيا بقادرة على فك الحصار فسقطت المدينة بعد معارك طاحنة ووقعت معاهدة بين الجانبين يتعهد فيها الإسبان بتأمين حياة المسلمين وأرزاقهم ودينهم. ولكن ذلك لم يستمر. فقد قام الإسبان بتحويل مسجد أشبيلية الجامع إلى كنيسة كاثوليكية وأخذوا يزيلون معالم الإسلام التي عاشت خمسة قرون ونصف، ثم قام الإسبان بتشتيت أهل المدينة المسلمين في بقاع إسبانيا قسراً وإجبارهم على التنصر.

٥٣٠ الحملة الفرنسية على مصر (الحملة الصليبية السابعة) (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)

جهز لويس التاسع أسطوله الحربي الضخم وسافر به إلى مصر التي كانت في ذلك الوقت محصنة تحصيناً شديداً. ورست السفن الفرنسية قبالة ساحل دمياط وتمكنوا من احتلال المدينة التي هرب جنود حاميتها من المماليك فأعدمهم الملك الصالح، وبذلك أصبحت مدينة المنصورة هي خط الدفاع الأول عن عمق مصر. ثم هبت عاصفة شديدة أغرقت مائتي سفينة فرنسية، وأخذ المصريون ينصبون الكمائن القاتلة للفرنسيين فزحف الفرنسيون جنوباً. ولما علم الصالح أيوب بذلك مات حزناً فأخفت زوجته شجرة الدر نبأ موته عن الجنود وسارعت بإبلاغ ابنه توران شاه ليأتي لمصر من الشام (ولم يتحرك الشام لمساعدة مصر في تلك الحملة الشرسة). فلما وصل إلى مصر وجد الظاهر بيبرس وهو من مماليك أبيه في قيادة الجيش الذي أعد عدته لمعركة كبرى. ولما استعد الجيشان دارت المعركة الدموية بالقرب من فاراسكور (بين دمياط والمنصورة) وهلك فيها الجند الفرنسيون حيث حاصرهم المصريون والمماليك من كل جانب فحصدوا حصداً. . ولما حاول لويس التاسع الفرار بمن تبقى من جنده، سارع المصريون بغلق طرق الانسحاب فوقع الملك وأمراؤه وكبار قادته

ومستشاروه في الأسر ولقد اتضح أن حوالي اثني عشر ألف فرنسي قد قتلوا في تلك المعركة وحدها. أما إجمالي من قتل من الفرنسيين في كافة المعارك فيقدر بحوالي خمسين ألفاً.

٥٣١ وفاة السلطان أيوب (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)

بعد أن اعتقل السلطان أيوب شقيقه الملك العادل في القلعة، مرت أربعة أعوام قبل أن يقتله في نهاية عام ٦٤٠هـ ويبدو أن قتله لشقيقه قد أعياه فبدأ المرض يزحف عليه حتى جاءت حملة لويس التاسع ونزلت دمياط. فيئس الأطباء من علاجه فمات في منتصف شعبان من عام ٦٤٧هـ بمدينة المنصورة التي كان الفرنسيون يقتربون منها فحمل في زورق حتى وصل قلعة الروضة غرب القاهرة وهي القلعة التي كان قد شيدها للمماليك البحرية حتى يدافعوا منها عن القاهرة عند تعرضها للأخطار. ويقال أنه دفن بتلك القلعة، ويقال كذلك أن جثمانه نقل إلى شرق القاهرة ليدفن بمقابر الإمام الشافعي. وبهذا يكون مجمل سنوات حكمه على مصر تسعة أعوام ونصف تقريباً.

٥٣٢ توران شاه الأيوبي يحكم مصر (٦٤٧هـ/ ١٢٥٠م)

بويع توران شاه للسلطنة في نهاية عام ٦٤٧هـ، ولقبه الناس بالملك المعظم. وفي نهاية حكمه الذي استمر عاماً واحداً تقريباً، انتصر المصريون والمماليك على قوات الحملة الفرنسية الصليبية السابعة انتصاراً عظيماً.

٥٣٣ المماليك يغتالون توران شاه بمصر (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)

عندما انتصر المصريون والمماليك على جنود الحملة الصليبية الفرنسية، أخذ السلطان توران شاه يسيطر على الأوضاع الداخلية في مصر. فعمل على طرد المماليك من المناصب التي كانوا عليها إبان فترة حكم أبيه السلطان أيوب، بل إنه قتل بعضهم فغضبوا عليه ودبروا مؤامرة لاغتياله. ففي إحدى ولائمه ـ وكان يحضرها أمراء المماليك وعلى رأسهم الظاهر بيبرس ـ قام مملوك وضرب أصابع توران شاه بالسيف فقطعها فهرب توران شاه بعد أن علم بنية المماليك في اغتياله، إلى أعلى برج خشبي عند فاراسكور فطارده المماليك وأشعلوا النار بالبرج، فقفز

إلى البحر (التقاء النيل بالبحر المتوسط) فأطلقوا عليه السهام فمات غرقاً. فأخرجوا جثته وألقوها على الشاطىء ثلاثة أيام ثم دفن في مكان مجهول. وبهذا انتهى حكم توران شاه الأيوبي، وطويت صفحة الأيوبيين في مصر.

٥٣٤ تولي شجرة الدر حكم مصر (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)

سيطر المماليك البحرية (نسبة إلى قلعتهم بجزيرة الروضة غرب القاهرة) على مصر بعد قتلهم لآخر ملوك الأيوبيين بمصر. ومع ذلك فلما لم يكن لهم شرعية لحكم البلاد فقد اختاروا زوجة السلطان أيوب شجرة الدر لتكون سلطانة مصر، على أن يكون الأمير عز الدين أيبك ـ وهو من زعماء المماليك ـ وزيراً يدير شؤون البلاد، وتم ذلك فعلاً في الثاني من شهر صفر من عام ٦٤٨هـ، وهي المرة الأولى التي تحكم فيها امرأة مصر منذ العهود الفرعونية البالغة القدم.

إلا أن الخليفة العباسي المستنصر بالله غضب من أمر تولي امرأة حكم مصر، فتنازلت شجرة الدر عن السلطنة لزوجها عز الدين أيبك بعد أن استمرت في حكم مصر أقل من ثلاثة أشهر.

٥٣٥ قيام دولة المماليك الأولى بمصر (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)

عندما تنازلت شجرة الدر عن سلطنة مصر، أقنعها المماليك (وهي منهم) بالزواج من عز الدين أيبك على أن يكون هو سلطان مصر. وقد تم الزواج لينتقل الحكم شرعياً إلى أمير من أمراء المماليك وبتولية عز الدين أيبك حكم مصر بدأ عصر دولة المماليك الأولى (المماليك الترك) وهي دولة بالغة القوة استمرت حتى عام ٧٨٤ للهجرة، تمكنت فيها مصر من أن تكون دولة فتية تطرد كافة الجنود الصليبيين من المشرق العربي وتحطم المغول في معارك خالدة.

٥٣٦ المصريون يطلقون سراح ملك فرنسا.. ونهاية عصر الحملات الصليبية (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)

وجد لويس التاسع طرق الانسحاب أمامه قد سُدت، فطلب الأمان من المصريين على حياته فأسروه واحتجزوه في منزل فخر الدين بن لقمان القاضي بمدينة المنصورة، حيث كان رئيس المجموعة التي تحرسه هو صبيح الفاطمي

فأخذ يعاقب الملك الفرنسي ويضربه على مدار اليوم خمسمائة ضربة حتى أقسم أمام عز الدين أيبك (الذي خلف توران شاه في حكم مصر بعد زواجه من شجرة الدر) أن لا يهاجم مصر أو الشام مرة أخرى، وأن يدفع فدية عن حياته مقدارها مائتا ألف دينار. فتم إطلاق سراحه وعاد لبلاده وأوفى بعهده الذي قطعه على نفسه وبهذا انتهت آخر الحملات الصليبية نهاية فيها الانكسار والإذلال والمهانة للأوروبيين.

٥٣٧ المماليك يصدون زحفاً أيوبياً من فلسطين (٦٤٩هـ/ ١٢٥١م)

تمكن عز الدين أيبك من بسط نفوذه على مصر. كما تمكن من حشد قوات حربية مملوكية كافية للزحف شرقاً لمواجهة جيش أيوبي تجمع في جنوب فلسطين (أي على أبواب مصر). وتقابل الجيشان بالقرب من الصالحية في فبراير عام ١٢٥١م، فانهزم الجيش الأيوبي ووقع بعض كبار قادته في الأسر. وقد ساعد على عدم تجدد القتال بين المماليك في مصر والأيوبيين في الشام وفلسطين (بقيادة أميرهم الناصر يوسف)، وصول الأخبار عن الزحف المغولي على غرب آسيا واقترابه من العراق.

٥٣٨ هولاكو زعيم المغول يقضي على طائفة الباطنية المتطرفة بفارس (٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م)

انقسم جيش المغول الضخم إلى قسمين الأول سار تجاه روسيا وشرق أوروبا، أما الثاني فقد سار غرباً تجاه تركستان وبلاد ما وراء النهر، وكان تحت زعامة هولاكو. وما أن دخل هؤلاء تلك البلاد حتى حاصروا قلاع طائفة الباطنية الإسماعيلية المعروفين بطائفة الحشاشين والذين اشتهروا بعمليات الاغتيال السياسي. فدارت بينه وبينهم معركة قصيرة انتهت بتدمير قلاعهم ومنها قلعة ألَموت، وأسر قائدهم ركن الدين خورشاه، حيث أمر هولاكو بذبحه.

ومن المعروف أن الباطنية هم من غلاة الشيعة الاسماعيلية النزارية الذين آمنوا بإمامة نزار ابن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله.

٥٣٩ اغتيال عز الدين أيبك أول سلطان مملوكي بمصر (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)

لم يأت اغتيال عز الدين أيبك أول المماليك الذين حكموا مصر بسبب مؤامرة من أعدائه. . بل إن زوجته شجرة الدر هي التي دبرت مصرعه وذلك نتيجة غيرتها الشديدة من زوجته الثانية (أم ابنه الأمير علي) فندبت خمسة رجال من الخدم لقتله بينما كان يستحم بالقلعة. فاقتحموا خلوته وطعنوه بسيوفهم حتى قتل وكان ذلك في شهر ربيع الأول من عام ٦٥٦ للهجرة. فلما شاع نبأ مقتله قام ابنه الأمير علي باعتقال شجرة الدر وأرسلها إلى أمه فأمرت جواريها بقتلها ضرباً بالقباقيب وكان ذلك بعد شهر تقريباً من اغتيالها لزوجها أيبك، ثم قذفت بجثتها في خندق لمدة ثلاثة أيام، ثم حملت لتدفن بالمقابر المجاورة لضريح السيدة نفيسة بشرق القاهرة.

٥٤٠ زلزال هائل بالمدينة المنورة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)

وقع زلزال شديد هز المدينة المنورة هزاً عنيفاً أعقبه انفجار بركان استمر ثائراً لمدة شهر. وذُكر أن النار ارتفعت منه إلى عنان السماء حتى ظهر دخانها في مدينة البصرة جنوب العراق. ولقد ذُعر سكان المدينة الشريفة من هذا الحادث وتصوروا زوال الدنيا مصداقاً لما ذكر في صحيح البخاري عن البني ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء منها أعناق الإبل ببصرى».

٥٤١ سقوط بغداد أمام المغول (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)

بعد أن تخلص هولاكو من طائفة الحشاشين وقلاعها الخطرة، سارع نحو بغداد حيث أرسل إنذاراً مذلاً إلى الخليفة العباسي المستعصم بالله يطالبه فيه بالعمل على هدم حصون وقلاع المدينة وألا يقاوم دخول قوات المغول. ورفض المستعصم بالله الإنذار، فأمر هولاكو قواته بالاستعداد لحصار مدينة الخلافة، فسار بجيش ليحاصر المدينة من ناحية الشرق. وأمر جيشاً آخر بقيادة (باجو) المغولي أن يحاصرها من ناحية الغرب وكان ذلك عام ٦٥٦هـ.

ولقد ذكر أن عدد جند جيش هولاكو بلغ مائتي ألف، حيث قاموا بحصار المدينة ودارت المعارك حتى تمكنت فرقة من المغول بعبور أسوار المدينة الغربية فدخلوا بغداد ورفعوا رايات المغول في برج العجمي (أحد أبراج سور

المدينة)، فرأى أهل بغداد انتصار المغول فارتفعت الصرخات في أرجائها حتى شرع الخليفة في الاستسلام. وفي الرابع من شهر صفر عام ٦٥٦ للهجرة، ترك الخليفة قصره وسار إلى هولاكو المنتصر، فأمره هولاكو بإخراج كل كنوز العباسيين فحفرت الأرض لاستخراجها وكان من ضمنها حوض مملوء ذهباً. ثم اعتقل هولاكو الخليفة وبنيه حيث أمر بقتلهم، فانتهت بذلك الخلافة العباسية التي حكمت العالم الإسلامي حوالي خمسة قرون. . ولكن أميراً عباسياً يدعى الأمير أحمد تمكن من الفرار والاختباء إلى حين (انظر عام ٦٥٩هـ).

٥٤٢ المغول يذبحون سكان بغداد في أكبر كارثة يتعرض لها المسلمون (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)

أمر هولاكو سكان بغداد كافة بالخروج من ديارهم بدون سلاح، فخرجوا حتى امتلأت الأرض بهم، فأحاط بهم المغول من كل صوب وانقضوا عليهم انقضاض الوحوش الجائعة حتى أفنوهم بمن فيهم من أطفال ونساء وشيوخ وعجزة ومرضى حتى ذكر أن إجمال من قتل في تلك المذبحة الكبرى قد وصل إلى مليون وثمانمائة ألف إنسان. فكانت أكبر المذابح التي ارتكبت ضد المسلمين في كل عصورهم القديمة والحديثة على حد سواء. وعندما امتلأت الشوارع بالجثث المتعفنة، حل بالمدينة الخربة الوباء فقضى على بقية من كان قد تمكن من الفرار.

٥٤٣ المغول يدمرون بغداد (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)

سمح هولاكو لجنده بأن يدخلوا بغداد وكانت قد خلت من سكانها وجيشها وخليفتها، فعاثوا فيها فساداً ودمروا كل معالمها، وحطموا المساجد وأحرقوا المكتبات الضخمة التي حوت كل ثقافات عصور الازدهار الإسلامي ونهبوا القصور وحطموا الحمامات والحدائق والمتنزهات حتى غدت المدينة المزدهرة في خلال أربعين يوماً كمدن الأشباح الخربة بعد أن كانت حاضرة العالم وحاضنة الثقافة والعلوم والآداب. وما حدث لبغداد في تلك الهجمة لم يحدث لمدينة إسلامية كبرى من قبل. . فاهتزت لضياعها أرجاء العالم الإسلامي كافة.

٥٤٤ أبو عبد الله زكريا الحفصي بتونس ينصب نفسه أميراً للمؤمنين بعد سقوط الخلافة العباسية (٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م)

إن تدمير بغداد وإنهاء الخلافة العباسية فيها بعد الغزوة المغولية المدمرة للعراق، أحدثت اضطراباً شديداً في العالم الإسلامي حتى أن ما من أحد من زعماء الدول الإسلامية بما فيهم المماليك الأقوياء في مصر خرج ليعلن نفسه خليفة للمسلمين. ولكن واحداً فقط قام بذلك وهو أبو عبد الله زكريا سلطان الدولة الحفصية في تونس الذي أعلن أنه أمير للمؤمنين وخليفة للمسلمين. وسرعان ما قام أمير الحجاز بمبايعة الخليفة الحفصي ودعا باسمه في المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ بالمدينة. واعترف بالخليفة الجديد كذلك سكان غرناطة بالأندلس ودولة بني مرين بالمغرب الأقصى.

٥٤٥ سيف الدين قطز يصبح سلطاناً للمماليك في مصر (٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م)

بعد اغتيال عز الدين أيبك في القلعة، خلفه ابنه المنصور على الذي كان أحمقاً صغير السن. فلما هدد المغول الديار المصرية رأى المماليك بقيادة سيف الدين قطز (نائب السلطنة) عزله، فاعتقلوه بإحدى القلاع بمدينة دمياط، واختاروا الملك المظفر سيف الدين قطز سلطاناً للدولة المملوكية بمصر.

والسلطان قطز هو ثالث ملوك المماليك في مصر، وكان من المقربين لعز الدين أيبك، وقد بدأ حكمه في شهر ذي القعدة من عام ٦٥٧هـ.

٥٤٦ المغول يهاجمون الشام (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)

بدأت الحشود المغولية في الزحف نحو الشام بعد تدمير بغداد وإنهاء الخلافة العباسية. ولقد كان هناك تحالف بين الصليبيين في الغرب وبين هولاكو في الشرق (حيث كانت زوجة هولاكو مسيحية أوروبية)، وبارك أحد الأساقفة الأوروبيين حملة هولاكو على ديار المسلمين قائلاً: إن الغرب يأمل بها القضاء على أعدائه المسلمين العرب. وسرعان ما اقترب المغول من مدينة حلب وحاصروها ثم اقتحموها وقتلوا من أهلها خمسين ألف مسلم، أما مدينة دمشق - التي فشل الصليبيون في احتلالها - قد سادها الذعر ففر حاكمها الأيوبي الأمير الناصر يوسف وتركها تعلن استسلامها فدخلها خليفة هولاكو (كتبغا) بعد أن

سافر هولاكو إلى بلاده قراقورم لاختيار خليفة مغولي جديد خلفاً لمنكوخان زعيمهم الذي مات. وعندما سيطر المغول على دمشق خضعت بقية مدن الشام الأخرى للمغول حتى شارفت جحافلهم على مدينة غزة، وبالتالي كانت مصر الهدف التالي لهم.

٥٤٧ المصريون يهزمون المغول في موقعة عين جالوت (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)

أرسل هولاكو إنذاراً لسيف الدين قطز سلطان المماليك بمصر يهدده فيه غاية التهديد إذا وقف أمام توغل المغول داخل مصر، ومذكراً إياه بما فعله في بغداد وحلب ودمشق فرفض قطز الإنذار، وسارع بتكوين جيش مصري مملوكي قوي أمده بكل أدوات القتال وسار به إلى أن التقى بجيش المغول عند عين جالوت (جنوب شرق حيفا بفلسطين المحتلة)، فهزم المصريون المغول هزيمة قاسية في الخامس والعشرين من رمضان عام ٦٥٨هـ وانسحبت بقايا المغول إلى بيسان (إلى الشرق من عين جالوت)، فطاردهم قطز ومعه الظاهر بيبرس (نائبه) حيث هزم المغول مرة أخرى. وسرعان ما دخل قطز الشام فعادت الطمأنينة إلى ربوعه.

ويعتبر انتصار المسلمين في عين جالوت تتويجاً لكفاح دولة المماليك الأولى الناشئة في مصر، حيث رسخت من حكمهم وأعطتهم شرعية للبقاء.

٥٤٨ اغتيال سيف الدين قطز سلطان دولة المماليك بمصر والشام (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)

بعد انتصار مصر على المغول في عين جالوت، سار قطز إلى الشام حيث أخذ يمهد لأمرائه وأعوانه في حكم إمارات الشام على حساب بني أيوب الذين كان الظاهر بيبرس (نائب قطز) يكن لهم حباً واحتراماً، فاتفق بيبرس مع بعض أمراء المماليك على اغتيال قطز أثناء العودة إلى مصر. فلما خرجوا إلى طريق مصر دنا بيبرس من قطز وطعنه بسيفه ثم تبعه بقية أمراء المماليك حتى تأكدوا من قتله فتركوه وعادوا إلى دمشق حيث بايعوا لبيبرس بالسلطنة. وكانت حادثة اغتيال قطز قد تمت في الخامس عشر من ذي القعدة عام ٦٥٨ للهجرة. ومهما كانت الأسباب التي دفعت المماليك لاغتيال قطز، فإننا لا يجب أن ننسى

أن المماليك ـ وإن كانوا بارعين في القتال وفنونه ـ إلا أن غالبيتهم اتصفوا بالتقلب والخيانة والغدر. . . فلم يكن اغتيال قطز هو الحادث الأول من حوادث الاغتيال السياسي في عصر المماليك بل إن حوادث لا يمكن حصر عددها قد تمت على مدى عصورهم وحتى قيام محمد علي باشا بمذبحة المماليك في القلعة عام ١٨١١ ميلادية.

٥٤٩ السلطان بيبرس يحكم مصر (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)

بعد اغتيال سيف الدين قطز خلفه في السلطنة المملوكية، الملك الظاهر ركن الدين بيبرس وهو من المماليك البحرية الذين عملوا بالقرب من الملك الصالح أيوب وقد بدأ بيبرس حكمه في شهر ذي القعدة من عام ٦٥٨هـ، وأعطاه مؤيدوه من المماليك لقب (القاهر) فغضب علماء الدين من هذا الاسم لأن كل من اتخذ هذا اللقب لم يفلح، فانصاع بيبرس لرأي العلماء وتلقب بلقب الظاهر.

ويعتبر الظاهر بيبرس من أشهر سلاطين المماليك الذين حكموا مصر والشام وكان قد جلب إلى مصر في أواخر عهد الدولة الأيوبية. . ويعتبر أبرز زعيم حكم مصر والشام ـ في العصور الوسطى ـ بعد صلاح الدين.

٥٥٠ الظاهر بيبرس يحيى الخلافة العباسية في القاهرة (٦٥٩هـ/ ١٢٦١م)

تمكن أمير عباسي يدعى الإمام أحمد من الفرار أمام المغول والاختباء منهم حتى هُزموا في عين جالوت، وظهرت قوة السلطان بيبرس في مصر. . فسافر الإمام إلى مصر حيث استقبلته القاهرة المنتصرة استقبالاً كريماً. فلما ثبت لعلماء وفقهاء مصر صحة نسب الإمام أحمد إلى البيت العباسي بايعوه خليفة للدولة العباسية، فقام بدوره بمبايعة الظاهر بيبرس سلطاناً يتولى أمر البلاد الإسلامية. وبهذا ظهرت من جديد الخلافة العباسية، ولكن في القاهرة بعد انقطاعها عن بغداد. . ومرة أخرى أصبحت القاهرة عاصمة أقوى ودولة إسلامية. ولكن كان على بيبرس أن يحارب بقايا الصليبيين في شمال فلسطين حتى يكمل دوره التاريخي المميز.

٥٥١ المغول يقتلون الخليفة العباسي الجديد في بغداد (٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)

ما إن وصل الإمام أحمد العباسي، الذي بويع للخلافة في القاهرة، إلى مدينة بغداد (وكان المغول قد غادروا بغداد بعد تدميرها) حتى سارعوا من فارس بالزحف مجدداً إلى بغداد فدخلوها ليلاً وقتلوا المدافعين عن قصر الخليفة وأسروا الخليفة نفسه ثم قتلوه. وكان ذلك في نهاية عام ٦٥٩ للهجرة، وبذلك خلا منصب الخليفة العباسي من جديد.

وتجدر الإشارة إلى أن المغول كان من عاداتهم عدم البقاء في البلدان التي يدمرونها، فلما تركوا بغداد اعتقد الخليفة الجديد الذي ظهر في مصر (أحمد العباسي) أن خطرهم قد زال فعاد إلى المدينة المدمرة، ولكنهم عادوا إليه مرة أخرى ليقتلوه.

وفيما بعد، فقد وردت أنباء إلى القاهرة بأن إماماً جديداً قد ظهر ويدعى الإمام أحمد ـ كذلك ـ وهو من نسل العباسيين، تمكن من السفر بعد تخفيه، فلما دخل القاهرة، خرج لاستقباله الظاهر بيبرس بالتكريم وجمع من حوله مجلساً من العلماء والفقهاء، فلما ثبت لهم صحة ادعائه بايعوه خليفة عباسياً جديداً. ولكن الظاهر بيبرس ـ خشية من أن يكرر المغول هجومهم على بغداد ـ استضافه بالقاهرة وأسكنه بقصر على النيل (أحد قصور أسرة أحمد بن طولون). . وهكذا نقلت الخلافة العباسية إلى القاهرة. وهذه هي المرة الثانية التي تعيد فيها مصر الشرعية للبيت العباسي.

٥٥٢ الظاهر بيبرس يحرر إمارة أنطاكيا من الصليبيين (٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م)

بعد تمكن الظاهر بيبرس من فرض سيطرته على الدولة المملوكية، زحف بجيش كبير نحو إمارة أنطاكيا الواقعة تحت الاحتلال الصليبي منذ عام ٤٩١ هـ ففرض عليها الحصار المحكم، فاستسلم الصليبيون بداخلها وكان ذلك في رمضان من عام ٦٦٦هـ.

ويعتبر تحرير أنطاكيا من الصليبيين على يد المماليك خطوة كبرى سبقت طردهم النهائي من آخر معاقلهم في عكا وطرابلس.

وكان بيبرس قد حرر مدينة حيفا ومدينة قيساريه قبل ذلك بثلاثة أعوام.

٥٥٣ قيام دولة بني مرين بالمغرب الأقصى (٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م)

أدت هزيمة الموحدين أمام الإسبان في موقعة العقاب، إلى تحطيم جيوش ومعنويات الموحدين بالأندلس، فدب الصراع بين أهل الأندلس حتى زال نفوذ الموحدين هناك. ولما كان الأندلس مرتبطاً بالمغرب سياسياً فقد أدى الانهيار السياسي بالأندلس إلى انهيار مماثل في قوة الموحدين بالمغرب. فظهرت دولة الحفصيين في تونس، وأسرة عبد الوديد في الجزائر، أما في المغرب الأقصى (مراكش) فقد قام فيها الأمير عبد الحق ـ ومنذ عام ٥٩١هـ ـ بتقوية نفوذ بني مرين حتى تمكن من هزيمة الموحدين هناك في عدة معارك أدت إلى مقتل بقية زعمائهم، وكان آخرهم أبا العلاء إدريس الذي أغتيل من قبل المرينيين عام ٦٦٧هـ. وبذلك زالت دولة الموحدين نهائياً والتي كان المهدي بن تومرت قد أسس دعوتها عام ٥١٥هـ، وقامت في المغرب الأقصى دولة قوية جديدة تُسمى دولة المرينيين.

٥٥٤ حملة فرنسية تغزو تونس (٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م)

بالرغم من أن لويس التاسع كان قد أسر في مصر أبان حملته الصليبية التي دمرها الأيوبيون والمماليك ودفعت بلاده فدية ضخمة وتعهد هو شخصياً بعدم شن هجمات حربية أخرى في مقابل إطلاق سراحه، إلا أنه قاد أسطولاً حربياً فرنسياً كبيراً واتجه به نحو تونس حيث تمكن من احتلالها.

وربما يكون لويس التاسع قد قام بتلك الحملة بعد تحرير الظاهر بيبرس لإمارة أنطاكيا من الوجود الصليبي. ومهما كان الأمر فقد أوقف الظاهر بيبرس نشاطه في الشام للإعداد لإنقاذ تونس، ولكن الأخبار جاءته في العام التالي بوفاة لويس التاسع في تونس وانسحاب الحملة.

٥٥٥ وفاة الظاهر بيبرس سلطان المماليك ودفنه بمدينة دمشق (٦٧٥هـ/ ١٢٧٧م)

سافر الظاهر بيبرس إلى الشام لمطاردة ملك التتار المسمى أبغا فلما أنهى مهمته ذهب إلى حلب حيث أصابته الحمى، فقصد مدينة دمشق حيث مات

بها ودفن ليلاً وكان عمره ستين عاماً بعد أن حكم دولة المماليك ثمانية عشر عاماً متتالية.

ويعتبر الظاهر ركن الدين بيبرس من أعظم سلاطين المماليك الذين دافعوا عن بلاد الإسلام طيلة حياتهم حتى لقب بأبي الفتوحات. وله مسجد ضخم بمدينة القاهرة لا زال باقياً شامخاً حتى يومنا هذا. وقد عرف عن بيبرس الشجاعة والبأس والكرم والحكمة فعاشت مصر والشام على عهده أرقى وأمجد العصور. وقد خلفه في السلطنة المملوكية ابنه السعيد أبو المعالي.

٥٥٦ المماليك يخلعون الملك السعيد سلطان دولة المماليك (٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م)

بعد وفاة السلطان الظاهر بيبرس خلفه ابنه السعيد أبو المعالي وكان عمره ثمانية عشر عاماً. ولما حدث تمرد نائب دمشق وسافر له السعيد مع مماليكه لردعه، ثار أمراء المماليك بمصر وطالبوا بعزل السعيد لصغر سنه، فعاد السعيد لمصر ليجد المماليك يريدون قتله، فصعد مسرعاً إلى القلعة ليحتمي بها. فلما علم الخليفة العباسي الإمام أحمد (وكان بالقاهرة منذ مبايعته خليفة عباسّياً بمصر) توسط في الأمر وأقنع السعيد بالنزول على رغبة أمراء المماليك فغادر السعيد مصر متوجهاً إلى قلعة بالكرك وبقي فيها حتى مات بعد عام واحد من ذلك، فخلفه في سلطنة المماليك الملك العادل وهو ابن الظاهر بيبرس وكان طفلاً لم يبلغ من العمر ثمانية أعوام. . وكان يعرف باسم (العادل سلامش).

٥٥٧ عزل العادل سلامش وظهور السلطان قلاوون (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م)

السلطان قلاوون هو المنصور سيف الدين قلاوون من مماليك الملك الصالح أيوب (المماليك البحرية) ترقى في سلم الإمارة المملوكية حتى أصبح نائباً للملك العادل سلامش ابن السلطان بيبرس، ونجح في عزله لصغر سنه وكان ذلك في شهر رجب عام ٦٧٨هـ، فأصبح على رأس الدولة المملوكية.

ويعتبر السلطان قلاوون مؤسس أسرة مملوكية عريقة سميت باسمه واستمرت تحكم مصر والشام والحجاز واليمن إلى عام ٧٨٤هـ عندما خلفتها أسرة السلطان برقوق الأقل قوة.

558 المغول يزحفون نحو إمارة حلب المملوكية (٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م)

زحف جيش من المغول بقيادة شقيق هولاكو فيكوتمر بعد تمرد أمير دمشق المملوكي سنقر الأشقر على السلطان قلاوون وأعلن أنه سلطان للمماليك وتحالف مع المغول ليمكنوه من ذلك. . وكانت حلب تابعة للسلطان قلاوون. . فلما وصلها المغول دمروا ما حولها من حدائق وبساتين وقتلوا الكثير من أهلها ولما علم قلاوون بذلك سارع بجيشه حتى مدينة غزة فسمع المغول بمقدم المماليك فخشوا الهزيمة وفروا إلى بلادهم.

ويبدو أن المغول كانوا يهدفون إلى الاستيلاء على حلب ثم يدخلون دمشق حيث دعاهم سنقر الأشقر، فلما وجدوا أن حلب قوية أمامهم آثروا الانسحاب.

559 هزيمة المغول أمام المماليك في موقعة المرج الأصفر (٦٨٠هـ/ ١٢٨٠م)

عندما رجع السلطان قلاوون من غزة إلى القاهرة بعد فرار المغول من حول حلب يبدو أنهم عادوا مرة أخرى مدعمين بقوات جديدة، فخرج لهم السلطان قلاوون والتقى بهم في سهل المرج الأصفر وأحاط بهم وهزمهم هزيمة قاسية فغنم المماليك سلاحهم وخيولهم وأسلابهم التي كانوا قد نهبوها من ضياع حلب. ولقد حدثت تلك المعركة الهامة إبان الهدنة التي كان قلاوون قد وقعها مع الصليبيين في إمارة حلب.

560 تأسيس الدولة العثمانية بآسيا الصغرى (٦٨٨هـ/ ١٢٨٨م)

يعود أصل الأتراك العثمانيين إلى تلك القبائل الرحل التي عاشت في وسط آسيا والتي انتقلت للعيش حول مدينة بروسة بآسيا الصغرى. ولما خف الضغط المغولي في تلك المناطق تمكن الأمير أرطغرل من تهيئة الأوضاع لنفسه في الأناضول تمهيداً لبناء دولة مستقلة قوية هناك. وقد شجعه على ذلك زوال الخلافة العباسية، واندحار الصليبيين في المشرق العربي. فلما مات خلفه ابنه عثمان وكان شاباً قوياً في الرابعة والعشرين من عمره تمكن من السيطرة على أملاك أبيه الواسعة واستخدم الإسلام كعنصر شديد الأثر في دعم دولته ـ والتي

سميت على مدى القرون باسمه ـ وللدولة العثمانية يعود الفضل في إدخال الإسلام إلى أوروبا . . وإليها كذلك يعود الخزى في العمل على تخلف العالم العربي أمام الشعوب الأوروبية .

٥٦١ السلطان قلاوون يحرر إمارة طرابلس من الصليبيين (٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م)

لا شك أن السلطان قلاوون أجل تحرير إمارة طرابلس من الصليبيين ليفرغ للخطر الأكبر الذي شكله المغول وخاصة على حلب ودمشق. ولهذا وبعد دحر المغول تفرغ قلاوون للصليبيين وخاصة بعد أن دب الصراع بين أمرائهم في طرابلس بعد وفاة أميرها بوهيمند السابع . . . فزحف مسرعاً بجيش كبير حاصر به طرابلس لمدة خمسة أسابيع حتى تيقن الصليبيون من عدم جدوى المقاومة فاستسلموا في ربيع الآخر عام ٦٨٨هـ. وتم بذلك تحرير طرابلس من الكيان الصليبي بعد احتلال دام قرابة مائة وثمانين عاماً متتالية .

٥٦٢ وفاة السلطان قلاوون (٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م)

جاءت وفاة السلطان قلاوون عندما هَمَّ بالخروج بجيشه القوي من مصر قاصداً تحرير إمارة عكا من الصليبيين، فداهمته الحمى فلزم القلعة إلى أن مات في السادس من ذي القعدة عام ٦٨٩ للهجرة، فدفن بمنطقة يبن القصرين بالقاهرة، تاركاً ثلاثة أبناء اختار منهم الأشرف خليل ليخلفه في السلطنة المملوكية .

ويعتبر السلطان قلاوون واحداً من أشهر من حكم مصر والشام والحجاز على عهد دولة المماليك الأولى، وإليه يرجع الفضل في تحرير إمارة طرابلس من الصليبيين ودحر المغول في سهل المرج الأصفر . . وللسلطان قلاوون مسجد كبير يحمل اسمه بالقاهرة لا زال باقياً حتى اليوم .

٥٦٣ تحرير إمارة عكا من الوجود الصليبي وهي آخر معاقلهم في العالم العربي (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)

بعد الانتصارات الكبرى للماليك على المغول كان الصليبيون قد بقي لهم في فلسطين مملكة واحدة في عكا. وقد حاول السلطان قلاوون تحريرها إلا

أن وفاته أخرت ذلك إلى أن جاء ابنه الأشرف خليل فأعد العدة لذلك وأخرج الجيوش الجرارة من مصر ودمشق وطرابلس وحماه وزحفت تلك الجيوش إلى عكا وحاصرتها وضربتها بالمناجيق الثقيلة لمدة عشرة أيام متتالية حتى تحطمت أسوارها فضعفت الروح المعنوية للصليبيين حتى سقطت المدينة ودخلها الأشرف ودارت في شوارعها معارك طاحنة تفوق فيها المماليك، وانتهت بذلك آخر المعاقل الصليبية في الشرق.

٥٦٤ الملك الأشرف قلاوون يعدم سبعة من كبار أمراء المماليك (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)

لما عاد السلطان الأشرف بن قلاوون إلى مصر بعد فتحه عكا أخذ في التخلص من كبار أمراء المماليك بمصر والذين كانوا مقربين من أبيه السلطان قلاوون والذين أشاعوا أنه (أي الأشرف) قد دس السم لأخيه الأكبر علي بن قلاوون لكي يتولى كرسي السلطنة. ولكنه ظن أنهم سيفعلون به مثلما فعل أسلافهم بسيف الدين قطز، فاعتقلهم في القلعة وكانوا سبعة، منهم الأمير لاجين السلحدار. وعندما جاء الليل أمر بشنقهم جميعاً فشنقوا ولما أنزلت جثثهم من القلعة وجدوا أن الأمير لاجين لا زال فيه بقايا النفس فأخبروا السلطان الأشرف بذلك فعفى عنه وأمر بعلاجه.

ويبدو أن الله تعالى قد أنقذه ليدخر له سلطنة دولة المماليك كلها فيما بعد.

٥٦٥ اغتيال السلطان الأشرف بن قلاوون (٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م)

وقعت فتنة بين السلطان الأشرف بن قلاوون وبين نائبه الأمير بيدرا. فقد ذكر أعداء بيدرا للسطان أنه يمتلك ثروة أكثر مما لدى السلطان نتيجة السلب والنهب. فلما سمع السلطان ذلك عاتب الأمير بيدرا، فغضب بيدرا من السلطان واتفق مع مماليكه على اغتياله. وعندما حانت الفرصة وكان الأشرف مختلياً بنفسه دخل عليه بيدرا مع عشرة من الأمراء، وسارع بيدرا بضرب الأشرف بسيفه على يده. ولما لم تكن تلك الضربة كافية لقتله، سارع الأمير لاجين ـ الذي كان السطان قد عفى عنه من قبل ـ بامتشاق سيفه وضرب الأشرف ضربة شديدة على

كتفه فصرعه وتركه المماليك ميتاً حتى التهمت جثته الذئاب، ثم دفن بالمقابر المجاورة لضريح السيدة نفيسة رضي الله عنها.

ولما علم مماليك السلطان بذلك طاردوا الأمير بيدرا حتى قتلوه هو الآخر وشقوا بطنه وأكلوا كبده وعلقوا رأسه فوق مدخل بيته.

وقد خلف السلطان الأشرف شقيقه السلطان الناصر محمد.

٥٦٦ مبايعة الناصر محمد سلطاناً لدولة المماليك ثم خلعه (٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م)

بعد اغتيال السلطان الأشرف، اختار أمراء المماليك الناصر محمد بن قلاوون ليكون سلطاناً لدولة المماليك. وكان عمره لا يتجاوز عشرة أعوام فاختار - بدوره - الأمير كتبغا نائباً له في تدبير أمور البلاد والرعية. ولما كثرت المؤامرات وأساء المماليك معاملة المصريين، اتفق أمراء المماليك على خلع الناصر ومبايعة نائبه كتبغا حتى يتمكن من ردع المماليك الذين استغلوا صغر سن الناصر وأساءوا السلوك فخلع الناصر بعد أقل من عام على سلطنته. (انظر عام ٦٩٨هـ).

٥٦٧ المجاعة والقحط ينتشران في مصر والشام والحجاز (٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م)

هبط النيل هبوطاً شديداً فجفت الترع ومات الزرع ونفقت الدواب والطير حتى بيعت بيضة الدجاجة بأربعة دراهم. واستمر ذلك حتى خلت الأسواق من السلع والمأكولات فلجأ الناس إلى الكلاب والقطط، فكان الكلب يباع بدراهم خمسة والقط بثلاثة. ثم هبت أسراب من الجراد فتصيدها الجياع. وتزايد أعداد الموتى، وظهر الوباء فحصد من السكان ثلثهم. وقد حدث ذلك كذلك في الشام والحجاز. ثم أخذت الأزمة تختفي تدريجياً وعادت الخيرات من جديد.

٥٦٨ اغتيال المنصور لاجين سلطان دولة المماليك (٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م)

عندما أمر الأشرف قلاوون بإعدام الأمير لاجين ثم عفا عنه، لم ينسَ لاجين ذلك للأشرف فعمل على قتله كما رأينا عام ٦٩٣هـ ثم استمر لاجين في التصارع من أجل الوصول إلى السلطنة حتى تمكن من عزل الملك العادل كتبغا.

ولكن مماليك الأشرف بن قلاوون لم ينسوا للاجين أنه قتل أستاذهم فتمكنوا ذات ليلة من الدخول عليه وهو يصلي العشاء واغتالوه بعد أن أمضى في السلطنة حوالي عامين، فمات عن ثلاث وستين عاماً. ثم خلفه في السلطنة الناصر محمد بن قلاوون الذي كان قد تسلطن وعزله المماليك عام ٦٩٣هـ، فتلك إذن هي السلطنة الثانية له.

٥٦٩ المغول يهزمون المماليك في موقعة سلمية بالشام (٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م)

جاءت الأخبار من الشام بأن المغول بقيادة غازان (من أحفاد هولاكو) قد زحفوا بجيش ضخم قوامه مائتا ألف رجل يقصدون احتلال مدن الشام الهامة. فسارع الناصر قلاوون بجيشه من المماليك وقوادهم نحو دمشق ثم تقابل الطرفان المماليك والمغول فدارت معركة كبيرة عند قرية سلمية (في سوريا اليوم) كثر فيها القتلى وانهزم فيها المماليك. فانتهز المغول الفرصة وخربوا ودمروا قرى الشام وبساتينها.

٥٧٠ زلزال شديد يصيب مصر (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م)

حدث ذلك الزلزال المروع في الثالث والعشرين من شهر ذي الحجة عام ٧٠٢ للهجرة، فضرب البلاد من شمالها لجنوبها وتحطمت من أثره المنازل فوق أهلها وسقطت منارة الإسكندرية التاريخية وسور المدينة، وتهدمت جدران مسجد الحاكم بأمر الله الفاطمي ومئذنة الجامع الأزهر الشريف وبعض قناديله وجدرانه ومئذنة المدرسة المنصورية ومئذنة مسجد الصالح وتهدمت بعض جدران مسجد عمرو بن العاص... وذكر أن سلسلة تشققات قد حدثت في جبل المقطم فهرع الناس خارج مدينة القاهرة إلى الصحراء وقد حسبوا أنها القيامة ولم يتمكن أحد من تقدير الخسائر في الأرواح لكثرتها تحت أنقاض المنازل المنهارة، ولأن الهزات استمرت تضرب مصر على مدى عشرين يوماً متتالية.

ولما كان المماليك يحكمون مصر في ذلك الوقت ويعلمون قيمة الأزهر الروحية والمعنوية، فإن كبار أمرائهم سارعوا بالتبرع بسخاء لترميم ما تصدع وإصلاح ما أتلف.

٥٧١ المماليك يهزمون المغول في موقعة مرج راهط (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م)

خرج السلطان الناصر محمد بن قلاوون على رأس جيش قوي من المماليك للدفاع عن ولاية حلب الاستراتيجية التي هددها المغول فوصل إلى هناك في شهر رمضان من عام ٧٠٢هـ. وانضم إلى الناصر محمد فرسان من مختلف بقاع الشام فوصل عدد جيش دولة المماليك إلى مائتي ألف رجل تقابلوا مع جيش المغول الذي زاد عدده عن عدد جيش المسلمين في معركة ضارية بالقرب من مرج راهط قتل فيها من الجانبين العديد من الجنود ولكن المماليك فازوا بالنصر وتم أسر ثلث الجيش المغولي. وقد وقعت تلك المعركة في الثالث من شهر رمضان. وفي اليوم الرابع من الشهر الكريم أخذ المماليك يطاردون ويقتلون فلول المغول حتى امتلأت القفار بجثثهم.

٥٧٢ وفاة عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية (٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)

قضى عثمان بن أرطغرل مجمل حياته في التوسع على حساب ممتلكات الدولة البيزنطية التي كان الضعف قد أخذ يسري في أوصالها. وعندما توفي كان ابنه أورخان قد دخل إحدى أهم المدن البيزنطية وهي مدينة بورصة، فاتخذها عاصمة أولية (مؤقتة) للدولة العثمانية ودفن فيها أباه عثمان.

وبتولي أورخان بن عثمان حكم الدولة العثمانية أخذ يسارع بتوسيع ممتلكاته وبناء جيوش قوية وتدريب جنده حتى تمكن من الاستيلاء على إمارتي نيكوميديا، ونيقية الثريتين وأخذ يبني الأسس الحضارية لدولته مثل المساجد ودور العلم والمتاجر وشجع البحث والصناعات.

٥٧٣ وفاة الناصر محمد سلطان الدولة المملوكية (٧٤١هـ/ ١٣٤١م)

أدى غتيال السلطان لاجين سلطان المماليك في مصر إلى تقوية نفوذ المماليك البرجية على حساب المماليك الترك (حيث كان المماليك البرجية أحدث من المماليك الترك في مصر).. فلما جاء لحكم مصر خلفاً للاجين السلطان الناصر محمد، وجد أن الصراع بين طائفتي المماليك سيدمر دولته من الداخل فآثر التنازل عن الحكم للسلطان بيبرس الجاشنكير (وهو من المماليك

البرجية) فرفضه المصريون والسوريون، فعاد الناصر محمد للحكم مرة أخرى ولكنه عاد ليشتت المماليك البرجية ويشتري اثني عشر ألفاً من المماليك الترك ليدعموا نظام حكمه الذي استمر حتى وقع فريسة للمرض فمات في شهر ذي الحجة من عام ٧٤١ للهجرة بعد أن أمضى في الحكم ثلاثاً وأربعين عاماً تقريباً (باستثناء فترة تخليه عن الحكم وهي حوالي أربعة أعوام)، وخلفه في الحكم ابنه المنصور سيف الدين أبي بكر.

٥٧٤ اغتيال المنصور أبي بكر سلطان دولة المماليك (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)

تولى المنصور أبو بكر السلطنة المملوكية خلفاً لأبيه الناصر محمد وكان عمره عشرين عاماً. ولم تمض عدة أسابيع على توليه حكم الدولة حتى نشب نزاع كبير بين أميرين من أمراء المماليك وهما الأمير قوصون، والأمير طاجار. فقام الثاني بإقناع المنصور بقتل قوصون.. فأخبر المنصور الخطة لبعض خاصته فقام واحد منهم بإبلاغ قوصون، فانتهز قوصون الفرصة المناسبة وحاصر غرفة السلطان واعتقله ثم رحّله إلى مدينة قوص (إحدى مدن محافظة قنا بجنوب مصر) ثم إنه أمر بعض رجاله بقتله أثناء تلك الرحلة بالنيل. فقام بعض رجال المماليك بقتل المنصور وقطعوا رأسه وأرسلوها إلى قوصون.

وقد خلف المنصور أبو بكر شقيقه الأشرف علاء الدين كجك. وبهذا أمضى المنصور في الحكم ثلاثة أشهر حيث قتل في شهر صفر من عام ٧٤٢هـ.

٥٧٥ وفاة الصالح علاء الدين سلطان دولة المماليك (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)

بعد اغتيال السلطان المنصور سيف الدين أبي بكر تولى بعده شقيقه الأشرف وكان طفلاً في السابعة من عمره فسيطر الأمير قوصون (الذي دبر اغتيال المنصور) على أمور السلطنة فساءت أحوال البلاد مما دفع بالمماليك إلى مهاجمة قوصون واعتقاله بالسجن وعزلوا السلطان الأشرف فخلفه شقيقه الناصر شهاب الدين الذي بدا للمماليك والمصريين على حد سواء أن به خللاً في العقل، فانتهز أمراء المماليك فرصة سفره إلى الكرك وخلعوه من السلطنة واختاروا بدلاً منه شقيقه الصالح علاء الدين فحكم البلاد في شهر المحرم من

عام ٧٤٣هـ فأعلن شقيقه المخلوع الناصر شهاب الدين الحرب عليه، واستمرت الحرب طيلة عام ٧٤٤هـ وعام ٧٤٥هـ حتى تمكن منه المماليك فاعتقلوه وقطعوا رأسه وأحضروه إلى القاهرة في صفر عام ٧٤٥هـ.. ولم يمض عام على ذلك حتى هاجم المرض الملك الصالح علاء الدين فمات في ربيع الأول من عام ٧٤٦ حيث خلفه شقيقه الملك الكامل شعبان.

٥٧٦ اغتيال المظفر حاجي سلطان دولة المماليك (٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م)

تسلطن الملك الكامل شعبان على حكم الدولة المملوكية فأخذ يقسو على المصريين والمماليك معاً فثار عليه مماليكه واعتقلوه بالسجن عدة أيام حتى تمكنوا من مخاطبة شقيقه الأصغر المظفر حاجي لتولي السلطنة، على أن يأمر بقتل الكامل شعبان بالسجن، فأرسل إليه بعض المماليك فخنقوه وكان ذلك في شهر جمادى الآخرة عام ٧٤٧هـ. وتسلطن بذلك المظفر حاجي وقرب مماليكه منه ووزع عليهم الأموال والإقطاعات واضطهد طائفة أخرى من المماليك وأخذ في ممارسة القسوة والظلم والطغيان مع المصريين فتمرد عليه بعض المماليك وقاتلوه حتى تمكنوا منه، فخنقوه في أحد المقابر وكان في العشرين من العمر، فخلفه شقيقه الناصر أبو المحاسن حسن.

٥٧٧ الوباء يهلك سكان مصر والشرق الإسلامي (٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)

ظهر الطاعون في مصر والشرق نتيجة ظهوره وانتشاره في وسط آسيا ثم انتقل ليظهر في أوروبا عام ١٣٤٨ ميلادية عبر السفن. وبالرغم من أنه أهلك نصف سكان أنجلترا وربع سكان الصين وثلث سكان أوروبا إلا أنه كذلك أهلك مئات الألآف من سكان مصر والشام والعراق وفارس والحجاز، فخلت مدن تلك البلدان من الازدهار وعمت الفوضى الحياة الاقتصادية، وظن الناس أن وجه الموت يحوم في كل بقاع الأرض.. فكان يموت من سكان القاهرة وضواحيها عشرون ألف شخص يومياً.. وفي خلال شهري شعبان ورمضان مات تسعمائة ألف شخص. وبالرغم من أن ذلك الوباء قد ظهر عام ٧٤٩هـ واستمر لمدة سبعة أعوام إلا أن قوته في مصر كانت ظاهرة عامي ٧٤٩هـ و ٧٥٠هـ للهجرة ثم بدأ يخف تدريجياً حتى انتهى عام ٧٥١ للهجرة.

٥٧٨ العثمانيون يعبرون مضيق الدردنيل ويبدأون فتوحاتهم في أوروبا

(٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م)

يرتبط عبور الأتراك العثمانيين لمضيق الدردنيل الفاصل بين آسيا وجنوب أوروبا باسم السلطان العثماني أورخان بن عثمان.. حيث تنازع حكام الدولة البيزنطية على الحكم فاستغاث أحد المتخاصمين بالعثمانيين فأرسل السلطان أورخان ابنه سليمان لعبور المضيق والاستيلاء على مقاطعة تراقيا الاستراتيجية. ويبدو أن ذلك الفتح لم يلق مقاومة تذكر فهاجر عشرات الآلاف من الأتراك إلى شبه جزيرة جاليبولي وأقاموا هناك حاضرة إسلامية مزدهرة. ويعتبر عبور المسلمين لمضيق الدردنيل هو الأول من نوعه على مدى التاريخ الإسلامي، إذ أنهم كانوا يدخلون أوروبا براً في أغلب الحالات وذلك لقوة الأساطيل البيزنطية في ذلك الوقت.

٥٧٩ مدينة أدرنة الأوروبية تصبح عاصمة للدولة العثمانية (٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م)

عندما تمكن سليمان بن أورخان من بناء رأس جسر قوي في أوروبا، أخذ أخوه مراد في تنفيذ عدة فتوحات في العمق الأوروبي كان أهمها استيلاءه على مدينة أدرنه عام ٧٥٨هـ. وعندما توفي الأمير سليمان في حادث ومات السلطان أورخان، أصبح مراد الأول سلطاناً للدولة العثمانية فنقل عاصمة الدولة إلى مدينة أدرنة الأوروبية مما عكس مدى طموحاته في زيادة التوسع في جنوب أوروبا.

٥٨٠ اغتيال الناصر أبي المحاسن سلطان دولة المماليك (٧٦٢هـ/ ١٣٦١م)

أدى اغتيال المظفر حاجي إلى زيادة نفوذ المماليك الترك.. فتحكموا في البلاد المصرية والسورية على حد سواء وقاموا بتعيين الناصر أبي المحاسن حسن وكان طفلاً في الثانية عشرة من عمره. فزاد فسادهم من ورائه ثم قاموا بخلعه وجاءوا بشقيقه الصالح صلاح الدين عام ٧٧٥هـ ثم عزلوه بعد ثلاثة أعوام وأعادوا للسلطنة السلطان الناصر أبي المحاسن وأخذوا طوال سبع سنين مستمرة يمارسون كل الموبقات والمفاسد فاختلف معهم الناصر فاعتقلوه وخنقوه ورموا بجثته في أعماق النيل. فلم يدفن ولم تخرج له جنازة وذلك في شهر جمادى الأولى من عام ٧٦٢هـ، فخلفه في الحكم ابن شقيقه الملك المنصور محمد.

٥٨١ الأوروبيون الجنوبيون يهاجمون الإسكندرية ويذبحون أهلها (٧٦٦هـ/ ١٣٦٥م)

بعد أن أهلك الوباء عدداً ضخماً من سكان مصر، جاءت سفن محملة بالجند البنادقة والجنوبيين (مقاطعتان في إيطاليا) والقبارصة فنزلت بمدينة الإسكندرية ودخل جند العدو المدينة ليوقعوا بأهلها مذبحة دموية مروعة راح ضحيتها آلاف من الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ، أما الرجال العزل ومن عدم وسيلة للهرب، فقد أسر حتى بلغ عدد الأسرى حوالي خمسة آلاف أسير حملتم السفن التي فاق عددها السبعين عائدة بهم إلى قبرص وإيطاليا.

٥٨٢ اغتيال الأشرف شعبان سلطان دولة المماليك (٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م)

جاء المنصور محمد للسلطنة المملوكية بعد اغتيال السلطان الناصر أبي المحاسن حسن، وكان عمره أربعة وعشرين عاماً فاستمر يحكم حتى خلعه المماليك وبايعوا الأشرف شعبان للحكم في شهر شعبان من عام ٧٦٤هـ وكان عمره اثنتي عشر سنة فجاء في الوصاية عليه الأمير يلبغا وهو من كبار المماليك الترك فسيطر على البلاد واستخدم القسوة مع المصريين والمماليك، فقاتله المماليك واعتقلوه ثم قتلوه بأمر السلطان شعبان. وسرعان ما اكتشف شعبان أن المماليك الذين قتلوا يلبغا يريدون التخلص منه هو كذلك ووجد في المصريين سنداً فشتت المماليك الترك ونفاهم من البلاد عدة سنوات ثم عاد وعفى عنهم.. فأخذت أحوال البلاد تسوء نتيجة الفتن التي أخذت تتسع بين المماليك الترك والمماليك البرجية والمماليك اليلبغاوية (نسبة إلى الأمير يلبغا الذي أعدم مؤخراً) فظهر في تلك الفتنة مملوك قوي يسمى برقوق (وهو من المماليك الشراكسة الذي سيحكم مصر فيما بعد.. واسم شركس يطلق على عنصر المماليك الذين استوطنوا شمال غرب القوقاز)، تمكن من إشاعة وفاة السلطان شعبان في الحجاز مع أنه لم يكن قد مات. فلما عاد إلى مصر وجد الفوضى بها في كل مكان فتخفى في زي النساء ليهرب من أعدائه. ولكن المماليك اليلبغاوية فتشوا عنه وعثروا عليه فاعتقلوه وعذبوه ثم خنقوه ورموه في بئر وكان ذلك في شهر ذي القعدة عام ٧٧٨هـ.

٥٨٣ وفاة ابن بطوطة أشهر الرحالة العرب (٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الطنجي، ولد عام ٧٠٣ للهجرة بمدينة طنجة بالمغرب الأقصى. وكان من عائلة ميسورة فشغف قلبه وعقله بالسفر والترحال فأصبح بعد مرور خمس وعشرين سنة من السياحة والترحال أشهر رحالة عربي وإسلامي. وقد بدأ رحلاته بالسفر إلى بلاد الحجاز للحج وأخذ بعد ذلك يزور مجمل البقاع الإسلامية فزار الإسكندرية والقاهرة والشام والعراق والهند والصين وأفغانستان والقسطنطينية وبلاد فارس وجزيرة سيلان وأندونيسيا والبنغال وبلاد شرق أفريقيا.. وقد ضمَّن مشاهداته لتلك البدان في كتابه المعروف (تحفة الأنظار في غرائب الأمصار). وقد ترجم ذلك الكتاب إلى العديد من اللغات الشرقية والغربية.

وقد توفي ـ رحمه الله ـ عام ٧٧٩ للهجرة.

٥٨٤ زوال دولة المماليك البحرية وقيام دولة المماليك الشراكسة (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م)

يعتبر اغتيال السلطان الأشرف شعبان نهاية فعلية لدولة المماليك الأولى (دولة المماليك البحرية نسبة إلى جزيرة الروضة بالنيل غرب القاهرة) تلك الدولة القوية التي أسسها السلطان قلاوون. فقد خلف شعبان ابنه المنصور علي الذي بقي في الحكم حتى مات بالطاعون عام ٧٨٣هـ، فخلفه شقيقه السلطان الصالح أمير حاج وكان طفلاً في العاشرة من عمره. فلم يتمكن من السيطرة على البلاد فطمع فيها العربان والقراصنة وكادت الشام تخرج عن الإدارة المصرية. فقام المماليك باختيار الأمير برقوق وذهبوا به إلى الخليفة العباسي المتوكل على الله الذي كان يقيم في القاهرة (منذ تدمير بغداد على يد المغول وانتقال الخلافة العباسية بصورة اسمية إلى القاهرة)، فوافق الخليفة على تعيينه سلطاناً للمماليك وخلع السلطان أمير حاج. وكان أمير حاج بذلك آخر سلاطين المماليك البحرية، أما برقوق فكان أول سلاطين المماليك الشراكسة (أو المماليك البرجية نسبة إلى أبراج القلعة التي تربوا وعاشوا فيها).

٥٨٥ انتصار العثمانيين في موقعة قوصوه الأولى على الأوروبيين (٧٩١هـ/ ١٣٨٩م)

قام السلطان العثماني مراد الأول ببناء جيش قوي مسلح بأحدث الأسلحة في غضون أعوام قليلة ليتمكن به من تحقيق طموحاته الواسعة في أوروبا حيث دخل مقاطعة سالونيكا (مدينة يقطنها مليون نسمة بشمال اليونان اليوم). ويبدو أن الإمارات البيزنطية خشيت من قوة الجيوش العثمانية، فتحالف ملك الصرب مع غيره من ملوك البلغار والمجر وبولندا وكونوا معاً جيشاً ضخماً زحفوا به تجاه الجيش العثماني في الجنوب وعلى مقربة من بلدة قوصوه. وكان السلطان مراد الأول يقود الجيش العثماني بنفسه فدارت معارك دموية شرسة لم تشهدها مناطق جنوب أوروبا منذ زحف المغول عليها. . فقد قتل السلطان العثماني والملك لازارس ملك الصرب، فخلف السلطان العثماني مراد في قيادة الجيش ابنه وولى عهده بايزيد فأخذ يقاتل حتى أهلك الجيش الأوروبي فلم تعد له قائمة. فخضع الجنوب الشرقي لأوروبا للعثمانيين. ويبدو أن العثمانيين قد سيطرت عليهم نزعة الفتوحات التي سيطرت من قبل على بني أمية في مستهل الدولة العربية الإسلامية (انظر عام ٨٥٢هـ).

٥٨٦ العثمانيون ينتصرون على ملوك أوروبا في موقعة نيقوبولس (٧٩٨هـ/ ١٣٩٦م)

جاء انتصار العثمانيين على تحالف جيوش جنوب شرق أوروبا كصفعة مذلة على وجه العرش البابوي، مما جعل الفرنسيين والإيطاليين يجمعون القوات للدفاع بها عن مملكة المجر المهددة بالجيش العثماني. ولكن الصراع على العرش البابوبي بين فرنسا وإيطاليا كان عنصراً مخرباً لتلك الوحدة الفرنسية الإيطالية العسكرية فضعفت الروح المعنوية للجيش الأوروبي فهاجمه بايزيد الأول في موقعة كبرى أخرى عند نيقوبولس. فألحق به الهزيمة المنكرة وسيطر العثمانيون بعدها على البلقان وعاد ملك المجر (سجموند) خائباً مهاناً إلى بلاده.

٥٨٧ وفاة السلطان برقون مؤسس دولة المماليك الثانية (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م)

اتصف السلطان برقوق بقوة البأس والشجاعة والدهاء. وهي صفات

مكنته من بناء دولة قوية. ومع أنه تمادى في شراء المماليك الشراكسة لكي يقوي بهم دولته إلا أن ذلك أثار المماليك الترك المتبقين في مصر وكذلك في الشام.. حيث ثاروا أكثر من مرة متخذين من الخليفة العباسي بمصر المتوكل على الله سنداً لهم. ولكن برقوقاً انتصر عليهم وخلع الخليفة وسجنه بالقلعة واستخلف الواثق بالله.. ثم قامت ثورة مملوكية في دمشق ضد جند برقوق انتهت بهزيمة جند برقوق فاستولى المماليك الترك على القاهرة وخلعوا السلطان برقوق سنة ٧٩١هـ فقام برقوق بتجميع المماليك الشراكسة وأخمد بهم الفتنة في دمشق وعاد بهم منتصراً إلى القاهرة لكي يشتت المماليك الترك عام ٧٩٢هـ واستمر مسيطراً على أمور الدولة بكل جهده حتى توفي.

٥٨٨ زعيم المغول تيمورلنك يذبح سكان مدينتي حلب وحماه (٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م)

في السنة الثانية لحكم السلطان الناصر فرج بن برقوق سلطان دولة المماليك، خرج والي الشام الأمير (تنم) عن طوع الدولة وجهز جنده للزحف على مصر فخرج له الناصر فرج وأخمد الفتنة بعد هزيمته في موقعة الحبتين، ودخل السلطان دمشق حتى تستقر الأحوال هناك مرة أخرى. ولكن يبدو أن تيمورلنك المغولي قد شعر بأن دولة المماليك ليست لديها القوة الكافية للدفاع عن نفسها، فهاجم ولايتي حلب وحماه وهزم جيوشهما (وكانت كلتاهما تابعتين للدولة المملوكية)... فدخلت جحافل التتار مدينة حلب ونهبوها وفعلوا من الفظائع بالنساء والأطفال مثلما فعل هولاكو بأهل بغداد. حيث استمرت المذابح أربعة أيام حتى قتل ما لا يقل عن عشرين ألف إنسان أعزل. ثم أخذ الجند المغول يهدمون المدينة حتى تركوها خاوية على عروشها. وقد حدثت تلك المذبحة في شهر ربيع الأول من عام ٨٠٣ للهجرة.

ثم خرجت جيوش تيمورلنك إلى مدينة حماه ليفعلوا بأهلها ما فعلوه بحلب.. كل ذلك والسلطان الناصر فرج مشغول باللهو والسمر. هذا وقد بلغ جند المغول التتريين ثمانمائة ألف. ويعتبر انتصار تيمورلنك على دولة المماليك هزيمة كبرى لمكانة السلطان فرج بن برقوق الذي افتقد بصيرة أبيه وذكائه

فعرض بإهماله المسلمين الأبرياء للذبح والمهانة والتنكيل وهذا لم يحدث منذ اقتحام المغول لبغداد عام ٦٥٦هـ.

٥٨٩ تيمورلنك يدمر مدينة دمشق ويذبح أهلها (٨٠٣هـ/ ١٤٠١م)

جاءت الأخبار للسلطان الناصر بمصر بقرب هجوم جنود المغول التتريين بقيادة تيمورلنك على دمشق، فأمر بحشد المماليك وسار إلى هناك فدخل دمشق في اليوم السادس من جمادى الأولى عام ٨٠٣هـ. وقد حدثت معارك بين المماليك وجند تيمورلنك هزم فيها التتار ولكن لم تكن هزائمهم كبيرة.. وأرسل تيمورلنك رسائل إلى السلطان الناصر يطلب الصلح فوافقه الناصر وعاد إلى مصر في الخامس من جمادى الآخرة لنفس العام. ولكن تيمورلنك نزل بجنده على مقربة من دمشق وطلب من أهلها دفع جزية كبيرة حتى لا يدمر المدينة، فلم يتمكن أهلها من دفع الجزية المطلوبة. وأثناء ذلك كان جند المغول التتريين يدخلون من أبواب المدينة يدعون للسلام كذباً حتى امتلأت بهم.. وفي نفس الوقت حاصروا قلعة دمشق حصاراً محكماً حتى استسلمت.. وبالرغم من أن سكان المدينة جمعوا كل ما لديهم من أموال ونفائس وقدموها لتيمورلنك إلا أنه كان يطلب المزيد. وقد أمر تيمورلنك جنده بنهب المدينة بيتاً بيتاً فدخلها الجنود التتار كالوحوش الضارية فذبحوا أهلها وانتهكوا حرمة نسائها ودمروا مبانيها وأشعلوا النار فيها بما في ذلك المسجد الأموي فسقطت مآذنه وقبته فغدت المدينة كمدن الأشباح خالية من البشر إلا جثث الأموات. وقد حدثت تلك المذبحة المروعة على مدى عشرين يوماً. وذكر أن من قتل من أطفال المدينة بلغ عشرة آلاف طفل جمعهم تيمورلنك لتدهسهم الخيل فما بقي منهم أحد.

ورحل التتار عن دمشق يوم الجمعة الثاني من شهر شعبان عام ٨٠٣ للهجرة.

٥٩٠ الصلح بين تيمورلنك والسلطان فرج بن برقوق (٨٠٤هـ/ ١٤٠١م)

بعد أن تم للمغول بقيادة تيمورلنك تدمير مدن الشام، أرسل تهديداته للسلطان فرج بن برقوق سلطان المماليك في مصر. وكان قد أسر أميراً من

المغول يدعى (أطلمس) فطالب تيمورلنك بإطلاق سراحه فوراً وإلا فسيزحف المغول على مصر ويرفعون راياتهم على ربوعها. وقد أذعن السلطان فرج لهذه التهديدات، وأطلق سراح أطلمس وعقد صلحاً مع تيمورلنك يتعهد فيه السلطان فرج بطاعة تيمورلنك والدعوة باسمه في مساجد مصر. وقد أدى ذلك الصلح المهين إلى ذهاب حرمة المملكة واختفاء احترام الأمراء والعامة للسلطان فرج فلم تمض سنوات ثلاث حتى عزل.

والواقع أن هزائم دولة المماليك الثانية على عهد فرج بن برقون تعتبر أقسى الهزائم التي تعرض لها المسلمون في العصور الوسطى وهذا بسبب تصارع أمراء المماليك المعتصبين لأصولهم العرقية. فقد كانت المعارك والدسائس لا تنقطع بين المماليك الترك والمماليك الشراكسة.. ولم يتمكن إلا أولو العزم من سلاطين المماليك من كبح جماح ذلك التعصب وتوجيه طاقة الأمة نحو أعداء الخارج.

٥٩١ تيمورلنك يهزم العثمانيين (٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م)

تمكن تيمورلنك من السيطرة على مجمل الأراضي الإسلامية الواقعة من الهند شرقاً إلى دمشق غرباً. ولم يبق له إلا أن يزحف بجيوشه التترية الجرارة على العثمانيين. ولم يكن بايزيد الأول يدرك فيما يبدو أن انتصاراته في جنوب أوروبا ستتوقف بسبب تيمورلنك الآتي من الشرق. فلم تبالِ قواته كثيراً بالخطر الماحق المتدفق عبر التلال المؤدية إلى آسيا الصغرى. وفي حركة التفاف واسعة النطاق أحاطت قوات تيمورلنك بالجيش العثماني بالقرب من أنقره وأنزلت بها مقتلة عظمى حتى أن السلطان العثماني نفسه بايزيد الأول أسر في المعركة وكبل، وقيل أنه أرسل إلى عاصمة التتار سمرقند وهو مقيد في قفص حديدي. حيث أخذ التتار يتفرجون على زعيم الأتراك.

ومهما كان الأمر فإن جيش تيمورلنك الذي بلغ حوالي مليون جندي قد أضعف الجبهات الإسلامية ضعفاً كبيراً، بينما كان الأوروبيون قد بدأوا عصر نهضتهم.

٥٩٢ وفاة ابن خلدون أشهر عالم اجتماع في التاريخ الإسلامي (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م)

يعتبر ابن خلدون المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع، حيث سبق غيره من العلماء في دراسة المجتمعات الإنسانية ووضع نظريات بالغة القيمة في كيفية تكوين وتطور واتساع المجتمعات والدول. ويعتبر كتابه (المقدمة) أهم كتاب في علم الاجتماع والذي لا يزال يدرس ويطبع بلغات عديدة حتى يومنا هذا.

ولد ابن خلدون بتونس عام ٧٣٢هـ وكان أبوه من حفظة القرآن والحديث، فعلم ابنه على أسس وتعاليم الإسلام. ولما ظهر الطاعون في شمال أفريقيا عام ٧٤٩هـ مات أبواه وكثير من أساتذته فهاجر إلى المغرب الأقصى، ثم سافر إلى مصر عام ٧٨٤هـ واستقر بالقاهرة لمدة عشرين عاماً وحتى وفاته.

ولقد فسر ابن خلدون نشوء وزوال الدول وفقاً لحتمية تاريخية، حيث يعتقد أن الدول تقوم أساساً معتمدة على قوة الجيل الأول (المؤسس) الذي لديه التصميم والقوة على إقامة الدولة... ثم يلي ذلك الجيل الثاني الذي يتمتع بالاستقرار والرفاهية التي تركها له الجيل الأول.. ثم يأتي الجيل الثالث فينمو نحو الدعة والترهل والافتتان بالماديات فيأخذ البنيان المعنوي في الضعف تدريجياً وتسقط الدولة إما نتيجة الضعف الداخلي أو أمام أعداء أقوياء من الخارج يتربصون بها ويراقبون ضعفها.

وتعتبر تلك النظرية سابقة بكثير على نظريات علماء اجتماع أفذاذ ظهروا فيما بعد في أوروبا مثل أوجست كونت وجون لوك وجان جاك روسو.

ولقد توفي ابن خلدون عام ٨٠٦هـ بالقاهرة تاركاً تراثاً خالداً وفلسفات لا تزول.

٥٩٣ وفاة تيمورلنك وزوال خطر المغول (٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)

تمكن تميورلنك المغولي من وضع اسمه في التاريخ الوسيط كواحد من أكثر القادة دموية وشراسة. فقد حطم كل خصومه وهدد كل أعدائه وكان المسلمون أول ضحاياه.

وقد اتصف تيمورلنك بكل صفات الدهاء، وتميز بسرعة الحركة وخفتها وسيطر على جنده سيطرة مطلقة فتمكن بهم من دحر إمبراطوريات المسلمين في الهند وبلاد ما وراء النهر، وترك الشرق بعد أن هزم أقوى دولتين وهما دولة المماليك (في حلب وحماه) والدولة العثمانية (في أنقره) دون أن يتمكن أحد من وقفه أو تفادي مذابحه.. ولهذا تعتبر وفاة تيمورلنك أواخر عام ٨٠٧هـ انفراجاً للعثمانيين والمماليك على حد سواء، ولكنه كان من صالح الأتراك العثمانيين أكثر حيث أخذوا يوسعون دولتهم في جنوب أوروبا فحطموا الإمبراطورية البيزنطية.. ثم التفتوا جنوباً بعد ذلك ليحطموا دولة المماليك.

٥٩٤ اغتيال الناصر فرج سلطان دولة المماليك (٨١٥هـ/ ١٤١١م)

تسلطن الناصر زين الدين فرج على الدولة المملوكية بعد وفاة أبيه السلطان برقوق وكان طفلاً في العاشرة من عمره، فطمع المماليك بثروة الدولة في مصر والشام حتى ضاق بهم الناصر فرج. وإزاء ذلك الضعف نزل المغول دمشق وخربوها. ولكن المماليك إزدادوا فساداً فترك الناصر فرج عرشه لأخيه ليخلفه وكان صغيراً في السن هو الآخر فثار المماليك من أعوان الناصر فرج عليه وخلعوه وأعادوا الناصر فرج للحكم مرة أخرى. ومع ذلك فشل الناصر فرج في حفظ الأمن والنظام بالبلاد، فغضب من المماليك واستخدم القسوة معهم، فثاروا عليه وأقنعوا الخليفة العباسي المستعين بالله بعزله، فاعتقلوه (بتهمة الفجر والفسق وإمعانه في الملذات) بقلعة في المدينة دمشق، ثم أنهم دخلوا عليه وقتلوه بالخناجر وكان ذلك في شهر صفر من عام ٨١٥ هجرية.

٥٩٥ السلطان محمد الأول يتولى حكم الدولة العثمانية (٨١٦هـ/ ١٤١٣م)

تحطمت جيوش الأتراك العثمانيين وأسر سلطانهم بايزيد الأول من قبل جيوش تيمورلنك، فتصارع أبناء بايزيد على الحكم. ولكن خرج رجل قوي عاقل من الأسرة العثمانية يدعى محمد الأول تمكن من أن يخمد الفتن ويوحد الصفوف ويرفع المعنويات ويعد بتحقيق أمجاد عثمانية جديدة، فاختير سلطاناً

على الدولة العثمانية ودخل القصر السلطاني في مدينة أدرنه (على بعد حوالي مائتي كيلو متر إلى الغرب من مدينة اسطنبول). ويبدو أن تعرض أوروبا لوباء الطاعون جعل الأوروبيين ينشغلون بأمورهم فتسنى للدولة العثمانية إعادة بناء جيشها الذي دحر أمام المغول التتريين.

٥٩٦ البرتغاليون يستولون على مدينة سبتة الاستراتيجية (٨١٨هـ/ ١٤١٥م)

شعر البرتغاليون بمدى ضعف العرب في غرناطة الأندلسية وبالمغرب الأقصى على حد سواء، فقام الملك جون الأول بإرسال ابنه البحار المعروف باسم هنري الملاح بالإبحار بأسطول حربي نزل به على شواطىء مدينة سبتة الهامة وأخضعها بعد تدمير المقاومة فيها، وأقام تحصينات لحوالي ثلاثة آلاف جندي من جنوده للإبقاء على المدينة، ولكي يتخذ منها قاعدة للانطلاق لتوسيع ممتلكاته الجديدة في شمال أفريقيا وخاصة الساحل المغربي.

وقد كانت مدينة سبته تستخدم من قبل المجاهدين المسلمين في شن الغارات على معاقل وقلاع البرتغاليين والإسبان الذين يحاصرون المسلمين في الأندلس ويسومونهم العذاب ويجبرونهم على التنصر.

٥٩٧ اغتيال الملك ططر سلطان دولة المماليك (٨٢٤هـ/ ١٤٢٠م)

بعد اغتيال الناصر فرج سلطان دولة المماليك خلفه في الحكم الخليفة العباسي المستعين بالله نفسه، وهو يعلم أن منصبه الجديد ما هو إلا منصب صوري. وسرعان ما خلعه المماليك وبايعوا المؤيد المحمودي وهو من أمراء المماليك الشراكسة، فغضب من ذلك الأمير نوروز وإلى الشام الذي كان يدافع عن الخليفة العباسي، فقام المؤيد بتدبير خطة انتهت بمصرع نوروز بالشام وتمكن بذلك من بسط نفوذه على الدولة حتى توفي عام ٨٢٤هـ فخلفه ابنه المظفر أحمد وكان طفلاً لم يبلغ العامين. فجاء الأمير ططر وصياً على العرش فأخذ يستبد في حكمه وأجبر أم المظفر أحمد على الزواج منه وخلع ابنها من العرش. فقامت أم المظفر (وكانت شمس خوند سعادات) بتدبير خطة لقتله فمات في شهر ذي الحجة من عام ٨٢٤هـ بعد أن حكم الدولة ثلاثة أشهر.

٥٩٨ المماليك يقتحمون جزيرة قبرص ويأسرون ملكها ويعرضونه في القاهرة (٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م)

أخذت قبرص في الضعف التدريجي بعد اضمحلال قوى جنوب أوروبا بعد ظهور الأتراك العثمانيين. ويبدو أن الهدوء النسبي في مصر والشام مكن السلطان الأشرف برسباي من تجهيز أسطول للسفر إلى قبرص وإخضاعها مرة أخرى للحكم المملوكي فانتصر المماليك على القوات القبرصية وتمكنوا من أسر ملكها والرحيل به إلى القاهرة، فزينت المدينة لذلك الحدث وخرج الناس ليشاهدوا ملكاً من ملوك الأعداء وهو في الأسر.

ولقد كان القراصنة يتخذون من قبرص منطلقاً للهجوم على المدن الساحلية لمصر والشام.

٥٩٩ الطاعون ينتشر في مصر (٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م)

ظهر الطاعون في الديار المصرية في فصل الشتاء - وكان يأتي في فصل الربيع - واستمر لمدة أربعة أشهر متصلة هلك فيها جمع غفير من المصريين والمماليك على حد سواء وإن كان معظم ضحاياه من الأطفال والعزل. وذكر أنه في يوم واحد فقط خرجت جنازة أربعة وعشرين ألف شخص حتى حسب الناس أنهم جميعاً هالكون فأخذوا يبكون ويودعون بعضهم بعضاً.

٦٠٠ موت الخليفة الأشرف برسباي سلطان دولة المماليك (٨٤١هـ/ ١٤٣٨م)

جاء إلى حكم دولة المماليك بعد السلطان ططر ابنه الصالح ناصر الدين وكان طفلاً في الحادية عشرة من العمر وحدثت فتنة بين المماليك تمكن بعدها الأمير برسباي من أن يصبح وصياً على العرش ثم تمكن برسباي من أن يخلع السلطان الصالح ناصر الدين وخلفه في السلطنة وتسمى بالأشرف برسباي، وكان ذلك في ربيع الآخر من عام ٨٢٥ للهجرة. وفي عام ٨٤١هـ وقع الطاعون ولكنه كان أقل فتكاً من الذي حدث عام ٨٣٣ للهجرة، فظهرت علامات الحزن والمرض على الأشرف برسباي ثم أصيب عقله بالخبل فكان يصدر أوامر تدعو للدهشة مثل نقل كل الكلاب إلى البر الغربي للنيل عند الجيزة، ومنع النساء من أن يخرجن من بيوتهم.. واستمرت تلك الأفعال التي

ذكرت المصريين بأفعال الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله إلى أن زاد المرض على السلطان فمات في شهر ذي الحجة عام ٨٤١هـ وكان يبلغ الخامسة والسبعين من العمر.

٦٠١ العثمانيون ينتصرون على المجريين في موقعة قوصوه الثانية (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)

عندما توفي السلطان العثماني محمد الأول كان قد تمكن مِن بناء الدولة العثمانية على أقوى الأسس مرة أخرى. فلما خلفه ابنه مراد الثاني أخذ يخطط مرة أخرى للتوسع في أوروبا. فخشي المجريون تلك الخطط وسارعوا لدعوة الدول الأوروبية لتكوين تحالف عسكري لصد الخطر العثماني وخرجت الجيوش الأوروبية بقيادة المجريين قاصدة هزيمة الجيش العثماني القوي، والتقى الجمعان في موقعة كبرى بالقرب من قوصوه، فهزمت الجيوش الأوروبية وخاصة الجيش المجري الذي فقد آلته الحربية وعشرات الألآف من القتلى والجرحى.

٦٠٢ الإطاحة بالمنصور أبي السعادات سلطان دولة المماليك (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)

بعد وفاة الأشرف برسباي سلطان المماليك خلفه في حكم الدولة ابنه العزيز أبو المحاسن وكان في الرابعة عشر من العمر. ولكن المماليك خلعوه بعد ثلاثة أشهر وبايعوا الأمير جقمق وكان ذلك عام ٨٤٢هـ، وفيه استقرت أحوال الدولة المملوكية استقراراً ملحوظاً حتى مرضه ووفاته في صفر عام ٨٥٧هـ فخلفه ابنه المنصور أبي السعادات الذي أخذت نفقاته على جنده المماليك تقل فاتفقوا على الأطاحة به من الحكم واعتقلوه بسجن الإسكندرية. وكان قائد الانقلاب هو نائب السلطنة الأمير إينال، فاختاره المماليك سلطاناً على الدولة وسموه بالأشرف إينال وكان ذلك في شهر ربيع الأول من عام ٨٥٧ للهجرة.

٦٠٣ السلطان العثماني محمد الفاتح يستولي على السقطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)

حاول العرب كثيراً أن يستولوا على مدينة القسطنطينية عاصمة الدولة

البيزنطية منذ أيام الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان ولكن كل المحاولات انتهت إلى الفشل وذلك لأن المدينة البزنطية ـ وهي من أقدم مدن العالم ـ أحيطت من كل جانب بحصون عالية متتالية بالغة القوة. ولكن الدولة البيزنطية هرمت ودب الصراع في أوصالها وأخذت الدول الكاثوليكية القوية في جنوب وغرب أوروبا تكف عن مساعدتها. . ولم تكن روسيا الأرثوذكسية في القرن الخامس عشر الميلادي من القوة بحيث تستطيع أن تقف ضد الجيش العثماني القوي أو طموحاته. فقام السلطان العثماني محمد الثاني (الملقب بالفاتح لفتحه القسطنطينية) الذي تولى العرش العثماني بعد وفاة أبيه مراد الثاني عام ١٤٥١ ميلادية، بالزحف البري والبحري على المدينة الكبيرة فحاصرها في نهاية عام ١٤٥٢م، وتكررت محاولاته لاقتحامها المرة تلو الأخرى ولكن بدون جدوى. ولكن كان تصميمه على النصر بأي ثمن وبأي خسائر في الجند والسلاح والسفن دافعاً له على تكرار المحاولات. وأخيراً فعل البارود ثغرات في الأسوار السميكة فنفذ منها الجند إلى الداخل وقتلوا الإمبراطور البيزنطي وكان ذلك في ٢٩ مايو عام ١٤٥٣هـ. ولما هدأت المدينة من القتال دخلها محمد الفاتح في رابع يوم لاقتحامها وصلى الجمعة بالمسلمين في كنيسة البيزنطيين الأولى المسماة أيا صوفيا التي أمر الفاتح بتحويلها إلى مسجد ضخم وتحويل المدينة عاصمة كبرى للدولة العثمانية (مدينة اسطنبول اليوم). وتبقى الإشارة واجبة إلى أن سقوط القسطنطينية وزوال الدولة البيزنطية نهائياً ـ بعد أن عاشت ألفي عام ـ ساعد مساعدة مباشرة على إحياء النهضة في أوروبا.

٦٠٤ الأشرف قايتباي يعيد النظام والقوة لدولة المماليك (٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م)

استتب الأمر للأشرف اينال بعد خلع السلطان المنصور أبي السعادات ولكنه كان قاسياً فزاد الظلم وعمت الفوضى البلد فخلعه المماليك بعد حكم دام ثمانية أعوام وجاءوا بابنه المؤيد عام ٨٦٥هـ ثم عزلوه هو الآخر، وأتوا بالظاهر خشقدم فاستمر يحكم البلاد ستة أعوام حتى مات عام ٨٧٢هـ. فجاء إلى حكم الدولة المملوكية من بعده عدد من الأمراء الضعاف وهم الظاهر بلباي، والظاهر تمربغا ـ وإزاء ذلك الضعف المستمر اختار المماليك الأشرف قايتباي ليكون نائباً

للسلطنة. فلما أثبت الظاهر تمربغا فشلاً كبيراً في إدارة الدولة خلعه المماليك فجاء لحكم الدولة الأشرف قايتباي وهو أقوى مماليك دولة الشراكسة منذ ظهور مؤسسها السلطان برقوق.

٦٠٥ انهيار إمبراطورية مالي الإسلامية الكبرى في أفريقيا الغربية (٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م)

أخذت الأحوال المزدهرة في إمبراطورية مالي بوسط وغرب أفريقيا في التدهور بسبب تناوب حكام ضعاف عليها وافتتانهم بالدنيا وسعى من حولهم من أمراء إلى الفساد مما أطمع فيها الممالك الأفريقية المحيطة بها فأخذت تفقد أقسامها الواحد تلو الآخر حتى دخل عاصمتها قبائل الطوارق القاطنة إلى الشمال من مالي وفرضوا عليها ضرائب باهظة. ولكن مملكة سنغاي (جنوب شرق مالي) طمعت في ممتلكات مدينة تمبكتو ومركزها الحضاري، فقام ملك سنغاي (سني علي) بالزحف بجيشه على المدينة واقتحامها وأجرى مذبحة كبرى لسكانها وحاميتها من جنود الطوارق وكان ذلك عام ٨٧٢هـ.. وبذلك انتهت تلك الإمبراطورية المزدهرة التي ظهرت منذ منتصف القرن السابع الهجري.

٦٠٦ ظهور الطاعون بمصر (٨٨١هـ/ ١٤٧٦م)

ظهر الطاعون في شهر رمضان من عام ٨٨١ هجرية، وذلك بمدينة القاهرة ولكنه أخذ يتزايد بشدة في شوال فقضى على أعداد كبيرة من الأطفال والكبار على حد سواء، وكان من شدته أن من كان يصاب به يموت بسببه في نفس اليوم. وفي ذي القعدة أخذ الطاعون ينتشر حتى مات بسببه بعض كبار أعيان الدولة وألفان من المماليك التابعيين للسلطان قايتباي وانتهى الطاعون بنهاية العام.

٦٠٧ أول هزيمة عثمانية أمام مماليك السلطان قايتباي (٨٩١هـ/ ١٤٨٦م)

استمرت العلاقات الطيبة بين دولة المماليك ودولة بني عثمان حتى زوال خطر المغول. ولكن ازدياد قوة الدولة العثمانية وتوسعاتها المستمرة على حساب ولايات جنوب وشرق أوروبا واستيلائها على عاصمة الدولة البيزنطية القسطنطينية، دفع بالعثمانيين إلى مهاجمة دولة السلطان قايتباي. وقد تحجج

الأتراك العثمانيون بأن السلطان قايتباي طمع في هدية من ملك الهند إلى السلطان العثماني. وبالرغم من أن الهدية عادت إلى السلطان العثماني ومعها اعتذار رقيق من قايتباي إلا أن العثمانيين بدأوا في الاعتداء على الشريط الحدودي لدولتهم مع الشام، فاستولوا على قلعة كولك. فقام أمير حلب بمخاطبة قايتباي بضرورة إرسال تعزيزات لصد اعتداءات العثمانيين، فأرسل قايتباي فرقاً من المماليك إلى حلب تمكنت من إيقاع هزيمة كبيرة بالجيش العثماني الذي فقد أربعين ألف جندي من جنوده وأسر قائد الجيش العثماني أحمد بك بن هرسك. وقد احتفلت القاهرة بذلك النصر احتفالاً كبيراً وخرج الرجال والنساء والأطفال لمشاهدة أسرى الأتراك.

٦٠٨ سقوط مدينة مالقة الأندلسية وذبح واستعباد أهلها بيد الإسبان (٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م)

تقع مدينة مالقة الأندلسية إلى الجنوب الغربي من مدينة غرناطة، وتطل على البحر الأبيض المتوسط. ويعتبر سقوطها في يد الملك فرناندو المرحلة الأخيرة التي سبقت سقوط غرناطة وزوال النفوذ السياسي الإسلامي في الأندلس بصفة كاملة. ويبدو أن فرناندو أراد إرهاب أهل غرناطة حتى يستسلموا بدون قتال، فجمع كافة سكان مدينة مالقة وخيرهم بين الاستعباد والقتل. فمن رفض الهوان ذبح، ومن قبل استعبد على أمل الهروب أو النجاة في المستقبل. وقد دمرت كافة مساجد المدينة أو حولت إلى كنائس كاثوليكية.

٦٠٩ هزيمة العثمانيين الثانية أمام مماليك السلطان قايتباي (٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م)

أحدثت هزيمة العثمانيين الأولى أمام المماليك صدمة لدى الدولة العثمانية. ولكن العثمانيين حاولوا مرة أخرى هزيمة المماليك فجمعوا أعداداً هائلة من الجند وزحفوا بها على مقربة من حلب بشمال غرب الشام واستولوا على قلعة إياس فأعد السلطان قايتباي تجهيزات جديدة من المماليك والسلاح وأرسلها على الأسطول المصري فخرجت ستون سفينة حربية عثمانية لمنع السفن المصرية من السفر إلى الشام، ولكن هبت عاصفة على السفن العثمانية فحطمتها. أما من تمكنت من الرسو على شواطىء الشام فقد أسرها المماليك.

وكان لا بد أن تتقاتل الجيوش البرية فدارت معركة ضارية في الثامن من رمضان عام ٨٩٣هـ بين المماليك والعثمانيين هلك فيها الكثير من جنود الطرفين. ولكن كانت النصرة للماليك الذين أسروا أعداداً هائلة من الجند الأتراك وغنموا الكثير من مدافعهم وأسلحتهم ثم زحف المماليك على مدينة أضنه جنوبي تركيا فحاصروها بمن في داخلها من بقايا الجيش العثماني حتى سقطت في أيديهم.

وبالرغم من ذلك الانتصار المصري فقد نضبت خزائن الدولة حتى تذمر المماليك المنتصرون، فهدد قايتباي بالتنازل عن العرش. ولكن الماليك الذين أحبوه تفهموا الأوضاع ولاذوا بالصمت.

٦١٠ توقيع الصلح بين المماليك والعثمانيين (٨٩٦هـ/ ١٤٩١م)

تجمع لدى السلطان قايتباي بعض الأموال نتيجة زيادته للضرائب فأنفقها على المماليك المولجين بصد هجمات الجيش العثماني على حلب. ويبدو أن إعلان قايتباي عن قيامه بقيادة الجيش المملوكي وتوجهه إلى حلب، قد شجع المماليك الموجودين هناك على مهاجمة أراضي الدولة العثمانية ذاتها. فوصلوا إلى قيسارية، وماونده ودحروا الحاميات العثمانية هناك. ولكن القضاة الأربعة في مصر منعوا قايتباي وأقنعوه بالبقاء لتنظيم شؤون الدولة. ثم قام المماليك بمعركة أخرى ضد العثمانيين واستولوا منهم على قلعة كواره.. وإزاء تلك التهديدات أرسل السلطان العثماني مندوباً عنه إلى القاهرة وهو الشيخ علي حلبي فاجتمع به قايتباي واحتفى بمقدمه ووافقه على إنهاء العدواة بين الدولتين المملوكية والعثمانية، على أن يقوم كل جانب بإطلاق سراح الأسرى وتسليم القلاع التي سقطت في أيدي كل منهما. وبهذا انتهت حالة الصراع بين المماليك والعثمانيين على عهد السلطان قايتباي فسرعان ما عم الرخاء مصر والشام.

٦١١ قيام إمبراطورية سنغاي الإسلامية غربي أفريقيا (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م)

بعد دخول قوات الملك (سني علي) ملك سنغاي عاصمة إمبراطورية مالي وهي (تمبكتو) أخذ على مدى سنوات متتالية في إخضاع العديد من الممالك الضعيفة المحيطة به فسيطر على منطقة نهر النيجر وعلى مناطق (جنى) و (باتنجا) و(الموش) بجنوب غرب مالي. ثم عمل على ترسيخ أركان تلك الإمبراطورية

الواسعة وأخذ في بناء المساجد والمدارس ونشر الإسلام بين قبائل الزنوج المنعزلة. وقد توفي (سني علي) عام ٨٩٧هـ مخلفاً وراءه دولة فتية مزدهرة.

٦١٢ حصار غرناطة وسقوطها (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م)

لما أخذ الإسبان في التضييق على مملكة غرناطة تمكنوا من أن يوقعوا النزاع بين خلفاء علي بن الحسن، فسقط الجزء الغربي من غرناطة ثم تلاه الجزء الشرقي، فزحف الإسبان تجاه المدينة وفرضوا من حولها الحصار. وأرسل فرديناند رسله إلى قادة غرناطة يطالبهم بإعلان الاستسلام فرفضوا وكان يتزعمهم موسى بن أبي الغسان. فنزل جيش إسباني قوامه خمسة وعشرون ألف جندي وفارس إلى مزارع وبساتين غرناطة وأخذ يخربها حتى لا يجد المسلمون ما يأكلونه.. ثم أرسلت إيزابيلا (ملكة إسبانيا) جيشاً ضخماً آخر قوامه خمسون ألف جندي أخذ يقاتل المسلمين المتحصنين في القلاع والحصون القليلة الباقية لهم فظهرت آيات عظيمة من آيات البطولة والدفاع عن الدين والشرف والممتلكات حتى خارت القوى وانتهى العزم وخمدت أنفاس المقاومة ولم يكن هناك طريق ثان إلا الاستسلام. ويعتبر سقوط غرناطة في يد الإسبان خاتمة محزنة للوجود الإسلامي بها والذي استمر بدون انقطاع قرابة الثمانية قرون. وبفقدها المحزن هذا طويت صفحة من تاريخ المسلمين دون فيها بكل وضوح أن الافتتان بالدنيا والتنعم برغد عيشها ومحالفة الأعداء ضد الإخوان والثقة في الواشين، كلها تؤدي لا محالة إلى فقد الحضارة وتضييع جهود الأجداد العظام الذين عملوا بإخلاص دون كلل أو ملل على نشر نور الإسلام في ربوع الأرض. ولقد احتفلت كل دول أوروبا احتفالات غير مسبوقة بإنهاء إسبانيا للنفوذ السياسي الإسلامي في الأندلس.. ونظر الأوروبيون كافة لإسبانيا على أنها الدولة الأوروبية الوحيدة التي تمكنت من تحقيق ما لم تتمكن سبع حملات صليبية على الشرق العربي من تحقيقه.

٦١٣ معاهدة تسليم غرناطة للإسبان (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م)

بعد قيام الإسبان بتشديد الحصار حول مدينة غرناطة ـ آخر مدينة إسلامية في الأندلس ـ اجتمع العلماء والفقهاء والقادة في قصر الحمراء واتفقوا

على التسليم فاختاروا الوزير أبا القاسم عبد الملك لمفاوضة ملك إسبانيا فرديناند. واستمرت المفاوضات بين الجانبين وقتاً طويلاً حيث وافق الطرفان على ما سُمي بمعاهدة تسليم غرناطة، تلك المعاهدة التي تضمنت سبعة وستين بنداً وهي بذلك من أطول المعاهدات التي وقعت بين المسلمين والأوروبيين. وقد كان أهم تلك البنود: أن تبقى كافة مساجد المسلمين كما هي لا تمس بسوء، وأن لا يدخل النصارى دار مسلم إلا بإذنه وأن يبقى كل مسلم في أرضه وأن يأمن كل المسلمين صغاراً وكباراً على أنفسهم وأموالهم وأهلهم وأن لا يُولى على المسلمين شخص من النصارى، وأن يتمتع المسلمون بممارسة شعائر دينهم وأن لا يحمل أي مسلم أية علامة تميزه عن غيره من النصارى واليهود، وأن لا يدفع المسلمون ضرائب أكثر مما كانوايدفعونه أيام دولتهم، وأن يكون لهم حق السفر والتنقل في كل أنحاء إسبانيا وأن لا يقهر أي مسلم على دخول الديانة النصرانية.

٦١٤ آخر ملوك غرناطة المسلمين يغادرها ذليلاً باكياً (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م)

خرج أبو عبد الله بن أبي الحسن من قصر الحمراء الفاخر بغرناطة حاملاً مفاتيح مدينته الزائلة فسلمها إلى إيزابيلا وفرديناند بينما كان يبكي.

لقد كان أبو عبد الله هو المفرط في آخر حصون المسلمين بالأندلس، حيث وقف متخاذلاً أمام الإسبان، بل أخذ في مقاتلة عمه أبي عبد الله الزغل حتى يصير مُلك غرناطة له فتحالف مع الإسبان لهزيمة عمه وخير قواده فقتل بسبب ذلك آلاف من الرجال الذين كانوا قادرين على منع إندثار ملك المسلمين بتلك البلاد.. ولكنه الطمع وقصر النظر وتفضيل المصلحة الخاصة على المصلحة العامة. فخرج من الأندلس مهاناً بعد زوال ملكه.. فلما رأته أمه يبكي قالت له:

أبكِ مثل النساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال

٦١٥ الوباء يقتل مائتي ألف مصري (٨٩٧هـ/ ١٤٩٣م)

ظهر الطاعون في شهر جمادى الأولى من عام ٨٩٧ هجرية بعد أن

ظهرت بوادره في حلب بسبب الجثث التي خلّفها القتال مع العثمانيين. وفي جمادى الآخرة انتشر بسرعة في القاهرة ففتك بأهلها فتكاً مروعاً حتى أنه بنهاية شهر رجب بلغ عدد من مات به مائتي ألف إنسان حتى بدت الديار خالية من أهلها. واستمر الموت واقعاً بسبب ذلك حتى شهر صفر من عام ٨٩٨هـ.

ولقد أهلك الوباء كذلك العدد الكبير من جند المماليك وخاصة في معسكراتهم، كما مات بسببه زوجة السلطان قايتباي وابنته.

٦١٦ استيلاء البرتغاليين على أسرار الملاحة العربية (٨٩٨هـ/ ١٤٩٤م)

بعد المذابح التي تعرض لها المسلمون في إسبانيا والبرتغال تمكن اليهود هناك من سرقة أسرار الملاحة العربية البالغة التقدم في الأندلس. فتمكن بها البحارة الإسبان والبرتغال من عبور المحيط الأطلنطي واكتشاف العالم الجديد (أمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية).. وبالرغم من ذلك فقد كان أحد أشهر البحارة البرتغاليين، وهو فاسكو دي جاما، يحاول الوصول إلى الهند عبر رأس الرجاء الصالح ولكنه عجز عن ذلك فلجأ إلى استخدام الخداع وسافر إلى ميناء (ماليندي) وهو ميناء عربي في شرق أفريقيا حيث قابل ملك ماليندي الذي عرفه بدوره إلى البحار العربي الكبير ابن ماجد وتمكن من نصب فخ لخداعه حيث عرض عليه مفتخراً ببعض الأدوات الملاحية البرتغالية فسخر منها ابن ماجد وأخرج له خرائط وأدوات الملاحة العربية فذهل منها دي جاما ولكنه خشي أن يظهر مشاعر حقده.. فعرض على ابن ماجد أن يسافر معه ليريه كيف يصل إلى الهند بطرق الملاحة العربية... ولما كان ابن ماجد عربياً كريماً فلم يشك في نوايا البرتغالي الشريرة، فاصطحبه إلى الهند حيث وصلا إلى ميناء كلكتا بالهند وكان يديره المسلمون. وبهذا انتقلت أسرار الملاحة العربية المتقدمة إلى الأوروبيين ولم يمض عام واحد حتى أبحرت السفن البرتغالية المسلحة بالمدافع لكي تحتل بالبارود أهم المراكز الإسلامية في المحيط الهندي حيث لم يكن للعرب إيديولوجية استعمارية ـ كما هو الحال مع الأوروبيين ـ للسيطرة على البحار والمحيطات إذ كانوا يستخدمون البحار من أجل الرزق والتجارة. وبهذا بدأ عصر السيطرة الأوروبية على العالم الإسلامي. إذ سرعان

ما عادت السفن البرتغالية لتدمر دولة الملك ماليندي الذي كان قد أمر ابن ماجد بمساعدة دي جاما.

٦١٧ الإسبان ينقضون معاهدة غرناطة ويجبرون المسلمين على التنصر

(٨٩٩هـ/ ١٤٩٤م)

نقض حكام إسبانيا كافة البنود التي أقسموا على احترامها في معاهدة تسليم غرناطة، وضربوا مثلاً سيئاً على كيفية قيام الأوروبيين بنقض المعاهدات. فقد قاموا على مراحل بنقض البنود وساعدهم على ذلك ظهور محاكم التفتيش وانتصار العثمانيين المتعاقب في الشرق، فأخذوا يضطهدون المسلمين في الأندلس ويحرقون مساجدهم ويدمرون أراضيهم ومنازلهم ويخطفون أبناءهم وبناتهم ويجبرونهم على التنصر قسراً.

٦١٨ وفاة السلطان قايتباي زعيم دولة المماليك (٩٠١هـ/ ١٤٩٦م)

يندر أن نلاحظ سلطاناً لدولة المماليك الشركسية استمر حكمه على مدى ثلاثين عاماً متصلة حافظ فيها على تماسكها وقوتها فنعمت ولايات الدولة بالسكينة والأمن والرفاه، مثلما نلاحظ في سلطنة الأشرف قايتباي صاحب القلعة التاريخية المشهورة القائمة حتى اليوم بغرب مدينة الإسكندرية. فقد ساس دولته أحسن سياسة وهزم كل أعدائه الذين حاولوا زعزعة الاستقرار في الشام مثل فتنة الأمير سوار وأخوته والتي انتهت بأسره وإعدامه في القاهرة(٨٧٧هـ). وكان قايتباي يعامل مماليكه بالرحمة والتفهم إذا ما أحسنوا معاملة المصريين، وبالعقاب إذا ما أفسدوا مثلما فعل مع وزير ماليته برهان الدين النابلسي الذي كان يسرق من مال الدولة فأمر بضربه وإعدامه (٨٨٢هـ)، فانتظمت شؤون البلاد حتى أنه كان يسافر إلى مدن الشام ويغيب عن مصر لمدة أربعة أشهر فلا يحدث فيها اضطراب أو تمرد. وفي الثلث الأخير من حكمه هاجمته الجيوش العثمانية فهزمها هزائم شديدة متتالية وحافظ على سلامة مصر والشام حتى توفي في الثامن من ذي القعدة من عام ٩٠١ هجرية. . فأخذت دولة المماليك الشركسية تتهاوى من بعد ذلك، وكان عمره عند وفاته خمساً وثمانين سنة.

٦١٩ إجبار المسلمين على التنصر في إسبانيا (٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م)

بعد خروج ثلث مليون مسلم من إسبانيا بقي هناك من لم يجد وسيلة لنقله إلى شمال أفريقيا، وادعى التنصر خوفاً من بطش النظام القمعي في إسبانيا. ولكن الكثير من المسلمين بقي مسلماً وأخذ يمارس شعائر الإسلام سراً. فنُمِيَ إلى علم الديكتاتور فرناندو ملك إسبانيا ذلك الأمر فطرد المسلمين إلى الجبال حتى تأكلهم الوحوش أو يموتوا جوعاً أو يستعبدهم الإسبان. فصاروا هائمين على وجوههم أو متخفين في القرى نظير رشاوى يدفعونها.. ولا يمكن القول بأن المسلمين قد دخلوا في الكاثوليكية بأي حال من الأحوال ولكن الثابت أن القرار الذي اتخذته الملكة إيزابيلا صنّف كل مسلم يبقي بإسبانيا (ذكر أن عددهم كان نصف مليون مسلم) ولا يرحل إلى شمال أفريقيا بأنه كاثوليكي. وهناك فرق واضح بأن يتم تنصير المسلم بقانون وبين أن يتنصر بإرادته وطوعه وهذا ما لم يحدث حتى لو صورته كتب التاريخ الإسباني أو البرتغالي القديمة أو الحديثة منها على حد سواء. فالمسلم كان ولا يزال من أكثر الناس تمسكاً بدينه وعقيدته مهما كلفه ذلك.

٦٢٠ إعلان التنصير القسري لأهل الأندلس المسلمين (٩٠٤هـ/ ١٤٩٩م)

نسي الإسبان ما أقسموا على الالتزام به في معاهدة تسليم غرناطة لهم عام ١٤٩٢م.. فلم تمض سنوات قليلة على توقيعها إلا وأصدرت محاكم التفتيش الإسبانية تعاليم مشددة للكاردينال سيسيزوس لإحكام القبضة الحديدية على المسلمين بإسبانيا والعمل السريع على إجبارهم على الكثلكة (أي أن يصبحوا نصارى كاثوليك). فتم تحويل مسجد غرناطة الجامع إلى كاتدرائية وأحرقت المصاحف وكتب التفسير والعقيدة والفقه الإسلامية وطورد المسلمون في كل مكان وأخذوا بالعنف لكي يرتدوا عن الإسلام.

٦٢١ اغتيال الظاهر قانصوه سلطان دولة المماليك (٩٠٥هـ/ ١٥٠٠م)

خلف الملك الناصر أبو السعادات أباه السلطان الأشرف قايتباي ولم يكن له دراية بالحكم والسياسة إلا أن المماليك ناصروه وبايعوه حباً منهم لأبيه وسيرته. ولقد فشل الناصر في ملءِ الفراغ الذي خلفه قايتباي فطمعت الأعراب

في قرى مصر وعاث المماليك بالمصريين فساداً وظلماً، ولم يتمكن الناصر من جعل الأمن مستتباً فزادت الفتن والاضطرابات حتى هاجمته جماعة من المماليك وقتلوه بالسيوف في ربيع الأول من عام ٩٠٤هـ بعد أن أمضى حوالي ثلاثة أعوام في الحكم وبايعوا الأمير قانصوه. ولكن مماليك الناصر أحزنهم مصرعه فثاروا في وجه السلطان قانصوه ودارت معارك متفرقة انتهت باغتيال قانصوه فخلفه الملك الأشرف أبي النصر جانبُلاط.

٦٢٢ قيام الدولة الصفوية في فارس (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م)

جاء قيام الدولة الصفوية بعد احتلال فارس من قبل المغول، نتيجة ظهور داعية شيعي يسمى صفي الدين الأردبيلي، وبالرغم من أنه لم يكن شيعياً بالمعنى المعروف إلا أن من أتى بعده أدخل الفكر الشيعي على الدولة حتى تأسست عاصمة لهم في أذربيجان عام ٩٠٦هـ وأصبح مذهبهم الرسمي هو المذهب الشيعي الإمامي الإثني عشري (نسبة إلى الإثني عشر إماماً أحفاد السيدة فاطمة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه) الذي دعم إيديولوجية الدولة فتوسعت في مجمل أراضي فارس أما المؤسس الحقيقي للدولة الصفوية فهو إسماعيل الصفوي الذي وضع للدولة شعار السيف والقلم والدعوة.

ولقد ساعد على الانتشار السريع لفكرة الدولة الصفوية انشغال العثمانيين في منطقة جنوب شرق أوروبا (البلقان) والتفاف الشيعة من حول إسماعيل الصفوي الذي أخذ يشكل بدولته خطراً متزايداً على العثمانيين والمماليك على حد سواء، فقام بالتوسع غرباً تجاه العراق والشام وكانت هذه الخطوة غير مدروسة سياسياً أو تاريخياً. فمذهب الشيعة مذهب له أتباع قليلون في العالم العربي، ثم إن العثمانيين كانوا يتمتعون بالإرادة والقدرة بحيث يمكنهم وقف التوسع الصفوي، وهذا ما حدث فيما بعد. (انظر عام ٩٢١هـ موقعة جالديران).

٦٢٣ السلطان الغوري يحكم دولة المماليك (٩٠٦هـ/ ١٥٠١م)

جاء في حكم دولة المماليك الشركسية بعد اغتيال الظاهر قانصوه أربعة سلاطين اتسم حكمهم بالضعف والقسوة فانتشرت الفتن بين المماليك مما أدى

إلى عزلهم للسلطان الأشرف أبي النصر وسجنه بالإسكندرية بعد أن حكم ستة أشهر.. ولما جاء الملك العادل طومان باي (الأول) وكان قاسياً شرساً كثرت المؤامرات عليه حتى حاصره المماليك من أعدائه عندما بلغهم أنه ينوي قتلهم فدخلوا القلعة لقتله ولكنه تمكن من الفرار بعد أن أمضى في الحكم عدة أشهر فبايع المماليك الأمير الأشرف أبي النصر قانصوه الغوري.. وذلك في أول شوال من عام ٩٠٦ للهجرة. ولقد استمر الغوري يبحث عن طومان باي خوفاً من بطشه حتى تمكن من اعتقاله في ذي القعدة من عام ٩٠٦هـ وقام مملوك يدعى أرزمك بقطع رأسه وأمر الغوري بدفنه.

٦٢٤ البرتغال تجبر المسلمين على ترك دينهم (٩٠٧هـ/ ١٥٠٢م)

أخذ البرتغاليون يضطهدون المسلمين الذين فروا من الاضطهاد والتعذيب في إسبانيا. وصدر عام ٩٠٧هـ أمر من الكنيسة الكاثوليكية بمطاردة كل مسلم وإجباره على الارتداد عن الإسلام والدخول في الكثلكة.. فتشتت المسلمون في البقاع والجبال هرباً بدينهم وأرواحهم من الاضطهاد، واستطاع بعضهم الإبحار سراً إلى شمال أفريقيا.

٦٢٥ ثورة الأندلسيين الأولى في إسبانيا (٩٠٧هـ/ ١٥٠٢م)

قامت ثورة الأندلسيين الأولى الكبرى ضد الظلم الذي أوقعه بهم الحكم الملكي الإسباني (الملكة إيزابيلا) المتعصب حيث أخذت تنقض بنود معاهدة غرناطة عمداً بنداً بنداً، حتى ضاق المسلمون بالمظالم وخرجوا في ثورة كبرى من جبال البشرة، والجبل الأحمر فأحاطوا بالجنود الإسبان وأمطروهم بالحجارة من أعلى الجبال حتى قتلوا منهم المئات بما فيهم أكبر القادة الإسبان مثل فرانسيسكو أرميز والفونسو أجوليير.. فما أن بلغ إيزابيلا ذلك حتى أرسلت جيشاً كبيراً حاصر الجبال بمن عليها من الثوار إلى أن جاع الثوار وأشرفوا على الهلاك فخمدت الثورة التي استمرت قرابة العامين وانتهت بموافقة الإسبان على رحيل المسلمين إلى المغرب.

٦٢٦ رحيل ثلاثمائة ألف مسلم من الأندلس إلى شمال أفريقيا والشام

(٩٠٧هـ/ ١٥٠٢م)

بعد إخماد ثورة الأندلسيين في غرناطة أصدرت إيزابيلا ملكة إسبانيا قراراً يجبر كافة مسلمي الأندلس إما بالدخول في الكاثوليكية أو بالرحيل النهائي (بدون الممتلكات الذهبية والفضية) خارج إسبانيا. وقد كانت إيزابيلا بهذا القرار تدافع عن النزعة الصليبية المتعصبة التي انتشرت في أوروبا لطرد أعداء الدين (أي المسلمين) خارج إسبانيا. وفي خلال عدة أسابيع قدر عدد المسلمين الذين تركوا الأندلس (وهي أرض آبائهم وأجدادهم على مدى تسعمائة سنة) بحوالي ثلاثمائة ألف مسلم رحلوا منها إلى بلدان المغرب الأقصى والأوسط ومصر والشام.. وترك المسلمون خلفهم المساجد والمدارس والمكتبات الإسلامية فقام الإسبان بهدمها أو بحرقها أو بتحويلها إلى كنائس تتدلى الصلبان من قمم مآذنها.

٦٢٧ فتنة الجازاني والاعتداء على سكان مكة المكرمة (٩٠٨هـ/ ١٥٠٣م)

ظهر متمرد يسمى الجازاني نجح في تجميع عصابات الأعراب في الحجاز وهجم بهم على مدينة مكة المكرمة في منتصف شهر شعبان من عام ٩٠٨هـ. وكان سبب ذلك أن ابني أمير مكة ويدعيان الجازاني وبركات قد تحاربا فانهزم الأول فحاول الأخذ بثأره وقام بتجميع الأعراب وهاجم المدينة وقتل من سكانها الأبرياء سبعمائة إنسان.. ثم هاجم الجازاني قائد الحامية العسكرية المصرية هناك (تاني بك الجمالي) وقتله ثم أخذ يهاجم قرى مكة واحدة بعد الأخرى حتى هرب سكان المنطقة إلى مصر.

ولم يحدث بمكة مثل ذلك إلا أيام القرامطة (انظر عام ٣٤٧هـ). فأرسل السلطان الغوري فرقة من المماليك للبحث عن الجازاني فلما لم تعثر عليه فاعتقلوا أخوته وأرسلوهم إلى القاهرة في ربيع الأول عام ٩٠٩هـ واستمر البحث عن الجازاني حتى وجده المماليك وأعدموه في شهر شعبان من عام ٩٠٩ للهجرة.

٦٢٨ إسبانيا تحتل ميناء المرسى الكبير أهم موانىء الجزائر (٩١٠هـ/ ١٥٠٥م)

تشكل هزيمة الموحدين في الأندلس أمام الدول الأوروبية المتحالفة في موقعة العقاب، بداية النهاية الحقيقية لزوال الحكم الإسلامي في الأندلس. فما أن تم للإسبان دخول غرناطة حتى سارع الملك الإسباني فرديناند في تحقيق مطامعه ومطاردة المسلمين في شمال أفريقيا، فأرسل أسطولاً قوياً عام ٩١٠هـ تمكن به من تدمير البحرية الإسلامية في ميناء المرسى الكبير، وكان أهم ميناء في المغرب الأوسط واحتله، وضمن بذلك عدم قيام المسلمين هناك من التصدي لأطماعه في شمال أفريقيا.

٦٢٩ حرق الألآف من الكتب والمخطوطات الإسلامية في غرناطة (٩١٣هـ/ ١٥٠٨م)

عرف أهل غرناطة المسلمون بأنهم أفضل من يصنعون الكتب ويغلفونها في كافة أنحاء أوروبا. وبعد سقوط غرناطة قام الكاردينال زمنيز بالتنبيه على كل سكان غرناطة المسلمين بتسليم ما في حوزتهم من كتب ومخطوطات وإلا فسيتعرضون لأشد التنكيل.

وفي خلال أيام قليلة توفر لدى زمنيز الألآف من كتب المسلمين في كافة صنوف المعارف، فاستخلص منها كل ما يمكن أن يستفيد به الإسبان في بث النهضة العلمية والحضارية وجمع المخطوطات والكتب الأخرى وأشعل فيها النيران وكانت بمئات الألآف حتى غطت المدينة سحابة كثيفة سوداء تشهد بزوال أقْيَم المعارف الخاصة بتراث الأندلس الإسلامي ولا يمكن وصف ما فعله الإسبان بتلك الثروة الحضارية إلا أنه عمل بربري خال من المسؤولية ويفتقد الحس الإنساني السليم.. وللأوروبيين الذين يحلو لهم وصف العرب اليوم بأنهم لا يقرؤون أن يتذكروا أن العرب تملكوا في مكتبة قرطبة وحدها في القرن العاشر الميلادي ما يقرب من نصف مليون كتاب ومخطوط.. وهذا كان السبب في أنهم تمكنوا من بناء حضارة مزدهرة. أما الإسبان في القرن السادس عشر فكانوا يحرقون الكتب والمخطوطات العربية والإسلامية دون أن يكون لهم هم أنفسهم أي مكتبات ترتقي بشأنهم فليس عجيباً إذن أنهم فشلوا في إقامة حضارة

تبقى على مر الزمن. هذا.. وكان قد تم إحراق تلك الثروة المعرفية البالغة القيمة في ميدان عام بغرناطة يسمى باب الرملة وقاد عملية الإحراق مندوبون عن ملك إسبانيا ورهبان من الكاثوليك.

٦٣٠ إسبانيا تحتل مدينة وهران بشمال أفريقيا وتذبح أهلها (٩١٤هـ/ ١٥٠٩م)

لم يكن بالمغرب الأوسط (الجزائر اليوم) من قوات نظامية كافية أو قادرة على وقف التوسع الإسباني في الشاطئ الأفريقي، مما جعل الإسبان يرسلون حملة بحرية كبيرة تجاه مدينة وهران المزدهرة واحتلالها. ولكن سكان المدينة هبوا للدفاع عنها فما كان من الإسبان إلا أن دمروا المدينة بالمدافع وقاموا بذبح ما يزيد عن أربعة آلاف من الأبرياء العزل وأسروا ثمانية آلاف آخرين وخربوا وأحرقوا مسجدين من مساجد المدينة الإسلامية.

وقد كان ذلك الهجوم الإسباني من تخطيط الكاردينال زمنيز أسقف إسبانيا المقرب من الملك فردناند ملك إسبانيا. وبعد ستة أعوام من تاريخ سقوط وهران قام زمنيز بتأسيس محكمة تفتيش بغرض محاربة المسلمين بالمدينة وهي بذلك سبقت حتى تلك المحكمة التي تأسست بغرناطة (انظر عام ٩٣٣ هجرية).

٦٣١ موقعة ديو البحرية بين المماليك والبرتغاليين (٩١٥هـ/ ١٥٠٩م)

عندما تمكن الأسطول البرتغالي من إخضاع جزيرة سوقطره الواقعة بالقرب من الخليج العربي عام ١٥٠٦ ميلادية، فتحت للبرتغاليين أبواب السيطرة على الخليج العربي وتهديد التجارة العربية هناك بل أنهم هددوا مدينة جدة القريبة من مكة المكرمة التي كانت تحت النفوذ المملوكي. فسارع السلطان الغوري بإرسال حملة بحرية إلى المنطقة فتقابلت مع الأسطول البرتغالي المتفوق في موقعة ديو عام ٩١٥ هجرية، فأغرقت سفن الحملة المملوكية وحلت بها الهزيمة مما كان له الأثر الكبير لدى الغوري بأن لا يكرر ذلك الخطأ، فمكن البرتغاليين من بسط نفوذهم على منطقة هرمز الاستراتيجية.

ولقد استمرت سيطرة البرتغاليين على الخليج عقوداً طويلة حتى تحالف

الفرس مع الأسطول البريطاني فهزموا البرتغاليين عام ١٦٢٢م.. فانتقلت السيطرة على الممر لبريطانيا.

ويبدو أن الأسطول المملوكي قد تم إغراقه عن آخره ونهبت سفنه بكاملها فلم يعد منه أحد.

٦٣٢ البرتغاليون يسيطرون على الخليج العربي (٩١٥هـ/ ١٥٠٩م)

تمكن البرتغاليون من الإسراع بعمليات الاستكشاف الجغرافية حتى اكتشفوا طريق رأس الرجاء الصالح والوصول إلى الشرق من خلاله ومحاصرة التجارة العربية الإسلامية ومنعها من الازدهار وبالتالي الإسراع بتخلف الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمسلمين. وقد تمكن البرتغاليون من فرض نفوذهم البحري على إمارة هرمز التي كانت أهم ميناء في الشرق وسميت بالفردوس المفقود حيث أجبر المسلمون على دفع جزية سنوية.

ولقد ظهرت محاولات إسلامية لفك ذلك الحصار البحري البرتغالي القوي كان أهمها حملة المماليك البحرية التي هُزمت في موقعة ديو البحرية وبعدها أخذت أطماع البرتغاليين تظهر في الأراضي العربية الواقعة غرب الخليج العربي.

٦٣٣ الأسبان يستولون على مدن هامة أخرى بشمال أفريقيا (٩١٦هـ/ ١٥١٠م)

لم يكتف الأسبان والبرتغاليون بنقض بنود معاهدات تسليم غرناطة واضطهاد المسلمين في اسبانيا والبرتغال، بل سارع ملك أسبانيا العنصري الدموي فردناند بغزو موانىء شمال أفريقيا الهامة مستغلاً قوة أساطيله من ناحية وضعف المسلمين في تلك النواحي من جهة أخرى. فقد تمكن من احتلال ميناء المرسى الكبير ثم احتل مدينة وهران (عامي ١٥٠٥ و ١٥٠٨ ميلادية على التوالي).. ثم احتل مدينة بجاية عام ١٥١٠ فبسط بذلك نفوذه على مناطق طويلة من الساحل الأفريقي القريب من أسبانيا.. ومع ذلك أخذ يطمع في مدينة طرابلس على أمل الانقضاض منها على مصر (أنظر سقوط طرابلس عام

٩١٦هـ). ولما أحس سكان شمال أفريقيا بضعفهم دعوا العثمانيين الأقوياء لمساعدتهم.

٦٣٤ الأسبان يستولون على طرابلس الغرب (٩١٦هـ/ ١٥١٠م)

أصبح شمال أفريقيا بالكامل - عدا مصر - عرضة لغزو السفن والأساطيل الغربية خاصة من قبل أسبانيا والبرتغال اللتين تخلصتا من الوجود الإسلامي بالأندلس. ولما كانت طرابلس الغرب تحت النفوذ المملوكي، فإنها نجت لبعض الوقت من الاحتلال الأسباني، ولكن لما أخذت دولة المماليك في الضعف قامت السفن الأسبانية بمحاصرة المدينة واحتلالها وبناء سور حجري من حولها ليتمكن الأسبان من الدفاع عنها. ولا زالت آثار ذلك السور باقية حتى اليوم في بعض مناطق المدينة.

ولكن الأسبان تنازلوا عن المدينة إلى جنود وفرسان القديس يوحنا بجزيرة مالطة، فمكثوا فيها حتى أخرجهم الأتراك العثمانيون منها عامم ١٥٥١م. ويبدو أن هدف الأسبان من احتلال طرابلس هو الانقضاض منها على مصر لقطع طريق التجارة البري الذي أخذ العثمانيون يسيطرون عليه تدريجياً ولكنهم - أي الأسبان - فشلوا في ذلك.

٦٣٥ سليم الأول يعتلي عرش الأمبراطورية العثمانية (٩١٨هـ/ ١٥١٢م)

توفي السلطان محمد الفاتح بعد أن نشر الرعب في وسط أوروبا، وأنهى وجود الدولة البيزنطية، ولكن سرعان ما بدأ النزاع بين أبنائه على الحكم، فسارعت الدولة الصفوية الشيعية في إيران في مساعدة الشيعة في آسيا الصغرى ليقوموا بثورة ضد العثمانيين ولكن سليم الأول تمكن من السيطرة على العرش العثماني، وقمع ثورة الشيعة في بلاده مما حدا بالصفويين في إيران إلى إعلان غضبهم على السلطان العثماني وطالبوا شعبه بإسقاطه. ومن الأمور التي تدعو للدهشة قيام السلطان الغوري بمصر بإعلان الحداد في مصر على وفاة السلطان العثماني وإصدار أوامره بتأدية صلاة الغائب عليه، في حين أنه سيلقى حتفه على أيدي ابنه سليم الأول بعد ذلك بأربعة أعوام!

٦٣٦ موقعة جالديران بين الدولتين العثمانية والصفوية (٩٢١هـ/ ١٥١٤م)

تعتبر موقعة جالديران نهاية أكيدة لرغبة الدولة الصفوية في التوسع ونشر المذهب الشيعي في العراق والشام وآسيا الصغرى. فقد تطلع الشاه إسماعيل الصفوي في فرض سيطرته على العراق الذي يضم مدناً لها تاريخ شيعي كبير مثل كربلاء والنجف وكان مراد بن يعقوب حاكماً للعراق في ذلك الوقت فاستنجد بالعثمانيين في الأناضول وبالمماليك في مصر، فخشي العثمانيون من أن يذهب المماليك إلى العراق ويضموه لمصر والشام فيهددون الخلافة العثمانية... ثم حدثت التدخلات الصفوية إلى جانب الشيعة في آسيا الصغرى، فسارع سليم الأول بالتصدي للتوسع الصفوي وتقابل مع جيوشهم في موقعة جالديران الكبرى (وهي بأرض فارس بالقرب من تبريز) فهزم الصفويين هزيمة قاسية تراجعوا بعدها إلى دولتهم وتناسوا مبدأ التوسع الشيعي. وقد أخضع العثمانيون بلاد كردستان وديار بكر وكانت تابعة للصفويين مما أظهر مشكلة الأكراد في تلك البلاد التي انقسمت إلى قسم يتبع العثمانيين والآخر يتبع الصفويين. وكما رأينا، فقد حدثت تلك المعركة بين قوتين إسلاميتين كبيرتين بينما كان الأوروبيون يجوبون البحار لمحاصرة المسلمين والقضاء على دولهم وأمجادهم.

٦٣٧ ثورة المماليك في مصر على السلطان الغوري (٩٢١هـ/ ١٥١٤م)

أخذت دولة المماليك الثانية في الضعف التدريجي بسبب عجز المماليك الواضح عن التطور والأخذ بسبل الحضارة الحديثة التي كانت قد بدأت طريق الازدهار في أوروبا. ولما حاول السلطان الغوري تكوين فرق جديدة من المماليك تستطيع القتال بالبنادق والمدافع، ورفض المماليك المتزمتون والمرتبطون بفكرة القتال بالسيف والحصان ذلك وثاروا ثورة عارمة ضد السلطان الغوري فهاجموا القلعة (وكانت مقر الحكم) وأخذوا في النهب والسلب حتى عمت البلاد الفوضي وضاع منها الأمن والنظام.

وقد أدت تلك الثورة إلى إضعاف وضع السلطان الغوري ـ حتى بعد نجاحه في اخمادها ـ في الداخل والخارج معاً ـ مما أعطى العثمانيين الذين

زادت قوتهم بعد انتصارهم على الصفويين في الشرق، فرصة الزحف على الشام وكان تحت النفوذ المملوكي المصري.

٦٣٨ العثمانيون يسيطرون على بغداد (٩٢١هـ/ ١٥١٤م)

تسبب الاحتلال المغولي للعراق في تدمير الخلافة العباسية في بغداد، وتفسخ البنيان السياسي هناك حتى تحولت العراق إلى فوضى بسبب نزاع الأسر والقبائل، فشرع الشاه إسماعيل الصفوي في تهديد العراق مما جعله يقف أمام الجيش العثماني القوي ويلقى الهزيمة منه في موقعة جالديران.

وقد نتج عن تلك المعركة فتح العراق أمام دخول القوات العثمانية فسيطرت على مجمل المدن العراقية بما في ذلك بغداد، وإن ظل قطاع البصرة الجنوبي تحت الهيمنة الإيرانية.

٦٣٩ موقعة مرج دابق بين العثمانيين والمماليك (٩٢٣هـ/ ١٥١٦م)

عندما أحس العثمانيون بضعف دولة المماليك في مصر والشام، وجهوا كل جهدهم بالوقوف موقفاً سلبياً إزاء خطر الصفويين الشيعة، وأنهم عبيد يباعون ويشترون، وقد أثر ذلك بكل تأكيد على بعض المقربين من السلطان الغوري، فانضموا إلى معسكر العثمانيين مما زاد من ضعف الغوري.

وبالرغم من ذلك، فقد زحفت جيوش العثمانيين والمماليك نحو الشام، فخرج الغوري بنفسه على رأس جيش المماليك وخرج السلطان سليم الأول على رأس جيش العثمانيين... وتقابل الخصمان عند مرج دابق بالشام (قرب مدينة حلب السورية)... وفي تلك المعركة التي انتهت بهزيمة المماليك ومصرع السلطان الغوري، اتضح أن سبب الهزيمة يرجع إلى خيانة أحد قادة المماليك ويدعى خاير بك الذي انسحب بمماليكه كاشفاً بذلك الفرق المملوكية الأخري فوقعت بها الهزيمة... كذلك كان السبب الثاني للهزيمة هو اختلاف مفهوم القتال بين المماليك والعثمانيين.. حيث كان المماليك يقاتلون بالسيف والرمح، والسهم، بينما استخدم العثمانيون المدافع والبنادق والديناميت.

ومهما كان الأمر، فقد سيطر العثمانيون على الشام بهذا الانتصار...

ولكن كان هناك خطوة أخيرة لهدم دولة المماليك نهائياً.. فقرر سليم الأول الزحف نحو مصر.

٦٤٠ طومان باي يحكم المماليك في مصر (٩٢٣هـ/ ١٥١٦م)

بعد مصرع السلطان الغوري في موقعة مرج دابق بالشام، وذيوع ذلك الخبر في مصر، تجمع من تبقى من أمراء المماليك وبايعوا طومان باي الذي كان من أخص مماليك الغوري وأخلصهم له بالإضافة إلى كونه ابن أخ الغوري ولكنه لم يسافر معه لمقاتلة بني عمثان حتى يدير شئون البلاد فأحسن للناس فأحبوه والتفوا من حوله.

ويعتبر طومان باي آخر سلاطين دولة المماليك بمصر حيث خلفه الأمراء العثمانيون الذين دخلوا مصر عام ٩٢٣هـ.

٦٤١ معركة الريدانية والاحتلال العثماني لمصر (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)

ضاعت أغلب جيوش المماليك في معركة مرج دابق. ومن بقي منهم في مصر لم يكن مدرباً على الأسلحة النارية التي يستخدمها بنو عمثان. وكانت خزائن مصر خاوية من المال، والروح المعنوية لدى العامة منخفضة بنتيجة الهزيمة ومصرع الغوري، زحف سليم الأول بجيوشه على مصر، وأرسل رسله مهددين طومان باي إذا ما هو أبدى أية مقاومة. فرفض طومان باي الإنذارات وخرج يقود المماليك دفاعاً عن السلطنة المصرية. فتقابل الجيشان بالقرب من الريدانية حيث حوصر الماليك وأبيدوا بالرصاص وقذائف المدافع.. واعتقل طومان باي وشنق فوق باب زويلة أحد أبواب مدينة القاهرة فبقي معلقاً به ثلاثة أيام ثم أنزلوه ودفن في مدرسة السلطان الغوري.

وبهذا طويت صفحة دولة المماليك الثانية في مصر والشام وحلت محلها دولة بني عثمان.

٦٤٢ مذبحة جماعية لأمراء المماليك في مصر (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)

بعد أن عاث الأتراك العثمانيون في مصر فساداً حتى ذكر أن أهل مصر لم يعيشوا شدة مثلما عاشوا مع دخول الأتراك القاهرة، أخذ بنو عثمان يبحثون

عن المماليك في كل مكان، حتى خرجت نداءات عثمانية باعطاء الأمان لكل أمراء المماليك المتخفين. فخرج الأمراء تباعاً حتى بلغ عددهم ثمانمائة أمير وقائد مملوكي فجمعهم العثمانيون أمام السلطان سليم الأول الذي أمر بقطع رقابهم جميعاً وتعليقها في حبال تعلق بدورها في الصواري الموجودة بجوار النيل.

وهكذا بدأ الأتراك العثمانيون حكمهم لمصر بالسرقة والنهب والقمع وإعدام الخصوم والتمثيل بجثثهم.

٦٤٣ العثمانيون ينهون الخلافة العباسية (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)

دخل العثمانيون القاهرة ومكثوا فيها حتى أستتب الأمر لهم.. ثم اعتقلوا الخليفة العباسي المتوكل على الله الموجود بالمدينة (حيث كان السلطان بيبرس قد سمحح للخلافة العباسية بالحكم من القاهرة) وأرسلوه إلى مدينة القسطنطينية التي اتخذها سليم الأول مقراً لدولته الواسعة وهناك أجبروه على التنازل النهائي غير المشروط للسلطان سليم الأول. وبهذا انتهت الدولة العباسية التي ظلت تحكم العالم الإسلامي منذ عام ١٣٢ للهجرة

٦٤٤ العثمانيون يسيطرون على الحجاز (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)

بعد اسقاط الخلافة العباسية التي كانت تحكم من مصر، سارع العثمانيون بمد نفوذهم إلى الحجاز وخاصة مكة والمدينة حتى ترتفع قيمتهم الروحية في العالم الإسلامي كله. ويبدو أن مخاطر الأساطيل البرتغالية التي كانت تجوب البحار العربية، كانت كفيلة باقناع شريف مكة (أبو البركات) بأن يدخل في حماية العثمانيين. فهم أولاً وأخيراً مسلمون سنة، ولا ضرر من أن يحموا الحرمين الشريفين.

فلما كان الحجاز خاضعاً من الناحية الإدارية لمصر على زمن المماليك، ولما انتهت دولة المماليك في مصر وخلفها العثمانيون، أرسل شريف مكة ابنه وولي عهده إلى السلطان العثماني سليم الأول والذي كان بمصر فقدم له الولاء والتحالف، ومنذئذ والحجاز تحت النفوذ العثماني.

وقد تلقب السلطان العثماني بلقب خادم الحرمين الشريفين ذلك اللقب الذي كان حكراً على سلاطين المماليك الأقوياء في مصر.

ولقد نجح العثمانيون في تدمير بعض قطع البحرية البرتغالية بالقرب من ميناء جدة فسيطروا بذلك على البحر الأحمر.

٦٤٥ النفوذ العثماني في الجزائر (٩٢٤هـ/ ١٥١٨م)

انقسم شمال أفريقيا إلى دويلات صغيرة تتزعمها أسر أو قبائل تتصارع أو تتحالف مع الوجود الأسباني المحيط بها.

وعندما ظهر القائد البحري العربي (عروج) أخذ يبذل كل جهده من أجل طرد الأسبان من مدن الجزائر، فتمكن من تحرير مدينة الجزائر عام ١٥١٦م، ولكنه قتل عام ١٥١٨م بالقرب من تلمسان بواسطة الأسبان، فخلفه شقيقه خير الدين الذي سارع بالتحالف مع العثمانيين فأمدوه بحملة من الجند العثمانيين وأخذ يضعف بهم الوجود الأسباني في تلمسان حتى توفي عام ١٥٤٦م فخلفه ابنه حسن باشا الذي تمكن من إخضاع تلمسان عام ١٥٥٠م.

وبالرغم من ذلك لم تكن الجزائر خاضعة للنفوذ العثماني المباشر مثلما كان الحال مع مصر والشام والحجاز.

٦٤٦ الأساطيل الأوروبية تقصف بيروت (٩٢٥هـ/ ١٥١٩م)

إن تلك الحادثة المروعة أتت بعد انتصارات العثمانيين المدوية في البلقان ومد نفوذهم إلى مناطق بعيدة في الجزيرة العربية ومصر وشمال أفريقيا. وقد شعر الأوروبيون أن الدولة العثمانية قد باتت قادرة على هزيمتهم في البر في أي موقعة.. فحاولوا استخدام أساطيلهم المتفوقة الحاملة للمدافع الثقيلة في قصف بيروت (العاصمة اللبنانية اليوم) حتى يردعوا العثمانيين عن أي توسعات جديدة. ولقد أدى قصف بيروت إلى تدمير أساطيل كانت تحت النفوذ العثماني في الشام، ثم تمكن الأوروبيون بعد ذلك من السيطرة على الملاحة بشرق البحر المتوسط مما أضعف حركة التجارة بين دمياط في مصر ومدن الشام.

٦٤٧ طرد الوجود الإسباني من مدينة الجزائر (٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م)

تمكن خير الدين - وهو من أصل أوروبي دخل الإسلام وعاش في الجزائر - من إقناع سكان الجزائر بضرورة الدخول في النفوذ العثماني حتى تسلم الجزائر من السيطرة الإسبانية. . فسر السلطان سليم الأول العثماني من ذلك ومنح خير الدين لقب الأمير وزوده ببعض الجند والفرسان والمدافع، فقام خير الدين بتدمير حصن بينون الذي كان قد بناه الإسبان على مقربة من مدينة الجزائر ليستمروا في السيطرة عليها (وكان ذلك عام ١٥١٠م) وقاتل الإسبان من حول المدينة وداخلها حتى أنهى نفوذهم. وبهذا تجمع الإسبان في مدينة بجاية واستمروا بها بدون خطر على ولاية الجزائر حتى أخرجوا منها عام ١٥٥٥م.

٦٤٨ ذبح المسلمين في مدينة بلنسية الواقعة تحت النفوذ الإسباني. (٩٢٧هـ/ ١٥٢١م)

اندلعت ثورة من سكان مدينة بلنسية ضد ملك إسبانيا كارلوس، ولم يجد الملك وسيلة غير أن يرسل آلافاً من جنده لقمع الثورة فأحرق مزارع ومتاجر وأحياء الثائرين. ولم يجد الثائرون الإسبان سوى حي المسلمين بالمدينة فاقتحموه وأخذوا في ذبح المسلمين ونهب ممتلكاتهم، ولم يعر كارلوس المسلمين الذين يذبحون اهتماماً بالرغم من وعوده لهم بالحماية طالما يدفعون له الرشاوى ويرسلون إليه الهدايا. . بل سارع بعد ذلك بالموافقة على تنصير مسلمي المدينة قسراً لكي يثبت أركان حكمه.

وبالرغم من ذلك فإن حروب كارلوس ضد فرنسا أجبرته بعد عام واحد من تلك المذبحة على التنازل عن العرش لابنه فليب الثاني.

٦٤٩ البرتغاليون يستولون على مجمل شواطىء المغرب الأقصى (٩٢٧هـ/ ١٥٢١م)

تسارعت حملات البرتغال في إخضاع المدن والموانىء والشواطىء المراكشية (المغرب الأقصى) بفضل قربهم منها وتمتع أساطيلهم بالمدافع وخفة الحركة. ففي عام ١٤٧١م قامت حملة كبيرة من السفن البرتغالية على متنها ثلاثون ألف جندي باحتلال شواطىء منطقة أرزيلا الواقعة على المحيط

الأطلنطي وأخذوا يتوسعون جنوباً وشمالاً حتى سيطروا على مجمل الشاطىء المراكشي الواقع على المحيط الأطلنطي وحتى مضيق جبل طارق بحلول عام ١٥٢١م. ويبدو أن تلك السيطرة البرتغالية لم تكن فقط تهدف إلى الانتقام من المسلمين في شمال أفريقيا، ولكن كذلك لاستلاب أفكارهم وعلومهم وخاصة الجغرافية والملاحية مما مكن البرتغاليين من السيطرة ـ بفضل التجار العرب ـ على مناطق القبائل الأفريقية السوداء الثرية الواقعة إلى الجنوب من الصحراء العظمى.

وكان البرتغاليون قد سيطروا على مدينة أجادير بالمغرب الأقصى عام ١٥٠٤م.

٦٥٠ وفاة المؤرخ المصري الكبير ابن إياس (٩٣١هـ/ ١٥٢٤م)

هو أحد أشهر المؤرخين لتاريخ مصر في العصور الوسطى. ويعود أصله إلى أسرة مملوكية عريقة. ولد في القاهرة عام ٨٥٢هـ وعاش حتى انهيار دولة السلطان الغوري الذي هزم أمام الأتراك الثعمانيين.

ولمحمد بن أياس كتب عديدة لعل أشهرها كتاب: «بدائع الزهور في وقائع الدهور» الذي كتبه عن تاريخ مصر منذ العصور الإسلامية الأولى وحتى دخول الجيوش العثمانية مصر... ولكنه ركز تركيزاً واضحاً على شرح أحوال مصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية إبان مجمل عصر المماليك منذ أسس دولتهم الأولى السلطان برقوق وحتى نهاية دولتهم الثانية.

ولقد توفي ودفن بالقاهرة.

٦٥١ قيام محكمة التفتيش الإسبانية في غرناطة (٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م)

قامت أول محكمة تفتيش في غرناطة والتي أمر بها ملك إسبانيا كارلوس بهدف التحري عن صدق من تنصر اسماً من المسلمين.

وبتأسيس تلك المحكمة البشعة أجبر كل المنتصرين بعدم استخدام اللغة العربية وعدم الصلاة والصيام أو التسمي بأسماء عربية أو الدعاء بأدعية الإسلام أو دفن الموتى وفقاً لشريعة الإسلام. وأجبروا على شرب الخمر وأكل لحم

الخنزير والميتة وعدم ختان الذكور ودفن موتاهم وفقاً للطقوس الكاثوليكية.

ويعتبر ذلك العمل الشنيع وصمة عار في تاريخ أوروبا ومن وافقوا عليه ومن شرعوا في تطبيقه.

ومن العار على دولة كإسبانيا أن تقهر المخالفين في العقيدة.. في حين أن المسلمين لم يقوموا أبداً في عصور سبقت ذلك بقرون طويلة باضطهاد المخالفين لعقيدتهم.

٦٥٢ إحراق أول مجموعة من مسلمي الأندلس في غرناطة (٩٣٦هـ/ ١٥٢٩م)

تطورت أعمال القمع ضد المسلمين الذين ادعوا التنصر، فلم يسلم بيت من بيوتهم من الجواسيس والوشايات والأحقاد. وبالرغم من قيام المسلمين بدفع رشاوى عديدة لمن بيدهم الأمر في إسبانيا إلا أن التاريخ قد سجل لنا مصير أول ضحايا المسلمين الذين اتهمهم عمال محاكم التفتيش بعدم التنصر الكامل. فحكمت تلك المحكمة القمعية على أول مجموعة من المسلمين بالحرق على أعواد الحطب المشتعل وهم أحياء في ساحة من ساحات مدينة غرناطة. وفي الحقيقة فإن تلك الحادثة المروعة إنما استخدمت من أجل قمع المسلمين في كل أنحاء إسبانيا، وبهذا أصبحت الرشاوى منفذاً لكل مسلم للفرار بدينه وحياته من الاضطهاد الكاثوليكي.

٦٥٣ الصفويون يحتلون العراق (٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م)

لم تكن هزيمة الدولة الصفوية في جالديران هزيمة كاملة بمعنى أنها لم تؤد إلى انهيار الدولة الصفوية انهياراً كاملاً.. ولكنها حدت من توسعها في الغرب على حساب العثمانيين. ومع هذا ففي كل مرة كان العثمانيون ينشغلون في أوروبا، كان الصفويون يعاودون التوسع، ويهددون العراق حتى تمكنوا من احتلال العراق بمساعدة الشيعة في الجنوب العراقي عام ٩٣٦ للهجرة فبقوا هناك خمسة أعوام متتالية.

٦٥٤ العثمانيون يعاودون السيطرة على العراق (٩٤١هـ/ ١٥٣٤م)

استمر حكم الصفويين بالعراق حتى ظهر السلطان العثماني القوي سليمان باشا القانوني الذي استجاب لصرخات الاستغاثة التي كان السنة يرسلونها للعثمانيين نتيجة تعرضهم للاضطهاد من الصفويين الشيعة. فجهز جيشاً كبيراً سار به نحو بغداد وطارد الصفويين حتى حدود دولتهم وتمكن بذلك من استعادة العراق ـ عدا قطاع البصرة ـ الذي دخل في النفوذ العثماني عام ١٥٤٦ ميلادية. . . وبهذا وصل العثمانيون إلى الخليج العربي ليواجهوا الخطر البرتغالي المتصاعد (انظر تفاصيل أخرى عام ٩٥٣هـ).

٦٥٥ العثمانيون يعدمون حاكم عدن شرف الدين الزيدي (٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م)

لم تكن عدن سهلة الخضوع للعثمانيين فقد خرجت الأوامر العثمانية إلى سليمان الخادم الوالي العثماني في مصر لتسيير حملة تخضع عدن. ولما وصل الأسطول هناك وجد العثمانيون صعوبة في إقناع شرف الدين الزيدي بالتعاون معه فلجأ سليمان الخادم للحيلة للتخلص من عدوه، فهيأ له وليمة أحاطه فيها بسبل الاحترام ثم أمر بعض خاصته باعتقال ضيفه وقتله شنقاً. ولقد انتشرت أخبار ذلك الغدر في أرجاء المنطقة العربية ففقد الناس الثقة في العثمانيين.

٦٥٦ العثمانيون يصلون إلى الخليج العربي (٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م)

انتشر العثمانيون في أرجاء العراق منذ عام ٩٤١هـ، مما جعلهم يستشعرون الخطر من سيطرة الأساطيل البرتغالية الاستعمارية على الخليج العربي، والإمارات والممالك الإسلامية الواقعة عليه وخاصة في الناحية الغربية منه. فسارعوا بمد نفوذهم على مناطق العراق الجنوبية حتى دخلوا مدينة البصرة والمناطق الصحراوية إلى الجنوب منها عام ٩٥٣هـ. كذلك قام العثمانيون بمد نفوذهم على مناطق جديدة بشرق الجزيرة العربية المطلة على الخليج العربي، فتمكنوا بذلك من السيطرة على الضفة الغربية للخليج وحماية تلك المناطق من خطر الأسطول البرتغالي.

٦٥٧ اليمن يدخل تحت الحكم العثماني (٩٥٨هـ/ ١٥٥١م)

عندما رأى العثمانيون أن دخولهم البصرة لم يعد كافياً لدحر النفوذ

البرتغالي في مدخل الخليج العربي، سارعوا بمد نفوذهم إلى اليمن الذي سيمكنهم بلا جدال من إلغاء قيمة الوجود البرتغالي في الخليج العربي، فموقع اليمن الفريد في جنوب العالم العربي سيقوي من موقف الدولة العثمانية. ولهذا سارع العثمانيون بإرسال حملات عسكرية من مصر تمكنت بصعوبة من الاتفاق مع الزيديين باليمن لمواجهة الخطر البرتغالي.

وبالرغم من ذلك لم يستمر الوجود العثماني باليمن لفترة طويلة.

٦٥٨ العثمانيون يحتلون ليبيا (٩٥٨هـ/ ١٥٥١م)

احتل الإسبان جانباً هاماً من ليبيا منذ عام ١٥١٠ ميلادية فساموا أهل ذلك القطر العربي الشقيق العذاب حتى لم يجد الليبيون، إلا العثمانيين بمصر ليطلبوا منهم التدخل وطرد الإسبان.

فقام السلطان سليمان القانوني بإرسال حملة عسكرية يقودها مراد أغا الذي خرج من مصر بطريق البر حتى وصل إلى مدينة تاجوراء، وانتظر هناك حتى أرسل السلطان أسطولاً كبيراً حاصر مدينة طرابلس واقتحمها وطرد الإسبان منها.. فكان مراد أغا بذلك هو أول والٍ عثماني على ليبيا.

٦٥٩ قيام دولة السعديين بالمغرب الأقصى (٩٦١هـ/ ١٥٥٤م)

انهارت دولة المرينيين بسبب تصارع أبنائها مع بعضهم البعض، فتمكن الشيخ محمد الأول ـ وهو زعيم قبيلة بني وطاس ـ من أن يفرض نفوذه على المغرب الأقصى لعدة سنوات. ولكن بني وطاس أنهكتهم حروب البرتغال والأسبان الذين احتلوا بعض مناطق الساحل المغربي وخاصة مدينة سبته الاستراتيجية. وإزاء ذلك الخطر ظهرت قوة جديدة يرأسها رجل من المتصوفين وهو عبد الله بن سعد الذي يرجع أصله ـ كما ذكر ـ إلى الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، فتمكن من تنظيم صفوف قواته والتصدي للخطر البرتغالي وتأسيس دولة جديدة سميت دولة السعديين نسبة إلى مؤسسها.

٦٦٠ فيليب الثاني ملك إسبانيا يصدر مرسوماً يقضي بحظر الشعائر الإسلامية في إسبانيا (٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م)

خضع الملك فيليب الثاني ملك إسبانيا لمشورة مستشاريه المتعصبين من

أجل العمل على تنصير المسلمين الذين يعيشون في إسبانيا، فأصدر مرسوماً يقضي باعتبار كل منازل مسلمي إسبانيا مفتوحة بلا أبواب لكي تظهر أفعال ومسلك من بداخلها من المسلمين الذين ادعوا التنصر. وهدمت الحمامات التي كان المسلمون يستخدمونها للوضوء، ومنع استخدام اللغة العربية بأي صورة من الصور، ومنع أي (متنصر) من الوقوف ووجهه للشرق (حيث قبلة المسلمين بمكة المكرمة)، وأن تتم كل مراسم الزواج والولادة والدفن أمام ممثلي الكنيسة الكاثوليكية. وبالرغم من هذا المرسوم حافظ المسلمون على دينهم، ولكنهم - تحت أعين الجواسيس أو الخونة - كانوا يقتربون يوماً بعد يوم من الثورة على الطغيان.

٦٦١ العثمانيون يسيطرون على تونس (٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م)

كانت تونس الواقعة تحت الاحتلال الإسباني بسبب ترحيبها بالمسلمين الفارين من المذابح في إسبانيا، تتوق إلى التحرر مما دفع رجلاً قوياً هو خير الدين كان له أسطول حربي نشط استخدمه بدعم العثمانيين في ليبيا من الشرق والجزائر من الغرب في محاصرة الوجود الإسباني في تونس وطردهم منها. وبهذا فرض العثمانيون نفوذهم على تونس.

٦٦٢ تشتيت المسلمين في بقاع إسبانيا (٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م)

كانت قوة العقيدة الإسلامية التي بقيت راسخة في قلوب المسلمين هي الدافع القوي الذي جعلهم يثورون ضد الاضطهاد والتعسف الذي مارسته معهم محاكم التفتيش الإسبانية فلم يتمكن الإسبان أبداً من إنهاء الوجود الإسلامي حتى ضاق المجلس الملكي الإسباني (تحت قيادة الملك فيليب الثاني) بهم فأصدر فرماناً في يونيو من عام ١٥٦٩ ميلادية بتشتيت المسلمين في كافة البقاع الإسبانية حتى يذوبوا بين الإسبان وأخرج المسلمون من ديارهم وأرضهم وممتلكاتهم ليوزعوا على سبع مراكز في إسبانيا سيراً على الأقدام وتحت حراسة الجنود المدججين بالسلاح وأدوات العقاب فمات منهم الألآف قبل أن يجبروا على الإقامة في القرى الصغيرة حتى يكونوا أقلية ضعيفة أمام جيرانهم القساة. وأجبرت كل أسرة مسلمة على أن تعيش بعد التنصير في منازل مفتوحة حتى يرى

الإسبان ما إذا كانت تلك الأسرة تمارس أ ء ممارسات إسلامية. وقد قدر عدد من تم تشتيته من المسلمين بما لا يقل على ٣٥ ألف مسلم. ومع ذلك لم يقض الإسبان على الإسلام أبداً في إسبانيا.

٦٦٣ صدور المرسوم الثاني بترحيل كل سكان غرناطة المسلمين وتوزيعهم على مدن وقرى إسبانيا (٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م)

استخدم فيليب الثاني ملك وديكتاتور إسبانيا قضية مسلمي إسبانيا كورقة ضغط للانتقام من الأتراك العثمانيين الذي طردوا قواته من شمال أفريقيا وهددوه في كل مكان بالبحر المتوسط. ولهذا فلم تمض عدة أشهر على قرار ترحيله وتشتيته الأول لمسلمي الأندلس، حتى سارع بإصدار قرار آخر في نوفمبر من عام ١٥٧٠م بطرد كل السكان المسلمين من مملكة غرناطة وتوزيعهم قسراً على مدن وقرى إسبانيا وكان من بقي منهم هناك حتى ذلك الوقت حوالي خمسين ألفاً. ولما خلت غرناطة من المسلمين تحولت سريعاً إلى أفقر بقاع إسبانيا. فالمسلمون كانوا يتميزون بالمهارة والجد والاجتهاد.. أما وقد أخرجوا من ديارهم وصودرت أراضيهم وأملاكهم فلم يتمكن الإسبان من إدارة الاقتصاد في تلك الأراضي فغدت خاوية على عروشها.

٦٦٤ الأساطيل الأوروبية تهزم الأسطول العثماني في موقعة ليبانتو (٩٧٨هـ/ ١٥٧١م)

عندما أخذ الأوروبيون يجوبون البحار والمحيطات منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي، تطورت لديهم بسرعة أساليب قتال بحري جعلتهم يسيطرون على طرق التجارة العالمية بما فيها البحر الأبيض المتوسط. وبالرغم من أن العثمانيين كانوا قد وضعوا أيديهم على كل الساحل الشرقي والجنوبي لذلك البحر إلا أن الأوروبيين خرجوا للأتراك من موانىء البندقية الإيطالية وأوقعوا بالإسطول العثماني هزيمة كبيرة في موقعة خليج ليبانتو جنوب اليونان عام ١٥٧١م) وكان قائد الأسطول الأوروبي الأمير دون جون.

وفي الحقيقة فقد تمكن الأوروبيون بعد عصر النهضة من تجديد بنيانهم السياسي والفكري مما مكنهم من إحراز سبل التقدم السريع على العكس من

الشرق العربي الذي ما أن تمكن الأتراك منه إلا وأخذوا به إلى قاع التخلف الذي لا زالت أثاره باقية حتى اليوم.

٦٦٥ فيليب الثاني ملك إسبانيا يصدر مرسوماً يقضي بإباحة سبي نساء المسلمين وصيد رؤوس الرجال (٩٧٩هـ/ ١٥٧١م)

أمر الطاغية فيليب الثاني في نهاية عام ١٥٧٠م وبعد أن قمع ثورة وغضب المسلمين، أمر جنوده بذبح نساء وأطفال المسلمين فتحولت ميادين مدن غرناطة إلى مذابح لرقاب المسلمين علناً على يد القائد الإسباني الدموي ريكوينس. وكان الجند يخرجون النساء والأطفال من منازلهم ويذبحون جماعات علناً أمام ذويهم، ثم تحرق المنازل والمتاجر وتحرق الأراضي وتقطع الأشجار. أما من اختفى من الأزواج أو الأبناء أو الآباء من رجال المسلمين فقد أمر الملك بتسيير فرق خاصة لصيد رؤوسهم ـ كما كان الإسبان يفعلون مع الهنود الحمر في مستعمراتهم في العالم الجديد ـ واستخدمت وسائل تعذيب شتى أغلبها خصص لتقطيع لحم الضحايا وحرقه وتمزيقه حتى الموت. وقدر بذلك عدد ضحايا المسلمين بما لا يقل عن عشرين ألفاً. أما من بقي منهم في غرناطة فقد تم استعباده!!

٦٦٦ المغرب ينتصر على البرتغال في معركة وادي المخازن (٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م)

بعد أن تمكن العثمانيون من بسط نفوذهم على مجمل مناطق شمال أفريقيا وربطها بعاصمتهم الإستانة.. وجدوا أن في المغرب الأقصى رجل عربي قوي هو المنصور السعدي الذي تمكن من إثبات أنه قادر على صد نفوذ البحرية البرتغالية المدعمة بالأسطول الإسباني وبالتالي فهو غير مضطر إلى طلب الحماية العثمانية. وتعتبر معركة وادي المخازن البحرية التي انتصر فيها المغاربة على الأسطول البرتغالي هي السبب الأهم في عدم إقدام العثمانيين على السيطرة على المغرب الأقصى. فقد كانت هزيمة البرتغاليين الكبيرة في تلك المعركة مؤلمة لهم حتى أنه لم تمر عشرة أعوام إلا وقامت الأساطيل البريطانية بعد أن علمت

بضعف البحرية البرتغالية، بتدمير البحرية الإسبانية في البحر المتوسط ليبدأ عصر الهيمنة البريطانية.

٦٦٧ العثمانيون يسيطرون على مقديشيو ويبعدون الخطر البرتغالي (٩٩٤هـ/ ١٥٨٦م)

بعد أن سيطر العثمانيون على العالم العربي وجدوا أن العديد من حدوده مهدد بالخطر الاستعماري البرتغالي، فقام قائد بحري عثماني هو علي بك بتكليف من السلطنة العثمانية (السلطان مراد الثالث) بالإبحار من مصر تجاه مقديشيو - عبر البحر الأحمر - وتقابل هناك مع الحكام المحليين المسلمين الذين أبدوا ترحيبهم بالحكم العثماني الذي سيبعدهم عن الخطر البرتغالي. وسرعان ما بسط العثمانيون نفوذهم على شرق أفريقيا (مقديشيو ولامو وبراوا) حيث سارع العثمانيون بتحصين الشواطىء ضد أي هجمات برتغالية. ومن المعروف أن شرق أفريقيا كان نقطة إتصال استراتيجية للبحرية البرتغالية في ما بين الهند والمملكة البرتغالية.

٦٦٨ قوات المغرب الأقصى تعبر الصحراء الكبرى لتنهي إمبراطورية سنغاي غربي أفريقيا (١٠٠٤هـ/ ١٥٩٥م)

أرسل المنصور الذهبي حاكم المغرب الأقصى جيشاً كبيراً بقيادة رجل برتغالي يدعى جودر، وذلك للسيطرة على طرق التجارة واكتشاف مناجم الذهب التي كثرت عنها الأخبار. وكان عبور الصحراء الكبرى مهلكاً للجيش المغربي فهلك الكثير من الجند. وبالرغم من ذلك تمكن جودر من الوصول إلى مملكة سنغاي الأفريقية فتقابل مع قوات سنغاي وحطم مقاومتهم مستخدماً المدافع والبنادق التي لم تكن معروفة في تلك المناطق في ذلك الوقت، ودارت المعركة في منطقة تسمى (شنديبي). وبالرغم من لجوء حاكم سنغاي وجنده إلى أسلوب حرب العصابات إلا أن الانتصار كان حليف الجيش المغربي، فثار جند سنغاي على ملكهم أسكيا فطاردوه حتى قتلوه. ومن ثم زحف المغاربة تحت قيادة رجل مغربي يدعى ابن زرقون (بعد تغيير قيادة جودر) على المدن الهامة في سنغاي فاحتلوا تنبكتو وجنى جاو، حيث كان خروجهم فرادى خارج تلك المدن إلى

الغابات يعرضهم للقتل أو الاختطاف. وبحلول عام ١٥٩٥م انتهت الحرب وطويت صفحة إمبراطورية سنغاي.

٦٦٩ انهيار دولة السعديين بالمغرب الأقصى (١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م)

بالرغم من الاضطهاد الواسع النطاق الذي تعرض له المسلمون في إسبانيا والبرتغال، إلا أن حاكم الدولة السعدية بالمغرب الأقصى كان يحالف الإسبان والبرتغاليين لكي يستمر حكمه بالمغرب الأقصى. ولم يكن موقفه هذا يرضي المغربيين الذين تألموا من العذاب الذي يسلط على المسلمين وسلبية حاكمهم. فلما مات المنصور الذهبي انهارت دولة السعديين بسبب الصراعات والانقسامات الداخلية التي فتت في عضد الدولة.

٦٧٠ تمرد بالعراق علي الحكم العثماني يتم إخماده (١٠١٧هـ/ ١٦٠٨م)

كانت بغداد - ومنذ السيطرة العثمانية على العراق عام ١٥٣٤م - أهم الولايات لما لها من تاريخ وموقع جغرافي، فقام العثمانيون بإرسال العديد من الجنود الانكشارية لحفظ الأمن وجمع الضرائب ومعاونة الوالي العثماني.

ولقد أدى طول بقاء الجند الانكشارية في بغداد إلى ازدياد قوتهم وطموحاتهم حتى تمكنوا من عزل الوالي العثماني والسيطرة على البلاد وهزيمة حملة عسكرية عثمانية أرسلت لإخماد فتنتهم التي بدأت عام ١٠١٤هـ، مما جعل الخلافة العثمانية تقلق من استمرار وانتشار التمرد فسارعت، بعد ذلك بأربعة أعوام بإرسال جيش كبير تمكن من هزيمة الانكشارية والسيطرة على بغداد.

٦٧١ قرار بترحيل مائة وثلاثين ألف مسلم من إسبانيا لشمال أفريقيا (١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م)

ضاقت السلطات الإسبانية من زيادة عدد مسلمي مملكة بلنسية (بشرق إسبانيا) وصمودهم بها وتعاونهم السري والعلني فيما بينهم على إزعاج السلطات الإسبانية، فصدر قرار ملكي (في سبتمبر ١٦٠٩م) بترحيل مائة وثلاثين ألف مسلم من بلنسية إلى شمال أفريقيا. ولقد تم تنفيذ ذلك القرار بالقوة حيث حرم

المسلمون من أملاكهم ومتاعهم وأموالهم ومنقولاتهم ورحلوا عبر السفن ليلقوا على شواطىء أفريقيا بدون مأوى أو طعام أو شراب ولقد استمرت عملية الترحيل القسري ستة أعوام متتالية.

٦٧٢ قرار بترحيل مائتي ألف مسلم من مملكة أراجون الإسبانية (١٠١٩هـ/ ١٦١٠م)

تقع مملكة أراجون الإسبانية في شمال شرق إسبانيا على الحدود مع فرنسا. ولقد قامت تلك المملكة الإسبانية بتقليد ما فعلته مملكة بلنسية من طرد المسلمين منها.. حيث صدر مرسوم ملكي في أبريل من عام ١٦١٠م بطرد جميع مسلمي تلك المملكة. فتم تجميع المسلمين من قراهم وقرى أجدادهم لكي يتم ترحيلهم إلى شمال أفريقيا تاركين خلفهم ممتلكاتهم وتاريخهم.

ولم يتوقف أمر ترحيل المسلمين بالأندلس - بعد كل الأساليب لردهم عن دينهم - على ممالك غرناطة وأراجون وبلنسية بل أنه شمل مجمل مناطق إسبانيا والبرتغال. ويقدر إجمالي من تم إخراجهم من ديارهم هناك من نصف مليون إلى ثلاثة ملايين مسلم. ولكن عدد من وصل منهم إلى مناطق المهجر في شمال أفريقيا والمناطق التابعة للنفوذ العثماني في جنوب أوروبا يقدر بحوالي ربع مليون شخص.. بينما مات أو قتل أو غرق ما لا يقل عن ستين ألف شخص أما الباقون فقد هاجروا إلى فرنسا وإيطاليا وبلدان العالم الجديد (أمريكا الشمالية والجنوبية). وقد تمت جميع تلك الترحيلات القمعية في عهد ملك إسبانيا فيليب الثالث. ولقد أدت تلك السياسات إلى تفريغ إسبانيا من كتلة سكانية نشطة اقتصادياً مما انعكس تدريجياً إلى تخلف إسبانيا تخلفاً كبيراً عن بقية دول أوروبا.

٦٧٣ انجلترا بالتحالف مع إيران تنهيان الوجود البرتغالي في منطقة هرمز الاستراتيجية (١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م)

يرجع الوجود البرتغالي في منطقة هرمز إلى عام ١٥٠٩م عندما هزموا الأسطول المصري المملوكي في موقعة ديو البحرية. ولكن ظهور الأطماع

البريطانية في المنطقة وتصارع إيران الشيعية مع تركيا السنية، جعل بريطانيا تسارع بإنشاء شركة الهند الشرقية عام ١٦١٢م بدعم من إيران. وعندما تمكن البريطانيون من الاتفاق مع عباس شاه إيران للإطاحة بالوجود البرتغالي في هرمز، قامت بريطانيا بإرسال حملة بحرية كبيرة إلى المنطقة تمكنت فيها من إنهاء النفوذ البرتغالي في المنطقة. وبدأ منذ ذلك الوقت (وحتى الحرب العالمية الثانية) عصر النفوذ البريطاني في تلك المنطقة.

٦٧٤ وفاة الشاه عباس الصفوي وتمزق دولته (١٠٣٨هـ/ ١٦٢٩م)

بالرغم من تزايد قوة الدولة الصفوية الشيعية إلا أنها لم تستخدم تلك القوة للوقوف أمام الأطماع الاستعمارية في العالم الإسلامي بل استخدمتها لقتال المسلمين وخاصة الأتراك العثمانيين. فقد قام الشاه عباس الصفوي بمحاربة العثمانيين وعاونه في ذلك معاونة مباشرة الإنجليز الذين أخذوا يسيطرون على طرق التجارة الموصلة للهند وجنوب شرق آسيا. فأمدوه بالذخيرة والمدفعية والخطط الهجومية. وعندما توفي الشاه عباس الصفوي عام ١٠٣٨ هجرية، تفككت دولته الكبيرة وطمع في إماراتها المناوئون من الداخل والخارج.

٦٧٥ بناء قصر تاج محل أشهر الرموز الإسلامية بالهند (١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م)

يعتبر تاج محل أهم أثر إسلامي لامبراطورية المغول الإسلامية التي حكمت الهند على مدى قرنين من الزمن (السادس عشر والسابع عشر الميلاديين). بناه السلطان شاه چاهان (الذين حكم من عام ١٦٢٩ إلى عام ١٦٥٨ ميلادية)، وذلك كمقبرة إسلامية لزوجته الأثيرة لديه (ممتاز محل)، وهو اسم يعني (خيرة من بالقصر) وذلك في مدينة أجرا الهندية عام ١٦٣٢م. وهو بناء فريد من نوعه لم يسبقه أي بناء مماثل. وبالرغم من ذلك فأسس الفن المعماري الإسلامي واضحة في ساحته وأبوابه ومآذنه الأربع وقبته الضخمة. ولقد ماتت ممتاز محل عام ١٦٣١م بينما كانت تلد، فدفنت في ضريحها بداخل تاج محل، بينما كان لا يزال في مراحل بنائه (التي اكتملت عام ١٦٤٨م). هذا ويبلغ طول ضلع المربع الذي بنى عليه تاج محل حوالي ٥٧

متراً، بينما غطت ألواح المرمر أرضه بالكامل. . . أما المسجد فيقع إلى الغرب من الضريح. ولا زال ذلك الأثر باقياً حتى يومنا هذا.

٦٧٦ اليمن يستقل عن الخلافة العباسية (١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م)

إن قيام العثمانيين باغتيال شرف الدين الزيدي إمام عدن، أدى إلى فقد الثقة بين اليمنيين والعثمانيين، فرفض اليمنيون حكم الولاة العثمانيين مما زاد اضطهاد العثمانيين لليمنيين وانتشار الفساد والانحراف الناتج عن حكم الولاة حتى نشطت حركة الزيدية (وهم من الشعية غير المتطرفين) وأخذ نفوذها يزداد إلى أن نجح المؤيد بالله إمام اليمن في أن يجلي العثمانيين من صنعاء ثم من بقية أنحاء اليمن وكان ذلك عام ١٦٣٥م (١٠٤٥هـ)

٦٧٧ العثمانيون يخمدون ثورة الأمير فخر الدين في لبنان (١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م)

إذا كان اليمنيون قد تمكنوا من إنهاء الحكم العثماني في اليمن نتيجة جهودهم الخاصة، إلا أن قيام أمير لبنان فخر الدين المعني بالتمرد على الحكم العثماني إنما كان نتيجة لأطماعه الخاصة لدرجة أنه تحالف مع البابا ومع أسبانيا في سبيل أن ينصروه على الحكم العثماني. إلا أن السلطان العثماني القوى مراد الرابع تمكن من إخماد فتنة فخر الدين وأسره واعتقاله هو وأسرته حيث تم إعدامهم شنقاً.

٦٧٨ الفرس يحتلون العراق (١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م)

قامت ثورة من الجند الانكشارية (وكانوا من أبناء الأسرى النصارى) في بغداد بقيادة قائدهم بكر صوباش الذي تمكن من عزل الوالي العثماني والسيطرة على بغداد ولما علم بقيام العثمانيين بتجهيز حملة لاسترداد العراق، سارع بالاستنجاد بالشاه عباس الأول زعيم الفرس الذي سارع بعد اندلاع الفتن بين الشيعة والسنة بإخضاع العراق للحكم الفارسي حيث استمر ذلك الاحتلال حتى عام ١٦٣٨م عندما تمكن العثمانيون من هزيمة الفرس والسيطرة على العراق وتوقيع معاهدة مع الشاه عباس الأول عام ١٦٣٩م تتضمن بقاء العراق تحت السيادة العثمانية.

٦٧٩ ثورة الأندلسيين الثانية في أسبانيا (١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م)

استمر اضطهاد فيليب الثاني وخلفه فيليب الثالث للمسلمين في أسبانيا وتصاعد عسفهما تجاه الأبرياء فزادت الضرائب والمصادرات والاعدامات. . ولم يكن هذا سهلاً على شعب مسلم انحدر من أصل عربي عريق تمكن على مدى تسعة قرون من تحويل الأندلس إلى أقوى دولة في أوروبا وأعلاها علماً وحضارة. فثار الناس على جامعي الضرائب وتجمع الشباب الذي أخذ يتدرب على السلاح ونزلوا إلى مدينة غرناطة واقتحموها وأوقعوا خسائر قاسية بحاميتها. ولما سمع المسلمون بالقرى والمدن المجاورة بقيام الثورة اندفعوا هم كذلك في أكثر من عشرين مدينة وقرية بغرناطة خاصة في منطقة البشرة (جنوب غرناطة وتطل على البحر الأبيض). ولقد خادع القصر الملكي المسلمين ووعدهم ببحث شكواهم فتوقفوا عن القتال، ولكن الجنود الأسبان استمروا في ذبح المسلمين والاعتداء على نسائهم وهدم ديارهم وحرق أرضهم حتى فقد من المسلمين عدد كبير لا يمكن تقديره. وما أن سمع المسلمون بجبل البشرة بتلك المذابح حتى ثاروا مرة ثاينة. ويبدو أن الملك الأسباني قد فوجىء باندلاع الثورة وانتشارها بالرغم من أنه كان يرأس الامبراطورية الإسبانية في أوروبا وعبر البحار في العالم الجديد، فأخذ فترة طويلة من الوقت يفكر مع مسشتاريه في أنسب الطرق لانهاء الثورة. ولما خلص الملك إلى قرار قمع الثورة وخرجت قواته لمقاتلة الثوار اتضح أن عدد الثوار كان كبيراً وأن سلاحهم وتموينهم كان متوافراً فأنزلوا خسائر شديدة بالجند الأسبان في عدة مدن شملت كل مساحة غرناطة حتى أن الملك الأسباني سحب جيشه المتوجه إلى إيطاليا لاستخدامه في قمع ثوره الأندلسيين. ثم قام بترحيل سكان غرناطة الذين يساعدون الثوار عبر التلال وحولها وفصل كبار ضباط جيشه الذين فشلوا في قمع الثورة. وعلى مدى شهور عدة قام عشرات الالآف من جند الملك بمحاصرة التلال ومناطق تجمع الثوار وخربوا كل الأراضي الزراعية من حولها تخريباً واسع النطاق وفقاً لتعليمات الملك لهم بمتابعة كل رجل مسلم يفوق الرابعة عشرة من عمره وقتله بلا رحمة. وبمرور الوقت ضعف الثوار لنقص الماء والطعام واستخدام الأسبان للأسلحة النارية على نطاق واسع. فانتهت أكبر ثورة إسلامية في الأندلس بعد سقوطها.

ولم نسمع أبداً عن تدخل الدولة العثمانية لمساعدة تلك الثورة بينما كان السلطان العثماني يتشدق بحمل لقب خليفة المسلمين.

٦٨٠ الجيش العثماني يقتحم النمسا ويحاصر ڤيينا (١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م)

ساعد تحول أوروبا من دول إقطاعية تعتمد على الزراعة إلى دول رأسمالية تعتمد على الصناعة إلى ظهور فكرة الاستعمار والسيطرة على العالم الإسلامي بالتدريج، فحقق الأوروبيون نجاحاً في الشرق. ولهذا سارع العثمانيون إلى تهديد أوروبا، فحشد السلطان العثماني محمد الرابع جيشاً ضخماً تمكن به من اقتحام النمسا ومحاصرة عاصمتها ڤيينا. فخرجت صرخة الاستغاثة من قلب أوروبا داعية ملوك القارة الكبار بحشد جيوشهم، وفكروا في غزو مصر حتى تنسحب تركيا من النمسا وهاجموا كل من تونس والجزائر بمدافع السفن بتشجيع من بابا الفاتيكان وتجمعت تلك الجيوش المزودة بأحدث الأسلحة في ذلك العصر ودخلت في معركة كبرى مع الجيش العثماني فأنزلوا به هزيمة قاسية لم يصدقها الكثيرون ممن عاصروها. ولم تكن تلك الهزيمة إلا صورة من صور التباين بين أوروبا التي أخذت تعتمد على العلم وتطبيقاته، وبين تركيا العثمانية التي تعتمد على الفروسية والافتخار الكاذب بالأنساب... ولهذا لم تكن تلك الهزيمة إلا بداية سلسلة طويلة مريرة من النكسات للدولة العثمانية.

٦٨١ الروس يهزمون الترك ويستولون على مدينة كييف (١٠٩٣هـ/ ١٦٨١م)

عندما وصلت حدود الدولة العثمانية إلى أقصى حدودها في البلقان، واجهت الدولة الروسية القيصرية التي أخذت تتحالف مع الدول الأوربية القوية المعروفة والتي نقلت إلى الروس الروح الصليبية وضرورة الوقوف أمام (الخطر) التركي الملاصق لدولتهم. وقد أدى ذلك إلى قيام الجيش القيصري بحملات عسكرية كبيرة تمكن فيها من استرداد مدينة كييف الواقعة على البحر الأسود.

٦٨٢ الألمان يهزمون الترك ويفكون حصار ڤيينا (١٠٩٥هـ/ ١٦٨٣م)

إن قيام العثمانيين بالزحف على النمسا وحصارهم لعاصمتها ڤيينا، أظهر

مدى خطر الترك على أوروبا فقامت ألمانيا التي تشجعت بهزيمة الترك أمام الجيوش الأوربية ثم الروسية بالزحف بجيش كبير داخل الأراضي النمساوية وتمكنت من إلحاق الهزيمة بالأتراك العثمانيين الذين كانوا يحاصرون مدينة ڤيينا.

٦٨٣ سقوط مدينة بودا المجرية في يد الألمان وطرد الأتراك منها
(١٠٩٨هـ/ ١٦٨٦م)

ما أن تمكن الجيش الألماني من هزيمة العثمانيين في النمسا وفك الحصار من حول عاصمتها ڤيينا، إلا وسارع بهزيمة الجيش العثماني في المجر ودخول مدينة بودا التي ظلت تحت السيطرة العثمانية على مدى قرن ونصف تقريباً. ومدينة بودا هي بودابست عاصمة المجر اليوم الواقعة على نهر الدانوب

٦٨٤ الألمان يقضون على النفوذ العثماني في المجر (١٠٩٩هـ/ ١٦٨٧م)

انسحبت الجيوش العثمانية المنهزمة من مدينة بودا المجرية، فسارع خلفها الجيش الألماني وحاصرها وألحق بها أشد الهزائم قسوة بالقرب من مدينة مهاي بالمجر. وكان السلطان العثماني سليمان القانوني قد دخل المدينة عام ١٥٢٦م بعد معركة موهاكس التي انتصر فيها. وحاول الألمان والمجريون مرات عديدة إعادة نفوذهم على المدينة بدون جدوى حتى تمكن الدوق لوثرنجن من حصارها ودخولها عام ١٦٨٧م ولم يتمكن الأتراك للأسف من ترك بصمة إسلامية في المدينة مثلما تركوا في يوغسلافيا.

٦٨٥ تركيا توقع معاهدة كارلوفيتز للانسحاب من وسط أوروبا (١١١٢هـ/ ١٦٩٩م)

استمر الأربيون يضغطون على الدولة العثمانية في وسط أوروبا بعد معركة ڤيينا وأنزلوا بها هزائم مريرة متتالية مما أجبرها على توقيع معاهدة كارلوفيتز المذلة (مدينة كارلوفيتز تقع على نهر الدانوب إلى الشمال الغربي من مدينة بلجراد بيوغسلافيا). وبمقتضى تلك المعاهدة انسحبت تركيا من المجر وكرواتيا وبعض أجزاء أوكرانيا وترانسلفانيا.

٦٨٦ بريطانيا تحتل مضيق جبل طارق (١١١٧هـ/ ١٧٠٤م)

وقعت الحرب بين بريطانيا ذات المستعمرات الكبرى البالغة الثراء في أمريكا وفي الهند وجنوب آسيا وبين أسبانيا. وكان من نتيجتها احتلال بريطانيا لمضيق جبل طارق والسيطرة الكاملة على تجارة البحر الأبيض المتوسط مما دفع بريطانيا إلى التخطيط لحقبة الاستعمار الكبرى في أفريقيا والشرق الأوسط مما جلب أفدح الخسائر على الدول العربية.

ولقد قامت السلطات البريطانية بحفر شبكة من الانفاق بداخل الصخرة الكبيرة للمضيق ووضعت بداخلها مدافع بحرية ثقيلة لتدمير أي سفن معادية، وبالرغم من صدور قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة بإنهاء المستعمرة البريطانية في جبل طارق عام ١٩٦٩م إلا أن الاتفاق إلى ذلك بين أسبانيا وبريطانيا لم يتم. وكانت أسبانيا قد احتلت المنطقة (التي ينسب اسمها إلى القائد الإسلامي طارق بن زياد) عام ١٤٦٢م أي قبل سقوط غرناطة بثلاثين عاماً.

٦٨٧ ليبيا تستقل ذاتياً عن الدولة العثمانية (١١٢٥هـ/ ١٧١١م)

خضعت ليبيا للسيادة العثمانية منذ عام ١٥٥١م واستمر ذلك الوضع حتى أفسد الولاة العثمانيون الأحوال السياسية والاقتصادية هناك، فتمكن رجل تركي عاش في طرابلس لفترة ممتدة أن يجمع حوله بعضاً من الأهالي وأن يثوروا على الوالي ويطردوه إلى مصر. وذلك الرجل هو أحمد القرمنلي الذي تمكن من إقناع أعضاء الديوان من الالتفاف حوله والمطالبة بتعيينه والياً على طرابلس من قبل الباب العالي. وبذلك أصبحت أسرة القرمنلي هي الأسرة الحاكمة المباشرة في ليبيا، واستمر حكمها قرابة القرن وربع القرن.

٦٨٨ روسيا القيصرية تسيطر على بحر قزوين التابع لبلاد فارس الاسلامية (١١٣٨هـ/ ١٧٢٤م)

ظهر الضعف في الدولة الصفوية فطمع فيها الأفغان حتى تمكن الأمير الأفغاني مير محمود من اعتلاء العرش الصفوي. فوجد بطرس الأكبر قيصر روسيا في ذلك خطراً على حدود دولته الجنوبية وشجعه ضعف النفوذ الأفغاني

على منطقة بحر قزوين في إرسال جيش قوامه ٢٢ألف رجل مدججين بالسلاح هبطوا من نهر الفولجا وسيطروا على مجمل الأراضي التي تحيط ببحر قزوين. وتوقف القتال عندما هددت الدولة العثمانية بأنها ستتدخل في حال استمراره. وعقدت مفاوضات بين الدولتين العثمانية والروسية تقرر فيها أن تحصل روسيا على بحر قزوين.

٦٨٩ ظهور الحركة الوهابية ومبايعة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إماماً لها (١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م)

ظهر في بلاد نجد بالجزيرة العربية إمام سني يدعو إلى العودة إلى أسس الدين الإسلامي الحنيف وهو الشيخ محمد بن سليمان بن عبد الوهاب الذي تمكن بعلمه وتفقهه من تجميع عدد كبير من الناس حوله بالرغم من ظهور أعداء كثيرين ناوءوه وحاولوا وقف دعوته وأخذوا في اضطهاده حتى سارع بالهجرة إلى منطقة الدرعية وهي معقل الأمراء من آل سعود بنجد وكان يرأسهم أميرهم محمد بن سعود الذي سارع بدعم محمد بن عبد الوهاب، واستغل مكانته ونفوذه في نشر الدعوة الوهابية في مناطق نجد الواسعة. ثم قام آل سعود بمبايعة ابن عبد الوهاب إماماً للدعوة وكان ذلك عام ١١٥٨ للهجرة، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الدعوة الوهابية هي البنيان الديني القوي لتطورات سياسية بالغة الأهمية في الجزيرة العربية.

٦٩٠ شركة الهند الشرقية تسيطر على البصرة. (١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م)

أخذت بريطانيا تدريجياً في السيطرة على المشرق العربي والإسلامي حتى تقضي على النفوذ العثماني (بالرغم من تعاونها مع تركيا ضد روسيا) ولكي تبعد النفوذ الفرنسي عن تلك المناطق الثرية بمواردها الطبيعية من ناحية أخرى. وكان لشركة الهند الشرقية الفضل الأول الذي مكن بريطانيا من سيطرتها السياسية على تلك المناطق. فبالرغم من أنها شركة تجارية إلا أنا لعبت دوراً رأسمالياً سياسياً كبيراً في الهند ومنطقة الخليج العربي.. فتمكنت بريطانيا عام ١٧٦٤م من فتح فرع رابع للشركة في البصرة (الفروع الثلاثة الأخرى كانت في بومباي، ومدراس، والبنغال)، ولم ينقض القرن الثامن عشر حتى وضح أن انجلترا كانت

تخطط للسيطرة على العراق وإن ادعت أن وجودها كان من أجل طرد الفرنسيين من مصر (الذين احتلوا مصر قبيل انتهاء القرن الثامن عشر الميلادي)

٦٩١ وفاة محمد بن سعود أمير نجد القوي (١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م)

أخذ محمد بن سعود على عاتقه نشر الدعوة الوهابية في كافة أنحاء نجد. فتمكن من اقناع زعماء القبائل والشيوخ هناك بالمذهب الجديد، وأهمية العودة إلى قيم الإسلام الأولى التي تركها للمسلمين رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده.

وفي خلال عشرين عاماً تقريباً أصبحت نجد تحت نفوذ محمد بن سعود، فتركها بعد وفاته عام ١٧٦٥م لابنه عبد العزيز بن سعود ليكمل ترسيخ الدعوة وبسط نفوذ آل سعود.

٦٩٢ علي بك الكبير يثور ضد الظلم العثماني في مصر (١١٨٦هـ/ ١٧٧٣م)

شددت الدولة العثمانية من قبضتها على حكم مصر إزاء هزائمها في أوروبا مما شكل مظالم لا حصر لها في مصر، فقام علي بك الكبير زعيم المماليك في مصر بعزل الوالي العثماني وأخذ يهاجم قوات الجند الانكشارية العثمانية، ولم يكتف علي بك الكبير بهذا، بل أخذ يتحالف مع زعماء سوريا وفلسطين الوطنيين من أجل الثورة على الحكم العثماني. وقام شريف مكة المكرمة بمبايعته سلطاناً مملوكياً على مصر.

ولقد تسنى لعلي بك الكبير أن يغير العملة النقدية العثمانية، وسك عملة مصرية عليها اسمه.

ولكن العثمانيين هزتهم فكرة سلخ مصر عن امبراطوريتهم فسعوا بشتى السبل للتخلص من علي بك الكبير ونجحوا في ذلك بعد عناء طويل.

ولكن طريقة التخلص من علي بك الكبير ليست واضحة، فقد ذكر أن العثمانيين نجحوا في رشوة بعض المقربين منه في مصر فتآمروا عليه وأسقطوه.. ويذكر كذلك أنه كان قد سقط من فوق فرسه وهو يقاتل ضد الجند العثمانيين فعاد جريحاً إلى القاهرة حيث انتظرته مؤامرة دبرها له العثمانيون إذ

وضعوا له سماً في عقاقير علاجه فمات. ومهما كان الأمر... فلقد شكلت ثورة علي بك الكبير خطراً ماحقاً على الدولة العثمانية وأظهرت مدى ضعفها وكراهية العرب لها مما زاد من أطماع الأوربيين في البلدان العربية.

٦٩٣ الحرب بين روسيا والدولة العثمانية (١١٨٧هـ/ ١٧٧٤م)

إن توسيع الأتراك العثمانيين نفوذهم في البلقان وآسيا وشمال أفريقيا صاحبه فساد ومظالم منقطعة النظير مما جعل الدولة العثمانية تتآكل سريعاً أمام أعدائها في أوروبا.

فقد أخذ الروس يطمعون في تحقيق المكاسب والتوسع على حساب الدولة العثمانية فخاضوا ضدها حرباً طويلة شرسة استمرت من عام ١٧٦٨ حتى عام ١٧٧٤م هزم فيها الأتراك هزائم قاسية وتراجعوا عن كل ما كانوا قد اكتسبوه أيام قيام دولتهم الفتية القائمة على الإتزان والمثابرة والإخلاص. وتعتبر تلك الحرب الدموية أشد الحروب وطأة على الاستانة وعلى الإمارات الإسلامية التي كانت تتبعها في العراق والشام ومصر.

ولقد خاضت روسيا تلك الحرب إبان حكم كاترين الثانية التي سيطرت عليها النزعة القومية الروسية، فانتصرت جيوشها على بولندا، وحققت الانتصارات على العثمانيين، فسيطر الروس على بحر أزوف، وشبه جزيرة القرم.

٦٩٤ الدولة العثمانية توقع معاهدة كتشك قينارجي مع روسيا (١١٨٧هـ/ ١٧٧٤م)

لا شك أن اضمحلال القوة العثمانية أمام النمسا (التي وقفت وراءها الدول الأوروبية القوية) زاد في أطماع روسيا وخاصة في عهد القيصر بطرس الأكبر في شن سلسلة من المعارك (هو ومن خلفوه وأبرزهم الأمبراطورة كاترين) أُجبرت بعدها تركيا على توقيع معاهدة مذلة هي معاهدة كتشك قينارجي التي أوضحت مدى الضعف وقلة الحيلة السياسية والعسكرية للدولة العثمانية. فقد طردت من المناطق الشمالية الاستراتيجية للبحر الأسود وبالتالي وقع المسلمون

هناك تحت نير الحكم الروسي القيصري. كما أنها سحبت تركيا من مناطق سلوفينيا الواقعة في البلقان.

ولا شك أن اضمحلال القوة التركية مكن الدول الاستعمارية الناهضة في أوروبا وخاصة فرنسا وانجلترا من التفكير الجدي لغزو الدول العربية... فلم ينقض القرن الثامن عشر الميلادي حتى احتلت مصر لأول مرة منذ الفتح الإسلامي من قبل جنود الحملة الفرنسية.

ويمكن القول أنه لولا تنافس البلدان الأوروبية القوية (وخاصة انجلترا وفرنسا) فيما بينها على المناطق الثرية في آسيا وأفريقيا، لسقطت تركيا ذاتها تحت الاحتلال الروسي. ففرنسا وبريطانيا كانتا لا ترغبان في أن يسيطر الروس على البحر الأسود ثم البحر المتوسط. ثم أن فرنسا كانت - في ذلك الوقت - تعادي تركيا ضد بريطانيا التي لها أطماع ومصالح تجارية في الهند رغبت فرنسا في تهديدها. ولذلك فقد تدخلت كلتا الدولتين لوقف الأطماع الروسية، فوُقِعت تلك المعاهدة.

٦٩٥ روسيا تتوسع عسكرياً على حساب الأتراك العثمانيين (١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م)

لم تمض عدة سنوات على معاهدة كتشك قينارجي بين روسيا والدولة العثمانية حتى سارعت كاترين الثانية امبراطورة روسيا بتجهيز جيوشها وخوض حرب طويلة شرسة مع الدولة العثمانية بدأت عام ١٧٨٧م وانتهت عام ١٧٩٢م، كان من نتيجتها امتداد التوسع الروسي على طول الشواطىء الغربية للبحر الأسود حتى نهر الدنيستر. ويبدو أن ضعف العثمانيين كان قد شجع كاترين الثانية على الزحف البري للاستيلاء على الاستانة وتدمير الدولة العثمانية، ولكن التطورات في أوروبا وقيام العثمانيين بحشد كامل طاقاتهم وطاقة الولايات العربية التابعة لهم لم يمكن الروس من ذلك.

٦٩٦ الأزهر يثور ضد المماليك الترك في مصر (١٢٠٩هـ/ ١٧٩٥م)

في نهاية القرن الثامن عشر كان المماليك التركية (وهم المماليك الذين

خضعوا للخلافة العثمانية ودافعوا عن وجودهم في مصر) يسومون المصريين العذاب والقهر والطغيان. . . فتظاهر الناس أمام الأزهر لحث زعمائه على الذهاب للوالي العثماني المستبد لكي يخفف من عمليات نهب الناس وإفقارهم على يد المماليك. . . فذهب إمام الجامع الأزهر الشيخ الشرقاوي إلى الوالي ينصحه ولكنه رفض النصيحة فحدثت ثورة في القاهرة استمرت ثلاثة أيام أجبر الأزهر وقادته والناس فيها الوالي العثماني على النزول لتحقيق تطلعات الأهالي.

ولقد أوضحت تلك الثورة مدى كراهية المصريين للحكم العثماني ومدى ضعفه كذلك وأوضحت قوة الأزهر الشريف في الدفاع عن الحقوق ومساعدة الفقراء والبؤساء عن الأرض. . أما الفرنسيون فقد نظروا لتلك الثورة على كونها علامة توضح لهم أن المماليك أضعف من أن يوقفوا حملتهم القادمة على مصر.

٦٩٧ الحملة الفرنسية على مصر (١٢١٢هـ/ ١٧٩٨م)

لا شك أن هناك سببين على الأقل وراء الحملة الفرنسية التي قادها نابليون بونابرت على مصر والشام. السبب الأول وهو السيطرة على الشرق الأوسط لضرب نفوذ بريطانيا المتزايد، والثاني مرتبط بالحملات الصليبية على مصر (وخاصة التي قادها الفرنسيون من قبل) وتذكير الشرق بمدى ضعفه وتخلفه ومدى قوة وتقدم الغرب.

سارت سفن الحملة بكل أدوات الغزو والقتال وأصطحبت معها العلماء والمترجمين وكاشفي الآثار بالإضافة إلى حوالي خمسة وأربعين ألف جندي مدججين بالسلاح.

وقد رست الحملة غرب الأسكندرية في شهر يوليو عام ١٧٩٨م، ولم تكن الاسكندرية إلا مدينة صغيرة يسكنها عدة آلاف من المصريين بعد أن جردها الأتراك العثمانيون من الصناعات والحرف فخبا ازدهارها. وبالرغم من ذلك هب المصريون بالمدينة لمقاومة قوات الغزو كما تعودوا دائماً عبر العصور. ولكن تفوق السلاح الأوروبي كان غالباً ففر المماليك على طول خطوط المواجهة مع الفرنسيين حتى احتُلت الاسكندرية ثم القاهرة.

٦٩٨ أول دعوة صهيونية في العصر الحديث لتجميع اليهود في فلسطين (١٢١٢هـ/ ١٧٩٨م)

بعد استقرار الحملة الفرنسية في مصر، وبالرغم من إدعاء نابليون بونابرت الكاذب للمصريين بأنه مسلم مؤمن بالقرآن الكريم وبالرسول محمد ﷺ إلا أنه قام بدعوة اليهود في الشام بمد يدهم إليه بالمساعدة لتسهيل دخوله فلسطين. ولما سمع حاخام اليهود بمدينة القدس دعوة نابليون قام بتوجيه نداء إلى اليهود كافة بالهجرة إلى فلسطين لكي يحملوا السلاح ويعيدوا بناء أسوار المدينة وهيكل سليمان (معبد الرب كما يسمى في كتاب العهد القديم) وبالرغم من حسن معاملة المسلمين لليهود في كل العصور والبلدان فقد خرجت تلك الدعوة لكي تظهر من جديد مدى عداوة اليهود للمسليمن وانتهازهم أي فرصة للانقضاض عليهم غدراً.

٦٩٩ الحملة الفرنسية تفشل في إخضاع الشام وفلسطين (١٢١٢هـ/ ١٧٩٨م)

بعد سيطرة نابليون الأولية على مصر، سارع بالزحف على فلسطين لبسط نفوذ فرنسا عليها، وبالتالي يفتح أمامه طريق الشام.. ولكن نابليون اصطدم بقوة وصمود قلعة عكا وكانت أقوى حامية عثمانية في الشام. فطال حصاره لها، ولكنها امتنعت عن السقوط مما شجع بريطانيا بإرسال المؤن والمساعدات إلى جنودها عبر البحر بعد أن دمروا أسطول نابليون في أبي قير (شرق الاسكندرية) في أغسطس عام ١٧٩٨م. وكان فشل نابليون في السيطرة على فلسطين هو السبب الرئيسي الذي جعله يعود لبلاده شاعراً بأن أحلامه قد بدأت تتحطم. وسرعان ما انسحبت الوحدات العسكرية الفرنسية عائدة إلى مصر، فنجا الشام من الاحتلال الفرنسي ليساعد فيما بعد على إخراج الفرنسيين من مصر.

٧٠٠ اعدام محمد كريم حاكم الاسكندرية لمقاومته الفرنسيين (١٢١٢هـ/ ١٧٩٨م)

ظهر محمد كريم كزعيم مصري مؤمن ببلاده غاية الإيمان، فهب ومن معه من المصريين لمقاومة الغزو وإلحاق أكبر الخسائر بقوات الاحتلال حتى

ضاق نابليون ذرعاً بقائد المقاومة الشعبية في الاسكندرية. فاعتقل محمد كريم واتهم بالعمل السري ضد الفرنسيين ورحل إلى القاهرة حيث أصدر نابليون قراراً إما باعدامه رمياً بالرصاص علناً، أو بدفع فدية قدرها ثلاثون ألف ريال. . . ورفض كريم افتداء نفسه فأعدم في صباح الخامس من سبتمبر ١٧٩٨م وذلك بحي الرملة القريب من القلعة وسط ذهول المصريين الذين أقسموا على الثأر. وبعد أن أعدم الشهيد المصري الكبير قطع الفرنسيون رأسه ورفعوها فوق بيرق وساروا بها في شوارع القاهرة لارهاب المصريين وإضعاف معنوياتهم.

٧٠١ ثورة القاهرة الأولى ضد الفرنسيين وقيادة الأزهر لها (١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م)

لقد ظن نابليون بونابرت أن استمالته لمشاعر المصريين سوف تجنبه غضبهم وثورتهم على قواته التي احتلت مصر، ولكنه أخطأ الحساب. . فلم تمض سوى ثلاثة أشهر حتى شبت ثورة القاهرة الأولى ضد الفرنسيين وذلك في جمادى الأولى سنة ١٢١٣هـ (٢١ اكتوبر عام ١٧٩٨م) والتي تعود أسبابها إلى غضب المصريين من القوانين التي سنها نابليون لإدارة شؤون البلاد بطريقة تعسفية ظالمة. وقد بدأت الثورة بأن قام التجار بغلق متاجرهم وخرجوا في الشوارع منددين بالاحتلال فانضمت إليهم فئات الشعب. وأخذ شيوخ الأزهر يخطبون فيهم داعين إياهم للثورة ورفض الوجود الأجنبي على البلاد. وسرعان ما سيطر الثوار على أبواب القاهرة ووضعوا حولها المتاريس. وكان رد فعل الفرنسيين الشرس هو قصف أحياء القاهرة وخاصة حي الأزهر وجامع الأزهر الشريف بالقنابل فارتجت المدينة وسقط الشهداء والجرحى وتهدمت المنازل والمساجد وتصدعت جدران الجامع الأزهر وأبنيته، وقتل نتيجة ذلك ما لا يقل عن ثلاثة آلاف مصري وجرح ضعفهم وأعدم الفرنسيون زعماء الثورة خاصة رجال الأزهر. وعندما استتب الأمر وخمدت الثورة، دخل الفرنسيون الأزهر الشريف بخيولهم وربطوها في قبلته وحطموا قناديله وعاثوا فساداً في كتبه ومخطوطاته، ودنسوا المصاحف. وتفاخر نابليون بأنه كان يقطع رؤوس ثلاثين مصرياً كل يوم حتى يقضي على كرامة المصريين وروحهم المعنوية.

٧٠٢ الفرنسيون يهزمون الأتراك في أبي قير (١٢١٣هـ/ ١٧٩٩م)

جاء نزول الحملة الفرنسية على مصر واحتلالها للقاهرة كوقع الصدمة للعثمانيين فسارعوا بمحادثة انجلترا لكي تحاصر المياه الإقليمية المصرية. وسارع السلطان العثماني بتجهيز جيش يسافر إلى مصر لمهاجمة الفرنسيين في وادي النيل.

وقد تمكنت حملة عسكرية بحرية عثمانية من النزول عند أبي قير ولكن سرعان ما زحف الجيش الفرنسي على العثمانيين وهزمهم في أبي قير واعتقل قادة الجيش التركي وكان ذلك في أغسطس عام ١٧٩٩م.

وكان من نتيجة تلك الموقعة استتباب الأمر للفرنسيين. فقد أخمدوا ثورة المصريين الأولى وهزموا الأتراك في أبي قير. ولهذا سارع نابليون بمغادرة مصر لمباشرة شؤون الدولة الفرنسية وترك على رأس حملته في مصر نائبه الكبير. لقد رحل نابليون إلى بلاده ولم يعد مرة أخرى إلى مصر.. إذ لم تمض سنتان على ذلك حتى أعقبته حملته عائدة هي الأخرى إلى فرنسا... ولكن ذلك تطلب جهداً كبيراً من المصريين.

٧٠٣ ثورة القاهرة الثانية ضد الفرنسيين (١٢١٤هـ/ ١٨٠٠م)

بدت الثورة المصرية الثانية ضد الفرنسيين في حي بولاق غربي القاهرة في الثاني من مارس واستمرت ثلاثة وخمسين يوماً (انتهت في الثاني والعشرين من أبريل). ويبدو أن سكان حي بولاق بزعامة الشيخ مصطفى البشتيلي كانوا قد استفادوا بدورس هامة من ثورة القاهرة الأولى.. حيث تمكنوا من حمل السلاح واستخدام الذخيرة والمدافع بل وتصنيعها مما مكنهم من الاستمرار في مقاتلة الفرنسيين طوال تلك المدة، فأحدثوا بهم خسائر كبيرة. ومع ذلك فقد تمكن الفرنسيون من إحراق حي بولاق بمدافعهم، وأجروا مذبحة مروعة لسكانه فغطت جثث القتلى من الرجال والنساء والأطفال الطرقات. وقبض الفرنسيون على الشيخ البشتيلي وأمروا رفاقه وأتباعه بضربه بالعصى حتى الموت وذلك لتحطيم معنويات المصريين، وإشعارهم ـ كذباً ـ بالذنب.

وقد اندلعت تلك الثورة بعد أن غادر نابليون مصر تاركاً نائبه كليبر وحملته

في مصر. وقد شعر كليبر برغبة الفرنسيين في ترك مصر، فقام بالتفاوض مع العثمانيين ووقع معهم معاهدة العريش في يناير عام ١٨٠٠م والتي تقضي برحيل الحملة بسلاحها على متن السفن التركية - بعد أن قامت بريطانيا بتدمير الأسطول الفرنسي في موقعة أبي قير البحرية - فرفضت انجلترا المعاهدة واشترطت جلاء الفرنسيين بدون سلاح، فرفض كليبر شرط انجلترا وألغي استعداداته للخروج من مصر، فزحفت حملة برية عثمانية واجهت الفرنسيين عند عين شمس، وأخرى بحرية إلى أبي قير، حيث انتصر الفرنسيون مما دفع المصريين إلى الثورة.

٧٠٤ اغتيال الجنرال كليبر القائد الفرنسي في مصر على يد سليمان الحلبي (١٢١٤هـ/ ١٨٠٠م)

كان تدمير حي بولاق ثاني أهم أحياء القاهرة - بعد حي الأزهر - بالقنابل الفرنسية، وقيام كليبر بإجبار المصريين على دفع غرامات مالية تساوي تكاليف ما خربته الثورة، وإهانة المصريين بإذلال زعمائهم.. كان ذلك كله دافعاً قوياً لسليمان الحلبي الطالب بالأزهر الشريف في أن يقوم بتسديد طعنات الموت بخنجر في جسد الجنرال كليبر على مقربة من نهر النيل (منطقة جاردن سيتي حالياً) بينما كان كليبر يسير مع الجنرال داماس رئيس أركان جيش الحملة. وقد تم اعتقال الحلبي وبعض رفاقه من المصريين، وحكمت محكمة فرنسية عسكرية على الحلبي بأن تحرق يده اليمنى - التي استخدمها للقتل - وأن يعدم جالساً على خازوق حديدي حتى الموت.. وحكمت كذلك على اثنين من رفاقه بالحرق حتى الموت.. فوصلت «العدالة» الفرنسية بذلك العمل الهمجي إلى نهاية الطغيان مما قرب بموعد رحيل الفرنسيين عن مصر.

٧٠٥ بريطانيا توقع إتفاقية تعاون مع إمام مسقط (١٢١٤هـ/ ١٨٠٠م)

أدى ضعف موقف الفرنسيين في مصر إلى زيادة نشاط انجلترا في منطقة الخليج العربي والبحر الأحمر وذلك لتأمين خطوط الملاحة التجارية من الهند إلى الجزر البريطانية. وقد أبدى إمام منطقة مسقط اهتمامه بالتعاون مع انجلترا تحقيقاً لمصالح شعبه التجارية التي كان من الممكن أن تتهدد من فرنسا، فوافق

على عقد اتفاق مع انجلترا عام ١٨٠٠م يتعهد بمقتضاه بعدم التعامل مع السفن الفرنسية، وأن يقبل وجود مستشار بريطاني في مسقط تكون مهمته النصح والإرشاد والتوجيه.

ويعتبر ذلك الاتفاق هو الأول من نوعه بين بريطانيا ودولة عربية لم يكن الهدف منه فقط حماية التجارة، بل كذلك ضرب الحركة الوهابية في الجزيرة العربية وبسط النفوذ البريطاني على جنوب الجزيرة العربية وتحجيم النفوذ المصري في المنطقة. (انظر أحداث أخرى عن بريطانيا والخليج أعوام ١٨٢٠ و١٨٣٩ و١٨٦٦ ميلادية).

٧٠٦ العثمانيون يتحالفون مع بريطانيا لإخراج الفرنسيين من مصر

(١٢١٥هـ/ ١٨٠١م)

لا بد وأن يكون لانتفاضة المصريين ضد الفرنسيين فائدة سياسية كبرى في حث الدولة العثمانية (وكانت مصر ولاية تابعة لها) على التصدي للفرنسيين، فاتفق العثمانيون مع بريطانيا على أن يرسل كل منهما حملة برية وبحرية لمحاصرة الفرنسيين وإجبارهم على الرحيل.. فوصلت قوة برية بريطانية منقولة بحراً إلى أبي قير قوامها ١٧٥٠٠ جندي تمكنت من هزيمة الفرنسيين المرهقين في عدة معارك. ثم جاءت بعدها الحملة البحرية التركية وقوامها ستة آلاف جندي.. ثم تلتها القوات البرية التركية التي تكونت من حوالي عشرين ألف مقاتل. ولقد دارت معارك متفرقة بين كل تلك القوات وبين الفرنسيين، وخاصة العثمانيين، فلم يبق للفرنسيين في مصر سوى القاهرة. وعلم الجنرال مينو - الذي خلف كليبر - بقلة حيلته، ففاوض الترك والإنجليز على الجلاء عن مصر... ووقع معهم اتفاقاً للانسحاب في التاسع والعشرين من يونيو عام ١٨٠١م. فبدأ جلاء الفرنسيين عن مصر في الثاني من سبتمبر، واستمر حتى الثامن عشر من اكتوبر لنفس العام، بعد أن بلغ إجمالي قتلى الفرنسيين في تلك الحملة حوالي ٢٢ ألف قتيل أي حوالي نصف إجمالي قواتها التي نزلت أرض مصر.

٧٠٧ الليبيون يأسرون البارجة الأمريكية الضخمة فيلادلفيا (١٢١٦هـ/ ١٨٠٣م)

بعد انتهاء الحملة الفرنسية على مصر أخذت السفن الليبية تمارس أعمال التجارة وأعمال تبادل السلع مع السفن المارة بالمياه الليبية. وقد اشتهرت أسرة القرمنلي التي تمكنت من الاستقلال عن الدولة العثمانية بممارسة تلك الأعمال التي نظرت لها بعض البلدان الأوروبية والأمريكية على أنها أعمال قرصنة. وقد رفضت الولايات المتحدة دفع رسوم سلامة سفنها، فقامت بعض السفن التابعة لأسرة القرمنلي بمهاجمة السفن التجارية الأمريكية، فأرسلت البحرية الأمريكية أسطولاً لمهاجمة ليبيا ومحاصرة مدينة طرابلس.. ولكن البارجة الأمريكية فيلادلفيا اصطدمت في الرمال فأسرها الليبيون ببحارتها الثلاثمائة. غير أن الأمريكيين سارعوا بالتحالف مع بعض المماليك في مصر وبعض البدو واليونانيين، واحتلوا مدينة درنة مما شكل خطراً على حاكم ليبيا يوسف باشا، فأخذ يتفاوض مع الأمريكيين وأطلق سراح البحارة والبارجة، ووافقت الحكومة الأمريكية على دفع مبلغ من المال لترضية الليبيين.

٧٠٨ خروج الأنجليز من مصر وبقاء أطماعهم فيها (١٢١٦هـ/ ١٨٠٣م)

عندما رحل الفرنسيون عن مصر في خريف عام ١٨٠١م، اكتشف الإنجليز كيف سيكون ثراء إمبراطوريتهم وقوتها إذا سيطروا على مصر. ولهذا أراد الإنجليز إطالة أمد بقائهم في مصر لدراسة أوضاع سكانها وطبيعة أرضها وحجم ثروتها والقوى السياسية فيها على أن يعودوا لاحتلالها عندما تسمح الظروف لهم بذلك. أما لماذا لم يبق الإنجليز في مصر بعد خروج الفرنسيين منها، فأهم أسباب ذلك انتصارات نابليون الكبيرة في أوروبا وأطماع روسيا في البحر الأسود وتركيا. ولهذا شرع الإنجليز في العمل على هزيمة نابليون ثم تحجيم روسيا.. وبعد ذلك يكون احتلال مصر أمراً مقضياً خاصة وأنها تحت حكم الدولة العثمانية الضعيفة.

٧٠٩ اغتيال الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود (١٢١٨هـ/ ١٨٠٤م)

هو أكبر أبناء الأمير محمد بن سعود الذي نشر الدعوة السعودية في

الجزيرة العربية. تمكن بفضل حكمته وشجاعته من فرض نفوذه على مساحات واسعة من الجزيرة العربية حتى أن الدولة العثمانية عجزت عن هزيمته بالجيوش التي كانت ترسلها إليه.

وفي سنة ١٨٠٣م تمكن الأمير عبد العزيز بن محمد من السيطرة على منطقة الطائف بأراضي الحجاز. وفي السنة التالية دخلت قواته مكة فأصبحت نجد والحجاز تحت سيطرته. ويبدو أن الدولة العثمانية التي عجزت عن هزيمة الأمير عبد العزيز تمكنت من إرسال بعض الرجال الشيعة الفرس ـ لاغتياله وهو يصلي في مسجد الطريف بمنطقة الدرعية (وهي معقل مهم من معاقل آل سعود في ذلك الوقت). وكان ذلك في رجب من عام ١٢١٨ هجرية، وكان عمره ستة وثمانين عاماً، فخلفه ابنه الأمير سعود بن عبد العزيز.

٧١٠ **السعوديون يدخلون البحرين** (١٢١٨هـ/ ١٨٠٥م)

جاء ذلك بعد عدة أشهر من اغتيال الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود. حيث أخذت القبائل المعادية للدعوة السعودية الإسلامية تتجمع للإطلاحة بالحكم السعودي. فسارع الأمير سعود بن عبد العزيز بتوجيه قواته بسرعة إلى الشرق تجاه البحرين ـ معقل أعدائه ـ واستولى على تلك المقاطعة عام ١٢١٨هـ (عام ١٨٠٥ ميلادية).

ويبدو أن القبائل المعادية للدعوة السعودية والتي اتخذت من البحرين مكاناً لها كانت تتعامل مع الدولة الشيعية الإيرانية للإجهاز على الدعوة السعودية، ولذلك جاء تحرك آل سعود بسرعة ليدل على حنكة سياسة ظاهرة.

٧١١ **محمد علي يتولى حكم مصر** (١٢١٨هـ/ ١٨٠٥م)

وجد المصريون أنفسهم وقد تلاعبت بهم الأقدار وأحسوا أمام الفرنسيين بالضعف وتيقنوا أن سبب تخلفهم إنما يعود بالدرجة الأولى إلى طغيان الأتراك العثمانيين وظلم أمراء المماليك.. فتمنوا الانعتاق والحرية فثاروا على الوالي العثماني خورشيد باشا والتفوا من حول محمد على ذلك الجندي الألباني الذي أظهر لهم ولزعمائهم العطف والاحترام فلم يجد السلطان العثماني من مفر إلا الموافقة على رأي الشعب وإصدار فرمان في التاسع من يوليو عام ١٨٠٥

بتولية محمد علي حكم مصر.

وفي الخامس من أغسطس صعد محمد علي إلى القلعة ليبدأ في بناء الدولة المصرية الحديثة.

٧١٢ الإنجليز يستولون على الإسكندرية (حملة فريزر) (١٢٢٠هـ/ ١٨٠٧م)

إن غضب الإنجليز من موافقة تركيا على تولية محمد علي تظهر درجة أطماعهم في مصر. فهم يعلمون أن محمد علي عدو للماليك حلفائهم.. ولهذا سارعوا بإرسال حملة بحرية قوامها ستة آلاف جندي تمكنت نتيجة خيانة حاكم الإسكندرية التركي من احتلال المدينة بدون خسائر في جانبهم، وسارع محمد علي الذي كان يهاجم المماليك في الصعيد بوضع هدنة معهم تعطيهم حكم إقليم الصعيد وتوجه إلى القاهرة لتجهيز قواته للدفاع عن الإسكندرية التي كان أهلها قد هبوا بشجاعة لصد الغزو فأخذوا يقتلون كل إنجليزي يواجههم. فلما تصاعدت خسائر الإنجليز طلب قائدهم الإدميرال فريزر التصالح مع محمد علي للرحيل عن مصر مع تسلم الأسرى من أيدي المصريين. وبالفعل رحلت الحملة في نهاية عام ١٨٠٧م، وهذه هي المرة الثانية التي يحتل فيها الإنجليز أرضاً مصرية، حيث كانت الأولى قبيل رحيل الحملة الفرنسية. وقد علم الإنجليز من تلك الحملة مدى خيانة المماليك للعهود مما مكن المصريين من قتل أربعمائة إنجليزي وأسر عدد مماثل، فصمموا على أن يتركوا المماليك لمصيرهم الذي كان يعده لهم محمد علي.

٧١٣ اغتيال السلطان العثماني سليم الثالث (١٢٢١هـ/ ١٨٠٨م)

أدت هزائم تركيا أمام الروس وتوغل الحملة الفرنسية في قلب العالم العربي إلى هزة شديدة في الفكر السياسي لدى سليم الثالث السلطان العثماني. فبادر بوضع نظام جديد يكفل تطوير الدولة العثمانية من الناحية الإدارية والعسكرية ولكن ذلك النظام اصطدم بذوي النفوذ والأطماع الذين كانوا يتحكمون فعلياً بالبلاد. فبالرغم من قيام السلطان بإنشاء وحدات عسكرية جديدة تحل تدريجياً محل القوات الانكشارية وقيامه بفرض نفوذ الإستانة على كل الإمارات، إلا أن ذلك أدى إلى تصاعد أعمال العنف في الإستانة وهزيمة قوات

السلطان العسكرية الجديدة على يد الانكشارية القديمة مما دفعه إلى التنازل عن العرش. . ولكن ذلك لم يكن كافياً لأعدائه من الداخل حيث تمكنوا من اغتياله والقضاء على إصلاحاته. . . فخلفه السلطان محمود الثاني عام ١٨٠٨م.

٧١٤ **البحرية البريطانية تدمر رأس الخيمة بالجزيرة العربية** (١٢٢٢هـ/ ١٨٠٩م)

قامت البحرية البريطانية بعد توقيع بريطانيا لاتفاق مع إمام مسقط بالسيطرة بحرياً على الخليج العربي الذي كان الوهابيون لهم نشاط كبير به في ذلك الوقت بعد انتصاراتهم الأولى في مناطق نجد. ولما كان للوهابيين قاعدة بحرية في رأس الخيمة فقد أخذت بريطانيا تشكو علناً من قيام الوهابيين بأعمال القرصنة على السفن التجارية البريطانية ولهذا أخذت البحرية البريطانية في محاصرة رأس الخيمة وقصفها بقنابل المدفعية الثقيلة فهدمت الكثير من منشآت الوهابيين بالميناء.

ولم تكن هذه العملية كما هو واضح بغرض حماية التجارة، بل كانت بغرض تطبيق استراتيجية بريطانية مرسومة بعناية لبسط النفوذ الاستعماري على الخليج العربي على مراحل زمنية متقاربة.

٧١٥ **مذبحة المماليك في مصر** (١٢٢٤هـ/ ١٨١١م)

بعد استقرار الأوضاع السياسية في مصر بعد استلام محمد علي حكم مصر، سارعت الدولة العثمانية بإصدار الأوامر لمحمد علي ليقوم بإرسال حملة للسيطرة على الجزيرة العربية. فأخذ محمد علي يعد الحملة ولما حان وقت سفرها كان قد دبر أمر تصفية كل النفوذ المملوكي في مصر، فقام بدعوة أمرائهم للاحتفال بتلك المناسبة الوطنية بالقلعة (١١ مارس ١٨١١) فذهبوا إلى هناك وتجمعوا في جماعات في قاعات القلعة حتى أمر محمد علي رجاله ـ وكان قد اتفق معهم مسبقاً ـ بغلق أبواب القلعة وتنفيذ ما ارتآه للمماليك في مصير. وما هي إلا لحظات حتى تطاير رصاص البنادق من كل صوب تجاه المماليك يحصدهم حصداً سريعاً، فلم يجد منهم أحد من مفر فتساقطوا حتى امتلأت بهم طرقات ودهاليز القلعة. ويقدر عدد من اغتيل من أمراء المماليك في تلك

المذبحة بألف رجل. وما أن خرجت أخبار المذبحة من القلعة حتى سارع عامة المماليك بالفرار والتخفي في قرى مصر حيث ذابوا وسط جموع الفلاحين. وتعتبر مذبحة المماليك بالقلعة أكبر عملية اغتيال سياسي في تاريخ مصر.. وبالرغم من بشاعتها إلا أنها أنقذت المصريين نهائياً من ظلم وطغيان المماليك الذين كانوا قد جلبوا إلى البلاد منذ أيام الدولة الأيوبية.

٧١٦ وفاة زعيم حركة الإصلاح الديني الأفريقي عثمان دان فوديو
(١٢٣٠هـ/ ١٨١٧م)

بالرغم من دخول الإسلام مناطق أفريقيا جنوب الصحراء منذ القرن العاشر الميلادي إلا أن قبائل الهوسا (وهي أكبر قبائل غرب أفريقيا وأكثرها أهمية) لم تفهم أسس الإسلام فهماً صحيحاً. فانتشرت الفوضى بين أنحائها وتصارعت مع بعضها البعض حتى ظهر الشيخ عثمان دان فوديو عام ١٨٠٤م داعياً إلى إسقاط الظلم وقيام دولة العدالة الإسلامية.. وبالرغم من قيام ملك قبيلة جوبو بطرده خارج البلاد إلا أنه تمكن من تجميع الآلاف من حوله وزحف على زعماء القبائل المترفين بالفساد لينهي حكمهم. وبحلول عام ١٨١١م أصبحت قبيلة الفولة تحت زعامة عثمان أهم قبائل الهوسا، فشنت هجمات متتالية على القبائل الوثنية فأخضعتها، وتكونت من تلك الممالك دولة قوية قائمة على العدل الاجتماعي والشورى.

وقد توفي الشيخ عثمان عام ١٨١٧م مخلفاً بذلك مثلاً أعلى يسير عليه المصلحون الدينيون في مناطق مختلفة في أفريقيا جنوب الصحراء فرسخت قواعد الدين الحنيف وتأصلت أركانه.

٧١٧ محمد علي يسلم الحجاز للعثمانيين (١٢٣١هـ/ ١٨١٨م)

تمكن السعوديون من نشر نفوذهم على الحجاز، فشعر العثمانيون بالقلق، وأمروا محمد علي بإرسال حملة للجزيرة العربية لإعادة الحجاز لسلطة الاستانة.. وقد أدت تلك الحملة إلى تحقيق الأطماع العثمانية، وتم أسر الأمير عبد الله بن سعود... ومع ذلك فلم يكن انتصار العثمانيين هذا كافياً لإنهاء الدعوة السعودية التي أيّدها سكان الجزيرة العربية، مما زاد من قوتها ورسوخها.

٧١٨ الأسطول البريطاني يدمر أسطول قبيلة القواسم العربية في الخليج العربي (١٢٣٢هـ/ ١٨١٩م)

كان من أهم أهداف بريطانيا المعلنة جعل منطقة الخليج العربي خاضعة لنفوذها السياسي والتجاري دون منازع من أي دولة أوروبية أو محلية. ولقد ساعدها على ذلك ضعف العثمانيين، وانشغال أوروبا بحروبها الأهلية المدمرة. ولكن السيطرة البريطانية على الخليج العربي واجهت رفضاً من القبائل العربية القوية هناك، وخاصة قبيلة القواسم التي كان لها أسطولاً يتكون من مئات السفن، فأخذت تهاجم البحرية البريطانية الاستعمارية كلما تسنى لها ذلك. لهذا فسرعان ما ضاقت بريطانيا بذلك وأرسلت واحداً من أشهر قادتها البحريين وهو وليام جرانت الذي قاد حملة بحرية كبيرة مسلحة وأحاط بالسفن التابعة لقبيلة القواسم وأخذ يدمرها فأنزل بها هزيمة تامة.

ومن المخزي أن تتهم بريطانيا قبيلة القواسم العربية بالقيام بأعمال القرصنة وهي التي كانت في ذلك الوقت تقود الأعمال الاستعمارية في شتى بقاع العالم.

٧١٩ المماليك في العراق يصدون غزواً إيرانياً للعراق (١٢٣٣هـ/ ١٨٢٠م)

تمكن سليمان باشا وهو زعيم المماليك في العراق من الاستقلال بالعراق عن الدولة العثمانية وذلك لالتفاف المماليك من حوله وتفشي الظلم العثماني في مجمل الأراضي العراقية. ولقد فشلت الإستانة في استرداد العراق حتى وفاة سليمان باشا واستلام داود باشا المملوكي حكم العراق. ولقد حاول الفرس تهديد العراق وغزوه والتوغل في أراضيه بمساعدة الشيعة في الجنوب وتمكنوا من الوصول إلى مشارف بغداد وحاصروها عام ١٨٢٠م. ولكن المماليك بقيادة داود باشا تمكنوا من صد الغزو وتكبيده خسائر كبيرة مما أدى إلى زوال الخطر الفارسي.

ولقد أظهرت الانتصارات المملوكية في العراق مدى الخطر الذي قد تتعرض له تركيا من جنوبها فدبروا مذبحة كبرى للمماليك (انظر عام ١٨٣١م).

٧٢٠ بريطانيا تفرض سيادتها على الخليج العربي (١٢٣٣هـ/ ١٨٢٠م)

بعد تحالف بريطانيا مع إمام مسقط وجدت بريطانيا نفسها مرة أخرى

أمام توسع النفوذ المصري الذي ترسخ بعد استيلاء جيش محمد علي على الحجاز ثم التوغل إلى الدرعية (مقر آل سعود بنجد وعلى مقربة من الخليج العربي) فسارعت بريطانيا بعقد هدنة مع أمراء ومشايخ الخليج في البحرين والإمارات حيث تم الاتفاق على إقامة صداقة فيما بينهم وبين بريطانيا، وعدم الدخول في أي منازعات أو أعمال حربية ضد بعضهم البعض. وبهذا ضمنت بريطانيا على الأقل عدم تعرض تجارتها لأي اعتداء أو تعطيل.

ولقد كانت اتفاقات عام ١٨٢٠ مع تلك المناطق العربية بداية لسلسلة واسعة من أعمال الهيمنة والاحتلال والاستغلال السياسي والعسكري الكامل فيما بعد.. أو كأن الأمر يبدأ بالاقتصاد والتجارة ثم يتطور إلى الاحتلال فالاستغلال.

٧٢١ إعدام الأمير عبد الله بن سعود في مدينة أيا صوفيا التركية (١٢٣٤هـ/ ١٨٢٠م)

تم اصطحاب الأمير عبد الله بن سعود إلى مصر حيث استقبله محمد علي بالبشاشة وأجلسه بجواره في مقصورته بقصره بشبرا (شمال القاهرة) ووعده ببذل جهده في التوسط بينه وبين السلطان العثماني.. ثم أنزله بعد ذلك ضيفاً في قصر إسماعيل باشا (ابن محمد علي) بحي بولاق... ولكن السلطان العثماني هدد محمد علي بعدم إعطاء حق اللجوء للأمير الذي وافق على مواجهة أقداره والسفر إلى مدينة اسطنبول حيث تم إعدامه ليموت شهيداً لبلاده. والواقع أن كثيراً من الأمراء وأسرهم من أسرة الأمير قد بقوا في مصر بعد تلك الحادثة ولم يسلمهم محمد علي لتركيا التي زادت كراهيتها في نفوس العرب بعد تلك الحادثة.

٧٢٢ بعث التراث العربي الإسلامي عن طريق مطبعة بولاق بمصر (١٢٣٤هـ/ ١٨٢١م)

أنشئت مطبعة بولاق كأول مطبعة كبرى في العالم العربي لتواكب المعارف التي فاضت من عقول المبدعين والعلماء المصريين الذين استخلصوا عبر التاريخ ومعارفه.

ولكن سرعان ما أخذت تلك المطبعة في طبع أمهات كتب التاريخ الإسلامي والعربي في حركة إحياء وبعث للتراث لم يسبق لها مثيل من قبل. ولم تكن المطبوعات التي أخذت تخرج تباعاً من تلك المطبعة توزع في مصر فقط، بل سافرت إلى سوريا ولبنان وفلسطين والحجاز واليمن والعراق والعديد من البلدان العربية والإسلامية الأخرى مما أحدث طفرة كبيرة من الوعي الديني والقومي والثقافي في تلك البقاع.

٧٢٣ حملة محمد علي في السودان (١٢٣٤هـ/ ١٨٢١م)

عاد الجند الألبان من الحجاز إلى مصر فكان أمامهم مهمة أخرى أقل عسراً من مهمتهم في الحجاز. فقد رغب محمد علي - هذه المرة لمصالحه الخاصة - من إخضاع السودان.. فقد أحس أن بقايا المماليك قد فروا وتجمعوا هناك لكي يهاجموا مصر، فسارع بإرسال حملة مكونة من ستة آلاف جندي فدخلوا دنقلة عام ١٨١٨م ثم أخذوا يهاجمون معاقل المماليك في أم درمان وسندي وحلفاية حتى تمكنوا من دخول مدينة سنار الاستراتيجية في يونيو ١٨٢١م وبذلك سيطر محمد علي على السودان سيطرة مطلقة استمرت حتى الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢م.

وفي الحقيقة فلم يكن الحكم المصري للسودان حكماً استعمارياً بأي صورة من الصور، فالعلاقات الروحية والثقافية كانت تربط شعبي وادي النيل على مر العصور.. ولهذا فقد لاحظنا تطوراً سريعاً للتجارة بين السودان ومصر وسافر العديد من علماء الأزهر وكذلك من أصحاب الحرف والمهن لكي يعملوا في السودان لتطوير الحياة إلى الأفضل.

٧٢٤ بناء مدينة الخرطوم عاصمة السودان (١٢٣٥هـ/ ١٨٢٢م)

بعد أن تمكنت قوات محمد علي من فتح السودان والقضاء على مقاومة أعدائه من المماليك، قام محمد بك الدفتر دار (وهو صهر لمحمد علي) باختيار موقع يقع مباشرة إلى الشمال من التقاء النيلين الأبيض والأزرق لبناء مدينة سياسية تكون عاصمة للسودان الشقيقة. وكان الموقع يستخدم منذ القدم كسوق مزدهر لتجارة الرقيق وتبادل السلع ولكن سرعان ما أخذت المدينة الجديدة تتسع

فزارها المفكر الكبير رفاعة الطهطاوي وأسس بها مدرسة كبيرة مشهورة لنشر العلم والثقافة بين أبناء السودان.

٧٢٥ تفشي وباء الكوليرا في العراق (١٢٣٦هـ/ ١٨٢٣م)

ظهر وباء الكوليرا في العراق وخاصة في بغداد نتيجة زيادة أعداد القتلى ونفوق الماشية بسبب الحصار الذي فرضه الفرس على المدينة عامي ١٨٢٠ و١٨٢١، مما أحدث تلوثاً في مياه نهري دجلة والفرات. ولقد كان عام ١٨٢٣م هو أشد عام للوباء. . . ولم يكن هناك في ذلك الوقت أية إجراءات طبية تمنع الوباء أو تعالجه مما أدى إلى موت أعداد غفيرة من الناس، وفرار العديد من سكان بغداد إلى المدن والجبال الخالية من الخطر.

٧٢٦ معاهدة أرضروم بين الفرس والعثمانيين (١٢٣٧هـ/ ١٨٢٣م)

لم تسقط بغداد نتيجة حصار الفرس لها عامي ١٨٢٠ و ١٨٢١م. ولما ظهر الوباء وانتشر بين الفرس انسحب الجيش الفارسي دون تحقيق أي نصر. ولهذا قامت الدولة الفارسية والعثمانية بتوقيع معاهدة أضروم مع العثمانيين وذلك في شهر أغسطس من عام ١٨٢٣م. ومع ذلك فيبدو أن بنود المعاهدة لم تكن مفصلة لتقضي على قضايا النزاع بين العراق وإيرن وخاصة في قضية الحدود الجنوبية وقضية الأكراد في الشمال. . وهي القضايا التي ظلت عالقة بدون حل جذري إلى عصرنا هذا. ويبدو أن بريطانيا نفسها عندما احتلت العراق ـ عام ١٩١٤م لم تحاول حل مشكلة الحدود بين العراق وإيران حتى تظل نقطة صراع بين الدولتين الإسلاميتين لإضعافهما معاً فلا تقوم لهما قوة تهدد مصالحها.

٧٢٧ محمد علي يرسل حملة بحرية مصرية ضخمة لإخضاع اليونان (١٢٣٨هـ/ ١٨٢٤م)

بدأت اليونان والجزر المحيطة بها في التمرد على تركيا وخاصة بعد الانتكاسات التي منيت بها في الشمال أمام روسيا. . فجهز محمد علي بناء على طلب من الإستانة أسطولاً مصرياً مكوناً من أكثر من ستين سفينة حربية على متنها سبعة عشر ألف جندي للإبحار تجاه اليونان. . وسرعان ما نجح الأسطول

المصري في إخضاع الكثير من الجزر اليونانية وخاصة كريت وضرب حصون المتمردين في ثغور اليونان. كذلك تمكن الأسطول المصري من الرسو على جزيرة الموره بجنوب اليونان وبسط النفوذ العثماني على جنوب شرق اليونان.

٧٢٨ السلطان العثماني محمود الثاني يقضي على نفوذ الجيش الإنكشاري (١٢٤٠هـ/ ١٨٢٦م)

يمكن تشبيه الجنود الإنكشارية في الدولة العثمانية بالجنود الترك في الدولة العباسية، وجنود المماليك في الدولة الأيوبية. فكل فئة من هؤلاء بدأت حياتها العسكرية البسيطة في خدمة الدولة التي استحضرتها حتى ضعفت تلك الدولة فانقض عليها الجنود الأغراب فيما بعد. وهذا درس بليغ يعطيه التاريخ لأولي الألباب.

أما كيف تمكن السلطان العثماني محمود الثاني من القضاء بنجاح على نفوذ الإنكشارية، فقد سالمهم عندما اغتالوا سلفه حتى إن جاء شهر مايو من عام ١٨٢٦ فعمل على تأسيس فرقة قوامها ١٢ألف جندي من جنود الولايات العثمانية يتم تدريبه على النظريات العسكرية والقتالية الحديثة على أن يكون مدربوا تلك الفرقة من القادة الأوروبيين حتى يتحاشى غضب الجند الإنكشارية، وعندما فطن قادة الإنكشارية لخطة السلطان وأخذوا يعدون أنفسهم للتآمر، سارع بالإجهاز عليهم جميعاً بنجاح كبير مما دفعه إلى السيطرة السريعة على دولته والسير بها قدماً إلى الأمام.

ولا يمكن اغفال حقيقة أن قيام محمد علي في مصر بالتخلص من المماليك عام ١٨١١م كانت عملية استوحى منها السلطان العثماني فكرة التخلص من مناوئية السياسيين عندما شكلوا خطراً على نظام جكمه.

٧٢٩ تحطم الأسطول المصري في موقعة نوارين (نافارين) (١٢٤١هـ/ ١٨٢٧م)

أظهرت القوات المصرية التي أخضعت اليونان من النجاح ما أثار الحقد والحسد والضغينة في أوروبا ضد مصر وجيشها وضد محمد علي ذاته.

فلقد شعر اليونانيون (وهم أصل الحضارة الأوروبية التي نقلوها عن المصريين) بالمذلة والهوان. . . فسارعوا بطلب الانتقام من دول أوروبا القوية. فأخذت انجلترا وفرنسا وروسيا في اعداد الخطط. . فطلبوا من محمد علي سحب جنده وأسطوله من اليونان بدون شروط. . . فرفض ورفض معه السلطان العثماني. . فسارعت أساطيل الدول الثلاث بقيادة الأدميرال كورنجتون (وهو بريطاني) بمحاصرة شبه جزيرة الموره (جنوب اليونان) وتدمير الأسطول المصري بكامل سفنه مستخدماً في ذلك مدافع ذات مدى أبعد من مدافع الأسطول المصري في معركة نافارين البحرية التي لم تستغرق من الزمن إلا ساعات ثلاث وكان ذلك في شهر اكتوبر من عام ١٨٢٧م.

وفي الحقيقة فقد كانت تلك الهزيمة موجعة لتركيا أكثر مما كانت موجعة لمحمد علي الذي تمكن من بناء أسطول ضخم آخر أما تركيا فقد فقدت الحماية المصرية.

وقد اعقب تلك المعركة اضطرار تركيا بالاعتراف باليونان دولة مستقلة ذات سيادة، وبهذا فقد دفعت تركيا ثمن الهزيمة سياسياً.

٧٣٠ اندلاع الحرب بين روسيا والدولة العثمانية (١٢٤٣هـ/ ١٨٢٩م)

زادت أطماع بريطانيا في العراق بعد زيادة تجارتها فيه وترسيخ أساطيلها في موانىء الخليج العربي. واستغل الروس الضعف العثماني وقاموا بشن حرب طويلة منهكة عامي ١٨٢٧ و ١٨٢٨م، فقام السلطان العثماني بدعوة المسلمين للجهاد ضد الروس التوسعيين. . ولقد ترك البريطانيون الحرب مشتعلة لإضعاف العدوين معاً مما مكن الروس من اقتطاع أجزاء واسعة من الامبراطورية العثمانية.

٧٣١ هولندا تذبح ٢٠٠ ألف مسلم أندونيسي (١٢٤٤هـ/ ١٨٣٠م)

دخل المسلمون الأوائل جزر أندونيسيا للتجارة في القرن الخامس عشر الميلادي وسرعان ما انتشر الإسلام وأصبح الديانة العامة هناك في القرن السادس عشر الميلادي. ولما سيطر البرتغاليون على شبه جزيرة مالقا (في ماليزيا اليوم)

عام ١٥١١م هددوا بذلك جزر أندونيسيا، وخاصة جزيرة سومطرة. . . ولكن احتلال أسبانيا للبرتغال أفقدها مستعمراتها وخاصة في أندونيسيا. . ثم جاء الهولنديون عام ١٦٤١م وهزموا الأسبان، واحتلوا أندونيسيا وأسسوا شركة شرق الهند الهولندية التي كانت أول شركة عملاقة عبر البحار في العالم والتي استمرت في استعمارها لأندونيسيا حتى عام ١٧٩٨ (عندما حلتها الحكومة الهولندية نظراً للمفاسد المالية التي ارتبطت بها) فوضعت الحكومة الهولندية يدها على مخصصات الشركة، وذلك بعد احتلال فرنسا (قوات نابليون بونابرت) لهولندا عام ١٧٩٥م. ولقد تمكنت بريطانيا بعد هزيمتها لفرنسا من احتلال جزيرة جاوا الأندونيسية من عام ١٨١١م إلى عام ١٨١٦م ثم استعادتها هولندا، ولكن شعب الجزيرة المسلم رفض الهولنديين فقام بثورة كبرى لمدة خمسة أعوام (١٨٢٥ ـ ١٨٣٠م) راح ضحيتها مائتا ألف مسلم. ولقد تمكن الجيش الهولندي بعدها من كبح الثورة والسيطرة على أندونيسيا. . . ولكن إلى حين.

٧٣٢ الاحتلال الفرنسي للجزائر (١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م)

أخذ نفوذ العثمانيين بالجزائر يضعف مثله في ذلك مثل الوضع في أي ولاية عثمانية أخرى حتى تمكنت القبائل والأسر الكبيرة من الاستئثار بالحكم. ولكون الجزائر قريبة من فرنسا فقد استغلت الأخيرة وقوع حادثة اعتداء من حاكم الجزائر على القنصل الفرنسي وأظهرت أن ذلك يعتبر تعدياً خطيراً على هيبة فرنسا التي جهزت أسطولاً بحرياً كبيراً خرج من ميناء طولون على البحر المتوسط واتجه إلى شواطىء مدينة الجزائر وأخذ يقصفها بالقنابل، فأعلن حاكم الجزائر الاستسلام في الخامس من يوليو عام ١٨٣٠م فوقعت الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي وهي بالتالي أول دولة عربية أفريقية تخضع للاحتلال من دولة أوروبية منذ دخول الإسلام شمال أفريقيا. . وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن التاريخ قد طوى صفحة الأمجاد الإسلامية. . . ويدل كذلك على زوال هيبة المسلمين، مما لا تزال أثاره باقية حتى يومنا هذا بكل أسف.

٧٣٣ وباء الطاعون يفتك بأهل العراق (١٢٤٥هـ/ ١٨٣١م)

ظهر الوباء في سبتمبر من عام ١٨٣٠م في مناطق العراق الشمالية

(كردستان وكركوك) ثم أخذ يزحف بسرعة جنوباً. وساعد على ذلك ارتفاع فيضان نهر دجلة فتهدمت الجسور والدور وغرقت الأراضي الزراعية، ففتك الوباء بالناس فتكاً ذريعاً حتى ملأت الجثث المتعفنة شوارع المدن والقرى، وكثرت السرقات لقلة الطعام وفر الناس إلى الجبال، ولكن قطاع الطرق والمماليك كانوا يسرقونهم أو يقتلونهم فعاشت البلاد نكبة شديدة لم تحدث لها منذ أمد طويل.

ولقد رفض القنصل البريطاني في بغداد إمداد السكان بالمساعدات الطبية وسارع بمغادرة المدينة المنكوبة

٧٣٤ العثمانيون يقضون على المماليك في العراق (١٢٤٥هـ/ ١٨٣١م)

إن القضاء على المماليك في العراق جاء تنفيذاً لسياسة تركيا الجديدة مع الولايات والتي تتضمن العودة للحكم العثماني المباشر والقضاء على أي مقاومة تقوم بها شعوب تلك الولايات.

ولقد عاش المماليك في العراق فترات ممتدة من تاريخ الدولة العثمانية إلى أن نما نفوذهم وأصبحوا يسيطرون على البلاد بل يستقلون ببعض أجزائها عن الدولة العثمانية إلى أن قام الفرس باحتلال جنوب العراق وحاصروا بغداد ولم يغادروها إلا عندما زادت المقاومة وانتشر الوباء، فدخل العثمانيون بقيادة علي رضا باشا، وأخذوا يحاصرون معاقل المماليك فأجروا فيهم مذبحة كبرى لم ينج منهم فيها إلا القليلون الذين فروا ليتخفوا في أنحاء العراق الريفية. وبهذا تمكن العثمانيون من إعادة السيطرة على العراق.

ويمكن القول أن ظهور قوة المماليك في صد العدوان الفارسي على العراق (أنظر عام ١٨٢٠م) قد أظهر قوتهم من ناحية، وأفقدهم الكثير من القدرة من ناحية أخرى. . . فرغب العثمانيون في الخلاص منهم.

ومرة أخرى يمكن القول أنه لا يمكن فصل مذبحة المماليك في العراق عن مذبحتهم في مصر عام ١٨١١م وذبح الجند الإنكشارية في تركيا عام ١٨٢٦م.

٧٣٥ العثمانيون يخمدون ثورة أهل بغداد (١٢٤٦هـ/ ١٨٣٢م)

كانت كراهية العراقيين للعثمانيين قديمة قدم إخضاعهم للعراق. ولهذا فعندما تمكن العثمانيون من طرد الفرس وذبح المماليك عادت من جديد مظالم العثمانيين، وسوء سياساتهم فهبت ثورة شعبية كبرى ضد العثمانيين هزت أركان الدولة العثمانية، وكان يمكن لمحمد علي وهو يتجه للشام أن يضغط على العثمانيين حتى يخففوا من ضغطهم على العراق، ولكن يبدو أن الدول الأوروبية وخاصة انجلترا كانت تمنعه حتى لا يزداد نفوذه في منطقة الخليج. فحطمت القوات العثمانية بقسوة مشاعل الثورة التحررية، وأعدمت قادتها وخاصة في بغداد والموصل.

٧٣٦ حملة محمد علي لتوحيد الشام مع مصر (١٢٤٦هـ/ ١٨٣٢م)

أدت قوة مصر المتزايدة إلى قيام محمد علي بتنفيذ حقائق التاريخ وتوحيد الشام مع مصر في دولة قوية تحت رئاسته. ولقد أدت صراعات شيوخ لبنان (بشير جنبلاط الدرزي وبشير الشهابي السني) وعجز الدولة العثمانية عن وضع حد لطموح محمد علي مما سمح له بالتفكير والانتقال إلى المجال العملي وتجهيز حملة مصرية لدخول الشام. وفي اكتوبر من عام ١٨٣٠م خرجت القوات المصرية التي بلغ عددها حوالي ثلاثين ألف رجل بكامل معداتهم فكانت مدينة غزة هى أول المدن التي ترحب بالحملة، ثم لحقتها يافا... أما عكا والتي كانت بها أقوى حامية عثمانية في الشام والتي كان يحميها حوالي ستة آلاف جندي تركي، فقد رفضت دخول القوات المصرية فما كان من المصريين إلا أن فرضوا من حولها حصاراً محكماً وأمطروا الحصن بقنابل المدافع إلا أن التعزيزات العثمانية أطالت من فترة الحصار حتى استسلم قائد القوات التركية عبد الله باشا في يونيو عام ١٨٣٢م.

بعد ذلك سارت الحملة تجاه دمشق وكان قد انضم لها جنود من فلسطين ولبنان فلم يتمكن الأتراك من الدفاع عن وجودهم بالمدينة فدخلها المصريون وسط ترحيب علمائها وشيوخها وأعيانها وأهلها... وفي السادس عشر من يونيو عام ١٨٣٢ أصبحت دمشق عاصمة دولة الوحدة الشمالية.

٧٣٧ الحملة المصرية تدخل الأناضول وتهدد الدولة العثمانية (١٢٤٦هـ/ ١٨٣٢م)

بعد أن توحدت مصر والشام سارعت الحملة الموحدة بالزحف تجاه شمال الشام وتقابلت على مقربة من حمص مع قوات تركية قوامها خمسة وعشرين ألف رجل فدارت معركة شديدة انتصرت فهيا الحملة وأخذت دون إبطاء في مواصلة الزحف شمالاً. وكان الترك قد انسحبوا إلى مضيق بيلان على مقربة من لواء الأسكندونة جنوبي الأناضول حيث أصبح عددهم هناك يقارب الخمسين ألف مقاتل يقودهم أكبر القادة الترك حسين باشا. ودارت معركة ضارية بين الحملة المصرية وبين الترك أظهر فيها القادة المصريون براعة فذة في الاستفادة من طبيعة الأرض الوعرة فألحقوا هزيمة قاسية بالأتراك العثمانيين الذين فروا تاركين سلاحهم وتجهيزاتهم في يوليو ١٨٣٢م وكان من نتيجة تلك المعركة الاستيلاء على مجمل أراضي شمال الشام.

ولكن قادة الحملة زحفوا مرة أخرى نحو الأراضي التركية فدخلوا مدينة أضنة وهي إحدى أهم مدن الأناضول... فأصبحت كل تلك المناطق داخلة في نطاق الدولة القوية التي أسسها محمد علي، مما بث الرعب في قلب الدولة العثمانية من ناحية وقلب الدول الاستعمارية من ناحية أخرى وخاصة بريطانيا.

٧٣٨ معركة قونية وهزيمة الأتراك أمام الحملة المصرية (١٢٤٨هـ/ ١٨٣٤م)

أسرعت مصر بعرض مشروعها للصلح مع الدولة العثمانية لتوافق فيه الاستانة على أن تصبح مصر والشام دولة عربية موحدة، فماطلت تركيا في الاستجابة لكي تجهز أقوى جيوشها لدحر الحملة المصرية. وكانت قونية هي المكان الذي تجمع فيه الجيش التركي وقوامه حوالي خمسة وخمسين ألف مقاتل لإلحاق الهزيمة بالمصريين... ولكن قادة الحملة المصرية سارعوا بالتصدي للجيش العثماني وأوقعوا به هزيمة قاسية فر على إثرها الجند الترك تاركين أسلحتهم وذخيرتهم، وأسر جنود الحملة ستة آلاف جندي عثماني. وكانت تلك المعركة دافعاً لكي تصبح تركيا أكثر تهيئة لعقد الصلح مع مصر.

٧٣٩ إتفاقية كوتاهيه وتقرير وحدة مصر وسوريا (١٢٤٩هـ/ ١٨٣٥م)

بعد معركة قونية كان بإمكان القوات المصرية (ومعها بعض جند سوريا وفلسطين) من الزحف تجاه الإستانة عاصمة الدولة العثمانية، وهذا ما دعا الدولة العثمانية إلى الاستغاثة لدى روسيا لإنقاذ الاستانة من الجيش المصري، فأرسل القيصر الروسي حوالي خمسة وعشرين ألف مقاتل روسي لدعم خطوط الدفاع التركية مما أغضب انجلترا وفرنسا، فسارعتا بإرسال أساطيل بحرية إلى المنطقة، وفي تلك الأثناء كانت المفاوضات السياسية مستمرة حتى وافقت تركيا على التنازل عن الأراضي السورية كلها. ووقعت اتفاقية كوتاهيه (وهي مدنية بداخل الأراضي التركية) في الخامس من أبريل عام ١٨٣٥م. وبذلك أصبحت الدول العربية الجديدة الموحدة تتكون من مصر وفلسطين ولبنان وسوريا. . . وجميعها خاضعة لمحمد علي.

ولقد لعبت انجلترا دوراً هاماً في ضمان قوة وبقاء تركيا خشية سقوطها في أيدي مصر أو روسيا مما يخلق وضعاً مضاداً لمصالحها الاستعمارية، ويبدو أنها تمكنت من إرضاء محمد علي لتفكر في المستقبل القريب في سبيل الإحاطة بطموحاته السياسية وإنهاء أمله في قيام وتأسيس دولة عربية إسلامية تنهض بأحوال الأمة بعد طول فترة تخلفها بسبب الجمود الفكري للدولة العثمانية

٧٤٠ اغتيال الأمير تركي بن عبد الله بن سعود (١٢٤٩هـ/ ١٨٣٥م)

تمكن الأمير تركي من الاختفاء من جيوش إبراهيم باشا التي كلفت من قبل الاستانة بالقضاء على السعوديين. وبعد علمه بنبأ إعدام أبيه (عبد الله بن سعود) أخذ يحاول الانتقام من الترك ويجمع الرجال من حوله إلى أن تمكن من السيطرة على الإحساء عام ١٨٢١م، ثم الرياض التي اتخذها عاصمة له.

وبظهور الأمير تركي بن عبد الله أصبح حكم السعوديين من نسل عبد الله بن محمد بن سعود (وهو شقيق عبد العزيز بن محمد بن سعود) حيث بقي مبستمراً فترة طويلة من الزمن. ومرة أخرى عجزت الدولة العثمانية عن إخضاع الأمير تركي، فأوعزت إلى أحد أقربائه بقتله والتخلص منه، وتم ذلك عام ١٨٣٥م فخلفه ابنه الأمير فيصل الذي انتقم من قتلة أبيه.

٧٤١ محمد علي ينشىء الدولة المصرية الحديثة (١٢٤٩هـ/ ١٨٣٥م)

تسنى لمحمد علي بعد التخلص من المماليك أن يضع أسس قيام الدولة العصرية في مصر فبنى جيشاً مهاباً وأسطولاً قوياً قوام جنودهما ربع مليون رجل وعامل (في الصناعات المرتبطة بذلك). وأسس مدارس علمية في الطب والصيدلة والترجمة، ووضع موضع التنفيذ سلطة الحكومة ممثلة في مجلس الحكومة (الديوان العالي بالقلعة). ولم يأت عام ١٨٣٥م حتى كان بمصر برلمان سُمي في ذلك الوقت المجلس العالي الذي يناقش القوانين ويشرف على أعمال الحكومة. وأقام محمد علي إنشاءات زراعية عظيمة من حفر للترع وإنشاء للقناطر والمصارف حتى نهضت الصناعة في عهده نهضة كبرى.

ولا شك في أن كل تلك التطورات الهامة جعلت مصر دولة كبرى يمكنها أن تهدد الدولة العثمانية التي كادت الشيخوخة أن تقضي عليها... ولكن أحقاد الأوروبيين لم تكن تسمح لمصر بأن تتحول لدولة كبرى تحل محل الدولة العثمانية

٧٤٢ العثمانيون يعاودون إحتلال ليبيا (١٢٥٠هـ/ ١٨٣٥م)

أخذ نفوذ الأسرة القرمنلية (التي حكمت ليبيا من عام ١٧١١م) في الضعف مما سبب مشاكل عديدة مع الدول الأوروبية (وخاصة فرنسا التي احتلت الجزائر القريبة من ليبيا عام ١٨٣٠).

وكان يحكم ليبيا في ذلك الوقت يوسف باشا الذي أخذ يقسو على السكان الليبيين فثاروا عليه فتنازل عن الحكم لابنه علي باشا وكان ذلك في اغسطس عام ١٨٣٢م وبالرغم من ذلك استمرت الإضطرابات والفوضى في البلاد حتى قرر العثمانيون إرسال حملة بحرية قوامها ٣٢ سفينة يقودها نجيب باشا، فرست الحملة في طرابلس وانتهى بذلك حكم الأسرة القرمنلية، وخضعت ليبيا مرة أخرى للحكم العثماني المباشر والذي استمر حتى الاحتلال الايطالي لها عام ١٩١١م.

٧٤٣ ظهور الدعوة السنوسية (١٢٥٢هـ/ ١٨٣٧م)

كان من نتائج خضوع ليبيا مرة أخرى للحكم العثماني أن اتسعت الدعوة

السنوسية، تلك الدعوة التي ترتبط باسم محمد بن علي السنوسي الكبير الذي ولد بالجزائر ببلدة مستغانم. ويتصل نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن طريق ملوك الأدارسة. وقد نشأ السنوسي في أسرة علم وتقوى وسافر إلى المغرب الأقصى ليدرس في جامعة القرويين ثم سافر إلى مصر وأكمل تعليمه في الأزهر الشريف فزادت معارفه، فأراد نشرها على المسلمين كافة بالحجاز. فأنشأ هناك زاويته المعروفة باسمه من أبي قبيس عام ١٨٣٧م ومنذ ذلك التاريخ ظهرت الدعوة السنوسية التي تدعو إلى إصلاح أحوال العالم الإسلامي. ولقد عدل السنوسي عن فكرة نشر دعوته في الجزائر لوقوع ذلك القطر تحت الاحتلال الفرنسي، فقرر البقاء في ليبيا حيث التف من حوله الناس. ولقد توفي السنوسي عام ١٨٥٨م فخلفه ابنه محمد المهدي السنوسي.

٧٤٤ بريطانيا تفسد الاتفاق المصري البحريني (١٢٥٤هـ/ ١٨٣٩م)

استمر نفوذ محمد علي بشرق الجزيرة العربية حتى بعد قيام بريطانيا بعقد سلسلة من الاتفاقات مع شيوخ الإمارات العربية الصغيرة في ذلك الوقت لكي تحمي - كما ادعت - تجارتها هناك. ولكن تطوراً كبيراً حدث نتيجة قيام محمد علي بالتحالف مع أمير البحرين وتوقيع معاهدة توضح أطر الصداقة والتعاون فيما بينهما. ولقد نظرت بريطانيا لتلك المعاهدة على أساس أنها موجهة ضدها فأنذرت محمد علي بسحب موافقته على المعاهدة وحذرت أمير البحرين بمحاصرة موانئه البحرية.

ولقد أخذت بريطانيا - كعادتها في مثل تلك الظروف - في دفع الدول الكبرى للتنديد بسياسة محمد علي حتى سحب قواته من الجزيرة العربية كلها في خلال عام واحد (أنظر معاهدة لندن عام ١٨٤٠م).

٧٤٥ الاحتلال البريطاني لعدن (١٢٥٤هـ/ ١٨٣٩م)

بعد أن أقامت بريطانيا الرأى العام الدولي في أوروبا ضد سياسات محمد علي في الخليج العربي حتى اضطرته إلى الانسحاب، سارعت بتقوية نفوذها في منطقة جنوب البحر الأحمر، وادعت بريطانيا تعرض واحدة من سفنها التجارية لأعمال القرصنة فقامت بحصار ميناء عدن وقصفه من مدفعية

اسطولها ثم احتلاله احتلالاً عسكرياً سياسياً كاملاً. وأصبحت عدن منذ ذلك الوقت ميناء هاماً لخدمة السفن البريطانية وتزويدها بالفحم، وهي أول دولة في المشرق العربي تخضع للاحتلال الكامل من قبل دولة أوروبية استعمارية منذ أن دخلها للإسلام.

٧٤٦ معركة نزيب (نصّيبين) وانتصار المصريين على الجيش العثماني

(١٢٥٤هـ/ ١٨٣٩م)

يبدو أن المستشارين الألمان الذين عملوا على مقربة من قادة الجيش العثماني تمكنوا من إقناعهم بأنه بالإمكان هزيمة المصريين وإلغاء شروط معاهدة كوتاهيه التي وحدت الشام مع مصر. ولهذا سارع جيش تركي ضخم ضم حوالي تسعين ألف مقاتل في التجمع من حول منطقة نصّيبين بشمال ولاية حلب السورية. ولما علم الجيش العربي بتلك التحركات تهيأ للمعركة التي اندلعت صباح الرابع والعشرين من يونيو عام ١٨٣٩م حيث ظهر للجيش التركي مدى ضعفه المعنوي وقلة خبرته أمام شجاعة ومهارة الجندي العربي. وكانت نتيجة المعركة مخيبة للآمال التركية حيث أسر منهم وقتل ما يقرب من ربع جيشهم... أما الباقون فقد فروا تاركين أسلحتهم بالجملة في ميدان القتال. وفر كذلك الأسطول العثماني من موانئه ولكن إلى الأسكندرية بقيادة الأدميرال أحمد فوزي، الذي أعلن ولاءه لمصر.

ولقد سبب ذلك النصر العربي الكبير على العثمانيين هزة عنيفة لدول أوروبا، حيث أظهرت مدى قوة مصر والشام الموحدة التي أرجعت أمجاد العرب الكبرى عبر التاريخ ومدى ما يمكن أن تلحقه بالمخططات الاستعمارية ولهذا بدأت المؤامرات تحاك.

٧٤٧ الألمان يطردون العثمانيين من بلجراد (١٢٥٤هـ/ ١٨٣٩م)

كانت بلجراد عاصمة الصرب حتى تمكن الأتراك العثمانيون (جيوش السلطان سليمان القانوني) من دخولها ونشر الإسلام فيها عام ٩٢٧هـ (١٥٢١م). ولكن جرت عدة محاولات متتابعة لاسترداد المدينة وتوقيع معاهدة قصيرة العمر بين الأوروبيين والعثمانيين إلى أن تمكن الألمان

والمجريون من الاستيلاء على المدينة وطرد الأتراك منها عام ١٧٩٩م. وبالرغم من ذلك ظلت المدينة بدون سيادة من الصرب إلى أن تم ذلك عام ١٨٣٩م، ولكن كان الإسلام قد انتشر ورسخ في يوغسلافيا وخاصة في منطقة البوسنة والهرسك التي يقطنها اليوم حوالي ستة ملايين مسلم.

٧٤٨ معاهدة لندن والانذار الاستعماري لمصر (١٢٥٥هـ/ ١٨٤٠م)

لقد كانت الدول الإسلامية تجدد نفسها كلما ضعفت واحدة منها كما رأينا على مدى العصور السابقة مما جعل المسلمين يعيشون حياة مزدهرة ويتمتعون بالاستقلال والحرية. ولما ضعفت الدولة العثمانية، وظهرت قوة الدولة المصرية التي كانت على وشك أن تحل محل الدولة العثمانية، وقف الأوروبيون كافة ضد محمد علي للقضاء على طموحاته، وتزعمت بريطانيا الدول الأوروبية بمعاونة من تركيا لكي تعقد مداولات في العاصمة البريطانية لندن لبحث سبل تحجيم محمد علي وتقليص نفوذه والقضاء على محاولاته في إحياء الدولة الإسلامية العصرية الموحدة القوية.

لقد كان اللورد بالمرستون وزير الخارجية البريطاني هو ذلك الرجل الذي وقع معاهدة لندن مع كل من تركيا وروسيا والنمسا والمانيا في الخامس عشر من يوليو عام ١٨٤٠م. تلك المعاهدة التي نصت على إلزام محمد علي بسحب قواته من كافة المناطق التي دخلتها عدا جنوب الشام، وأن تقف تلك الدول ضد محمد علي إذا رفض تنفيذ بنود تلك المعاهدة لاجباره على احترامها والتقيد بها. ولقد أوضحت المعاهدة أن مصر ستمنح لمحد علي وأبنائه من بعده. أما جنوب الشام فهو له ما بقي حياً ويعود للسلطة العثمانية فور ذلك. وأوضحت المعاهدة كذلك ضرورة قيام محمد علي بإرجاع الأسطول العثماني الذي كان قد فر إلى الأسكندرية بعد معركة نصيبين (نزيب) بدون أية شروط، ومنح محمد علي عشرة أيام لإبداء رأيه في تلك المعاهدة.

٧٤٩ مصر ترفض معاهدة لندن، فيفصل الأوروبيون الشام عن مصر (١٢٥٥هـ/ ١٨٤٠م)

رفضت مصر بطبيعة الحال الموافقة على معاهدة لندن، فما كان من

تركيا إلا أن طلبت حماية وتدخل الدول الأوروبية، باستثناء فرنسا التي لم توقع المعاهدة. وفي الحقيقة فإن بريطانيا وحدها هي التي قامت بالاعتداء على مصر والشام حيث قامت وحداتها البحرية بقطع خطوط الملاحة بين مصر والشام ومحاصرة الشواطىء المصرية والشامية، ثم احتلت ميناء جونية اللبناني وأسرت حاميته المصرية، ثم اتجهت إلى ميناء جبيل واحتلته، وقصفت ميناء حيفا وميناء صور وميناء صيدا بالقنابل.

وسرعان ما تساقطت مدن الشام بعد أن اندلعت فيها النيران واحدة تلو الأخرى، وقطعت سبل الإمداد والتموين البري والبحري بين مصر والشام.

وبالرغم من أنه لم تقع أية معارك برية كبرى بين الجيش المصري والقوات البريطانية إلا أن قطع طرق الإمداد وتساقط موانىء الشام كان كافياً لإفهام محمد علي بأن آماله في إبقاء وحدة مصر والشام قد تحطمت بسبب لجوء الأتراك العثمانيين (المسلمين) إلى الدول الأجنبية لحل النزاعات مع مصر.

وفي السابع والعشرين من نوفمبر عام ١٨٤٠م وافق محمد علي على شروط الدول المتحالفة التي تعطيه مصر له ولورثته وانتهت بذلك آخر صراعات محمد علي مع أوروبا والدولة العثمانية، ولكن لم تنته صراعات مصر معها

٧٥٠ ظهور دعوة أغاخان بالهند (١٢٥٥هـ/ ١٨٤٠م)

يرتبط الأغاخان تاريخياً بطائفة الإسماعيلية النزارية الشيعية (أنظر عام ٤٨٧هـ)، وهي طائفة هامة من طوائف الشيعة التي استقرت بشمال غرب الهند. أما لفظ أغاخان، فيستخدم للدلالة على شخص الزعيم الروحي لطائفة الإسماعيلية النزارية التي يؤمن بها اليوم حوالي ٢٠ مليون مسلم. وقد استخدم لقب أغاخان لأول مرة من قبل شاه فارس وأنعم به على الإمام حسن علي شاه (وهو الإمام السادس والأربعين لهذه الطائفة) والذي ولد عام ١٨١٧ وتوفي عام ١٨٨١م ولما ظهرت العداوة بين الإمام أغاخان وولي عهد فارس فر بعدها الإمام إلى الهند عام ١٨٤٠م فاعترفت به الامبراطورية البريطانية وورثت اللقب لابنه علي شاه ثم إلى حفيده السلطان محمد شاه الذي كان طفلاً في الثامنة من العمر (ولد عام ١٨٧٧ وتوفي عام ١٩٥٧م) فأصبح أغاخان الثالث.

ولقد اهتم اغاخان الثالث برفع مستوى المسلمين الهنود وعمل على تطوير التعليم الإسلامي وتحسين معاملة المرأة ووقف إلى جانب بريطانيا في الحرب العالمية الأولى، وفي عام ١٩٢٩م أصبح رئيساً لمؤتمر كل مسلمي الهند، ثم مثل الهند عدة سنوات في عصبة الأمم. وفي الحرب العالمية الثانية عاش في سويسرا وبعد انتهائها أخذ ينفق بسخاء من ثروته على المسلمين من الطائفة الإسماعيلية إلى أن توفي بمدينة فيرسوا بسويسرا في ١١يوليو ١٩٥٧م، فخلفه ابنه أغاخان الرابع الذي ولد بجنيف في ديسمبر ١٩٣٧ ويدعى كريم خان والذي اهتم كأبيه بمسلمي الهند، وأسس بدمشق بنكاً لتمويل بعض المشروعات التنموية.

٧٥١ تأسيس الدولة السعودية الثانية (١٢٥٨هـ/ ١٨٤٣م)

ما إن غادرت جيوش محمد علي الجزيرة العربية عام ١٨٤٠ حتى عادت من جديد الدعوة الوهابية بصورة أكبر وأوسع من ذي قبل، وذلك بعد عودة أمير نجد (فيصل بن تركي) من مصر إلى أنصاره الذين بايعوه بقوة وإخلاص إلى أن تمكنوا معه من إسترداد إمارة نجد. وبهذا فتح الباب أمام إعلان الدولة السعودية الثانية، وهي الدولة التي دعمتها الحركة الوهابية فتمكنت من توسيع نفوذ آل سعود إلى القطيف والإحساء وعسير، واستمرت تلك الدولة في الوجود حتى وفاة مؤسسها فيصل بن تركي عام ١٨٥٦م.

٧٥٢ الفرنسيون ينفون الأمير عبد القادر الجزائري قائد الكفاح الوطني (١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م)

احتل الفرنسيون المدن الجزائرية الساحلية، أما في الجنوب فقد عجزوا عن بسط نفوذهم عليه وخاصة عندما توحدت الجهود الشعبية خلف الأمير عبد القادر الجزائري قائد المقاومة ضد الاحتلال، تلك المقاومة التي أزعجت الفرنسيين غاية الإزعاج متخذة من قاعدة (معسكر) في جنوب شرق وهران منطلقاً لهجماتها. وقد حاول الفرنسيون توقيع معاهدات عديدة مع عبد القادر الجزائري إلا أن تلك المعاهدات لم تكن إلا مرحلة للهدنة لبسط النفوذ الفرنسي على مجمل أراضي الجزائر. وباستمرار الضغط الفرنسي أخذت المقاومة

تضعف حتى سافر عبد القادر الجزائري إلى المغرب الذي قام سلطانها بطرده إلى الجزائر مرة أخرى حيث تمكن الفرنسيون منه وقاموا بنفيه إلى دمشق.

٧٥٣ وفاة محمد علي باشا مؤسس مصر الحديثة (١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م)

بعد أن بذل الكثير من الجهد من أجل القضاء على الفساد السياسي العثماني، وبعد أن تحالف ضده الأوروبيون وهزموه وحطموا آماله في إقامة دولة عربية قوية، ركن محمد علي إلى الدعة والاستقرار في مصر.

ولما كانت الشيخوخة قد حلت به أخذ المرض طريقه إلى جسده، فطوى الموت صفحته في الثالث عشر من رمضان عام ١٨٤٩م وذلك بقصر رأس التين بالأسكندرية، فنقل جثمانه إلى القاهرة حيث دفن بالمسجد الكبير الذي يحمل اسمه حتى يومنا هذ بالقلعة. وكان محمد علي قد ولد عام ١٧٦٩م بمدينة قوله بألبانيا. وصادف عام مولده عام مولد نابليون بونابرت الذي حاول هو الآخر توحيد البلدان الأوروبية تحت القيادة الفرنسية، ولقد دار خلاف واسع بين المؤرخين حول نهج محمد علي السياسي، فقد رآه البعض كما لو أنه يود تحقيق أمجاد شخصية مهما كلف ذلك البلاد، ورآه البعض الآخر بطلاً قومياً أراد توحيد العالم العربي والنهوض به ضد الهيمنة الغربية والاستقلال عن الدولة العثمانية.

ولكن مهما كان الأمر فمحمد علي هو الزعيم الذي أسس مصر الحديثة، ورفع إسمها عالياً بين الأمم، وعلم ببصيرته الثاقبة أن مصر دولة رائدة يمكنها بسرعة إذا ما توافرت لديها القيادات الفذة أن ترتقي بين الأمم والدول.

٧٥٤ تركيا وحرب القوى العظمى في القرم (١٢٦٩هـ/ ١٨٥٣م)

إن تركيا التي أخذت تضعف وقعت ضحية لأطماع الدول الكبرى. فروسيا تريد حماية الأرثوذكس في ولايات الأمبراطورية العثمانية الأوروبية. وفرنسا تريد حماية الكاثوليك بتلك الولايات. وقد رفضت كل من فرنسا وروسيا التفاوض السلمي فاحتلت روسيا منطقة الدانوب وحشدت قوات عسكرية على حدود تلك المنطقة مع تركيا وذلك في مايو ١٨٥٣م. وإزاء تلك السياسة العدوانية من روسيا تحركت أساطيل بريطانيا وفرنسا إلى قرب مضيق الدردنيل،

وأرسلت روسيا إنذاراً لتركيا بتقرير حق القيصر في حماية المناطق التي يقطنها الأرثوذكس فرفضت تركيا الإنذار فدخلت القوات الروسية إلى الأراضي التركية فهاجمت القوات التركية القوات الروسية في الدانوب وطلبت مساعدة البحرية البريطانية والفرنسية. فأعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب ضد روسيا في مارس ١٨٥٤م حيث دمرت أساطيل الدولتين الأسطول الروسي في البحر الأسود. وتم انزال قوات مشتركة في منطقة القرم حيث انهزم الروس في معركة (ألما) وسقطت مدينة سباستبول الروسية على البحر الأسود في سبتمبر ١٨٥٥م واستمرت الأوضاع مضطربة إلى أن استسلم القيصر الروسي في فبراير ١٨٥٦م وانتهت بذلك الحرب في شبه جزيرة القرم.

ولقد تمخضت الحرب عن إلتزام السلطان العثماني بالمساواة في المعاملة بين المسلمين وكافة الطوائف المسيحية، وأن يعطي حكماً ذاتياً لمنطقة الدانوب وإعلان حياد البحر الأسود... وقد تم ذلك في مؤتمر باريس الذي عقد في فبراير/مارس ١٨٥٦م.

٧٥٥ صدور امتياز قناة السويس (١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م)

حدثت منازعات شاقة ومريرة بين انجلترا وفرنسا حول جدوى تنفيذ فكرة شق قناة للملاحة تصل البحر الأحمر بالبحر الأبيض أو فكرة تنفيذ خط للسكك الحديدة من جنوب العراق (على الخليج العربي) إلى شماله بالتوازي مع نهر الفرات.

فقد اعتبر الإنجليز أن تنفيذ الفكرة الفرنسية لحفر قناة السويس سوف يقضي على النفوذ التجاري لانجلترا في الشرق كله، ولم تكتف فرنسا بتحبيذ فكرة شق قناة السويس، ولكنها سارعت كذلك بعرض مشروع فرنسي على الإستانة لإنشاء خط للسكك الحديدية في العراق، مما أحدث صراعاً داخل الحكومة البريطانية نفسها. وانتهزت فرنسا الفرصة ووقعت مع سعيد باشا خديوي مصر عقد حفر قناة السويس، مما اعتبر ضربة كبرى للسياسات البريطانية في الشرق الأوسط وساعد بصفة مباشرة على أن تقوم بريطانيا بالتفكير الجدي في احتلال مصر.

٧٥٦ البحرية البريطانية تقصف مدينة جدة بالقنابل (١٢٧٤هـ/ ١٨٥٨م)

استمر ضعف الدولة العثمانية حتى سيطر عليها ساسة الدول الأوروبية الذين عملوا كل ما في وسعهم لإحراج الخلافة العثمانية، ليس فقط في أوروبا ولكن في مناطق شتى من الولايات العربية التابعة لها.

فقد قام الأوروبيون بقيادة الإمبراطورية البريطانية بافتعال بعض الدسائس في مدينة جدة (القريبة من مكة المكرمة) راح ضحيتها بعض المسلمين والمسيحيين الأوروبيين، وتطورت أعمال العنف بالمدينة إلى أن أصيب قنصل فرنسا في يوليو عام ١٨٥٨م وقتلت زوجته وسارعت كل من البحرية البريطانية والفرنسية (حتى قبل أن تقوم حكومتا الدولتين بطلب التحقيق في الحادثة من قبل السلطات العثمانية) بالتوجه إلى شواطىء مدينة جدة ومحاصرتها. وفي تلك الأثناء قام نامق باشا والي مكة بالتحقيق في ملابسات الحادث وانتهى التحقيق بإصدار أحكام بالإعدام على القتلة، ولكن تنفيذ حكم الإعدام كان يتطلب استشارة الإستانة التي ستحتاج بعض الوقت نظراً لطول المسافة ولكن بريطانيا وفرنسا لم تنتظرا قرار الإستانة وأمرتا أسطوليهما بقصف مدينة جدة بالمدافع، واستمر القصف على مدى عشرين ساعة متتالية لكافة أحياة المدينة. ولقد راح ضحية ذلك القصف المئات من الأبرياء من سكان المدينة، وعقب ذلك جاءت الموافقة العثمانية على إعدام القتلة وتقديم اعتذار رسمي لكل من فرنسا وبريطانيا!!

٧٥٧ وفاة الداعية محمد بن علي السنوسي صاحب الدعوة السنوسية (١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م)

هو محمد بن علي السنوسي الذي ولد بمدينة جزائرية تسمى مستغانم. وبعد سياحته العلمية والدينية في مدن إسلامية هامة استقر بليبيا حيث أسس الدعوة الدينية التي حملت اسمه. ولقد كانت قوة مذهبه سبباً كبيراً في أن يوليه السلطان العثماني عبد الحميد الثاني ولاية ليبيا نظراً لحبه له وتفهمه لدعوته. ولقد توفي رحمه الله عام ١٨٥٩م بعد أن ضمن بقاء دعوته وقوتها التي سيظهر أثرها الكبير عندما تقع ليبيا تحت الاحتلال الإيطالي في مستهل القرن العشرين.

٧٥٨ الحرب بين الدروز والموارنة في لبنان (١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م)

إن الدروز فرقة من فرق المذهب الإسماعيلي الشيعي (انظر ظهور الدعوة الدرزية عام ٤٠٨هـ) الذين عاشوا في الشام وخاصة لبنان كانوا على خلاف دائم مع طائفة الكاثوليك التي تقطن جبل لبنان وتسمى بالموارنة. ولقد اهتمت فرنسا منذ البدايات الأولى للدولة العثمانية بحماية الموارنة في لبنان وعقدت معاهدة لذلك مع العثمانيين عام ١٥٣٦م، ثم تجددت المعاهدة عام ١٨٠٢م.

أما الدروز فقد لقوا التأييد البريطاني خاصة بعد انسحاب مصر من الشام عام ١٨٤٠م. ولكن الصراع بين الطائفتين أخذ يتطور إلى أن وصل إلى حرب أهلية دموية عام ١٨٦٠م، فسارعت فرنسا بإقناع الدول الأوروبية لكي تحتل لبنان احتلالاً مؤقتاً لمدة ستة أشهر - في غياب كامل للإشراف العثماني - فخمدت الحرب الأهلية، ووضع بعد ذلك نظام دولي يكفل أمن وسلامة طوائف لبنان كلها تحت رعاية الدول الأوروبية الكبرى. ذلك النظام الذي استمر حتى عام ١٩١٦ عندما وقعت فرنسا وبريطانيا اتفاقية سايكس بيكو التي جعلت سوريا ولبنان تحت النفوذ الفرنسي.

٧٥٩ ظهور التلمود مطبوعاً في وارسو ببولندا وعلاقة ذلك بخطر الصهيونية (١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م)

لم يكن التلمود مكتوباً في العصور القديمة بصورة تسمح بتداوله، ولكنه كان محفوظاً لكونه يتكون من صفحات قلائل، وذكر كثيراً أن العديد من نصوصه قد فقدت.

والتلمود هو ما اتفق حاخامات اليهود القدماء على أنه تفسير للتوراة. ولقد صدرت طبعة التلمود المنقحة بمدينة وارسو (عاصمة بولندا اليوم) عام ١٨٦٣م.

ويعتبر اليهود أن التلمود أهم من التوراة وأن من يقرأ التوراة بديلاً عن التلمود فهو ليس بيهودي ولا إله له.

ومن تعاليم التلمود تلك التي تحث كل يهودي على بذل الجهد لمنع

الأمم الأخرى من أن تتملك حتى تبقى الأرض خاضعة لسلطة اليهود فحسب. ومنها أن الفرق بين الإنسان والحيوان مثل الفرق بين اليهود والشعوب الأخرى. ومنها أن الأمم الخارجة عن الشريعة اليهودية هي أمم أشبه بالحمير، وأن هناك فائدة في أن يقوم اليهودي بقتل الصالح والمجد من غير اليهود. إن تلك التعاليم العنصرية وغيرها الكثير والواردة بكتاب التلمود تعتبر قلب الإيديولوجية الصهيونية التي تعيش في فلسطين المحتلة اليوم. ولا يمكن الوثوق لذلك بأية نوايا للصهاينة، فخطرهم محدق ومتربص وقريب ومستعد للعدوان لتحقيق الأوهام الكبرى االتي يؤمنون بها.

٧٦٠ وفاة الأمير فيصل بن تركي وانتهاء الدولة السعودية الثانية (١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م)

تمكن الأمير فيصل بن تركي من الانتقام من قتلة أبيه والسيطرة مرة أخرى على الأمور في الجزيرة العربية. وكانت الدولة العثمانية قبل ذلك قد أوعزت لمحمد علي لمهاجمة السعوديين، فأرسل جيشاً كبيراً بقيادة خورشيد باشا عام ١٢٥٤هـ تمكن به من أسر الأمير فيصل بن تركي وإرساله إلى القاهرة هو وأخوه وولداه عام ١٢٥٥هـ حيث استمر معتقلاً في القلعة لمدة أربعة أعوام تمكن بعدها بذكاء من الهرب والعودة إلى الرياض، ومن ثم إعادة توحيد منطقة نجد في شرق الجزيرة العربية. وفي عام ١٢٨٢هـ (١٨٦٥م) توفي الأمير فيصل بن تركي، فانقسم البيت السعودي في نجد عقب ذلك، فطمعت في أملاكهم أسرة آل رشيد، فاضطر أبناء الأسرة السعودية إلى الهجرة إلى الكويت ملبين دعوة آل صباح، وبهذا انتهت الدولة السعودية الثانية. ولكن الأمل تجدد عام ١٣١٩هـ (١٩٠٢م) لرجل من الأسرة السعودية هو الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل من استعادة مدينة الرياض.

٧٦١ بريطانيا تسيطر على إمارات الخليج العربي وتهدد الوهابيين بالجزيرة العربية (١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م)

بعد تدمير الأسطول البحري التابع لقبيلة القواسم العربية (انظر عام ١٨١٩م)، فرضت بريطانيا عدة معاهدات على مشايخ القبائل العربية للحد من

نفوذهم وإعلاء نفوذها الاستعماري. وزاد التدخل البريطاني في شؤون العرب بالخليج العربي عندما عينت مراقباً عاماً بريطانياً في سلطنة عمان كان من حقه أن يفتش السفن العربية التجارية. ثم أخذت تتدخل في شؤون الحكم السياسي في إمارات البحرين ومسقط والكويت وتختار من يحكمها بما يتوافق مع مصالحها. وعندما أخذ الوهابيون ينشرون دعوتهم في إمارة عمان قامت البحرية البريطانية بمهاجمة مناطق التجمع الوهابي الكبرى في القطيف والبوريمي، وأنزلت بها خسائر كبيرة جعلت الوهابيين يتخلون عن نشر دعوتهم مما سهل الأمر للبريطانيين في زيادة نفوذهم في إمارة مسقط.

٧٦٢ افتتاح قناة السويس (١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م)

كانت فكرة وصل البحر الأحمر بالمتوسط فكرة قديمة، ولكن حماس أصحابها كان أكبر من قدراتهم على تنفيذها إلى أن قام المهندس الفرنسي الشهير دي ليسبس بدراسة المشروع دراسة علمية وتوصل إلى إمكانية التنفيذ العملي لها. ولقد دارت منازعات كبرى بين الدول الأوروبية الاستعمارية في تقرير أي منهم يقوم بالتنفيذ، وأخيراً فازت فرنسا بعقد التنفيذ، وبدأ الحفر عام ١٨٥٩م واستمر العمل لمدة عشرة أعوام متواصلة. بلغت كلفة الحفر والتجهيز والمعدات حوالي ٢٠ مليون جنيه استرليني في حينه.

يبلغ طول قناة السويس من بور سعيد شمالاً حتى السويس جنوباً حوالي ١٦٥ كيلو متراً. وبلغ عمقها عند الحفر حوالي ٨,٥ متر (ولكنه يزيد اليوم على خمسة أضعاف ذلك). وتمر السفينة من القناة في حوالي خمس عشرة ساعة تقريباً ولقد اختصرت قناة السويس المسافة من أوروبا إلى الهند وجنوب شرق آسيا بحوالي اثني عشر ألف كيلو متراً.

٧٦٣ إنشاء كلية دار العلوم لإحياء اللغة العربية (١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م)

تم إنشاء كلية دار العلوم سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧١م) وذلك في سراي الجماميز بحي قديم بالقاهرة، ثم نقلت عام ١٩٠٠م إلى حي المنيرة وهو الحي الذي يقع على مسافة كيلومترين تقريباً إلى الشمال من سور مجرى العيون بالفسطاط القديمة.

ولقد كان غرض الأزهر من إنشائها المحافظة على اللغة العربية وعلومها من الضياع والاندثار في وقت كان فيه التغريب قد بدأ يزحف على البلاد نتيجة للسياسات العثمانية والخديوية في مصر وتدخل الدول الأجنبية في شؤون البلاد.

وتعتبر كلية دار العلوم بحق قلعة اللغة العربية وآدابها في الوطن العربي كله. فالمصريون ليسوا وحدهم الذين يتلقون العلم فيها ولكن الطلبة العرب والمبعوثين من الدول الإسلامية ومحبي اللغة العربية في العالم أجمع كذلك.

٧٦٤ العثمانيون يعاودون احتلال اليمن (١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م)

فشل العثمانيون بعد فتحهم اليمن في إضفاء الرحمة والعدل على نظام حكمهم هناك فثار الشعب اليمني ضدهم ليس فقط من أجل قسوة وطغيان العثمانيين ولكن كذلك لاختلاف المذهب الديني. فاليمن به الكثيرون من الزيدية الشيعة والعثمانيين على المذهب السني فتمكن إمام اليمن من الاستقلال ببلاده عن الحكم العثماني عام ١٦٣٥م. وبعد خروج محمد علي من الجزيرة العربية واليمن عام ١٨٤٠م وظهور الاتجاه في الإستانة إلى تقوية القبضة العثمانية على الإمارات، تمكن جيش عثماني من الإبحار والرسو على شواطىء اليمن وحصار العاصمة صنعاء واحتلالها واستخدام القسوة مع السكان حتى اضطروا للخضوع عام ١٨٧٢م. ولكن ذلك لم يستمر لأكثر من ثلاثة عقود.

٧٦٥ وفاة رفاعة رافع الطهطاوي المفكر المصري الكبير (١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م)

رفاعة رافع الطهطاوي الذي ولد بقرية طهطا جنوب مصر سنة ١٢١٦هـ (١٨٠٣م) هو واحد من أكبر العلماء المصريين الذين تعلموا في الأزهر الشريف في القرن التاسع عشر الميلادي أرسله الأزهر في بعثة تعليمية إلى فرنسا عام ١٨٢٥م ليتعلم هناك علوم الاجتماع والتاريخ واللغة الفرنسية... وقد بقي هناك ستة أعوام وعاد لكي يفيد تلامذته بالأزهر وخارجه ويطور فكرهم ويرشدهم إلى الإطلاع على المعارف والعلوم الحديثة لرفع شأن أمتهم ويكون لهم الريادة في إعلاء شأن الدين وعلومه.

ولهذا المفكر الإسلامي الكبير كتب ومؤلفات هامة لعل أبرزها: مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية.. وله كتاب مهم عن سيرة النبي ﷺ يسمى (محمد) اعتبر أول كتاب في العصر الحديث يكتب عن سيرة النبي عليه السلام. كذلك فقد قام رفاعة الطهطاوي بتأسيس كلية الألسن لتدريس اللغات الأجنبية ويعود له الفضل ـ كذلك ـ في إنشاء صحيفة الوقائع المصرية.

وقد توفي رحمه الله سنة ١٨٧٣م.

٧٦٦ إنشاء جامعة عليجرة الإسلامية بالهند (١٢٩٥هـ/ ١٨٧٧م)

إن دخول الإسلام إلى غرب الهند إبان عهد الدولة العربية الأموية في القرن الثامن الميلادي جعل المسلمين بالهند يعيشون فترات مجيدة من تاريخهم.

وفي القرن التاسع عشر الميلادي ومع الصحوة الإسلامية التي عمت العالم الإسلامي نتيجة إحساس المسلمين بالخطر على كيانهم أمام الاحتلال الأوروبي، ظهرت نهضة إسلامية بالهند قادها الشيخ المسلم أحمد خان الذي شعر بظلم الاستعمار البريطاني وضرورة قيام المسلمين بالهند بدورهم في طرد المحتل وإحياء تراثهم الإسلامي. وقد فطن إلى أن البداية يجب أن تكون عن طريق زيادة وعي المسلمين الهنود والارتقاء بمعارفهم عن طريق بناء جامعة إسلامية كبيرة هناك، فقام بإنشاء جامعة عليجرة الإسلامية عام ١٨٧٧م لتدريس العلوم الإسلامية والعلوم الحديثة على حد سواء.

ولقد كانت جامعة عليجرة القوة الدافعة التي مكنت المسلمين في غرب الهند من التكاتف ورفع صوتهم لنيل استقلال الإقليم الذي يعيشون فيه.. ومن هنا خرجت جمهورية باكستان الإسلامية إلى الوجود.

٧٦٧ معاهدة سان استيفانو وانسحاب تركيا من أوروبا (١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م)

بعد معاهدة باريس المذلة للروس (انظر عام ١٨٥٣م) أخذت حكومة القيصر في إلهاب حماس سكان منطقة جنوب شرق أوروبا الخاضعة للنفوذ التركي (بلغاريا والبانيا ويوغسلافيا) فثارت ثائرة السكان وخاصة المسيحيين منهم

ضد العثمانيين. واستغل الروس ذلك الاضطراب فزحفوا بجيوشهم عبر رومانيا وتمكنوا من عبور نهر الدانوب وساروا مسرعين حتى وقفوا على بعد عشرة كيلو مترات من مدينة القسطنطينية جوهرة الدولة العثمانية في أوروبا، وهددوا الدولة العثمانية باقتحام المدينة إذا هي لم توقع معاهدة سان استيفانو مع روسيا. تلك المعاهدة التي تتكون من تسع وعشرين مادة تشكل أكبر عملية طرد للنفوذ التركي الإسلامي في أوروبا. . وقد وقعت تركيا بالفعل الاتفاقية في التاسع عشر من مارس عام ١٨٧٨م، وظهرت من ذلك الوقت كيانات سياسية جديدة في جنوب شرق أوروبا أهمها بلغاريا، والجبل الأسود والصرب (بيوغسلافيا).

٧٦٨ مؤتمر برلين والسيطرة على المناطق الإسلامية في أوروبا (١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م)

انتشرت الأنباء الخاصة بمعاهدة سان استيفانو في دول أوروبا القوية (انجلترا والمانيا وفرنسا) والتي خشيت من وصول الروس إلى البحر الأبيض (عبر المضائق وبلغاريا) مما يهدد التجارة والمصالح الاستعمارية. فسارعت الدول الأوروبية بالضغط على روسيا لحضور مؤتمر في برلين تحت رعاية بسمارك مستشار المانيا. وقد انتهى المؤتمر إلى إزالة السيطرة العثمانية على مناطق المسلمين في البوسنة والهرسك وضمها إلى النمسا. أما روسيا فقد مُنحت ولاية بيسارابيا. وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى والحرب الثانية أصبحت البوسنة والهرسك من ضمن الأراضي اليوغسلافية إلى أن انهار الاتحاد اليوغسلافي في عام ١٩٩١ فظهرت من جديد مأساة المسلمين هناك.

٧٦٩ نفي الخديوي إسماعيل واستخلاف توفيق على حكم مصر (١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م)

تولى الخديوي إسماعيل حكم مصر عام ١٨٦٣م وفي عهده تجمعت كل الأسباب التي هيأت للاحتلال البريطاني لمصر. فقد استمر على سياسة سلفه سعيد في الاستدانة وفاقه في ذلك حتى بلغت قيمة ديون مصر في عهده ما يزيد على ثلاثة أمثال ما استدانه سعيد.

ولقد انتشرت كل أنواع المفاسد في مصر بسبب سوء حكم الخديوي

إسماعيل مثل الرشوة والبذخ والهدايا وبناء القصور، والاحتفالات المخصصة للأجانب (تكلف حفل افتتاح قناة السويس مليون جنيه مصري أي عشر ميزانية الدولة المصرية آنذاك).. فزادت الضرائب على الشعب ثم بيعت أسهم شركة قناة السويس لإنجلترا مما أعطى لتلك الدولة الاستعمارية الحق في التصرف في شؤون القناة وكأنها ملك لها على أرضها. ثم أعلنت الدول الأوروبية إفلاس مصر وعجزها عن تسديد الديون المستحقة عليها مما أعطاها حق إرسال رجلين عُينا كوزيرين في الوزارة المصرية (للمالية والأشغال) فثار الشعب مدنيين وعسكريين ضد سياسات إسماعيل فقامت بريطانيا وفرنسا بإقناع السلطان عبد الحميد الثاني بعزله فتم ذلك ونفي إلى إيطاليا حيث منحته الحكومة الإيطالية مأوى في ضواحي مدينة ميلانو ثم استقر به المقام أخيراً في العاصمة روما. ويعتبر توفيق الذي تولي بعد الخديوي إسماعيل أسوأ حكام مصر في العصر الحديث، فقد خانَ المصريين شعباً وجيشاً وبصورة علنيه فجه حيث مكن البريطانيين من احتلال مصر بالكامل، وهي المرة الأولى التي تحتل فيها أرض الكنانة من قبل عدو أوروبي منذ أن دخلها الإسلام.

٧٧٠ **فرنسا تحتل تونس** (١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م)

لم تمض ثلاثة أعوام على مؤتمر برلين وتقليص نفوذ تركيا في أوروبا حتى سارعت فرنسا باحتلال تونس.

ومما ساعد فرنسا على ذلك انتشار الفساد المالي وسوء الإدارة ونقمة السكان على الأسرة الحسينية التي أرهقت أهل البلاد بالضرائب، وادعاء حدوث اعتداء من تونس على الأراضي الجزائرية الواقعة تحت الاحتلال الفرنسي. فسارعت فرنسا - بعد موافقة انجلترا والمانيا - إلى محاصرة مدينة تونس واحتلالها، واضطر الباي التونسي (حاكم تونس) محمد الصادق لتوقيع اتفاقية باردو التي نصت على إعطاء فرنسا الحق في احتلال المناطق المناسبة للعمل على تحقيق النظام، وتطبيق القانون وكان ذلك في ١٢ مايو عام ١٨٨١م.

٧٧١ **الفرنسيون يذبحون الجزائريين** (١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م)

كان الشعب الجزائري الشقيق هو أول شعب عربي أفريقي يخضع

للاحتلال الأوروبي، وهو بالتالي أكثر الشعوب العربية التي قامت بثورات ضد ظلم المحتل. فقد قامت الثورة الأولى بقيادة عبد القادر الجزائري والتي أخمدها الرصاص الفرنسي. ثم قامت ثورة أخرى كبرى بقيادة الزعيم محمد المقراني عام ١٨٧١م والتي أشعلت النار تحت أقدام الفرنسيين على مدى عام كامل استشهد فيها ستون ألف جزائري دفاعاً عن دينهم ووطنهم ولغتهم. ويبدو أن الفرنسيين أرادوا الانتقام من الشعب الجزائري أثناء وبعد تلك الثورة فقاموا باغتصاب أرض الشعب وثرواته ومتاجره وزيادة الضرائب على السكان حتى يخمدوا روح الوطنية ونخوتها ولكن هذا لم يحدث. ففي عام ١٨٨١م قامت ثورة شعبية أخرى كبرى في وهران (وهي واحدة من أهم وأكبر المدن الجزائرية) لم يخمدها إلا ذبح الأبرياء وحصدهم برصاص المستعمرين العتاة. لقد سطر الجزائريون بدمائهم الغالية أنصع صفحات في تاريخ البطولة العربية في شمال أفريقيا، تلك البطولة التي تعتبر نبراساً لشعب عربي شقيق آخر لا زال يقبع تحت نير الاحتلال ألا وهو الشعبي الفلسطيني.

٧٧٢ مؤتمر الإستانة والتمهيد لاحتلال بريطانيا لمصر (١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م)

عقد مؤتمر بالإستانة في ١١ يونيه ١٨٨٢م حضرته كل من فرنسا وتركيا وبريطانيا وعدد آخر من الدول الأوروبية ناقش فيه سفراء تلك الدول الوضع في مصر، وتوصلوا إلى نتيجة هامة وهي عدم شروع تلك الدول بالسعي لتحقيق مكاسب منفردة في مصر إلا إذا دعت الضرورة القصوى لذلك. ولقد فسرت بريطانيا تلك النتيجة بأنها تعطيها حق رعاية وحماية رعاياها في مصر حتى إذا استخدمت القوة المسلحة من أجل ذلك. وهذا يعكس مدى التفكير الذي وصلته السياسة الاستعمارية البريطانية من أجل السيطرة على مصر وإتمام خططها القديمة لاحتلالها.

٧٧٣ الأسطول البريطاني يقصف الإسكندرية (١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م)

تعاظمت قوة ونفوذ أحمد عرابي بتزائد فساد الخديوي توفيق. فوقف الجيش المصري والشعب كذلك وراء عرابي حتى وقعت حادثة مصرع جندي مصري دهسته سيارة يقودها أحد الأجانب الأرمن من حاملي الجنسية البريطانية.

ولما كانت تلك الحادثة قد وقعت بالقرب من قصر رأس التين، وكان الخديوي توفيق يقطن فيه أثناء موسم الصيف، فقد حمل الجندي المقتول رفاقُه وصعدوا به إلى القصر فسبهم الخديوي توفيق، ووقف مدافعاً عن الأجانب فثار الجند بالإسكندرية ضد الأجانب وتم تبادل إطلاق النار بين الطرفين مما دفع بالقنصل البريطاني بالإسكندرية إلى طلب حماية البحرية البريطانية التي قامت بضرب مدينة الإسكندرية وقلاعها يومي ١١ و١٢ يوليو ١٨٨٢م حتى تمكنت من إسكات المقاومة المصرية التابعة لأحمد عرابي وزير الحربية واحتلال المدينة، وإنزال سبعمائة جندي من جنود البحرية البريطانية لحماية الخديوي توفيق في قصره الذي وقف يصافح الأدميرال سيمور في شرفة القصر ويهنئه على انتصاره واحتلاله المدينة.

٧٧٤ الجيش المصري يثور بقيادة أحمد عرابي وتنتهي الثورة باحتلال بريطانيا لمصر (١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م)

ثار الجيش المصري أول ثورة له ضد الخديوي إسماعيل في فبراير ١٨٧٩م عندما ساءت أوضاع البلاد المالية لدرجة أن ضباط الجيش لم يستلموا رواتبهم. وعندما عُزل إسماعيل وخلفه ابنه توفيق أخذ يقف بجانب الأجانب على حساب مصالح البلاد وشعبها مما دفع الضباط وعلى رأسهم أحمد عرابي إلى المطالبة بعزل ناظر الحربية عثمان رفقي وكان ذلك في يناير ١٨٨١م. فقرر الخديوي عزل عرابي ولكن الجيش وقف خلف عرابي مما أجبر الخديوي على عزل عثمان رفقي. وبعد ذلك طالب الزعماء الوطنيون عرابي بالتظاهر السلمي أمام قصر عابدين بالقاهرة ليعرضوا مطالب البلاد المشروعة ومنها زيادة عدد قوات الجيش إلى ١٨ ألف جندي وعزل وزارة رياض باشا، فوافق الخديوي على تلك المطالب بعد أن كان قد رفضها. وسرعان ما أصبح محمود سامي البارودي رئيساً للوزراء وعرابي وزيراً للحربية وصدر دستور للبلاد يقلل من نفوذ إنجلترا وفرنسا، فقامتا بمحاصرة الإسكندرية من البحر وطالبتا بإسقاط وزارة البارودي فاستقال البارودي ولكن عرابي ورفاقه بقوا مسيطرين على الجيش. فقامت إنجلترا بتدبير حادث الإسكندرية ثم ضربها بالقنابل واحتلالها، فأعلن

عرابي أن الخديوي قد أصبح خائناً لا طاعة له، ووافقه على ذلك كبار شخصيات مصر ومنهم الشيخ الإمبابي شيخ الأزهر والمفتي وقاضي القضاة، واتفقوا على مقاومة الاحتلال، فأمر الخدوي بعزل عرابي، ولكن الزعماء الوطنيين رفضوا ذلك. وسرعان ما تطورت الأحداث، فوقعت معارك بين الجيش المصري والجيش البريطاني عند كفر الدوار والتي انهزم فيها الإنجليز الذين سارعوا إلى قناة السويس وقابلوا جيش عرابي الصغير عند غرب القناة، وتمكنوا من الضغط على الإستانة لاستصدار قرار يدين عرابي ووصفه بالتمرد والعصيان. ولما هزم في التل الكبير تمكن الإنجليز بسرعة من التوغل نحو القاهرة واحتلالها لأول مرة في تاريخ مصر، واعتقال عرابي وكبار رجال الجيش حيث صدرت قرارات سريعة بنفي عرابي إلى جزيرة سيلان. وهكذا تم الاحتلال البريطاني لمصر، بمساعدة الدولة العثمانية والخديوي توفيق.

٧٧٥ **الخديوي توفيق والإنجليز يحطمان مقاومة المصريين** (١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م)

بعد أن تم نفي عرابي وستة من كبار القادة العسكريين المصريين (محمود سامي البارودي ـ محمود فهمي ـ طلبة عصمت ـ علي الروبي ـ عبد العال حلمي ـ ويعقوب سامي) إلى جزيرة سيلان، قام الخديوي توفيق بإصدار تعليماته للقيام بحملات اعتقال واسعة النطاق في مصر أدت إلى القبض على ما لا يقل عن ثلاثين ألف مصري وطني، وطرد مئات من كبار الضباط الأكفاء من الخدمة في الجيش المصري. وبهذا القمع بدأت صفحة سوداء في تاريخ مصر الحديث.

٧٧٦ **الثورة المهدية في السودان** (١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م)

محمد أحمد بن عبد الله عربي من السودان ولد في أغسطس عام ١٨٤٤، وبرع منذ صغره في التفقه في علوم الدين فأصبح تواقاً لنشر معارفه بين العامة الذين تكاثروا من حوله وسماهم بالأنصار. ولما رسخت قدمه في السودان (بجزيرة أبا في النيل الأبيض) أخذ يحث الناس على معارضة ظلم نظام الحكم في السودان وخاصة من الأتراك الذين تعسفوا مع الأهالي وزادوا من

تجارة الرقيق. فانتشر التمرد والعصيان في أنحاء السودان وأخذ المهدي يحارب القوات الحكومية بقيادة محمد رؤوف باشا الذي عزله الخديوي توفيق وعين بدلاً منه عبد القادر حلمي باشا الذي أخذ يحارب المهديين حتى طاردهم إلى غرب السودان في ولاية كردفان.

ورغبة من إنجلترا في إنهاء النفوذ المصري المباشر في السودان تم عزل عبد القادر باشا وأعلنت سحب الجيش المصري من السودان. وسرعان ما قام المهدي بدخول الخرطوم وهناك تم اغتيال الجنرال جوردون في ٢٦ يناير عام ١٨٨٥م.

ولا شك أن بريطانيا التي كانت تحتل مصر ساعدت على انتشار ثورة المهدي لكي تتمكن من فصل وحدة شعب وادي النيل بعد أن لاحظت النمو والارتقاء المتزايد في العلاقات بين البلدين الشقيقين.

٧٧٧ الإسلام يصل أمريكا الجنوبية (١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م)

لا يوجد ما ينفي أن عملية جلب الزنوج من غرب أفريقيا التي كانت بها مناطق كبيرة تدين بالإسلام وترحيلهم إلى العالم الجديد (أمريكا الشمالية والجنوبية) قد استثنى منها الزنوج المسلمون. كذلك لا يمكن التغاضي عن حقيقة أن أحد مساعدي كريستوفر كولمبس الذي اكتشف العالم الجديد كان مسلماً أندلسياً. ومع ذلك فقد هاجر المسلمون فراراً من محاكم التفتيش إلى العالم الجديد.

إن تاريخ العالم الجديد بني أساساً على التعاليم الكاثوليكية والبروتستانتينية.. ولكن بنهاية القرن التاسع عشر أخذت الدول الناشئة في العالم الجديد تفتح أبوابها لكافة أنواع المهجرين.. فهاجر بعض المسلمين إلى هناك وخاصة من مناطق الشرق الأوسط والهند، وكونوا أول تجمعات إسلامية في البرازيل عام ١٨٨٥م.

وبالرغم من ذلك فإن الهجرات الإسلامية التي حدثت في بداية القرن العشرين كانت أكبر وأوسع انتشاراً.

٧٧٨ إيطاليا تستولي على أريتريا (١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م)

أخذت إيطاليا تشارك العالم الغربي التوسع فهاجمت بسفنها سواحل أريتريا (الصومال) حتى تمكنت من احتلاله وسيطرت بذلك على مجمل الشواطىء الأفريقية المطلة على مضيق باب المندب، إلا أنها لم تحاول مهاجمة الوجود البريطاني في اليمن أو السفن التجارية الذاهبة من الهند إلى أوروبا أو العكس.

٧٧٩ جيش المهدي السوداني يغزو الحبشة (١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م)

بعد اندلاع ثورة المهدي محمد أحمد في السودان وجد أنه من المناسب دعوة الحبشة إلى الإسلام، فرفضت الحبشة واضطهدت المسلمين بها وهاجمت القوات المهدية في منطقة كوفيت وهزمتها. فما كان من المهديين إلا أن جهزوا جيشاً قوامه أربعون ألف رجل وزحفوا به على عاصمة الحبشة القديمة (غندار) وحاصروها ثم اقتحموها وأشعلوا فيها النيران. وكانت تلك المعركة مفاجأة لملك الحبشة يوحنا، وربما يعود ذلك إلى استهانته بقوة المهديين.

٧٨٠ الجيش المهدي يحطم جيشاً حبشياً ضخماً بالقرب من نهر عطبره (١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م)

أدى سقوط مدينة غندار الحبشية وتدميرها على أيدي المهديين بملك الحبشة يوحنا النجاشي إلى تجميع جيش ضخم قوامه مائتان وخمسون ألف مقاتل للقضاء على الحركة المهدية وجيشها وقام بقيادته بنفسه ومعه أشهر أمراء دولته.. وتقابل الجيشان في مارس من عام ١٨٨٩م فرجحت كفة جيش النجاشي في بداية المعركة إلى أن أصيب فاهتزت معنويات جيشه فنزل عليه المهديون من كل صوب وأنزلوا به هزيمة ثقيلة قتل فيها النجاشي وأرسلت رأسه إلى أم درمان.

٧٨١ روسيا القيصرية تحتل آسيا الوسطى الإسلامية (١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م)

أخذت روسيا القيصرية في زيادة أطماعها في الممتلكات العثمانية. ولتحقيق ذلك الهدف التوسعي أخذت تبني جيوشاً جرارة ثم هاجمت بها مناطق القفقاس واحتلتها عام ١٨٦٤م، ثم احتلت مدن سمرقند وبخارى الهامة عام

١٨٧٨م. ثم زحفت الجيوش القيصرية شرقاً وهاجمت طشقند واحتلتها. وسرعان ما تجمعت تلك الجيوش أمام مدينة (مرو) الاستراتيجية والتي كان العثمانيون قد أخذوا يحصنون دفاعاتها، ودارت معارك ضارية مستمرة من حولها إلى أن تمكن الروس من دخول المدينة عام ١٨٨٤م. ولم يأت عام ١٨٩٠م حتى سقطت معظم مناطق تركستان الغربية بآسيا الوسطى تحت السيطرة القيصرية.

ولقد أخذت الإمبريالية الروسية في تشتيت المسلمين في تلك البقاع ليسهل السيطرة على تلك الأراضي والانتفاع بحضارة مدنها وعلومها.

٧٨٢ بريطانيا تفرض حمايتها على إمارتي مسقط والبحرين (١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م)

انشغلت تركيا بأمراضها السياسية المتفاقمة وأخذ الوهابيون في الجزيرة العربية من الدخول في مرحلة الكمون لانتظار الوقت المناسب لهم لتأسيس الدولة السعودية الثالثة.. فتمكنت بريطانيا من توقيع معاهدة لحماية التجارة والملاحة مع حاكم مسقط عام ١٨٩١م تطورت إلى فرض الحماية على الإمارة ذاتها. وفي العام التالي فرض البريطانيون معاهدة مماثلة على البحرين.

ولقد اتخذت بريطانيا من الظلم الذي صبه الأتراك العثمانيون على العرب ذريعة في إبدال الحماية العثمانية بحمايتها هي! (انظر بداية تطور ذلك الموضوع عام ١٨٠٠م).

٧٨٣ ظهور كتاب الدولة اليهودية لهيرتزل (١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م)

قام تيودور هيرتزل وهو الزعيم الروحي للحركة العنصرية الصهيونية وكان صحفياً نمساوياً بتأليف كتابه: الدولة اليهودية عام ١٨٩٦م متخذاً آراءه من فكرة عنصرية أخذت تنمو عبر القرون عن أن أرض فلسطين هي أرض الميعاد التي يتجمع فيها يهود العالم والتي تمتد حدودها من النيل غرباً (حيث عاش النبي يوسف والنبي موسى عليهما السلام) إلى الفرات شرقاً (حيث ظهر أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام).

ولا يمكن وصف فكرة كتلك إلا بأنها وهم أصيل لا يظهر إلا من العقول المتصفة بالعدوان والكراهية.

والملاحظ منذ تاريخ ظهور كتاب الدولة اليهودية أن نشره اقترن بمرور الدولة العثمانية بالمرحلة الأخيرة من عمرها وزيادة نفوذ وطغيان الدول الأوروبية. ولقد آمن هيرتزل إيماناً عميقاً بأن قيام تلك الدولة لن يتأتى إلا باستخدام القوة والسلاح أو على حد قوله (بالقنابل شديدة الإنفجار).

٧٨٤ إنشاء مكتبة الأزهر الشريف بالقاهرة (١٣١٤هـ/ ١٨٩٧م)

لا بد أن تكون مكتبة الأزهر على نفس المستوى الذي يمثله الأزهر الشريف... وهي بالفعل كذلك... فهي من أهم المكتبات في العالم، وذلك لتنوع ما تحتوية من كتب ووثائق ومخطوطات ودراسات وأبحاث... وهي تحوي معارف ليست موجودة في أي مكتبة دولية معروفة.

وقد أنشئت مكتبة الأزهر سنة ١٣١٤هـ (١٨٩٧م). وكان وراء فكرة إنشائها الشيخ محمد عبده أحد أهم رواد الفكر العربي الإسلامي في القرن التاسع عشر. والمكتبة تحوي ثلاثمائة ألف كتاب ومخطوط ووثيقة في كافة فروع المعارف القديمة والحديثة وهي بالتالي تقدم تلك المعارف لأعداد لا تحصى من العلماء والباحثين والطلاب في مصر والعالم العربي والإسلامي والأجنبي على حد سواء.

ومن الناحية التاريخية كان الفاطميون هم أول من أنشأوا مكتبة بالأزهر الشريف. ولكن بانتهاء العصر الفاطمي الشيعي في مصر، وعودة المذهب السني وقيام الأيوبيين بالتخلص من التراث الشيعي، فقدت المكتبة العديد من الكتب والمخطوطات إلى أن عادت الصحوة الإسلامية في القرن التاسع عشر بعد قيام الشيخ محمد عبده بتشجيع العلم والثقافة والبحث، فعادت المكتبة من جديد لتصبح منارة من منارات الإسلام الكبرى.

٧٨٥ أنعقاد المؤتمر الصهيوني الأول (١٣١٤هـ/ ١٨٩٧م)

كان المنظم الأكبر لهذا المؤتمر زعيم ومؤسس الدعوة الصهيونية تيودور

هيرتزل الذي وضع كتاب الدولة اليهودية. وقد عقد المؤتمر بمدينة بازل بسويسرا، وضم ممثلي كل اليهود المتعاطفين مع الفكرة الصهيونية وما أكثرهم. وفي ذلك المؤتمر وافق جميع الصهاينة على أن فلسطين فقط ـ وليس أي مكان آخر من العالم ـ هي التي ستقام عليها الدولة اليهودية. . تلك الدولة التي آمنوا بأن قيامها يتطلب عملاً جماعياً ينفق عليه بسخاء وتكون القوة والسلاح أدواته، ولذلك وافق المؤتمرون على تأسيس المنظمة الدولية لليهود من أجل تعميق النزعة القومية لليهود.

٧٨٦ المهديون يحاولون غزو جنوب مصر (١٣١٥هـ/ ١٨٩٨م)

شعر المهديون بمدى قوتهم بعد انتصاراتهم المذهلة على الحبشة، فوجهوا قواتهم لغزو جنوب مصر. وكان البريطانيون قد استولوا على مجمل الأراضي المصرية، وساءهم أن يخرج السودان عن سيطرتهم فحشدوا قوات مصرية وبريطانية كبيرة زودت بأسلحة حديثة هزموا بها القوات المهدية وبذلك زال خطر المهديين ليس فقط على وجودهم في مصر، ولكن في السودان كذلك، حيث أعلن عن حكومة مواليه لبريطانيا وافقت ـ فيما بعد ـ على رسم الحدود بين السودان والحبشة (في مايو ١٩٠٢م).

٧٨٧ حادثه فاشودة في جنوب السودان (١٣١٥هـ/ ١٨٩٨م)

إن حادثة فاشودة تظهر مدى تلاعب الدول الأوروبية بمصير ومستقبل الدول العربية، فقد أرادت ألمانيا بناء خط السكك الحديدية في العراق، وتمويل تسليح الجيش المصري. . . فرفضت بريطانيا قيام ألمانيا ببناء الخط الحديدي بالعراق فسحبت ألمانيا خطتها لتمويل تسليح الجيش المصري الذي كانت انجلترا ستستخدمه في احتلال السودان. أما فرنسا فكانت تنظر للسودان بعد ظهور حكم المهدي على أساس كونه أرضاً لا صاحب لها، ولهذا سارعت قوات برية فرنسية بالتوغل في السودان عبر حدوده مع الكونجو حتى وصلت إلى منطقة فاشوده. فسارعت بريطانيا بمهاجمة فرنسا، وأخبرتها بأن السودان تابع لمصر التابعة بدورها لبريطانيا. وتطورت الأحداث بين انجلترا وفرنسا في أوروبا لدرجة وصول الدولتين إلى مرحلة قريبة من إعلان الحرب. ولكن فرنسا

تراجعت بعد أن وافقت انجلترا على قيام ألمانيا ببناء خط للسكك الحديدية في العراق، والذي ستستفيد منه فرنسا (جارة ألمانيا). وبذلك استفادت كل دولة أوروبية من الأزمة على حساب ثلاث دول عربية شقيقة هي العراق ومصر والسودان. . وهذا ما أكده ـ فيما بعد ـ مؤتمر الوفاق الودي بين دول أوروبا عام ١٩٠٤م.

٧٨٨ إعادة احتلال السودان (١٣١٥هـ/ ١٨٩٨م)

بعد أن تمكن المهدي من السيطرة على السودان وبسط نفوذه على أهم مدنه، توفي في نهاية عام ١٨٨٥م وخلفه عبد الله، التعايشي الذي ضعفت الحركة المهدية نسبياً في سنوات حكمه حيث هزمت قواته في معركة توشكي الواقعة في شمال السودان أمام وحدات عسكرية مصرية بريطانية. وإزاء هذا الضعف أخذت الدول الأوروبية تستقطع ما تسنى لها من أراضيه القديمة لتخضعها للاحتلال. فدخلت إيطاليا الصومال وأريتريا، ودخلت فرنسا جيبوتي، ثم أخذت بريطانيا تخطط لإعادة احتلال السودان فأرسلت وحدات عسكرية مصرية مدعمة بوحدات من الجيش البريطاني حيث تم احتلال مدن السودان الهامة: دنقله وعطبرة والخرطوم. وبهذا تم إخضاع السودان بالقوة للاحتلال البريطاني

٧٨٩ الاتفاقية المصرية ـ السودانية (١٣١٦هـ/ ١٨٩٩م)

طلبت الحكومة البريطانية من رئيس الوزراء المصري سعيد باشا عام ١٨٨٤م أن يسحب القوات المصرية من السودان فرفض واستقال، فجاء نوبار باشا خلفاً له ليوافق على سحب القوات المصرية، ليتمكن بذلك جوردون من أن يحكم السودان إلى أجل غير مسمى. وكان ذلك عام ١٨٨٥م. وبذلك أيضاً انتهى النفوذ المصري في السودان، وهذا ما كانت تسعى إليه انجلترا. ولكن السودانيين المهديين ثاروا واقتحموا الخرطوم واغتالوا جوردون، وجاءت وفاة المهدي في نفس العام ليزداد الوضع سوءاً في السودان. ولما كانت الدول الأوروبية تتصارع من أجل تقسيم الأراضي الأفريقية، سارعت بريطانيا بين عامي ١٨٩٦ و ١٨٩٨م إلى احتلال مدن السودان واتخذت من العلم المصري وسيلة

لإظهار أن السودان جزء من مصر لاستمالة السودانيين من حيث أنها مارست عملية نهب واسعة النطاق لثروات السودان. وفي يناير ١٨٩٩م أجبرت بريطانيا مصر والسودان معاً على توقيع اتفاقية - في عهد الخديوي عباس الثاني - نصت على أن يحكم السودان حاكم بريطاني له مطلق الصلاحيات في إدارة شؤون السودان، ويختار شخصيات بريطانية لتساعده في عمله، وبذلك صارت كل المناصب الهامة مخصصة للبريطانيين.

٧٩٠ بريطانيا تفرض حمايتها على الكويت (١٣١٦هـ/ ١٨٩٩م)

كانت الأوضاع في العراق هي السبب الأهم الذي من أجله فرضت بريطانيا حمايتها على الكويت. فقد قامت روسيا بالضغط على تركيا من أجل مد خط حديدي بين البصرة (على الخليج العربي) والشام (على البحر المتوسط) لنقل التجارة من خلاله إلى أوروبا مما يضر بالمصالح الاستعمارية البريطانية (حتى بعد أن تم لبريطانيا السيطرة على مصر وقناة السويس). فقامت الحكومة البريطانية بعرض اتفاقية مع الكويت عام ١٨٩٩م تقضي بفرض الحماية على تلك الإمارة الصغيرة وبالتالي السيطرة على المنطقة الشمالية من الخليج العربي مما يمنع أقامة مشروع السكك الحديدة الذي كانت روسيا وتركيا وألمانيا تود إقامته لزيادة نفوذها التجاري على حساب البريطانيين.

وباحتلال بريطانيا للكويت سيطرت بذلك على مجمل مناطق الخليج العربي.

٧٩١ الخلافة العثمانية تدبر اغتيال عبد الرحمن الكواكبي المفكر الإسلامي الكبير (١٣١٨هـ/ ١٩٠١م)

عبد الرحمن الكواكبي من مواليد مدينة حلب عام ١٨٥٤م من أسرة كبيرة اشتهرت بالتقوى والعلم. وقد تعلم الكواكبي في طفولته بمدرسة دينية بأنطاكيا حتى حفظ القرآن الكريم، ثم عاد إلى حلب حيث أخذ في تعلم الفقه وعلوم الدين... ولما بلغ سن الرجولة شاهد مظالم العثمانيين فأخذ يكتب في الصحف يهاجم الحكم العثماني فقدموه إلى المحاكمة وسجن، ولما خرج من سجنه استمر في مقاومة الطغيان وهاجر ليعيش في مصر عام ١٨٩٩م، وأخذ

يكتب في صحيفة المؤيد مهاجماً الفساد العثماني في العالم العربي الذي أدى إلى تخلف العرب وإفساح المجال للأوروبيين من أن يتقدموا المسلمين ويحتلوا بلادهم.

ولما ضاق به العثمانيون دبروا اغتياله بوضع سم له في طعامه، فمات يوم الخميس ١٤يونيه ١٩٠١ ودفن بالقاهرة في اليوم التالي بينما ساد الذهول العالم العربي والإسلامي.

ويعتبر كتاب طبائع الاستبداد أهم كتب الكواكبي، وهو يحوي مجموعة من المقالات التي تهاجم الطغيان والاستبداد وأسباب لجوء بعض أنظمة الحكم للظلم وأثر ذلك على المجتمعات والشعوب والأفراد.

٧٩٢ ظهور بروتوكولات حكماء صهيون وخطرها على العالم الإسلامي

(١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م)

تنسب بروتوكولات حكماء صهيون إلى الحاخام سيمون بن يهودا المدفون بمدينة براغ. ويبدو أن تعاليمه كانت بالغة السرية ويعتمد نقلها من جيل إلى جيل صهيوني عبر الشفرات أو الملخصات أو ما يسره الرجل لابنه أو الأستاذ لتلميذه نتيجة حفظه لها.

ولقد طبعت أول نسخة من بروتوكولات حكماء صهيون عام ١٩٠٢ بواسطة العالم الروسي سيرجي فيلوس، وذلك بعد تسربها أو ضياعها في أعقاب المؤتمر اليهودي الأول الذي عقد بمدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧م. ولما نشرت تلك التعاليم افتضح أمر اليهود في أوروبا وتعرضوا بسببها للأذى. وفي عام ١٩٠٦م تمت ترجمتها إلى الأنجليزية ليزداد تعرف العالم عليها.

وتنقسم تلك البروتوكولات إلى أربعة وعشرين قسماً كل قسم يشكل بروتوكولاً قائماً بذاته، ولكنه يضاف إلى إجمالي البروتوكولات فيشكل معها منهجاً سرياً مفصلاً لإفساد العالم ثم كيفية السيطرة المحكمة عليه... حيث يتم ذلك بشكل تدريجي غير محسوس.

وتعتبر بروتوكلات حكماء صهيون كما نرى ركناً أساسياً في العقيدة

الصهيونية، تلك العقيدة التي استهدفت تجميع اليهود في دولة فلسطين (أرض الميعاد!) والتي تخرج وستخرج منها التعاليم والخطط المرسومة في البروتوكولات للسيطرة على العالم تدريجياً حتى يمكن لدولة إسرائيل أن تسود العالم. . . وتلك فكرة مبنية على وهم غذته فكرة خروجهم من مصر منذ ثلاثة آلاف وخمسمائة عام.

٧٩٣ السعوديون يسترجعون الرياض (١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م)

بقي السعوديون بمنفاهم بالكويت حتى عام ١٣١٧هـ (١٩٠٠م) إلى أن هم شاب منهم يدعى عبد العزيز محاولاً إسترجاع ملك آبائه في مدينة الرياض. فخرج مع حوالي أربعين من خيرة وأقوى الشباب من أسرة آل سعود، واتجه بهم عبر ستمائة كيلومتر إلى مدينة الرياض.

وعندما اقتربوا من المدينة تخفوا عنها حتى جاء الليل، فتسلقوا سورها واختفوا عن الأنظار حتى اقتربوا من قصر ابن الرشيد الذي كان قد طرد السعوديين من نجد، واستولى على الرياض عام ١٣٠٢هـ وعند خروج عجلان بن الرشيد وقت صلاة الفجر وسط جنوده وحراسه، هاجمهم الأمير عبد العزيز ورجاله، وقتلوهم عن آخرهم، وسيطروا بذلك على قصر الحكم وخرجوا للناس بعد ذلك ليعرفوهم بأنفسهم وكان ذلك في ثالث أيام عيد الفطر عام ١٣١٩هـ (١٩٠٢م).

٧٩٤ فرنسا تحتل موريتانيا (١٣٢٠هـ/ ١٩٠٣م)

كانت الأراضي التي تتكون منها موريتانيا اليوم تحت نفوذ الدول الإسلامية القوية التي حكمت شمال أفريقيا عبر العصور المختلفة التي أعقبت الفتح الإسلامي. ولما ضعف النفوذ العثماني في شمال أفريقيا وسارعت فرنسا باحتلال تونس والجزائر أخذت فرنسا تخطط لمد نفوذها إلى موريتانيا، وتمكنت من ذلك بالفعل عام ١٩٠٣م.

٧٩٥ معاهدة (الجزيراس) الخاصة بالمغرب (١٣٢٣هـ/ ١٩٠٦م)

تمكنت انجلترا عام ١٩٠٤م من مصر وترك المغرب لفرنسا. ولقد

كسبت فرنسا بتلك المعاهدة إبعاد ألمانيا عن شمال أفريقيا، لكن فرنسا اضطهدت المغاربة فسارعت ألمانيا بالضغط سياسياً على فرنسا، وأخذت الأوضاع تتدهور حتى دعا الرئيس الأمريكي تيودور روزفلت لعقد مؤتمر في مدينة الجزيراس الأسبانية شمل حكومات دول أوروبا الرئيسية والولايات المتحدة. وفي ذلك المؤتمر وقعت معاهدة تنص على قيام الدول المجتمعة بإعلان استقلال المغرب وأن تعطي لحكومة سلطان المغرب قروضاً دولية لإصلاح أحوال بلاده على أن تكون المسائل الأمنية من مسؤولية فرنسا وأسبانيا. وقد وقعت تلك المعاهدة في السادس من إبريل ١٩٠٦م. وبالرغم من ذلك فإن تلك المعاهدة لم تستمر طويلاً إذ سرعان ما تضاربت أطماع فرنسا وألمانيا في شمال أفريقيا ثم انعكست تلك الصراعات على الوضع في أوروبا مما ساعد على اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م.

٧٩٦ حادثة قرية دنشواي في مصر (١٣٢٣هـ/ ١٩٠٦م)

تصاعد طغيان الإحتلال البريطاني الإمبريالي لمصر حتى وقعت حادثة دنشواي الشهيرة (ودنشواي قرية من قرى محافظة المنوفية شمال القاهرة)، حيث خرج جنود بريطانيون يصطادون الحمام فأصابوا إمرأة بالرصاص مما أدى إلى مصرعها فما كان من الأهالي إلا وسارعوا بمطاردة الجنود الذين فروا للإلتجاء إلى نقطة شرطة لحمايتهم. ولما كان الطقس حاراً فقد أصيب أحد الجنود البريطانيين بضربة شمس أدت لوفاته، وعندما وصلت أنباء تلك الحادثة للسلطات البريطانية شكلوا محكمة سريعة قضت في ٢٧ يونيو ١٩٠٦م بإعدام أربعة فلاحين مصريين شنقاً، وبالأشغال الشاقة على اثنين آخرين، وبالجلد على خمسة عشر آخرين.

ولقد كان تنفيذ الحكم علناً لإخماد روح المقاومة بين المصريين، فوقف المصريون يشاهدون ذويهم يعلقون ويشنقون ويجلدون عرايا تحت راية علم الاحتلال البريطاني، وبمباركة المحكمة التي رأسها بطرس باشا غالي وزير العدل. وقد كان من جراء تلك المحاكمة بعد أن صدمت قسوتها الرأي العام البريطاني والأوروبي، أن عزل اللورد كرومر حاكم مصر البريطاني.

٧٩٧ تأسيس الدولة السعودية الثالثة (١٣٢٣هـ/ ١٩٠٦م)

هاجر أمير نجد عبد الرحمن آل سعود إلى الكويت عام ١٨٩١م لكي يتفادى أخطار الحرب الأهلية التي اندلعت بعد وفاة الأمير فيصل بن تركي عام ١٨٦٥م، وكذلك لكي لا يمكن العثمانيين منه. ولقد أفلحت هجرته للكويت في حماية بذرة الدولة السعودية حتى حانت الفرصة لابنه عبد العزيز بن عبد الرحمن فخرج من الكويت مع المؤمنين به قاصداً مدينة الرياض فدخلها ليلاً عام ١٩٠١ وسيطر علهيا فبايعه الناس هناك وساعدوه على بسط نفوذه على مدن نجد الأخرى... وبالرغم من أن الدولة العثمانية أرسلت حملة عسكرية لهزيمته إلا أنها هُزمت فعادت نجد إلى سلطة السعوديين مرة أخرى عام ١٩٠٦م فظهرت الدولة السعودية الثالثة إلى الوجود وهي الدولة التي لا زالت مستمرة حتى يومنا هذا.

٧٩٨ مصطفى كامل ينشىء أول حزب سياسي عربي (١٣٢٤هـ/ ١٩٠٧م)

تخرج مصطفى كامل من كلية الحقوق بمدينة تولوز الفرنسية فعلم كم هو مؤلم أن تحتل بلاده المصرية من الاحتلال البريطاني، وإزاء ذلك سارع بإصدار صحيفة اللواء المصرية عام ١٩٠١م ليقرأها المصريون ويستخلصوا منها أنسب الطرق لمواجهة الاحتلال. ولكن لم يكن صدور هذه الصحيفة وحده يكفي، وخاصة بعد حادثة دنشواي لمواجهة قوات الاحتلال بصورة منظمة، فقام مصطفى كامل في الثاني والعشرين من اكتوبر عام ١٩٠٧م بتأسيس (الحزب الوطني)، وكان بذلك أو زعيم عربي يقوم بتأسيس حزب سياسي لمواجهة الاحتلال. وفي الحقيقة فقد التف الناس حول ذلك الحزب وأصبح منارة تنير لهم طريق الجهاد والفداء والبطولة.

٧٩٩ ثورة الشعب المغاربي وقيام فرنسا باحتلال مدينة فاس الاستراتيجية (١٣٢٥هـ/ ١٩٠٨م)

سارعت فرنسا يتقديم قروض كبيرة للمغرب حتى يمكنها من ربط مصالح ذلك البلد العربي الشقيق مع مصالحها وأطماعها الاستعمارية. ولما لم تتمكن حكومة المغرب من تسديد تلك الديون زادت من الضرائب على الشعب

المطحون بالفقر وبطغيان الاحتلال. فحدثت ثورة عارمة هزت أركان البلاد، روع منها الاحتلال الفرنسي، فقامت فرنسا باستغلال تلك الانتفاضة الشعبية للضغط على السلطان المغربي وقمع الثورة وحركت قواتها فأحاطت بمدينة فاس الهامة (وكانت عاصمة المغرب في ذلك الوقت) وأقتحمتها لكي تظهر للشعب المغربي أن بلاده ليست قوية أمام الجيش الفرنسي.

٨٠٠ إنشاء خط للسكك الحديدية بين المدينة المنورة ودمشق. (١٣٢٥هـ/ ١٩٠٨م)

أخذ السلطان عبد الحميد الثاني سلطان الدولة العثمانية في تطبيق سياسة بسط نفوذ الدولة العثمانية على الولايات الخاضعة لها، ولكي يضع ذلك موضع التنفيذ وافق على إنشاء خط للسكة الحديد يربط لأول مرة بين المدينة المنورة ودمشق، فقامت شركة ألمانية بتنفيذه عام ١٩٠٠م وأنهته عام ١٩٠٨م. وقد لقي المشروع استجابة واسعة في العالم الإسلامي وخاصة أنه يختصر زمن الوصول من الشام للحجاز إلى أربعة أيام بدلاً من أربعين يوماً عن طريق القوافل البرية. ولكن كان هدف تركيا منه أن تتمكن بسرعة من الوصول إلى الحجاز في أوقات الطوارىء.. ولم يعش هذا الخط أكثر من سبعة أعوام حيث أوقف عن العمل أثناء الحرب العالمية الأولى.

٨٠١ حزب الاتحاد والترقي يقوم بإنقلاب سياسي عسكري في تركيا (١٣٢٥هـ/ ١٩٠٨م)

زادت حدة التفاعلات السياسية في الدولة العثمانية نتيجة الإنحلال الذي ضرب جذورها، فزادت الاختلالات المالية وتلاعب السلطان عبد الحميد الثاني ببنود الدستور في وقت كان الأتراك وسكان الولايات العثمانية يتوقون فيه إلى الحرية والديمقراطية. وكان صفوة الشعب التركي في جمعية الاتحاد والترقي في طليعة من ندددوا علناً بسياسات عبد الحميد وطالبوا بعزله. فلما رفض قاموا بانقلاب ضده، ووضعوا أمام عبد الحميد الثاني خيارين إما عزله، وإما أن يعمل بأحكام الدستور، فاختار أن يعمل بالدستور... ولكن موقفه ذلك كان مؤقتاً.

٨٠٢ خلع السلطان عبد الحميد الثاني (١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م)

لم يتمكن السلطان عبد الحميد الثاني من فهم قوة حزب الاتحاد والترقي وتصميم أعضائه على السير قدماً في تحقيق أهدافهم وهي العمل بالدستور. ولهذا فلما وافقهم على مطالبهم عام ١٩٠٨م كانت موافقته نابعة من التحايل وعدم التبصر في نفس الوقت، فأخذ يماطل في تنفيذ بنود الدستور وتجميع الشخصيات الرجعية تحت نفوذه، فسارع حزب الاتحاد والترقي بإعلان عزل السلطان عبد الحميد، وصدر بيان رسمي عثماني بذلك في ٢٧ أبريل عام ١٩٠٩م وأعلن استخلاف السلطان محمد رشاد خان الخامس.

٨٠٣ عهد الاتحاديين في تركيا (١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م)

إن الاتحاديين في تركيا (نسبة إلى حزب الاتحاد والترقي) والذين خلعوا السلطان عبد الحميد الثاني أخذوا في تنفيذ برنامج تركي قومي واسع النطاق كان من آثاره على الولايات العربية الواقعة تحت النفوذ العثماني أن أخذت اللغة التركية تحل محل اللغة العربية في عملية سميت بالتتريك، فأحدث ذلك هزة في الحياة الاجتماعية والثقافية في العالم العربي الذي له قوميته العربية الراسخة عبر قرون ممتدة من الزمن. وبالرغم من ذلك فقد جاءت تلك الخطوة لكي تزيد من الحماس العربي للثقافة العربية على عكس ما كان متوقعاً للأتراك مما أحدث المزيد من التصدع في العلاقات العربية العثمانية

٨٠٤ اغتيال بطرس باشا غالي رئيس وزراء مصر (١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م)

لم تكن علاقة رئيس الوزراء المصري بطرس باشا غالي بسلطات الاحتلال البريطاني ترضي أغلب المصريين، وخاصة بعد إتجاهه لمد امتياز شركة قناة السويس مع الشركة البريطانية، ولم يكن حزب الوفد المصري قد وجد بعد ليوقف تلك الاتفاقية، ولكن الحزب الوطني الذي أسسه مصطفى كامل كان موجوداً فشنت صحفه حملات نارية على بطرس غالي كان بسببها أن اتسعت دائرة الغضب من المصريين عليه وهم الذين صدموا من حكمه في محكمة دنشواي ضد بني وطنه.. فخرج عليه الشاب إبراهيم الورداني، وهو من شباب الحزب الوطني، فأطلق عليه الرصاص أثناء خروجه من قصر عمله برئاسة الوزراء فأرداه

قتيلاً. ولقد صدم حادث الاغتيال هذا السلطات البريطانية، فشكلت محكمة قضت بإعدام الورداني، والسجن لبعض قيادات الحزب الوطني.

وتعتبر حادثة اغتيال رئيس الوزراء بطرس باشا غالي هي الثانية في تاريخ مصر الحديث حيث كانت الأولى اغتيال الجنرال كليبر قائد الحملة الفرنسية في مصر.

٨٠٥ اليهود يبنون مدينة تل أبيب شمال فلسطين ليرسخوا بقاءهم في فلسطين. (١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م)

قام اليهود الذين أخذوا يهاجرون إلى فلسطين بالإسراع في شراء الأراضي أو الاستيلاء عليها قسراً أو بوضع اليد على الأراضي غير المأهولة بالسكان العرب. ويبدو أن المنظمة الدولية لليهود هي التي أوصت بذلك ضمن خطة تفصيلية وبرامج مرحلية يجب العمل على تنفيذها تباعاً دون إبطاء حتى تتشكل البنية الديموجرافية والسياسية للدولة اليهودية التي تنتظر الظروف المناسبة ليتم الإعلان عنها.

ولقد تجمع لدى اليهود (وكان أغلبهم من الروس ودول أوروبا الشرقية والذين يسمون الأشكيناز) منطقة ساحلية شمال يافا تطل على البحر الأبيض المتوسط، فأخذوا في بناء مستوطنات سكنية لهم فيها، وأطلقوا على تجمع تلك المستوطنات - الأحياء - اسم تل أبيب، وهي بذلك أول مدينة صهيونية تبنى على أرض فلسطين في العصر الحديث ومنذ انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧م. وبمرور السنين أصبحت تلك المدينة عاصمة لدولتهم التي أعلن عن قيامها في الخامس والعشرين من مايو عام ١٩٤٨م.

أما اسم المدينة فيعود إلى قصة كتبها تيودور هرتزل تحت عنوان (الأرض القديمة الجديدة) وعندما ترجمت تلك القصة من الألمانية إلى العبرية قام ناشرها (وهو يهودي) بإطلاق اسم تل أبيب عليها، وهي تعني بالعربية: ينبوع الوادي.

٨٠٦ اغتيال المهدي زعيم المقاومة الصومالية (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م)

امتد نفوذ محمد علي إلى الصومال في أوج ازدهار عهده بمصر

الحديثة، ولكن بعد توقيع اتفاقية لندن وتقليص النفوذ المصري أخذت الدول الأوروبية (بريطانيا وفرنسا وإيطاليا) في تقسيم أراضي الصومال فثار الشعب الصومالي بقيادة الملا محمد عبد الله الملقب بالمهدي عام ١٩٠٢م ضد الوجود الاستعماري، فأنزل بقوات الاحتلال الإيطالي خسائر شديدة مما دفع بالسلطات الاستعمارية إلى تدبير خطة للتخلص من المهدي فتم اغتياله عام ١٩١١م فخمدت ثورة الشعب إلى حين.

٨٠٧ الايطاليون يستعمرون ليبيا (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م)

إن ليبيا القريبة من الشواطىء الإيطالية فتحت أبوابها على مدار السنين للسفن والتجارة الإيطالية مما جعل منها منطقة لثراء الشعب الإيطالي. ولما أخذت الدول الأوروبية الاستعمارية في احتلال العالم، وجد الايطاليون أن ليبيا مكان مناسب لتوسعاتهم، وخاصة أن انجلترا كانت تحتل مصر والسودان من الشرق، وفرنسا تحتل تونس والجزائر وموريتانيا والمغرب من الغرب. فاتفقت إيطاليا مع الدول الكبرى في أوروبا على عزمها ـ هكذا ـ في احتلال ليبيا.

واستغلت إيطاليا بعض الحوادث التي ادعت أنها تهدد مصالحها التجارية في ليبيا وأنذرت الحكومة العثمانية الضعيفة من مغبة تكرار ذلك.

وقد حاولت تركيا تسوية الأوضاع ولكن إيطاليا ـ مدعمة بتأييد الدول الامبريالية الأوروبية ـ سارعت بإرسال أسطول حربي كبير رسا على الشواطىء الليبية فوجدت تركيا نفسها في حالة حرب مع إيطاليا. وقد وقفت الدول العربية والإسلامية مع الشعب الليبي في محنته ولكن الدول الأوروبية وقفت على الحياد. فأخذت القوات الإيطالية تتوغل إلى داخل البلاد بالرغم من المقاومة الشعبية العظيمة، واستمر ذلك حتى وافقت تركيا على توقيع معاهدة مع إيطاليا في ١٨اكتوبر ١٩١٢م تقضي بإنسحاب تركيا من ليبيا وتركها للإيطاليين.

ولقد ساعد الاحتلال الإيطالي لليبيا دولاً هامة في جنوب أوروبا مثل اليونان على الانتقام من عدوتها القديمة تركيا، فتكاثرت غيوم الحرب في البلقان.

٨٠٨ مؤتمر باريس يهاجم التسلط العثماني ويرسخ الاحتلال الأوروبي للدول العربية (١٣٣١هـ/ ١٩١٣م)

بعد أن تولى حزب الاتحاد والترقي حكم تركيا في ظل الخلافة العثمانية المحتضرة وأخذ يدخل اللغة التركية قسراً في المدارس والمحاكم والدواوين العربية، نتج عن ذلك ظهور طفرة في الشعور القومي العربي تجلت في إنعقاد مؤتمر باريس للرد على الشعور القومي التركي المتنامي، فأشار المؤتمر بوضوح إلى ضرورة أن يتمتع العربي بكافة حقوقه السياسية والثقافية وأن يكون لكل ولاية عربية الحق في تقرير السياسات التي تكفل احترام اللغة العربية والقيم العربية.

وبالرغم من ذلك فإن الدول الأوروبية التي كان يهمها انفصام أواصر العلاقات بين العرب وتركيا، ربطت ذلك الانفصام بتزايد نفوذها الاستعماري في الدول العربية، فكأنها ساعدت الدول العربية على ترك تركيا لترتمي في أحضان الاستعمار!

٨٠٩ اليمن يستقل ذاتياً عن الدولة العثمانية (١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)

لم تهدأ مشاعل الثورة في اليمن على الحكم العثماني إلا فترات محدودة، إلى أن تولى الإمام الزيدي الشيعي يحيى حميد الدين حركة الثورة ضد الحكم العثماني عام ١٩٠٤م، فالتفت القبائل اليمنية الكبيرة من حوله فتمكن بها من تقليص النفوذ العثماني إلى أن تمكن من دخول صنعاء بعد قتال شرس دمر أحياء المدينة التاريخية العظيمة. ولكن العثمانيين تمكنوا من استرداد المدينة بمساعدة بعض القبائل المعارضة للإمام فاتفق الجانبان على الصلح والمشاركة معاً في حكم اليمن على أن يكون للإمام الإشراف على النواحي الشرعية والأوقاف والتعليم وعندما قامت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م انتهى الحكم العثماني في اليمن فكان بذلك أول دولة عربية آسيوية تنعتق من الطغيان العثماني.

٨١٠ مصر تحت الحماية البريطانية (١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)

اندلعت الحرب العالمية الأولى في أوروبا بينما كان الانجليز يحتلون مصر ولكن بطريقة غير علنية، ولهذا سارعت بريطانيا دون مقاومة إلى إعلان

الحماية على مصر رسمياً، وبالتالي لم يعد لتركيا ـ عدوة بريطانيا في الحرب ـ نفوذ سياسي أو عسكري في مصر. أما الخديوي عباس الثاني فعزلته، ونصبت حسين كامل سلطاناً على مصر.

ومعنى أن تصبح مصر محمية بريطانية هو أن تصبح بريطانيا متسلطة على كل مجريات الأمور السياسية والاقتصادية والحربية في مصر. ولقد اتخذت بريطانيا من بسط نفوذها الكامل على مصر وسيلة لإخراج العثمانيين من الشام وعقد إتفاقية سايكس بيكو واحتلال فلسطين وبغداد واصدار وعد بلفور. . . وقد تم ذلك كله في خلال ثلاث سنوات.

٨١١ قوات بريطانية تنزل البحرين وتحتل جنوب العراق (١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)

ظهر الاهتمام البريطاني لاحتلال العراق (وخاصة الجزء الجنوبي منه) بعد تدهور قوة الدولة العثمانية. فأخذت بريطانيا تقترب بالتدريج من العراق حيث فرضت نفوذها على الخليج العربي، وزيادة المصالح التجارية في المنطقة بما فهيا البصرة. ثم جاء إنشاء خط السكك الحديدية الذي ربط شمال العراق بجنوبه ليزيد من أطماع بريطانيا التي ما أن اندلعت الحرب العالمية الأولى حتى سارعت بإرسال أسطولها من الهند إلى البحرين والذي يتكون من فرق مقاتلة قوامها ١٥ألف جندي، وذلك في اكتوبر ١٩١٤م. ولقد كان الغرض من إرسال تلك القوة هو الزحف على العراق واحتلاله (وخاصة مناطق الجنوب الغنية بالنفط) حتى لا يتسنى لتركيا وألمانيا استخدام البترول كسلاح في الحرب.

٨١٢ أوروبا ترغم ملك الحبشة على التنازل عن عرشه لرغبته في إعلان دولته دولة إسلامية (١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م)

لما زاد خطر الأوروبيين في نشر المذاهب الكاثوليكية والبروتستانتينية في أفريقيا كان ملك الحبشة (ليج ياسوع) مدركاً مدى الخطر على مسيحيي الحبشة (الذين يؤمنون بالمذهب الأرثوذكسي) وخاصة عندما أبدت الدول الأوروبية رغبتها في تقسيم بلاده لإقامة دول تتبع ملتهم. فأشهر إسلامه، وكتب على علم بلاده عبارة: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وجهز قوات جيشه الذي يتكون معظمه من المسلمين وأعلن الجهاد ضد الأوروبيين، فخشيت الدول

الأوروبية الأخطار المحدقة بها جراء جاء تلك التطورات، وتمكنت فيما يشبه الانقلاب الخاطف من عزل الملك عن عرشه وإقامة حكومة ملكية مسيحية متحالفة معها أخذت في إضطهاد المسلمين.

٨١٣ محاولة السنوسيين بليبيا غزو غرب مصر (١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م)

انخرطت الدولة العثمانية في حروب البلقان وفي الحرب العالمية الأولى متحالفة مع المانيا فحاول السنوسيون في ليبيا انتهاز الفرصة بدافع من الإلمان لغزو غرب مصر لتهديد القوات البريطانية هناك. وقد تمكن السنوسيون من عبور الحدود واحتلال السلوم، ولكنهم نظراً لقلة قدراتهم التعبوية إنسحبوا من هناك إلى داخل حدودهم.

وفي الحقيقة فلا يجب النظر إلى تلك المحاولة من السنوسيين على أنها اعتداء على شقيقتهم الكبرى مصر، بل يجب وضع تصرفهم هذا دائماً في إطار النزاع الدموي بين الدول الكبرى التي عادت بعضها بعضاً وخاصة المانيا وإنجلترا.

٨١٤ الجيش التركي العراقي يهزم جيشاً بريطانياً ويأسره قرب بغداد (١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م)

قامت تركيا بإرسال قواتها إلى العراق الذي كان الحماس فيه للجهاد ضد القوات البريطانية على أشده، وخاصة بعد احتلال الفاو والبصره بجنوب العراق. فقد زحفت الحملة البريطانية التي كانت قد نزلت البحرين إلى القرنة في ديسمبر عام ١٩١٤م ثم العمارة في يونيو ١٩١٥م، ثم تجمعت وأعدت العدة للزحف على بغداد التي كان الجيش التركي والعراقي متحصنين بها ومستعدين للدفاع عنها. وما أن التحمت قوات الجيشين البريطاني من ناحية والعثماني العراقي من ناحية أخرى، حتى حلت الهزيمة بالجيش البريطاني في موقعة تسمى سلمان باك، وذلك في منتصف نوفمبر ١٩١٥م. وقد كانت هزيمة البريطانيين مذلة لهم حيث حوصرت قواتهم لمدة خمسة أشهر حتى استسلمت بالكامل في أبريل من عام ١٩١٦م.

٨١٥ اتفاقية سايكس ـ بيكو وفرض الاحتلال الأوروبي على الشرق الأوسط (١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م)

إن اتفاق سايكس ـ بيكو (مارك سايكس وجورج بيكو وزيري خارجية بريطانيا وفرنسا) هو اتفاق سري عقد بين بريطانيا وفرنسا لتقسيم أملاك الدولة العثمانية التي هزمت في الحرب العالمية الأولى. ولقد انضم للدولتين فيما بعد ممثل للحكومة الروسية.

ولكن عندما نجحت الثورة البلشفية الروسية سنة ١٩١٧ خرجت إلى العلن بنود ذلك الاتفاق السري والذي اتفق فيه على استيلاء فرنسا على الشام والموصل (شمال غرب العراق)، واستيلاء روسيا على مدينة القسطنطينية ومنطقة البسفور وإن لم يتم ذلك بسبب الثورة الروسية، واستيلاء بريطانيا على مجمل الإمارات المطلة على الخليج العربي وعلى العراق، وأن تخضع مدينة القدس والأراضي المحيطة بها لأدارة دولية، أما منطقة الحجاز فهي تحت النفوذ الإسلامي بالجزيرة العربية.

وتعتبر تلك الاتفاقية التي عقدت عام ١٩١٦م واحدة من أكثر الاتفاقيات جلباً للعار على حكومتي كل من بريطانيا وفرنسا في التاريخ الحديث حيث قسمتا الأراضي بسكانها فيما بينهما دون وازع من ضمير أو أخلاق في الوقت الذي كانتا فيه تتشدقان بمبادىء الحرية وحق الشعوب في تقرير مصيرها.

٨١٦ الشريف حسين ملكاً للحجاز (١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م)

كانت الجزيرة العربية إبان الحرب العالمية الأولى مقسمة إلى إمارة نجد في الشرق تحت سلطة عبد العزيز بن سعود مؤسس الدولة السعودية الثالثة وعاصمته الرياض، وإمارة الحجاز تحت سلطة الشريف حسين بن علي وعاصمته مكة. وكلا الرجلان ينتميان إلى أصول عرقية مختلفة مما جعل الخلافات تنشأ بينهما والتي زادها قيام الشريف حسين بإعلان نفسه ملكاً لكل العرب (دون أن يبايعه أحد). ولما كانت الدول العربية تحت الاحتلال الاستعماري الأوروبي فإن بريطانيا رفضت الاعتراف بالشريف حسين، وأعلنت أنه ملك للحجاز فقط.

ويعتبر الشريف حسين صاحب الدعوة لإنهاء النفوذ العثماني في البلدان العربية الشرقية ولكن في عصره وبمساعدته أو غفلته سقطت القدس وفلسطين تحت الاحتلال البريطاني مما مهد دون جدال الطريق بسرعة لإقامة الدولة الصهيونية.

٨١٧ الروس يذبحون ١٥٠ ألف مسلم من آسيا الوسطى (١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م)

كانت السياسة القمعية التي اتخذها الروس القياصرة تجاه المسلمين بآسيا الوسطى تهدف إلى قمع العقيدة الإسلامية وتحويل المسلمين عن دينهم وتاريخهم وثقافتهم. ولكي تتمكن روسيا القيصرية من ذلك فقد شجعت هجرة الروس إلى تلك المناطق لكي يتملكوا الأراضي ويسيطروا على الوظائف الهامة هناك.

ولقد أدت تلك الهجرات إلى الاحتكاك بالسكان المسلمين هناك، فكثرت النزاعات والمعارك حتى دخلت القوات الروسية منطقة قيرغيزيا (وكانت أكثر المناطق اضطراباً) مما أدى إلى وقوع مذابح دموية مروعة راح ضحيتها ١٥٠ ألف مسلم.

٨١٨ وعد بلفور وخيانة بريطانيا للعرب (١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م)

كانت بريطانيا والدول الاستعمارية الأوروبية الأخرى تخطط تخطيطاً استراتيجياً بعيد المدى له خطوات مرحلية واضحة للهيمنة على البلدان العربية. وعندما ظهرت الفكرة القومية العنصرية الصهيونية في القرن الثامن عشر وأخذ اليهود يسيطرون على المؤسسات المالية الرأسمالية في أوروبا، تمكنوا من تمويل جانب من نفقات بريطانيا في الحرب العالمية الأولى في نظير إعطاء اليهود وطن قومي لهم في فلسطين (أكذوبة أرض المعياد)، فسعت بريطانيا تدريجياً لتهيئة الأوضاع السياسية في الوطن العربي لتحقيق أهدافها الخاصة، وأهداف اليهود، فقامت بإعطاء فلسطين - وهي لا تملك ذرة من ترابها - لليهود، وهم لا يستحقونها. وقد تم ذلك رسمياً وعلنياً في وعد بلفور المشهور الذي نص على أن حكومة صاحبة الجلالة (ملكة بريطانيا) تنظر بعين الرحمة إلى إقامة وطن قومي لليهود في أرض فلسطين، وأنها ستقوم بكل ما يلزم لتحقيق ذلك الهدف.

ولقد صدر ذلك الوعد في الثامن من نوفمبر عام ١٩١٧م وجاء في صورة خطاب رسمي أرسله اللورد أرثر بلفور وزير خارجية بريطانيا إلى اللورد روتشيلد وهو أحد زعماء اليهود المتحمسين إلى فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

٨١٩ القوات البريطانية تحتل بغداد (١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م)

أخذت الدول الأوروبية في أوروبا في حث اليونان على مهاجمة تركيا فقام جيش يوناني باحتلال أزمير، فتراخت قبضة تركيا على العراق والشام وفلسطين، فرحف جيش بريطاني تجاه العاصمة العراقية فدخلها، حيث أذيع بيان يحث العراقيين على تفهم موقف الحكومة البريطانية تجاه الأتراك، ويزعم أن القوات البريطانية في العراق جاءت لطرد العثمانيين وتحرير العراق من الظلم والطغيان. ولكن ذلك لم يكن صحيحاً ولم ينطل على الشعب العراقي.

ويعتبر دخول الإنجليز بغداد هو الاحتلال الأول لتلك المدينة الإسلامية الكبرى منذ أن دخل الإسلام العراق في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي).

٨٢٠ الإنجليز يحتلون القدس (١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م)

بقيت مدينة القدس في أيدي المسلمين منذ الدولة الأيوبية، فتعاقبت عليها الدول الإسلامية تباعاً إلى أن أخذت الدولة العثمانية تنهار، ونشأت سلطات حكم محلية خاصة أثناء وبعد الحرب العالمية الأولى ففرطت في الدفاع عن المقدسات. فقد قام الحسين بن علي أمير مكة بالاتصال بهنري مكماهون وهو المندوب السامي البريطاني في مصر وطلب منه المساعدة في تخليص العالم العربي من ظلم الاحتلال العثماني وأن هذا سيأتي عندما تؤازر بريطانيا الموقف العربي. فسار جيش بريطاني من مصر ودخل فلسطين ثم التقى به جيش الأمير حسين حيث دخلا مدينة القدس في ديسمبر عام ١٩١٧م، وذلك من دون الحصول على أي ضمان من انجلترا بالانسحاب من المدينة ويأتي ذلك الحادث المؤسف بعد عام من اتفاق سايكس ـ بيكو بين انجلترا وفرنسا لتقسيم البلدان العربية، ووضع القدس تحت المظلة الدولية (التي تعني في ذلك الوقت

المظلة البريطانية). وبعد شهر واحد من صدور وعد بلفور الذي وعدت فيه بريطانيا رسمياً اليهود بتحقيق أمانيهم القومية وإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين.

٨٢١ تأسيس حزب الوفد المصري أقوى حزب سياسي في تاريخ مصر الحديث (١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م)

إن قيام حزب الوفد المصري يعود إلى الدعوة التي وجهها الزعيم الكبير سعد زغلول إلى ستة من رفاقه الوطنيين (علي شعراوي ـ أحمد لطفي السيد ـ عبد العزيز فهمي ـ محمد محمود ـ محمد علي علوبه ـ عبد اللطيف المكباتي)، لتشكيل وفد منهم يذهب للقاء المعتمد البريطاني في مصر السير (ريجنالد ونجت) للتباحث معه في أمر الاستقلال المصري عن بريطانيا. فأشار عليهم ونجت بأن يجمعوا توقيعات المصريين وتقديمها إلى السلطات حتى يتضح مدى الدعم الشعبي لذلك الوفد في البلاد. وفي شهر نوفمبر ١٩١٨م تم طبع مئات الآلاف من الاستمارات، ولما علمت السلطات البريطانية بحقيقة وزن الوفد سياسياً سارعت بمصادرة الاستمارات لإخفاء توكيل الشعب لزعمائه الوطنيين. ومع ذلك نجح الوفد في إثبات قوته أمام المصريين وأمام قوات الاحتلال البريطاني.. فلم تتمكن بريطانيا بعد ذلك من تجاهله في أي مناسبة من المناسبات.

٨٢٢ مؤتمر الصلح بباريس وقضايا العرب (١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م)

ذهبت الوفود العربية إلى باريس لمعرفة رأي دول العالم المنتصرة في الحرب العالمية الأولى، وخاصة إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية. ولما كان الشريف حسين هو أهم ملك عربي في ذلك الوقت فقد أرسل ابنه فيصل إلى باريس لاستخلاص حقوق العرب.

ولقد حدثت نزاعات بين إنجلترا وفرنسا من ناحية وبين الولايات المتحدة من ناحية أخرى أثناء مناقشة القضية العربية في فبراير ١٩١٩م. فالدولتان الأوروبيتان صممتا على فرض الانتداب (أي الاحتلال) على الدول العربية بغرض إعانة تلك الدول على الوصول إلى طريق الحرية والرفاهية. أما الولايات

المتحدة فكانت تشجع استقلال العرب وحقهم في تقرير المصير. ولهذا فقد اتضح للعرب كافة مدى الفخ الاستعماري الذي نصب لهم.. ولم يكن ذلك عائداً لخيانة بعض الحكام العرب بقدر ما كان تطبيقاً لسلطة ونفوذ القوة التي تدعمها المدافع.

٨٢٣ **استقلال أفغانستان** (١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م)

استمر الحكم الإسلامي يتعاقب في الأراضي التي تشكلها أفغانستان اليوم حتى أخذت بريطانيا تتدخل في شؤون الحكم الأفغاني، فجرت معركة بين الطرفين عام ١٨٤٩م انتهت بزيادة النفوذ البريطاني هناك، ثم الاحتلال الكامل للبلاد عام ١٨٧٨م. وعقب انتهاء الحرب العالمية الأولى اغتيل حبيب الله خان سلطان أفغانستان واندلعت أعمال العنف مطالبة بالاستقلال الذي أعلن عام ١٩١٩م واعترفت به بريطانيا. ومع ذلك فلم تستقر الأحوال السياسية في أفغانستان أبداً بعد الاستقلال حيث رأى الأفغان في الحكم الملكي حكماً فاسداً مرتبطاً بالقوى الإمبريالية إلى أن حدث انقلاب عسكري عام ١٩٧٣م ليطيح بالملكية هناك، ثم وقع انقلاب شيوعي دموي عام ١٩٧٨م مفسحاً المجال لقوات الاتحاد السوفياتي لاحتلال البلاد، فبدأت صفحة دموية محزنة في تاريخ المسلمين بأفغانستان.

٨٢٤ **ثورة المصريين ضد الاحتلال البريطاني** (١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م)

إن فرض الحماية البريطانية على مصر في سبتمبر عام ١٩١٤م إثر إندلاع الحرب العالمية الأولى أشعل السخط والغضب في قلوب المصريين.. ومع ذلك فالمصريون كانوا دائماً قادرين على الصبر في أحلك الظروف.. وقد صبروا على القوات البريطانية بسبب الحرب العالمية، ولكن انتهاء الحرب وتبدل الأوضاع السياسية في العالم وعقد مؤتمر باريس في فبراير ١٩١٩م وما تمخض عنه من ترسيخ للاحتلال، دفع المصريين إلى الغضب، فاستقالت وزارة حسين رشدي الوطنية ورفض القادة المصريون تشكيل وزارة بديلة. فما كان من السلطات البريطانية إلا أن ألقت القبض على كبار الزعماء الوطنيين وعلى رأسهم سعد زغلول ورحلتهم إلى المنفى في جزيرة مالطة في مارس ١٩١٩م. وهنا

أحس كل مصري أن بريطانيا لا تمارس القهر فقط بل تمارس الطغيان كذلك، فاندلعت أكبر ثورة شعبية في تاريخ مصر الحديث شارك فيها كل فئات الشعب. ولم تكن الثورة في القاهرة فقط ولكنها امتدت لتشمل كل أنحاء البلاد.

ومما زاد الثورة قوة وحماسة قيام شيوخ وعلماء الأزهر بالتنديد بالمحتل وحث الشعب على طرده وقتله وتدمير آلياته. وكذلك فعل أقباط مصر في شعور عظيم بالوطنية. وبالرغم من سقوط القتلى والجرحى بين أفراد الشعب إلا أن الثورة التي بدأت في ٩ مارس لم تنته إلا بخضوع السلطات البريطانية لإرادة الشعب، والإفراج عن سعد زغلول ورفاقه في ١٨ إبريل ١٩١٩م وإعلان بريطانيا استعدادها لمناقشة مطالب المصريين.

٨٢٥ ثورة العشرين الشعبية في العراق ضد الاحتلال البريطاني (١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م)

لا بد وأن ثورة المصريين ضد الاحتلال البريطاني ونجاحها كانت سبباً هاماً في قيام العراقيين بثورتهم التي سميت بثورة العشرين. كذلك فإن استمرار التعنت البريطاني في احتلال العراق وعدم وجود أي وعد بالانسحاب كان سبباً مباشراً آخر. لقد قامت الثورة مدعمة من رجال الدين ورجال القبائل والعشائر في كافة مدن العراق عدا العاصمة بغداد التي حاصرتها قوات الاحتلال. وكان ظهور الثوار من الشيعة جنباً إلى جنب مع الثوار السنيين مؤشراً هاماً على الوحدة الوطنية في العراق لدرجة أن بريطانيا سارعت باستدعاء قوات وآليات عسكرية كبيرة من الهند لإخماد تلك الثورة التي استمرت من ٣٠ يونيو إلى منتصف أكتوبر تقريباً وانتهت بقيام بريطانيا بعزل المندوب السامي في العراق أرنولد ويلسون، وكان سبباً في تفشي المظالم واستخدام القسوة ضد الشعب، وعينت بديلاً جديداً له هو السير بيرس كوكس الأكثر اتزاناً، فتمكن من التفاهم مع القادة الوطنيين بالعراق ودراسة مطالبهم الوطنية.

٨٢٦ مؤتمر سان ريمو يطيح بالآمال العربية في الاستقلال (١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م)

زاد نفوذ اليهود في أوروبا، فأخذوا يضغطون على الدول المنتصرة في

الحرب العالمية الأولى من أجل تنفيذ وعد بلفور، وخبت الحماسة الأمريكية في الدفاع عن قضايا العرب والتي ظهرت في مؤتمر الصلح بباريس حتى أن الرئيس الأمريكي ويلسن وافق رسمياً على الحماية البريطانية على مصر. ولهذا أخذت بريطانيا وفرنسا وإيطاليا تنظم لعقد مؤتمر عقد في مدينة سان ريمو (إبريل ١٩٢٠م) وقضى المؤتمر بأن تكون سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، وأن يكون العراق والأردن وفلسطين تحت الانتداب البريطاني. وقرر المؤتمر كذلك ـ بموافقة الدول الأوروبية ـ على أن تقوم بريطانيا بتنفيذ وعد بلفور الذي وعدت فيه الحكومة البريطانية اليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين.

٨٢٧ قوات الجنرال غورو تحتل دمشق (١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م)

قامت فرنسا صاحبة الثورة الكبرى التي نادت بأن من يقهر شعباً من الشعوب فإنما يعلن نفسه عدواً لجميع الأمم، بتنفيذ مقررات مؤتمر سان ريمو، وتحويل قواتها العسكرية المدججة بالسلاح استعداداً لبسط السيطرة على الشام مدنه وريفه. وطالبت الحكومة الفرنسية الملك فيصل بن الحسين بإخلاء سوريا من القوات العسكرية وإعلان قبوله الانتداب الفرنسي. ولكن الجيش السوري رفض ترك بلاده تنهتك بدون الدفاع عن النفس، فاشتبك في معارك ضارية مع الجيش الفرنسي كان أهمها معركة ميسلون في يوليو ١٩٢٠م استمرت تلك المعارك حتى نفدت ذخيرة الجيش السوري واستشهد قائده الفذ يوسف العظمة، فتمكن غورو من دخول دمشق على جثث الأبطال ودمائهم الزكية، وتناسى دستور بلاده وأخلاقيات زعماء ثورته الفرنسية، وذهب ليقف أمام قبر السلطان صلاح الدين الأيوبي لينطق بكلماته الصليبية المعروفة: ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين. وقد قصد من ذلك أن الصليبيين قد عادوا إلى الشرق منتصرين..

٨٢٨ عبد الله بن الحسين ملكاً على شرق الأردن (١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م)

بعد هزيمة الملك فيصل بن الحسين ملك سوريا من فرنسا ونفيه إلى الحجاز، قام شقيقه عبد الله بالزحف بجيشه للثأر من هزيمة فيصل، ولكن بريطانيا أقنعته بأن يكف عن منازعة فرنسا. واستضافته السلطات البريطانية في القدس للقاء مع ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطانية الذي تمكن من

إقناعه بأن يتولى حكم شرق الأردن فقبل عبد الله العرض البريطاني، وبهذا أصبح للأسرة الهاشمية ثلاث ممالك. . الأولى في الحجاز، والثانية في العراق، والثالثة في شرق الأردن. ولكن المستقبل كان يخبيء الكثير من المفاجآت لتلك الممالك.

٨٢٩ بريطانيا تنفي سعد زغلول ورفاقه كرموز للوطنية المصرية (١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م)

عرضت بريطانيا مشروعاً على عدلي يكن رئيس الوزراء المصري ظاهره الاستقلال وباطنه ترسيخ الاحتلال، فرفضه يكن فقامت بريطانيا بالضغط على السلطان فؤاد الأول ليقبل المشروع فقبله. فاستقال يكن من الوزارة وصعبت المهمة أمام فؤاد لتشكيل وزارة جديدة، فلم يكن هناك أحد يرضى أن يستوزر في تلك الظروف، ولكن عبد الخالق ثروت (وهو من أصل مغربي)، وإسماعيل صدقي المنشقين عن سعد زغلول وافقا على تشكيل وزارة برئاسة الأول بشرط قيام السلطات البريطانية بإبعاد خصمهما سعد زغلول ورفاقه، وكان منهم مصطفى النحاس ومكرم عبيد وفتح الله بركات. وفي نهاية ديسمبر من عام ١٩٢١ م تم اعتقال سعد زغلول ورفاقه وأجبروا على الرحيل خارج وطنهم مصر، ليتم نفيهم إلى جزيرة بشرق أفريقيا هي جزيرة سيشل.

وفي الحقيقة فإن ذلك لم يضعف الوفد فتطور الأحداث أثبت مدى شعبية ذلك الحزب، ولذلك سرعان ما تبدلت الأحوال.

٨٣٠ الملك فيصل بن الحسين ملكاً للعراق (١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م)

بعد ثورة العشرين، قامت إنجلترا بتعيين مندوب سامي جديد هو بيرس كوكس على العراق كُلف بتسوية المشكلة السياسية هناك. فتأسست في عهده حكومة عراقية لها مستشارون إنجليز. وسرعان ما رفض الشعب العراقي تلك الحكومة، وزاد الأمر سوءاً أن العراق كان بلا ملك أو سلطان على العكس من معظم الدول العربية وعلى العكس من النظام السياسي الموجود في بريطانيا ذاتها.

كذلك كانت بريطانيا تريد نظاماً ملكياً لكي يسهل لها إخضاع العراق.

ولقد كان هناك العديد من الأسماء لكي تختار إنجلترا منها الملك المناسب للعراق، ولهذا عقد في القاهرة بناء على اقتراح وزير المستعمرات البريطاني ونستون تشرشل مؤتمر في مارس ١٩٢١م تم فيه اختيار فيصل بن الحسين (الذي كان ملكاً على سوريا ثم نفته فرنسا إلى الحجاز) ليكون ملكاً على العراق. وكان فيصل ابناً للشريف حسين ملك الحجاز وهو هاشمي سني ولهذا فإن تعيينه ملكاً على العراق سيرضي غالبية السكان السنيين في العراق. فلما تم الاستفتاء (الذي استخدمت فيه إنجلترا التزوير ورفع نسبة الموافقين إلى ٩٧٪) أصبح الأمير فيصل ملكاً للعراق في ٢٣ أغسطس ١٩٢١م.

٨٣١ معاهدة ملك العراق مع بريطانيا ترسخ الاحتلال (١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م)

إن تنصيب بريطانيا لفيصل بن الحسين ملكاً على ا لعراق جاء كخطوة شكلية لكي تبسط بريطانيا نفوذها السياسي بالكامل على العراق. فملك كهذا لن يرفض لبريطانيا التي أجلسته على عرش دولة عربية هامة طلباً. ولهذا فعندما عرض ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطانية معاهدة عام ١٩٢٢م على الملك فيصل وحكومته لم يكن لينتظر منهم أي رفض بالرغم من الانتفاضات الشعبية والسياسية التي جرت في العراق قبل توقيعها والتي أخمدتها سلطات الاحتلال بقسوة بالغة. ولقد نصت تلك المعاهدة على حتمية أن يقوم ملك العراق باستشارة حكومة صاحبة الجلالة البريطانية في كل القضايا التي تمس المصالح البريطانية، وهذا يعني أن أي قوانين يطلبها العراقيون يجب أن تعرض على السلطات البريطانية. ويعني كذلك أن مسألة إنهاء الاحتلال البريطاني غير واردة للمناقشة. ويعني استمرار السياسات القمعية البريطانية دون تدخل ملك العراق أو حكومته. ويعني - بالإضافة إلى كل ذلك - أن يتملك البريطانيون وغيرهم ما يشاؤون من مؤسسات أو أراض أو مصانع أو أموال في العراق. أما الجيش العراقي فإن مدربيه ومستشاريه وأسلحته تكون من بريطانيا، وتحركاته تخضع لتقدير السلطات البريطانية المحلية.

وهكذا تم إخضاع العراق بهذه المعاهدة التي وقعها الملك وحكومته دون إبداء معارضة أو رفض.

٨٣٢ إلغاء الحماية البريطانية على مصر مع بقاء قوات الاحتلال (١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م)

بالرغم من صدور قرارات مؤتمر سان ريمو التي تدعو إلى شرعية فرض الانتداب الأرووبي على الكثير من الدول العربية، إلا أن الاحتلال البريطاني في مصر كان قد واجه لطمة شديدة من جراء إندلاع ثورة ١٩١٩م لدرجة أنه لم تمض ثلاث سنوات عليها إلا ونحت السلطات البريطانية نحو القيام بإعلان إلغاء انتدابها على مصر في تصريح شهير سمي بتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م وموافقة الحكومة البريطانية على قيام مصر بوضع دستورها الخاص بها. وبالرغم من أن ذلك التصريح لم يعط لمصر قط الاستقلال وحق تقرير المصير إلا أنه كان الأول من نوعه في بلد عربي يرزح تحت الاحتلال الأوروبي.

ولقد شهدت المرحلة التي أعقبت ذلك تطوراً هاماً في الحياة السياسية.

٨٣٣ ثورة السودانيين ضد الاحتلال البريطاني (١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م)

بعد توقيع الاتفاقية المصرية البريطانية عام ١٨٩٩ لتقرير الحكم الثنائي للسودان، كان غضب السودانيين موجهاً ضد السلطات البريطانية، وذلك لأن العلاقات القوية بين الشعبين المصري والسوداني كانت كافية لكي يعلم السودانيون أن الحكومة المصرية في ذلك الوقت لم يكن لها القوة القادرة لمنع إنجلترا من تقرير السياسات التي تخضع مصر والسودان معاً. ولهذا فقد كانت الأعمال المناهضة للاستعمار البريطاني في مصر تلقى الاستجابة المماثلة في السودان. فثورة ١٩١٩م في مصر عجلت بظهور تمرد واسع النطاق في السودان عام ١٩٢٢م على يد ضابط سوداني يدعي علي عبد اللطيف، ولكن البريطانيين أخمدوه بالقسوة والعنف. وقيام سعد زغلول بالتنديد بالاحتلال البريطاني لمصر والسودان جعل المظاهرات في مدن السودان تندلع لتهز الكيان الاستعماري البريطاني. ولقد استمر السودانيون في إعلان رفضهم بكل السبل لوجود قوات الاحتلال في أراضيهم حتى تمكنوا من طرد البريطانيين مثلهم من ذلك مثل أشقائهم في مصر.

٨٣٤ ثورة سكان آسيا الوسطى المسلمين ضد الحكم الشيوعي الروسي
(١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م)

بانتهاء الحرب العالمية الأولى وقيام الثورة الشيوعية في روسيا أخذ الشيوعيون يبسطون نفوذهم على مناطق آسيا الوسطى الإسلامية التي كانت روسيا القيصرية قد احتلتها من قبل. ولقد وقع العداء المباشر بين المسلمين والشيوعيين لقسوة الشيوعيين ورغبتهم في طمس العقيدة الإسلامية. هذا وسرعان ما اندلعت الثورة في آسيا الوسطى تحت قيادة رجل تركي قوي يدعى أنور باشا وكان وزير دفاع تركياً إبان الحرب العالمية الأولى حيث تمكن من إيقاع عدة هزائم بالقوات الشيوعية. وفي كل يوم كانت الثورة تنتشر في آسيا الوسطى كان الشيوعيون يصممون على هزيمة أنور باشا وقواته، وقد نجحوا في ذلك عندما سيروا جيشاً مدججاً بالسلاح قوامه ثمانون ألف رجل تمكن من هزيمة قوات أنور باشا التي كان عددها حوالي خمسة آلاف رجل. ولقد قتل أنور باشا في تلك المعارك وذلك في الرابع من أغسطس عام ١٩٢٢م وبذلك خمدت الثورة في آسيا الوسطى، وبسط الشيوعيون نفوذهم على تلك المناطق التي اعتبروها مناطق تحت الاحتلال.

٨٣٥ إلغاء الخلافة العثمانية (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)

بعد قيام اليونان باحتلال أزمير (وهي جزء من الأراضي التركية) وإهانة سكانها سارعت الحكومة التركية الموالية للحلفاء لتوقيع معاهدة سيفر التي زادت من مذلة الأتراك فاشتعلت نار الغضب لدى الثوار الترك الذين تزعمهم مصطفى كمال أتاتورك. كذلك سارع مجاهدون عديدون من الدول العربية لنجدة تركيا من مصيرها المظلم الذي يخططه لها الأوروبيون. وكان من نتيجة ذلك انتصار أتاتورك والثوار على اليونانيين. ورفع ذلك الانتصار من شأن أتاتورك فوقع معاهدة لوزان مع فرنسا التي أعادت الكرامة لتركيا أمام الدول الأوروبية.

وبعد ذلك وفي التاسع والعشرين من أكتوبر عام ١٩٢٣م أعلن أتاتورك إلغاء السلطنة العثمانية وقيام الجمهورية التركية التي ترأسها أتاتورك. أما منصب الخليفة العثماني فقد تقلص نفوذه إلى الشؤون الروحية والدينية إلى أن صدر

إعلان في ٣ مارس عام ١٩٢٤م بإلغاء ذلك المنصب، وانتهاء الخلافة العثمانية وبذلك طويت صفحة آخر الإمبراطوريات الإسلامية الكبرى التي حكمت المسلمين منذ القرن السابع الميلادي في تتابع مستمر وثيق.

٨٣٦ اليمن دولة مستقلة (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)

لقد ساعد تاريخ اليمن الذي غلب عليه التيار العلوي الشيعي، وطبيعة أرضه الجغرافية، على أن يجعل العثمانيين والبريطانيين يعانون من البقاء هناك. فقد تمكن اليمنيون من نيل استقلال ذاتي عن الحكم العثماني عام ١٩١١م. وعندما وقعت الحرب العالمية الأولى وقف اليمن بجانب تركيا خشية التوسع البريطاني إنطلاقاً من القواعد البريطانية في عدن وجنوب اليمن. وما أن انتهت الحرب وخرجت تركيا نهائياً من اليمن، قام الزعماء اليمنيون بتوقيع معاهدة مع بريطانيا تكفل استقلال اليمن استقلالاً رسمياً.

٨٣٧ اغتيال السير لي ستاك قائد الجيش البريطاني في مصر والحاكم العسكري للسودان (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)

أخذت إنجلترا تتدخل في الحياة السياسية في مصر بشكل مستمر حتى بعد صدور دستور عام ١٩٢٣ ونجاح سعد زغلول في الوصول لمنصب رئيس الوزراء. ولقد كان هناك من الشباب من يشعر بالمرارة والغضب خاصة بعد فشل المفاوضات المصرية البريطانية بشأن قضية السودان، واندلاع مظاهرات المدرسة الحربية بالخرطوم التي أيدها مجلس الوزراء المصري. ولهذا قام خمسة من الشباب الغاضب بنصب كمين مسلح لسيارة الحاكم العسكري البريطاني للسودان وقائد الجيش المصري السير لي ستاك الذي قمع ثورة الطلبة في الخرطوم بقسوة، وفاجأوا السيارة بوابل من طلقات الرصاص. وكان من نتيجة ذلك أن لقي السير لي ستاك مصرعه في ١٨ نوفمبر ١٩٢٤م.

ويعتبر اغتيال السير لي ستاك أكبر صدمة تعرضت لها بريطانيا في مصر بعد ثورة عام ١٩١٩م. ولا شك أن ذلك الحادث قد أعطى لبريطانيا مزيداً من الأسباب لكي تزيد من قمع الأصوات المطالبة باستقلال مصر ونيل حريتها. فسقطت وزارة سعد زغلول وتمت عمليات اعتقال عشوائية واسعة النطاق في

مجمل أنحاء البلاد كان على رأس ضحاياها محمود فهمي النقراشي وأحمد ماهر وهما من قيادات الوفد.

٨٣٨ وفاة مصطفى لطفي المنفلوطي المفكر المصري الكبير (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)

عاش مصطفى لطفي المنفلوطي ثمانية وأربعين عاماً حيث ولد عام ١٨٧٦م وتوفي عام ١٩٢٤م. ولهذا فقد عاصر بداية الاحتلال البريطاني لمصر وكذلك ثورة الشعب ضد ذلك الاحتلال. ولقد تلقى المنفلوطي تعليمه في الأزهر الشريف فأخذ من أفكار الشيخ محمد عبده الكثير.. ولما بلغت معلوماته حداً كبيراً أخذ يكتب في الصحف وخاصة صحيفة المؤيد إلى أن عرفه الناس وأحبوه لوطنيته وكراهيته للمحتل وفساد القصر.

ولقد ساعد المنفلوطي مساعدة كبيرة في اندلاع ثورة الشعب عام ١٩١٩م، وبالإضافة لذلك يعتبر من أكثر المفكرين المصريين الذين عملوا على الارتقاء بالآداب العربية. ويعتبر كتاب (النظرات) أهم كتبه وهو الكتاب الذي يحوي أهم مقالاته الاجتماعية والسياسية في فترة حرجة من تاريخ مصر الحديث.

٨٣٩ السعوديون يدخلون الحجاز (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م)

كان الحجاز إمارة يتولى حكمها الشريف حسين بناء على موافقة جمعية الاتحاد والترقي التركية التي أطاحت بالسلطان العثماني عبد الحميد عن العرش العثماني. ويبدو أن تعيين الشريف حسين على الحجاز كان مفيداً لتركيا التي أرادت إظهار إخلاصها وحمايتها للأماكن المقدسة للعالم الإسلامي.

ولكن الشريف حسين ثار على تركيا ربما بإيعاز من إنجلترا. وبهزيمة تركيا في الحرب شعر الشريف حسين بخطر الدولة السعودية في نجد، فاندلعت أعمال العنف بين الدولتين واتسعت حتى تحولت إلى حروب طويلة نجح في نهايتها السعوديون في دخول مكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م)، ثم المدينة المنورة في العام التالي بدون قتال، إلى أن دخلوا مدينة جدة آخر مدن

الحجاز حيث وقعت اتفاقية بين السعوديين والملك علي بن الحسين تنص على مغادرة الأمير مدينة جدة إلى العراق.

٨٤٠ الثورة السورية الكبرى (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م)

لم تدم المملكة السورية العربية إلا فترة قصيرة عندما تدخلت فرنسا وقضت عليها. ومع ذلك فلم يقبل السوريون أبداً أن يروا بلدهم العريق يمزق وتهدر هويته ويحكم حكماً عسكرياً إستعمارياً، فقامت ثورة كبرى تزعمها رجل وطني مخلص يدعى سلطان الأطرش وكان يتزعم أسرة عريقة موطنها جبال الشام. ولقد انتشرت الثورة لأن هدفها كان المستعمر في مدن سوريا الكبرى الرئيسية مثل دمشق وحماه، فهزت أركان السلطات الاستعمارية التي أخذت في قمع الثوار مستخدمة الرصاص والقنابل حتى دمرت أحياء عديدة، ووقع العديد من الشهداء. ولقد كان المفوض الفرنسي (سراي) هو الذي أمر بذبح الثوار في أي مكان وبأي ثمن. فما أن خمدت الثورة وظهرت للعالم قسوة الفرنسيين حتى سارعت الحكومة الفرنسية بعزله وإرسال مفوض جديد يتصف بالحكمة وهو الأديب الفرنسي (جوفنيل) الذي سارع بإستمالة السوريين فوافقهم على مطالبهم في إنشاء حكومة وبرلمان والعمل على كتابة دستور حقيقي للبلاد.

٨٤١ عصبة الأمم تقرر ضم الموصل للعراق (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م)

إن مشكلة الموصل التي تقع في شمال العراق كانت محل نزاع كبير بين تركيا وبريطانيا. فالأولى كانت تود ضمها لتركيا ربما لتتذكر أمجادها الضائعة، والثانية كانت تود بقاءها في العراق حتى تستغل البترول منها لتحقيق مصالحها الصناعية والبحرية، وبالرغم من مساندة روسيا الشيوعية لتركيا في تلك القضية إلا أن بريطانيا رفعت الموضوع برمته إلى عصبة الأمم عام ١٩٢٤م التي ناقشت كل جوانبه، وأصدرت قراراً هاماً في ديسمبر ١٩٢٥م يقضي بأن تكون الموصل كما كانت جزءاً من العراق. ولقد اعترضت تركيا على القرار ولكنها اضطرت في النهاية لقبوله في يونيو من العام التالي على أن تحصل على عشر إنتاج النفط المستخرج من ولاية الموصل.

٨٤٢ ثورة الأكراد ضد تركيا (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م)

يعيش الأكراد في مناطق التلال الموجودة بجنوب تركيا وشمال إيران والعراق، . ولم يكن الأكراد (وهم على المذهب السني) على خلاف سياسي ظاهر مع الدولة العثمانية التي اختفت فيها تقريباً الحدود السياسية، تلك الحدود التي ظهرت بظهور الاستعمار الأوروبي. ولهذا فعندما انحلت الدولة العثمانية وظهر مصطفى كمال أتاتورك وأخذ يطبق سياساته العلمانية بسرعة وجد الأكراد أن سياسة العلمنة تلك لا يقبلونها. ولأسباب عديدة ساندت بريطانيا ثورة الأكراد التي اندلعت في فبراير من عام ١٩٢٥م بقيادة الشيخ سعيد (وهو من علماء النقشبندية)، ولكن إنجلترا لم تتدخل لانقاذ الأكراد الذين واجهوا يد أتاتورك القوية والتي أخذت تبطش بمعاقلهم وتعتقل زعماء الثورة الكردية وتحاكمهم وتعدمهم بما فيهم الشيخ سعيد.

ومنذ ذلك الوقت ومشكلة الأكراد مشكلة إنسانية مستعصية على الحل، فهي تخمد أحياناً وتثور أحياناً أخرى.

٨٤٣ الاتحاد السوفيتي يعلن عن قيام جمهورية أوزبكستان ويضمها إلى امبراطوريته (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م)

كانت أوزبكستان جزءاً من تركستان الغربية بوسط آسيا إلى أن احتلها الروس القياصرة في القرن التاسع عشر. وبعد قيام الثورة الروسية الشيوعية تمكن سكان تركستان من الانفصال عن روسيا لفترة وجيزة، ولكن بعد عام واحد من ذلك قضى الشيوعيون على مقاومتهم وسيطروا على الحياة السياسية هناك ـ كما فعلوا في روسيا ـ ثم جاء عام ١٩٢٥م ليعلن حكام موسكو قيام جمهورية أوزبكستان الاشتراكية التي أصبحت إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي، وقد كانت مدينة سمرقند التي حطمها التتار في العصور الوسطى هي عاصمة أوزبكستان، ثم تحولت العاصمة إلى مدينة طشقند، وكان عدد سكانها وقت ان انضمت إلى الاتحاد السوفيتي حوالي ١١ مليون نسمة وهم من أصل تركي سني.

٨٤٤ الاتحاد السوفيتي يعلن قيام جمهورية تركمانستان ويضمها إلى امبراطوريته (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م)

استولى الروس القياصرة على إقليم تركمانستان الذي كان من ضمن أملاك تركيا في آسيا الوسطى في القرن التاسع عشر. وباستيلاء الشيوعيين الروس على الحكم، تمكنوا من نقل نفوذهم خارج روسيا الاتحادية وإلى الأراضي الإسلامية التي كانت بحوزة القياصرة، وأعلنوا عن قيام جمهورية تركمانستان، الاشتراكية وضموها إلى للاتحاد السوفيتي عام ١٩٢٥م.

وكان عدد سكان المسلمين وقت الضم للاتحاد السوفيتي حوالي مليون مسلم يدينون بالمذهب السني، أما أهم مدن تركمانستان فهي عشق أباد.

٨٤٥ المعاهدة الأردنية البريطانية (١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م)

قررت عصبة الأمم الموافقة على قيام انجلترا بالتواجد في شرق الأردن في صورة انتداب عام ١٩٢٠م وقامت السلطات البريطانية في عملية تهدئة للرأي العام باختيار الأمير عبد الله بن الحسين ليكون أميراً على شرق الأردن. ولأنه أمير جاء من قبل السلطات البريطانية، فقد وقع معها معاهدة هامة عام ١٩٢٨م أعطت بريطانيا حقوقاً واسعة في شرق الأردن، خاصة تلك المتصلة بإقامة القواعد والمنشآت العسكرية، وأن لا يكون للأمير الحق في إنجاز أي سياسات داخلية أو خارجية إلا بموافقة بريطانيا.

أما أخطر نتائج تلك المعاهدة فكانت في قيام يهود شرق الأردن بالهجرة إلى فلسطين الموضوعة تحت الحماية البريطانية والتي أخذوا في ظلها في ممارسة كل أنواع الإبتزاز والضغوط على الفلسطينيين من أجل التنازل عن أراضيهم وهي العملية التي لم تحدث بمثل ما حدثت به في أي عصر من العصور. وهذا ما جعل الشعب الأردني يرفض المعاهدة، ووصفها بالخيانة، بالرغم من الضغوط القمعية التي مارستها بريطانية ضده.

٨٤٦ تأسيس الوكالة اليهودية العالمية (١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م)

وافق كبار دعاة الصهيونية على تشكيل الوكالة اليهودية العالمية لكي تكون مسؤولة عن إعداد كل ما يلزم لإقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين.

فقد هيأ وعد بلفور لليهود فكرة الوطن بينما كان العرب خاضعين للاحتلال الأجنبي وسرعان ما قامت الوكالة اليهودية بعرض منهجها على ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني، ذلك المنهج الذي يقوم أساساً على فكرة تشكيل فيلق يهودي يتكون من المتطوعين الذين يشكلون في المستقبل جيشاً يكون هدفه ردع العرب وهزيمتهم كلما تصادمت سياستهم مع سياسات الدولة اليهودية.

٨٤٧ الاتحاد السوفيتي يعلن عن قيام جمهورية طاجكستان ويضمها إلى إمبراطوريته (١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م)

كانت طاجكستان من ضمن أراضي تركستان الغربية. (أما تركستان الشرقية فهي خاضعة للصين اليوم) التي كانت من ضمن الإمبراطورية العثمانية على مدى أربعة قرون تقريباً قبل أن تضمها روسيا القيصرية إليها في القرن التاسع عشر. ولما قامت الثورة البلشفية أخذ الشيوعيون يسيطرون على تلك المناطق حتى تمكنوا بصعوبة من ذلك. كما قاموا بإعلان قيام جمهورية طاجكستان الاشتراكية وضموها إلى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٢٩م.

وتعتبر جمهورية طاجكستان أصغر جمهوريات آسيا الوسطى مساحة، وكان عدد سكانها عند ضمها للاتحاد السوفيتي حوالي ٢مليون نسمة. أما المسلمون فيها فهم من الشيعة المنحدرين من أصل إيراني ويتحدثون اللغة الإيرانية (مع بعض التعديل) وعاصمتها الحالية هي دوشنبه.

٨٤٨ معاهدة التحالف الوثيق بين العراق وبريطانيا (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م)

ساءت الأمور داخل العراق، حيث تعاقبت الوزارات الضعيفة وكُبتت أصوات المعارضة، ثم ظهرت حركة قومية في إيران بتولية الشاه رضا عرش إيران، وأخذ كمال الدين أتاتورك بعد إلغاء الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤ في تنمية النزعة القومية التركية وإلغاء كل ما يرتبط بالثقافة العربية. ولهذا ضغطت الحكومة العراقية على بريطانيا من أجل رفع شأن العراق في المحافل الدولية، فقامت بريطانيا بمساندة طلب العراق في عصبة الأمم التي تشكلت بعد الحرب العالمية الأولى، وكانت بذلك أول بلد عربي يدخلها (اكتوبر ١٩٢٩م). وفي العام التالي وقعت الحكومتان العراقية والبريطانية معاهدة هامة رسخت من مكانة

الاحتلال البريطاني في العراق في كافة المجالات العسكرية والسياسية منها، وأعطت العراق بعضاً من الاستقلال والسيادة والحقوق التي من أهمها إلغاء الانتداب (مع بقاء الاحتلال).

ومهما كان الأمر فلا يجب إغفال أن بريطانيا أقدمت على هذه المعاهدة نتيجة خشيتها من ظهور قوة الرايخ الثالث بقيادة أدولف هتلر في ألمانيا، وتسارع النمو الشيوعي في الاتحاد السوفيتي من ناحية أخرى.

٨٤٩ إعدام عمر المختار قائد الكفاح الليبي الكبير ضد الاحتلال الإيطالي

(١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م)

عندما يزداد طغيان الاحتلال يظهر زعماء عظام يقفون ضد ذلك الطغيان. وهذا ما حدث في ليبيا حيث ظهر السيد عمر المختار وهو كهل تجاوز الستين عاماً من العمر ليشرف بنفسه على أمور المقاومة الشعبية الليبية ضد الاستعمار الإيطالي التي استمرت من عام ١٩٢٢م وحتى عام ١٩٣١م. وعندما قامت الفاشية الإيطالية أخذت في قمع أعمال الثورة المستمرة في ولايتي طرابلس وبرقة والتي بلغت خمسين معركة دموية في العام الأخير من قيادة عمر المختار، أخذوا بمعداتهم العسكرية المتطورة في قتل الثوار وتدمير قراهم ومزارعهم ومواشيهم، ثم أخذوا في قطع الإمدادات المصرية الكبيرة التي كانت تصل إلى ليبيا وحاصروا عمر المختار الذي جرح في إحدى المعارك فأسروه وقدموه إلى محاكمة سريعة حضرها عمر المختار وهو في الأغلال وذلك في ١٥سبتمبر ١٩٣١م. واستغرقت المحاكمة سبعين دقيقة صدر بعدها حكم بإعدام زعيم الكفاح الشعبي الكهل. وفي صباح اليوم التالي مباشرة أُجبر عشرون ألفاً من سكان ولاية برقة على الخروج لمشاهدة الزعيم الليبي وهو يشنق، والذي وقف ثابتاً راسخاً مردداً: (إنا لله وإنا إليه راجعون) وتجدر الإشارة إلى أن السيد عمر المختار كان قد ولد بقرية البطنان من قبيلة المنفة عام ١٨٦٢م.

٨٥٠ قيام المملكة العربية السعودية (١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م)

أصبح السلطان عبد العزيز بن سعود هو مؤسس الوحدة التاريخية بين قسمي الجزيرة العربية الشرقي والغربي. ولكن بعد أن حقق ذلك النجاح الكبير

كان اليمنيون في جنوب الحجاز قد احتلوا أجزاء هامة من إمارة عسير التي تفصل اليمن في الجنوب والحجاز في الشمال. ولما زادت أطماع اليمنيين - في ذلك الوقت - في إمارة عسير سارع حكامها - أي حكام عسير الأدارسة - بعرض رغبتهم في التوحد مع السلطان عبد العزيز بن سعود. . . فصدر مرسوم سلطاني يوم الخميس ٢١ جمادى الأول سنة ١٣٥١هـ (٢٢ سبتمبر سنة ١٩٣٢م) بقيام المملكة العربية السعودية والتي تتكون من نجد والحجاز وعسير.

وإذا تتبعنا قصة كفاح السعوديين لتوحيد الجزيرة العربية منذ ظهور الدعوة الوهابية ومدى قدرتهم على تلافي الأخطار، والصبر على الشدائد والمحن التي ألمت بهم وكيفية الاستفادة من الظروف المواتية لعرفنا كيف نفرق بين الدعوة الأصلية من الكاذبة. هذا وقد سبق ذلك الإعلان مناقشات موسعة بين السعوديين والبريطانيين والأمريكيين، رأت فيها الدولتان الغربيتان أهمية قيام المملكة وضرورة مساعدتها.

٨٥١ وفاة الملك فيصل بن الحسين ملك العراق (١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م)

هو الملك فيصل الأول صاحب العرش الهاشمي. وهو الملك الذي تعاون مع بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى وحقق استقلال بلاده عن الحكم العثماني وجلب الانتداب البريطاني على العراق بدلاً من العثماني، وكان يؤمن بمفاوضة بريطانيا لمنح العراق الاستقلال، وقد أصبحت دولة العراق - في عهده - عام ١٩٣٢م دولة من دول عصبة الأمم، ومع ذلك فلم تكن دولة كاملة السيادة. فقد كانت بريطانيا تسيطر عسكرياً على العراق كما كانت تسيطر على إقتصاده، وفي عهده تم تحديد الحدود العراقية الحالية مع جيرانه، وهي الحدود التي كانت في صالح الامبراطورية البريطانية بأكثر مما هي في صالح العراق. . . تلك الحدود التي جعلت المنطقة كلها في حالة من الاضطراب المستمر.

وقد توفي الملك فيصل بن الحسين عام ١٩٣٣م ليخلفه على العرش ابنه غازي الذي كان شاباً صغيراً يتصف بالتهور.

٨٥٢ اكتشاف النفط في المملكة العربية السعودية (١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م)

كان الملك عبد العزيز آل سعود مهتماً إهتماماً كبيراً بالبحث عن المعادن والخامات الطبيعية في بلاده. ولهذا فقد طلب عام ١٩٣٠م من المستر (كراين) أن يرسل فريقاً من المهندسين والجيولوجيين إلى المملكة، ومنذ أبريل ١٩٣١م وحتى ٢٩ مارس ١٩٣٣م، أخذ العلماء في التنقيب عن النفط والمعادن إلى أن اتضح لهم وجود كميات ضخمة من النفط في الجزء الشرقي من المملكة، وفي التاسع والعشرين من مارس ١٩٣٣ وقعت الحكومة السعودية مع اتحاد دولي من أربع شركات، اتفاقية لاستخراج النفط. وهذه الشركات هي (شركة ستاندارو أويل أوف كاليفورنيا - وشركة تكساس - وشركة ستاندارد نيوجرسي - وشركة سوكوني فاكوم). وتكونت من هذه الشركات شركة موحدة عرفت باسم شركة آرامكوا (شركة الزيت العربية السعودية)، وكانت مدة الإتفاقية ستة وتسعين عاماً، تنتهي بتحويل ملكية الشركة إلى الحكومة السعودية.

ولقد كانت تلك الحقبة بداية ناجحة لاستكشافات أكبر وأضخم حولت المملكة العربية السعودية إلى أكبر دولة في العالم من حيث احتياطات النفط. ولهذا سارعت الحكومة السعودية في تنفيذ عمليات تطوير اقتصادية وصناعية كبرى تستهدف الارتقاء بالمجتمع العربي الإسلامي بالمملكة.

٨٥٣ إثنان وأربعون ألف يهودي يهاجرون إلى فلسطين (١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م)

قامت وزارة الخارجية الأمريكية بعد ظهور النوايا العدوانية للرايخ الثالث في ألمانيا ضد أوروبا، بمساعدة اليهود في أوروبا شرقها وغربها مما مكنهم - مع الجهود البريطانية - في أن يقوم ٤٢ ألف يهودي بالهجرة إلى فلسطين.

ولقد تكون معظم هؤلاء اليهود من بلدان أوروبا الشرقية (الأشكيناز) وهم بالتالي الذين وضعوا الأساس الديموجرافي لدولة الكيان الصهيوني وحتى يومنا هذا.

٨٥٤ ثلاثون ألف يهودي يهاجرون إلى فلسطين (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م)

زادت حُمى هجرة اليهود من كافة أنحاء العالم وخاصة أوروبا إلى فلسطين، فبلغت ثلاثين ألفاً في الستة أشهر الأولى فقط من عام ١٩٣٥م. ولقد

قامت رئاسة المنظمة اليهودية (ومقرها لندن في ذلك الوقت) بالإعداد لتجميع اليهود ومدهم بالطعام والمأوى وتوفير السفن والقطارات التي نقلتهم إلى فلسطين. وهناك قام فرع المنظمة اليهودية (بمدينة القدس) بتنظيمهم وإمدادهم بالأموال لشراء الأراضي، وبالسلاح للتدريب والاستعداد للقيام بعمليات الإرهاب.

٨٥٥ إعدام بلاس أنفانتي الأندلسي لدفاعه عن المسلمين بأسبانيا (١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م)

ولد ذلك الزعيم الأندلسي العظيم في مقاطعة مالقة عام ١٨٨٥م وأخذ يتدرج في مدارس العلم حتى تخرج من جامعة غرناطة بعد دراسته الفلسفة والقانون والآداب. وسرعان ما فطن إلى أن الإسلام هو الأساس الذي تقوم عليه الحياة الحضارية للأندلس، فأنشأ العديد من المراكز التي تظهر الفكر الأندلسي فاصطدم مع الديكتاتورية الأسبانية التي قضت على الحريات في ثلاثينيات القرن العشرين، فسافر إلى المغرب وأشهر إسلامه وركز كل جهوده على ربط الإسلام بالأندلس بالأمة العربية والإسلامية في آسيا وأفريقيا. وسرعان ما رأى الأسبان خطر حركته عليهم خاصة بعد اندلاع الحرب الأهلية عام ١٩٣٦م فاعتقلوه وحكموا عليه بالإعدام في العاشر من أغسطس عام ١٩٣٦.

٨٥٦ المعاهدة المصرية البريطانية (١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م)

تزايد السخط الشعبي والسياسي في مصر ضد سياسة سلطات الاحتلال البريطاني مما أعطى الفرصة للشباب الثائر الغاضب في القيام بسلسلة من الاغتيالات السياسية التي شملت العديد من القيادات البريطانية كان أكثرها خطراً اغتيال القائد البريطاني للجيش المصري السير لي ستاك، مما زاد من حدة الصراع بين المصريين والسلطات البريطانية، ولقد خشيت بريطانيا من خطر التصريحات العدوانية لزعماء الرايخ الثالث في ألمانيا فأخذت تهدىء من حدة الصراعات في مستعمراتها وقامت بدعوة الزعماء السياسيين المصريين لتوقيع معاهدة بين الحكومتين المصرية والبريطانية في أغسطس عام ١٩٣٦ والتي نصت على إنهاء الاحتلال البريطاني العسكري لمصر، وأن تحمي بريطانيا بقواتها

منطقة قناة السويس، وأن تتعهد مصر وبريطانيا بمساندة كل منهما إذا ما اندلعت الحرب، وأن تقوم مصر بإنشاء وصيانة شكبة طرق حديثة لخدمة الأغراض المدنية والعسكرية، وبالرغم من أن تلك المعاهدة قد نصت على استقلال مصر، إلا أن الكثيرين من رجال الأحزاب نظروا إليها على أساس أنها كرست الإحتلال ودفعت بمصر أكثر لخدمة المصالح البريطانية.

٨٥٧ المعاهدة السورية الفرنسية (١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م)

لم يمر شهر واحد على توقيع مصر وبريطانيا لمعاهدة الاستقلال الجزئي لمصر، حتى سارعت فرنسا إزاء الضغوط الدولية في أوروبا خاصة (حيث أن ألمانيا النازية في ذلك الوقت والمشتركة في الحدود مع فرنسا كانت تهدد الجمهورية الفرنسية) إلى توقيع معاهدة مع سوريا كانت أكثر تشدداً من معاهدة مصر وبريطانيا وذلك لأنها لم تنص على حق سوريا في الاستقلال، بل ـ فوق ذلك ـ أجبرت سوريا على التعاون الكامل مع فرنسا إذا ما اندلعت الحرب في أوروبا، ولم تُنفذ تلك المعاهدة مع كل شروطها لأن البرلمان الفرنسي لم ير فيها تحقيقاً لمصالح فرنسا المهددة.

٨٥٨ ثورة العرب في فلسطين (١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م)

توالت الخطوات الدولية من أجل تمكن اليهود في وطن قومي لهم في فلسطين التي كانت من قبل جزء من الشام، فثار العرب في فلسطين على الانتداب البريطاني عام ١٩٢٠ م، وطالبوا أثناء انعقاد المؤتمر العربي الفلسطيني الذي عقد في أغسطس ١٩٢٢ م بإلغاء وعد بلفور والانتداب البريطاني، ولكن السلطات البريطانية قمعت الثورة وسدت آذانها عن مطالب المؤتمر، بينما كانت تسمح لليهود بتطوير المؤسسات الخاصة بتقوية وضعهم في فلسطين قبل أن يحل الوقت لإقامة دولتهم، فأخذت أحداث العنف الدموية تتوالى بين العرب واليهود، وبين العرب والبريطانيين، فقامت الحكومة البريطانية بنشر كتاب أبيض عام ١٩٣٠ م تقرر فيه وقف هجرة اليهود إلى المناطق العربية في فلسطين، ولكن اليهود في أوروبا وبريطانيا أجبروا الحكومة البريطانية على إلغاء مقررات ذلك الكتاب وإصدار تصريح لا يقيد هجرة اليهود إلى أي مناطق من فلسطين.

ولم يجد العرب هناك إلا إعلان الإضراب العام فتوقفت مظاهر الحياة في كل أنحاء فلسطين ثم تطور الإضراب إلى ثورة شعبية مسلحة موجهة ضد الكيان الاستعماري ومؤسساته وأجهزة خدماته ومعسكراته الحربية، ولم تتورع بريطانيا من استخدام أحدث أسلحتها من طائرات ودبابات ومدفعية في ذبح الثوار. . . ثم - فيما بعد - وعدت بدراسة كافة مشاكل العرب في فلسطين.

٨٥٩ الاتحاد السوفيتي يعلن عن قيام جمهورية كازاخستان ويضمها إلى امبراطوريته (١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م)

كانت روسيا القيصرية قد احتلت تركستان الغربية منذ القرن التاسع عشر، وهي أراض واسعة تضم كل الجمهوريات الإسلامية الخمس في وسط آسيا وهي (كازاخستان وطاجيكستان وتركمانستان وأوزبكستان وقيرجيزيا). وعندما تمكن الشيوعيون من حكم روسيا عام ١٩١٧م أخذوا يبسطون نفوذهم بصعوبة على جمهورية كازاخستان حتى تمكنوا منها وأعلنوا إنفصالها عن تركستان ورسموا لها حدوداً تفصلها عن الجمهوريات الأربع الأخرى، وأطلقوا عليها اسم جمهورية كازاخستان الاشتراكية ثم ضموها إلى الاتحاد السوفيتي.

وجدير بالذكر أن جمهورية كازاخستان لها مساحة ضخمة تعادل ٢,٧مليون كيلومتر مربع، ويقطنها - في ذلك الوقت - حوالي ١١مليون مسلم، أما عاصمتها فهي (ألما آتا) (أي مدينة التفاح). والمسلمون بها يدينون بالمذهب السني الذي أخذوه عندما حكمهم الأتراك العثمانيون.

٨٦٠ الاتحاد السوفيتي يعلن عن قيام جمهورية قيرجيزيا ويضمها إلى امبراطوريته (١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م)

تم الاستيلاء على إقليم قيرجيزيا المسلم بواسطة الروس القياصرة في القرن الثامن عشر. وبعد قيام الثورة الشيوعية في روسيا تمكن الشيوعيون من السيطرة على تلك المنطقة، وضموها إلى الاتحاد السوفيتي - مثل بقية أقاليم تركستان الغربية - وبعد أن أعطوها اسم جمهورية قيرجيزيا الاشتراكية.

وكان عدد سكان قيرجيزيا وقت ضمها للاتحاد السوفيتي حوالي ٢,٥

مليون نسمة وأهلها من المسلمين السنة. . أما العاصمة فهي فرونزي.

٨٦١ مقررات لجنة التحقيق الملكية البريطانية ومشروع تقسيم فلسطين

(١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م)

بعد أن هدأت ثورة العرب في فلسطين عام ١٩٣٦م، قامت الحكومة البريطانية بإرسال لجنة تحقيق ملكية لدراسة كافة المشاكل بين العرب واليهود. فعقدت اللجنة جلسات مطولة وتوصلت إلى عدة اقتراحات أهمها إنشاء دولة لليهود على المنطقة الساحلية الممتدة من حدود لبنان الجنوبية إلى منطقة يافا بشمال فلسطين، ودولة أخرى عربية في المناطق الأخرى من فلسطين. أما المناطق المقدسة وخاصة القدس فتكون تحت الانتداب البريطاني. وقد وافق اليهود على المقترحات أما العرب فقد رفضوها موقنين المعنى الذي أشارت إليه اللجنة من تقسيم فلسطين لأول مرة في تاريخها.

ومع ذلك فعندما عرض المشروع على عصبة الأمم تمت الموافقة عليه ولكن العرب رفضوه فبقيت المشكلة على حالها.

٨٦٢ وفاة الشاعر الإسلامي الهندي الكبير محمد إقبال (١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م)

هو شاعر وفيلسوف إسلامي هندي كبير، ولد عام ١٨٧٣م، وأصبح فيما بعد زعيماً سياسياً مشهوراً، فهو أول من طالب بإنشاء دولة إسلامية منفصلة عن الهند (باكستان).

ولد محمد إقبال في مدينة سيالكوت (وهي مدينة بقرب باكستان ولكنها كانت عند مولده تابعة للهند) عام ١٨٧٣م وبعد أن أكمل تعليمه في جامعة لاهور سافر إلى بريطانيا ثم إلى ألمانيا لدراسة الفلسفة في جامعتي لندن وميونخ. وبعد ذلك عاد إلى بلاده حيث مارس المحاماه والتدريس. ولكنه نبغ في الشعر نبوغاً عظيماً وتمكن من أن يكتب بعدة لغات حتى يفهمه المسلمون في آسيا، وله ١١ديواناً شعرياً لعل أشهرها ديوان (أسرار الذات ـ عام ١٩١٥م). ولنجاح دعوته عام ١٩٣٠م في إنشاء دولة إسلامية كبيرة في شمال غرب الهند (باكستان) فقد كرمته الحكومة الباكستانية كمؤسس روحي لجمهورية

باكستان. ولقد توفي عام ١٩٣٨م فلم ير الدولة الإسلامية المستقلة التي نادى طويلاً بقيامها.

٨٦٣ مؤتمر المائدة المستديرة وتعليق مشروع تقسيم فلسطين (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م)

عقد في لندن مؤتمر المائدة المستديرة لمناقشة مستقبل فلسطين، فمثلته أغلب الدول العربية وذلك في فبراير عام ١٩٣٩م، وحضره مندوبون عن اليهود. واختلف الطرفان (العربي واليهودي)، فأصدرت الحكومة البريطانية كتاباً أبيض جديداً عام ١٩٣٩م، يعطي الاستقلال لفلسطين (دولة واحدة متحالفة مع بريطانيا) بعد فترة انتقال مدتها عشرة أعوام، وقررت فيه أن يكون عدد اليهود في فلسطين لا يتجاوز ثلث العرب، وقد رفض العرب واليهود تلك الاقتراحات، العرب لأنهم لم يروا بريطانيا تلغي وعد بلفور، واليهود لأنهم لن يتمكنوا من زيادة عددهم مما يعوق قيام دولتهم، ومع ذلك فقد وافقت مملكة شرق الأردن وحدها على تلك المقترحات، ولكن موافقتها طغى عليها الرفض الجماعي العربي.

وكان من الممكن أن تتم تنقيحات وتعديلات على تلك المقترحات لولا اندلاع الحرب العالمية الثانية في أوروبا... فعلق مشروع تقسيم فلسطين.

٨٦٤ فرنسا تعطي لواء الأسكندرون السوري لتركيا (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م)

هاجر العديد من المضطهدين والفقراء الأتراك إلى سوريا، فمكثوا هناك وتكاثروا خاصة في منطقة لواء الأسكندرون. ولما انتهت الحرب العالمية الأولى وهزمت تركيا ـ وإن لم تكن هزيمتها مثل هزيمة ألمانيا ـ أخذت فرنسا تسيطر على الحياة السياسية في سوريا حتى تم احتلالها لها بمقتضى اتفاقية سايكس بيكو. ولكن تركيا استمرت في المطالبة بأحقيتها في لواء الأسكدرون السوري مدعية أن عدد السكان الترك به يصل إلى ٤٠٪ من سكانه، فرفعت المشكلة إلى عصبة الأمم التي قضت بأن يصبح لواء الأسكندرونة منطقة محايدة ذات حكم ذاتي. ورفضت تركيا ذلك وتمكنت من توقيع معاهدة مع فرنسا عام ١٩٣٨م يكون فيها اللواء تحت الحكم المشترك لكل من تركيا وفرنسا. ثم أجريت

الانتخابات العامة التي أوضحت فوز الأصوات التركية بأغلبية ٢٢ مقعداً. (كان إجمالي عدد المقاعد أربعين). وفي اليوم الثاني من سبتمبر عام ١٩٣٨م أعلن المجلس المنتخب تقرير الحكم الذاتي للواء الذي سمي بجمهورية هاتاي... ثم طالب المجلس الانضواء في كنف الجمهورية التركية، فوافقت الحكومة التركية على ذلك.

وقبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م عقدت فرنسا معاهدة عدم اعتداء مع تركيا (يونيو ١٩٣٩م) وتنازلت فرنسا لتركيا بمقتضى المعاهدة عن لواء الأسكندرون، وتشبه عملية التنازل الفرنسي للواء الأسكندرون لتركيا عملية تنفيذ وعد بلفور بالنسبة لليهود... حيث كانت الدول الاستعمارية تمنح الأراضي الواقعة تحت نفوذها لدول ليس لها حق تملك تلك الأراضي.

٨٦٥ بناء مسجد جوبا في جنوب السودان (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م)

ترجع فكرة إنشاء مسجد جوبا للشيخ السيد المصري عبد الرحيم سماحة عام ١٩٣٧م الذي طالب الحكومة المصرية بجمع التبرعات لبناء ذلك المسجد للعمل على نشر الإسلام في الجنوب السوداني بعد أن نجح الاستعمار وحملات التبشير الأوروبية في وضع بذور الشقاق بين جنوب وشمال السودان. وقد استجابت الحكومة المصرية وتم بناء المسجد وافتتاحه في جمادى الأولى من عام ١٣٥٨هـ (يوليو ١٩٣٩م)، وهو بهذا أول مسجد يبنى في خط الاستواء. ويدعونا الأمل اليوم في الإكثار من إنشاء مثل ذلك المسجد بعد أن أخذت التطورات في جنوب السودان تنحى منحاً خطيراً مسلحاً.

٨٦٦ احتلال فرنسا في الحرب العالمية الثانية وتحول المغرب العربي إلى النفوذ الألماني (١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م)

تمكنت الجيوش الألمانية القوية من هزيمة فرنسا هزيمة قاسية واحتلتها في يونيو عام ١٩٤٠م. وبهذا احتلت فرنسا من قبل النازي الذي سار بجنده في شوارع العاصمة باريس. وعندما قامت حكومة فيشي الموالية لألمانيا في فرنسا أعلن الجنرال نوجس قائد الاحتلال الفرنسي للمغرب اعترافه بها وتبعيته لألمانيا، وبذلك تحول المغرب إلى النفوذ الألماني.

٨٦٧ رشيد عالي الكيلاني يناصر الإنقلاب العسكري في العراق. (١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م)

لاشك أن انتصارات ألمانيا في السنوات الأولى من الحرب وخاصة قصفها بالقنابل للمدن البريطانية الكبرى، قد ساعد العراقيين على الثورة ضد الاحتلال البريطاني للعراق.

ففي أبريل من عام ١٩٤١م قام تشكيل من الضباط العراقيين بانقلاب عسكري أطاح بالملكية (حيث تمكن الملك فيصل الثاني ووصيه على العرش من الفرار خارج العراق) وبالحكومة العراقية. واستدعى الضباط سياسياً عراقياً بارزاً هو رشيد عالي الكيلاني وطلبوا منه تشكيل وزارة جديدة يكون هدفها إنهاء الاحتلال البريطاني. ولكن بريطانيا وهي في حالة حرب وفي حاجة إلى بترول العراق، لم تكن لتسمح بنجاح الانقلاب وتغيير النظام السياسي الموالي لها، فحشدت قوات برية وجوية كبيرة مستعينة بقواعدها العسكرية في البصرة والأردن وحاصرت القوات العسكرية العراقية بالقرب من بغداد وقضت عليها وأعادت سيطرتها على بغداد وقامت باستدعاء الملك فيصل الثاني ووصيه على العرش، وحكمت بالإعدام على قادة الانقلاب. . . أما رشيد عالي الكيلاني فقد فر خارج العراق.

٨٦٨ الإنذار البريطاني لفاروق ملك مصر (١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م)

عندما رفضت مصر ـ بلسان رئيس وزرائها علي ماهر باشا ـ دخول الحرب العالمية الثانية والتزام جانب الحياد، تطورت الأوضاع في أوروبا إلى الأسوأ حيث تعرضت بريطانيا للتدمير المستمر من قبل الطيران الألماني، ثم تلى ذلك نزول القوات الألمانية في ليبيا لتجهيز حملة عسكرية كبرى لاستخلاص مصر من قبضة بريطانيا. وقاد تلك الحملة المارشال رومل الذي توغل في غرب مصر وهزم البريطانيين حتى دخل السلوم وواصل زحفه السريع حتى العلمين (٣٠٠ كيلو شمال غرب القاهرة) حتى أن الإنجليز كانوا بالفعل على وشك الجلاء عن مصر. ولم يبق لبريطانيا سوى الاستعانة بالجيش المصري وبالإمدادات المصرية، ولكن الجيش المصري كان على الحياد منفذاً سياسة

الحكومة المصرية، ولهذا سارع الإنجليز في خطوة اتسمت بالصفاقة بمحاصرة قصر الملك فاروق (قصر عابدين) وتجريد الحرس الملكي من سلاحه ودخل اللورد لامبسون القصر في ٤ فبراير ١٩٤٢م هو وحراسه البريطانيون على الملك فاروق وخيره بين التنازل عن العرش أو إصدار أمر ملكي بتعيين النحاس باشا زعيم حزب الوفد رئيساً للوزراء والذي كان يرى ضرورة دخول مصر الحرب بجانب بريطانيا ضد ألمانيا. فرضخ الملك - مع كراهيته للنحاس - للإنذار البريطاني، وتشكلت وزارة برئاسة النحاس باشا، مما عرضه لانتقادات مريرة من بقية الأحزاب المصرية التي اتهمته بالاستسلام لرغبات بريطانيا.

٨٦٩ **معركة العلمين** (١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م)

دخلت إيطاليا الحرب مدعمة بذلك موقف المانيا ضد الحلفاء، ولهذا فسرعان ما انتقلت الحرب من أوروبا إلى شمال أفريقيا: فالإيطاليون في ليبيا أخذوا يدعمون قواتهم العسكرية بفرق المدرعات الإلمانية تمهيداً للانقضاض على البريطانيين في مصر والسيطرة على قناة السويس لخنق خطوط المواصلات البريطانية. وسارعت بريطانيا والولايات المتحدة بحشد قوات عسكرية ضخمة في مصر وزحفت تلك القوات بسرعة نحو الغرب للالتقاء بالقوات النازية التي كانت قد توغلت حوالي ثلاثمائة كيلو متر حتى وصلت العلمين. وهناك دارت واحدة من أكبر المعارك في الحرب العظمى بين القوات البريطانية بقيادة الجنرال مونتجمري، والقوات الألمانية الإيطالية بقيادة المارشال روميل. . ولقد استمرت قوات الحلفاء منذ الثاني من نوفمبر من دفع القوات النازية والفاشية حتى أخرجتها من حدود مصر في نهاية العام.

ولا شك أن مصر - بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢م قد قامت بدور ضخم من أجل تمويل وإعداد جيوش الحلفاء ضد جيش دول المحور في معركة العلمين التاريخية.

٨٧٠ **الحلفاء ينزلون قواتهم العسكرية في الجزائر** (١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م)

كادت بريطانيا أن تهزم هزيمة منكرة في شمال أفريقيا، وكاد الشمال الأفريقي كله أن يخضع للرايخ الثالث لولا استغاثة الحكومة البريطانية بحلفائها

وخاصة الولايات المتحدة التي دخلت الحرب فقط بعد تدمير اليابان لأسطولها في بيرل هاربر في ديسمبر ١٩٤١م والتي سارعت بتجهيز قوات ومعدات عسكرية ضخمة أرسلتها إلى المنطقة فنزلت في الجزائر في مايو ١٩٤٢م. وبذلك تمكنت تلك القوات من السيطرة على شمال أفريقيا وقطع خطوط مواصلات الألمان والإيطاليين في البحر المتوسط.

٨٧١ **قوات الحلفاء تغزو شواطىء المغرب** (١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م)

بعد دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية إثر تدمير أسطولها المرابط في ميناء بيرل هاربر بجزيرة هاواي تدعمت بشكل كبير قدرة الحلفاء على دحر العدوان النازي. وشكلت فرق عمليات واسعة النطاق كان منها تلك القوات الكبيرة التي غزت شواطىء المغرب العربي في نهاية عام ١٩٤٢م منهية بذلك النفوذ الألماني في المغرب، والذي بدأ بعد هزيمة فرنسا واحتلالها من قبل الجيش الألماني في منتصف عام ١٩٤٠م.

٨٧٢ **ليبيا تحت نفوذ الحلفاء** (١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م)

ما أن هزمت جيوش روميل أمام الحلفاء في معركة العلمين، حتى سارعت القوات المنتصرة بدخول ليبيا في فبراير ١٩٤٣م ثم إخراج أو أسر كافة القوات الإيطالية والألمانية من ليبيا، وبذلك انتهى الاحتلال الإيطالي لذلك القطر العربي، لتدخل ليبيا مرحلة الاستعمار المتعدد الجنسيات، والذي استمر حتى استقلال ولاية برقة وهي أهم الولايات الليبية في الأول من يونيو عام ١٩٤٩م.

٨٧٣ **انعقاد مؤتمر الدار البيضاء الدولي بالمغرب** (١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م)

عقب تحرير المغرب من النفوذ النازي ذهب الرئيس الأمريكي روزفلت ورئيس الحكومة البريطانية تشرشل إلى الدار البيضاء لدراسة أحوال المعارك الدائرة في أوروبا وللاطلاع على أحوال البلد العربي المضيف لذلك المؤتمر. وقد تمكن السلطان محمد الخامس حاكم المغرب من شرح حجم المعاناة التي يلقاها شعبه من الاستعمار الفرنسي الذي بدلاً من الارتقاء بحياة الشعب المغربي

كرّس كل جهده وعلي مدى سنوات طويلة في تخلفه وقمعه. ولقد اتضح فيما بعد أن ذلك المؤتمر قد أثمر بكل ثمرات الخير على الشعب المغاربي الشقيق.

٨٧٤ فرنسا تنظم مؤتمر برازافيل لترسيخ فكرة الاتحاد الفرنسي وضم الجزائر للإمبراطورية الفرنسية في أفريقيا (١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م)

يعتبر الاحتلال الفرنسي للجزائر أسوأ استعمار أوروبي لدولة عربية شقيقة. ليس فقط للنهب المنظم لخيرات ذلك الشعب، ولكن لمحاولة الفرنسيين المتكررة لقتل وإفناء معنويات الشخصية الجزائرية. ولقد تكررت محاولات فرنسا لكي تصبح الجزائر جزءاً لا ينفصل عنها (قارن بين ما فعلته فرنسا مع الجزائر وما تفعله إسرائيل مع الشعب الفلسطيني اليوم). وربما يتعجب المرء من فكر دولة استعمارية عانت من الاستعمار النازي ونادت بالحرية ولكنها رفضتها لشعب عربي عريق كالشعب الجزائري. فعندما تحررت فرنسا من الحكم النازي عقدت في برازافيل مؤتمراً هاماً شدد على ضرورة أن تستمر الدول الواقعة تحت النفوذ الفرنسي في الارتباط بفرنسا في اتحاد لا تنفصم عراه، رافضة بذلك فكرة الحكم الذاتي لتلك الشعوب ومن بينها الشعب الجزائري الذي اعتدت فرنسا على أرضه واعتبرتها امتداداً لأراضي الجمهورية الفرنسية. ويعتبر ذلك المؤتمر نقطة تحول هامة في تاريخ الشعب الجزائري نظراً لأنه ضحى بأعز أبنائه بعد أن تحولت فرنسا إلى سفاح دموي يقتل كل جزائري ينادي بالحرية.

٨٧٥ الشعب المغربي يعلن وثيقة تطالب بالاستقلال (١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م)

ساعد الرئيس الأمريكي روزفلت الشعب المغربي عندما وصف الاحتلال الفرنسي للمغرب بأنه أسوأ نوع من الاحتلال. ولهذا فسرعان ما تجمع زعماء الشعب المغربي، ووضعوا مطالبهم كلها في وثيقة بالغة الأهمية أعلنوا فيها (بعد أن وزعوها على سفراء الدول الكبرى في يناير ١٩٤٤م) مطالبهم باستقلال المغرب عن فرنسا، وأن تعلن دول العالم اعترافها بذلك الاستقلال.

وبالرغم من أن تلك المطالب لقيت الاعتراف من دول العالم، إلا أن ظروف الحرب العالمية وعدم ظهور منظمة دولية قوية تقدم إليها مثل تلك

المطالب التحررية دفعت فرنسا إلى قمع رغبات الشعب المغربي، وزيادة عمليات القتل والنفي والاعتقال للوطنيين.

٨٧٦ اغتيال أحمد ماهر باشا رئيس وزراء مصر (١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م)

بعد قام مصطفى النحاس بتوقيع معاهدة عام ١٩٣٦م التي وإن كانت قد نصت على إنهاء الاحتلال العسكري البريطاني لمصر إلا أنها قصمت عرى الاتحاد في حزب الوفد فخرج منه النقراشي باشا وأحمد ماهر باشا وغيرهما حيث أسسوا حزباً جديداً خاصاً بهم هو حزب الهيئة السعدية.

ولما وقعت الحرب العالمية الثانية وقف أحمد ماهر باشا مدافعاً عن وجهة نظره في الدخول في الحرب ضد دول المحور ولصالح بريطانيا وذلك بهدف تقوية الجيش المصري وزيادة خبرته الميدانية. ولقد اعترض على وجهة النظر تلك بعض الذين رأوا فيها تحالفاً مع المحتل. ولما جاء عام ١٩٤٤م وأصبح أحمد ماهر رئيساً للوزراء، شرع في عرض وجهة نظره على البرلمان لدخول الحرب فثارت ثائرة شاب مصري يحمل مسدساً وقام بإطلاق الرصاص على أحمد ماهر باشا وهو بداخل البهو الفرعوني بالبرلمان المصري في مساء يوم ٢٥ فبراير ١٩٤٥م بينما كان أعضاء البرلمان مجتمعين لتقرير ما إذا كان من مصلحة مصر دخول الحرب أم لا.

٨٧٧ إنشاء جامعة الدول العربية (١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م)

بزوال الحكم العثماني الذي فرق وحدة العرب التاريخية ونشر بينهم صور التخلف الاقتصادي والاجتماعي، وبانتهاء الحرب العالمية الثانية، شعر العرب كافة أن عليهم أن يعودوا مرة أخرى إلى وحدتهم وتضامنهم. فاختاروا أن يقيموا جامعة عربية تشد من أزرهم وتوحد من صفوفهم وعقدوا لذلك مؤتمراً في مدينة الإسكندرية في خريف عام ١٩٤٤م، ناقشوا فيه الأسس التي ستقام عليها تلك الجامعة، وسمى ذلك ببروتوكول الإسكندرية.

وفي ٢٢ مارس عام ١٩٤٥م، قامت ست دول عربية بتوقيع ميثاق الجامعة العربية وهي مصر والعراق وسوريا ولبنان والسعودية والأردن، ثم توالى

انضمام دول عربية أخرى تباعاً.

هذا ويتكون ميثاق الجامعة العربية من عشرين مادة تسبقها ديباجة توضح الغرض الذي من أجله أنشئت الجامعة وهو تثبيت العلاقات والروابط العديدة التي تربط بين الدول العربية، ودعم تلك الروابط وتوطيدها على أساس احترام استقلال تلك الدول وسيادتها.

٨٧٨ انتفاضة الجزائريين الكبرى في مدينة قسنطينة (١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م)

إن انتفاضة الشعب الجزائري الكبرى في مدينة قسنطينة، إنما اندلعت من تكرار المظالم الفرنسية وتخلف المرافق وإفقار الشعب وتعرضه للجوع والمرض. فقد خرج عشرات الألوف من الجزائريين في مظاهرات غاضبة لم يسبق لها مثيل محطمين كل رموز الاستعمار الفرنسي الهمجي، فتصدى الجنود الفرنسيون للجزائريين بالمدافع والرشاشات فقتلوا ـ وفقاً لإحصائيات الجامعة العربية ـ حوالي ثلاثين ألف جزائري:

وفيما بعد، فقد جاءت انتفاضة قسنطينة الجزائرية لتشعل ناراً حامية تحت أقدام الاستعمار الفرنسي لم تخمد حتى جلائه عن شمال أفريقيا كله.

٨٧٩ استقلال جمهورية أندونيسيا (١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م)

بعد أن نجح الهولنديون في كبح الثورة التي قام بها الشعب الأندونيسي (١٨٢٥ـ ١٨٣٠م) قام قائد القوات الاستعمارية الهولندية الشرس: جان فاندين بول بتحويل جزيرة جاوا (أكبر جزر أندونيسيا) إلى أكثر المستعمرات الأوروبية إدراراً للربح. حيث أجبر الفلاحين على العمل في مزارع جماعية إقطاعية ضخمة من أجل زراعة السكر والقهوة. وفي تلك الفترة تحولت هولندا إلى واحدة من أكثر البلدان الأوروبية ثراء على حساب الكادحين من مسلمي أندونيسيا. ولقد استمر ذلك الاستغلال المروع حتى قامت الحرب الطويلة الشرسة عام ١٨٧٣م مع المسلمين في جزيرة سومطرة والتي استمرت ثلاثين عاماً. ولما انتهت تلك الحرب أعلنت ملكة هولندا (فيلمينا) أن بلادها سوف تقوم بتطوير خيرات أندونيسيا فقط لصالح أهلها. وبالتدريج أخذ المثقفون

الأندونيسيون وخاصة من الحركة الإسلامية التي سميت بحركة الاتحاد الإسلامي يطالبون بالتحرر والاستقلال عن هولندا، فانتعشت الحركة الوطنية وتأسس البرلمان هناك عام ١٩١٦م. إلا أن الأوضاع توقفت عند ذلك حتى قامت الحرب العالمية الثانية وقام اليابانيون باحتلال أندونيسيا من عام ١٩٤٢م وحتى نهاية الحرب وهزيمة اليابان، فقام أحمد سوكارنو بتأييد الحركة الإسلامية الجديدة التي سميت (ماسجومي) وإعلان قيام الجمهورية الأندونيسية وذلك في ١٧ أغسطس ١٩٤٥م.

٨٨٠ تأسيس الحزب الوطني الليبي (١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م)

قام أول حزب سياسي ليبي وهو الحزب الوطني في منتصف عام ١٩٤٥م، وكان يهدف أساساً إلى النهوض بالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ليبيا، والدعوة إلى توحيد إماراتها الثلاث (برقة وطرابلس وفزان) في دولة واحدة. ولكن بريطانيا (التي سيطرت على ليبيا بعد معركة العلمين) لم تعترف بالحزب إلا في أبريل عام ١٩٤٦م، وذلك نظراً لظروف الحرب وما تلى نهايتها من تطورات دولية. كذلك يبدو أن برنامج الحزب شدد على أهمية إزالةَ آثار الاحتلال الإيطالي، فطالب بإلغاء القوانين الإيطالية، ومكافحة هجرة الإيطاليين إلى ليبيا، ومواجهة الأخطار التي توحي بعودة الإيطاليين لحكم ليبيا (بعد انتهاء الحكم الفاشستي وتحول إيطاليا لتصبح ضد المانيا) وإحلال موظفين ليبيين محل الإيطاليين فإن لم يوجد من بين الليبيين من يصلح لتلك الوظائف يتم إستجلاب موظفين مسلمين من دول الشرق الأوسط.

٨٨١ المصريون يقتحمون معسكرات الجيش البريطاني في القاهرة (١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م)

بالرغم من قيام مصر بتقديم كافة الخدمات والمساعدات إلى بريطانيا إبان الحرب، وبالرغم من قيام مصر بتأسيس هيئة الأمم المتحدة ـ بالاشتراك مع ٤٤ دولة أخرى ـ في ٢٦ يونيو عام ١٩٤٥م، إلا أن بريطانيا رفضت الانسحاب من مصر. فساد الغضب أنحاء البلاد، وخاصة في ذكرى وعد بلفور فقامت قوات الاحتلال باعتقالات واسعة بين المصريين مما زاد الغضب في النفوس.

وارتفعت أعداد الشهداء والمصابين والمعتقلين حتى قدم النقراشي باشا استقالته من الوزارة فخلفه إسماعيل صدقي الذي تلاعب به الملك والإنجليز فوقع إضراب شامل في القاهرة أعقبته اضطرابات واسعة النطاق حيث قام المتظاهرون باقتحام ثكنة الجيش الإنجليزي الضخمة في منطقة قصر النيل وأشعلوا فيها النيران ودار القتال المرير الذي تسبب في استشهاد وجرح حوالي أربعمائة مصري.

٨٨٢ **استقلال سوريا** (١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م)

بعد ستة أعوام من قيام الألمان باحتلال فرنسا نالت سوريا استقلالها ويبدو أن ما عجل بذلك الاستقلال قيام المفوض الفرنسي في سوريا (ولبنان) بعد احتلال بلاده بإعلان تأييده لألمانيا، فسارع الألمان باحتلال سوريا. ولكن بريطانيا الموجودة في العراق وفلسطين وشرق الأردن ومصر سارعت بمعونة أمريكية لدخول سوريا ولبنان وإنهاء الوجود الألماني هناك. ولما كانت حكومة فرنسا التي ترأسها الجنرال ديغول في المنفى قد فهمت معنى الاحتلال البريطاني في سوريا ولبنان، فإنها قامت بإعلان استقلال سوريا في سبتمبر عام ١٩٤١م. ولكن بريطانيا (والقوات الفرنسية التابعة لحكومة فرنسا الحرة) ظلت موجودة في سوريا حتى انتهاء الحرب. فقام السوريون بالمطالبة بتنفيذ الاستقلال، ولكن القوات الفرنسية قمعت الثورة، فرفعت سوريا قضيتها إلى مجلس الأمن، فقضى بإعطاء سوريا استقلالها.. وبالفعل تم جلاء القوات الأجنبية الفرنسية والبريطانية في أبريل عام ١٩٤٦م.

٨٨٣ **استقلال لبنان** (١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م)

شارك لبنان شقيقته سوريا المصير، فاحتلته القوات النازية بعد سقوط فرنسا في يونيو عام ١٩٤٠م. ولكن حكومة فرنسا الحرة والقوات البريطانية في الشرق الأوسط تمكنتا من دخول لبنان والسيطرة على الأوضاع حتى هزيمة المانيا في الحرب واحتلال برلين في مايو ١٩٤٥م. ولكن فرنسا سارعت بممارسة الطغيان في لبنان (كما فعلت في سوريا) وقمعت الحركة الوطنية، فلجأ اللبنانيون إلى مجلس الأمن لطلب الاستقلال ووقفت بريطانيا مع قضيتهم

(وقضية السوريين) حتى قضى المجلس بمنح لبنان الاستقلال، وتم جلاء القوات الفرنسية عن الأراضي اللبنانية في ديسمبر ١٩٤٦م.

٨٨٤ مذابح ستالين ضد المسلمين في آسيا الوسطى (١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م)

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وخروج الاتحاد السوفياتي منتصراً، وشكل قوة عظمى في العالم لأول مرة في التاريخ الحديث، أخذ جوزيف ستالين زعيم الشيوعيين السوفيات في تحويل المزارعين من آسيا الوسطى لكي يعملوا في المزارع الجماعية التي يتنافى العمل فيها مع أبسط أنواع الحريات الإنسانية. ولقد رفض الكثير من المسلمين أن يعملوا في تلك المزارع وأن يتركوا قراهم التي يحتفظون فيها بتراث أجدادهم. ولهذا كان الانتقام الستاليني منهم بأن قام ذلك الديكتاتور بإبادة تلك القرى وذبح سكانها وخاصة في مناطق القفقاس.

٨٨٥ استقلال باكستان (١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م)

عندما تأسست في الهند المؤسسة البرلمانية عام ١٨٨٥م، ظهر تجمع إسلامي كبير هناك عام ١٩٠٦م طالب بضرورة الحفاظ على سلامة المسلمين من الاعتداءات الهندوسية، ثم جاءت دعوة محمد إقبال بإنشاء دولة إسلامية شمال غرب الهند. ثم ظهر زعيم مسلم قوي (هو محمد علي جُناح) انتخبه المسلمون ليكون زعيمهم مدى الحياة من أجل تحقيق الحكم الذاتي الكامل للمسلمين في الهند، وكان ذلك الاختيار عام ١٩٤٠م. ولقد ظهر اسم باكستان التي كانت جزءاً من الهند من إدماج (بنجاب وأفغانستان وكشمير وسند وبالوكيستان). وكلمة باكستان وحدها تعني أرض الأخيار. وقد ظل المسلمون يجاهدون في سبيل استقلال شمال شرق وشمال غرب الهند في دولة مستقلة تسمى باكستان الشرقية والغربية. حتى استقلت بالفعل في ١٥ أغسطس ١٩٤٧م. هذا، وقبيل استقلال باكستان اندلعت أعمال عنف واسعة النطاق في مناطق البنجاب وغرب البنغال، مما أدى إلى مصرع ما لا يقل عن مليون شخص من المسلمين والهندوس والسيخ على حد سواء. أما بعد الاستقلال عام ١٩٤٧م، فقد توفي زعيم الاستقلال الباكستاني محمد علي جناح عام

١٩٤٨م، واغتيل رئيس الوزراء الباكستاني علي خان عام ١٩٥١ مما أدى إلى ضعف الكيان السياسي الباكستاني منذ بدايته وحتى إعلان النظام الجمهوري عام ١٩٥٦م. (انظر عام ١٩٧١م).

هذا وكان الإسلام قد دخل الهند إبان عهد الدولة الأموية - لأول مرة - ولكنه انتشر على يد الغزنويين (انظر عام ٤٠٨هـ وعام ٦٠٤هـ).

٨٨٦ قرار تقسيم فلسطين لدولتين (١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م)

كانت خطوات الخطة الاستراتيجية اليهودية البريطانية لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين تتواكب مع اتساع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وقيامهم بشراء مساحات واسعة من الأرض من الفلاحين الفلسطينيين. وعندما اكتملت تلك الخطوات وقفت الدول العظمى المنتصرة في الحرب العالمية الثانية مع اليهود لإقامة وطن مستقل لهم وخاصة بعدما حدث لهم من قبل النازي.

لقد كانت إنجلترا وفرنسا تعلمان أن الدول العربية ستطالب بسحب القوات العسكرية لدول الاحتلال، ولهذا سارعت قبل أن يتحقق ذلك بعرض قضية فلسطين أمام مجلس الأمن ودراسة اقتراح إنشاء دولتين عربية وإسرائيلية. ولقد استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية كامل نفوذها كزعمية للعالم الرأسمالي في إصدار قرار من مجلس الأمن بأغلبية الأصوات يقضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية، (كانت نتيجة التصويت ٣٣ ضد ١٣ مع امتناع ١٠ أعضاء عن التصويت منهم بريطانيا!) وبهذا قامت دولة إسرائيل على مجرد قرار من مجلس الأمن استخدمت لإصداره كل الوعود والتهديدات والابتزاز.

وأصبح يوم ٢٧ نوفمبر عام ١٩٤٧ يوماً للحزن في العالم العربي والإسلامي.. وهو اليوم الذي غدرت فيه القوى العظمى بالشعب الفلسطيني.

٨٨٧ إسرائيل ترتكب مذبحة دير ياسين ضد المدنيين العرب (١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م)

اعتمدت دولة الكيان الصهيوني على القوة المسلحة والدعم السياسي

والاقتصادي والدبلوماسي من الدول الاستعمارية الغربية. وقد أخذ اليهود في تكديس الأسلحة في كل المدن والمناطق التي مكنتها لهم بريطانيا قبل مغادرتها فلسطين حتى إذا ما أعلن العرب رفضهم وأظهروا غضبهم سارعوا بارتكاب المذابح التي تدمي قلوب العرب.

ولم تكن مذبحة دير ياسين سوى نموذج مما كان يستعد الصهاينة لارتكابه حيث دخلت القوات الإسرائيلية المدججة بكل أنواع السلاح (التابعة لمنظمتي شتيرن جانج والأرجون الأرهابيتين برئاسة مناحم بيجن) قرية دير ياسين التي تقع إلى الغرب من مدينة القدس، وحاصرت السكان المدنيين هناك وقتلت منهم ٢٥٠ عربياً (منهم حوالي أربعين سيدة حامل) عزل من السلاح.

وقد تمت تلك المذبحة في ٩ أبريل عام ١٩٤٨، ورفضت القوات البريطانية والصليب الأحمر الدولي التدخل لإنقاذ الأبرياء.

٨٨٨ إعلان قيام المملكة الأردنية الهاشمية (١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م)

قامت الحرب العالمية الثانية وكان الأمير عبد الله بن الحسين ملكاً على الأردن فسارع بدون تردد إلى الوقوف مع بريطانيا طوال سنوات الحرب التي انتهت عام ١٩٤٥م. ولقد أدت نتائج الحرب إلى انتصار بريطانيا وكان ذلك فرصة للأمير عبد الله لأن يطالب بريطانيا بمنح الأردن الاستقلال مع تعهده بالولاء لها والمحافظة على مصالحها في بلاده. وفي مارس ١٩٤٦م وقع الطرفان الأردني والبريطاني معاهدة مدتها خمسة وعشرون عاماً تعترف فيها بريطانيا باستقلال مملكة شرق الأردن على أن يتعهد الأردن بالتشاور مع بريطانيا في القضايا التي تمس الشؤون السياسية الخارجية وبالموافقة على منح بريطانيا قواعد عسكرية. ولكن تلك المعاهدة رفضت من قبل الشعب الأردني (والشعوب والحكومات العربية كذلك). وإزاء ذلك وخشية أن تقوم ثورة ضد الملك عبد الله (ولقرب موعد إلغاء الانتداب البريطاني في فلسطين والذي كانت بريطانيا تخطط له يوم ١٤ مايو ١٩٤٨م) وخشية النقمة العربية عليها سارعت بريطانيا بتوقيع معاهدة جديدة معه عام ١٩٤٨م أكدت فيها على الاستقلال الكامل للأردن، فقام الملك عبد الله بإعلان قيام المملكة الأردنية الهاشمية.

٨٨٩ **بريطانيا تلغي انتدابها على فلسطين** (١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م)

ببروز قوة الولايات المتحدة أثناء وعقب الحرب العالمية الثانية تراجعت قوة بريطانيا العظمى. ولقد برزت سلطات الولايات المتحدة في مداولات مجلس الأمن لبحث مشكلة فلسطين وإصدار قرار التقسيم عام ١٩٤٧م بالأغلبية، والذي امتنعت فيه بريطانيا عن التصويت لأنها كانت تدرك أن قراراً بهذا الشكل سوف يجر ويلات ومآسي لا حصر لها لم تود أن ترتبط هي بها.

وفي ١٤ مايو ١٩٤٨م أصدر وزير الخارجية البريطاني قراراً أعلن فيه إلغاء الحكومة البريطانية لحالة انتدابها على فلسطين.

٨٩٠ **قيام دولة إسرائيل** (١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م)

في ١٤ مايو ١٩٤٨ قامت دولة إسرائيل بعد أن انتهى الانتداب البريطاني على فلسطين، وبناء على قرار الأمم المتحدة في ٢٧ نوفمبر لعام ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية. وكان عدد سكان الدولة الصهيونية ٦٥٠ ألف يهودي يشكل اليهود الشرقيون (أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي) منهم نسبة ٨٥٪ وكانت الولايات المتحدة هي أول دولة في العالم تعترف بالدولة اليهودية برغم الضغوط العربية الواسعة النطاق التي بذلتها الدول العربية وخاصة حكومة الملك بن سعود. ثم قامت الحكومة السوفياتية بإعلان اعترافها بها وبهذا ضمنت الدولة العبرية مساندة أقوى دولتين في العالم في ذلك الوقت.

ولقد كان يوم إعلان قيام دولة إسرائيل من أسوأ الأيام في تاريخ العرب الحديث. . حتى أنه في رأينا يعتبر أسوأ من نجاح الحملة الصليبية الأولى التي احتلت بيت المقدس في العصور الوسطى.

٨٩١ **تضخم مشكلة اللاجئين الفلسطينيين** (١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م)

زاد إرهاب العصابات الصهيونية في فلسطين زيادة لا حد لها سواء ضد العرب أو البريطانيين ولكنه كان موجهاً للعرب لحثهم على الخروج من ديارهم بالعنف والتدمير والتهديد بالقتل والخطف وحرق المتاجر واغتصاب الفتيات. وقد أدى ذلك إلى قيام مئات الآلاف من الفلسطينيين بترك ديارهم متوجهين إلى الدول العربية المجاورة آملين في ذات الوقت أن تحقق الجيوش العربية لهم

النصر والحماية. وقد تمت عملية الهجرة الجماعية تلك في خلال أسابيع قليلة حتى تكدست بهم الطرق والدروب. أما من بقي من الفلسطينيين فلم يتجاوز عددهم مائة وستين ألفاً. ولهذا فقد أصدرت لهم الأمم المتحدة قراراً يقضي بعدم رفض إسرائيل عودتهم إلى ديارهم فأخذت إسرائيل تماطل في تنفيذ ذلك القرار متعللة بأسباب واهية مثل أن الفلسطينيين لا يرغبون في العودة!.

٨٩٢ الحرب العربية الإسرائيلية الأولى (١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م)

أخذ اليهود الذين يهاجرون إلى فلسطين في تكديس السلاح والتدريب عليه لعلمهم أن نهاية الانتداب البريطاني في منتصف مايو عام ١٩٤٨ سوف تعني أنهم سيقفون وجهاً لوجه مع العرب الذين سيغضبون ويثورون عندما يعلن اليهود عن قيام دولتهم. ولم يكن للعرب في الجزء الباقي من فسلطين حكومة ترعاهم وتنظم شؤونهم. ولهذا فقد تدخلت القوات العربية من مصر وسوريا والعراق والأردن (ودول عربية أخرى) لحماية الأراضي الفلسطينية من بطش العصابات الصهيونية. وتطورت الأمور بين الطرفين حتى اندلعت الحرب على الجبهات الجنوبية والشرقية، فتمكن الجيش المصري من الزحف حتى وصل إلى مسافة أربعين كيلو متراً من تل أبيب، ودخل الجيش الأردني العراقي إلى المناطق الواقعة غرب نهر الأردن. وقد صدر قرار من مجلس الأمن بعد اندلاع القتال بثلاثة أيام يطلب فهيا هدنة لمدة شهر وإرسال مندوب من الأمم المتحدة لبحث أسباب النزاع وتقرير سبل السلام، وكان ذلك القرار في ١٩ مايو ١٩٤٨م.

٨٩٣ هدنة الحرب العربية الإسرائيلية الأولى وخسائر العرب (١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م)

أرسلت الأمم المتحدة الكونت برنادوت للتوسط في النزاع بين العرب واليهود في فلسطين. وقد استغل اليهود الهدنة في إعادة تنظيم صفوف قواتهم المسلحة وخرقوا الهدنة في ٨ يوليو، وهاجموا القوات العربية في مختلف الجبهات التي كانت مسلحة تسليماً رديئاً بفعل فساد بعض الحكومات وخداع الاستعمار. واستمر القتال ثمانية أيام تمكنت القوات الإسرائيلية من التوسع في

كل الجبهات ومحدثة خسائر جسيمة بين القوات العربية. وعقب ذلك قام صهاينة متعصبون باغتيال الكونت برنادوت حتى يرهبوا الأمم المتحدة ويوقفوا نشاطها لحل الأزمة سلمياً.

ولقد أحدثت انتكاسات القوات العربية ردود فعل سياسية واسعة النطاق.

٨٩٤ الأمم المتحدة تقرر تدويل مدينة القدس (١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م)

كانت القدس الواقعة تحت الحماية الدولية مقسمة بأسلاك شائكة تفصل القدس الشرقية وبها المسجد الأقصى وكنيسة القيامة، والقدس الغربية وبها معبد سليمان. وبعد قيام دولة إسرائيل بقرار من الأمم المتحدة والحرب العربية الإسرائيلية الأولى أخذ اليهود يعلنون عن أطماعهم في الجزء الشرقي من القدس. . ولهذا أصدرت الأمم المتحدة قراراً في ديسمبر عام ١٩٤٨ بتدويل المدينة كلها. . فوافقت الدول العربية على القرار ولكن الأردن رفضته لأنها أرادت أن تكون القدس الشرقية تحت السيادة الأردنية الإسلامية. . ورفضته كذلك إسرائيل نظراً لأطماعها وخشيتها من أنها إذا وافقت فسيضيع منها الجانب العنصري الديني من إيديولوجيتها التي قامت عليها.

٨٩٥ اغتيال النقراشي باشا رئيس وزراء مصر (١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م)

قتل النقراشي باشا في ظروف بالغة الصعوبة مرت بمصر والعالم العربي. فقد صدر قرار تقسيم فلسطين، ونكسة الجيوش العربية، وما أعقبها من قيام الإخوان المسلمين في مصر بتفجير القنابل في معسكرات الجيش البريطاني المرابطة على ضفاف قناة السويس. فقام النقراشي باشا بحل الجماعة واعتقال العديد من أعضائها. وفي الثامن والعشرين من ديسمبر عام ١٩٤٨م قام الشاب عبد المجيد حسن الذي كان مرتدياً زياً عسكرياً بإطلاق الرصاص على النقراشي باشا فأرداه قتيلاً بينما كان يهم بدخول مبنى وزارة الداخلية. وقد ألقي القبض علي القاتل (عبد المجيد حسن) حيث حوكم وأعدم.

ويعتبر ذلك الاغتيال بداية سلسلة طويلة من المواجهات المؤلمة بين الإخوان والسلطات المصرية لا زالت آثارها باقية حتى يومنا هذا.

٨٩٦ اغتيال الشيخ حسن البنا زعيم جماعة الإخوان المسلمين (١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م)

كان الشيخ حسن البنا رجل دين ملتزماً بتعاليم الإسلام ذاع صيته وعلمه في كافة أرجاء مصر، ولهذا أصبح زعيماً لجماعة الإخوان المسلمين التي نسب إليها اغتيال رئيس الوزراء النقراشي باشا. ولما جاء إبراهيم عبد الهادي في رئاسة الحكومة المصرية خلفاً للنقراشي، اعتقل العديد من رجال الإخوان وقذف بهم في المعتقلات حيث تعرضوا لتجارب إنسانية مؤلمة بالرغم من قيام النقراشي بحل الجماعة في الثامن من ديسمبر عام ١٩٤٨م.

وفي الثامن عشر من فبراير ١٩٤٩م تم اغتيال الشيخ حسن البنا مرشد الإخوان المسلمين بينما كان خارجاً من جمعية الشبان المسلمين. ولم يعثر على القاتل في ذلك الوقت، إلا أن حكومة ثورة يوليو عندما فتحت التحقيق في ذلك الحادث اتضح أن الملك فاروق قد دفع ببعض رجاله من الحرس الحديدي لتنفيذ الجريمة نظراً لأن البنا والأخوان كانوا يهاجمونه لفساده ومع ذلك فإن الإخوان المسلمين لم يعترفوا أبداً بذلك، بل هم يؤمنون بأن حكومة عبد الهادي باشا هي التي قتلت البنا انتقاماً لمقتل النقراشي باشا.

٨٩٧ استقلال ليبيا (١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م)

بعد زوال الاستعمار الإيطالي في ليبيا وقيام الحلفاء بفرض الحكم العسكري على ليبيا طوال السنوات الباقية من الحرب أخذت الأوضاع تتحسن تدريجياً وخاصة على الصعيدين السياسي والاقتصادي. وما أن انتهت الحرب حتى أخذ الشعب الليبي يطالب بالاستقلال، ولقي المساعدة من مصر والجامعة العربية حتى وافقت حكومات الحلفاء (بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة) على استقلال ليبيا الكامل - مع بقاء القواعد العسكرية البريطانية والأمريكية - وأصبح الملك محمد إدريس السنوسي ملكاً على ليبيا منذ الاستقلال عام ١٩٤٩م.

٨٩٨ معاهدة الدفاع والتعاون المشترك لدول الجامعة العربية (١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م)

وقعت على هذه المعاهدة سبع دول عربية هي مصر وسوريا والأردن

ولبنان والعراق واليمن والمملكة العربية السعودية، وذلك من أجل إقامة علاقات بين دول الجامعة العربية من أجل نيل الاستقلال وإعادة حضارتها المشتركة. وبموجب تطلع شعوب تلك الدول من أجل تحقيق الدفاع المشترك وفقاً لميثاق كل من الجامعة العربية وميثاق الأمم المتحدة. وقد تكونت تلك المعاهدة من ثلاثة عشر مادة تتضمن أوجه التعاون بين الدول العربية الموقعة على هذه المعاهدة وسبل تحقيق الدفاع المشترك فيما بينها. وبالإضافة إلى ذلك فهناك ملحق عسكري يوضح سبل التعاون والتخطيط والتدريب العسكري المشترك بين الدول الأعضاء وكيفية مواجهة الأخطار المتوقعة والعدوان العسكري المحتمل وقوعه ضد أي من الدول المتعاقدة وضد قواتها المسلحة. وقد كان تاريخ توقيع تلك المعاهدة هو الثالث عشر من أبريل عام ١٩٥٠م.

٨٩٩ بيان مؤتمر لندن الثلاثي حول الشرق الأوسط (١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م)

تطورت الأوضاع السياسية والأمنية في الشرق الأوسط إلى الأسوأ بعد تدخل الولايات المتحدة إلى جانب إسرائيل، ضد مصالح العرب في الاستقلال وحق تقرير المصير. وجاء تهديد مصر بإلغاء معاهدة عام ١٩٣٦م كمؤشر خطير جعل وزراء خارجية كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا يجتمعون في لندن ولإصدار بيان في الخامس والعشرين من مايو عام ١٩٥٠م يوضحون فيه أهمية العمل على تحديد القوات العسكرية لكل من العرب وإسرائيل حتى لا تحدث حروب جديدة بينهما، وأن حكومات الدول الثلاث ستعمل مجتمعة لتقرير أسس السلام في صالح بقاء كل الدول بما فيها إسرائيل. ولقد أغضب هذا البيان الدول العربية التي رأت فيه ترسيخاً للكيان الصهيوني وحماية له.

٩٠٠ الأزمة بين مصر وبريطانيا في خليج العقبة (١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م)

انسحبت بريطانيا من فلسطين المحتلة لتتركها لليهود في الخامس عشر من مايو ١٩٤٨م. ومنذ ذلك اليوم ومصر ترفض إبحار السفن في خليج العقبة متجهة إلى ميناء إيلات الإسرائيلي. وفي الأول من اكتوبر عام ١٩٥١م قامت البحرية المصرية باعتراض السفينة البريطانية إمباير دوتسن وكانت متجهة إلى إيلات وسحبتها وأفرغت شحنتها من البضائع، فاحتجت الحكومة البريطانية على

ذلك وطالبت مصر بدفع تعويض فرفضت مصر. فسارعت بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا (ثم انضمت إليهم تركيا بكل أسف فيما بعد مثلها في ذلك مثل إسرائيل) بتقديم مشروع قرار إلى مجلس الأمن يدين تصرف مصر ويطالبها بوضع حد للقيود التي تفرضها على السفن التجارية. وصدر القرار في السابع والعشرين من أغطس عام ١٩٥١م، ولكن مصر رفضته، وانضمت إليها كل الدول العربية. . وكان السبب في ذلك الرفض وجود قرارات دولية عديدة واجبة التنفيذ ولكنها لم تنفذ.

٩٠١ فشل مشروع حلف الشرق الأوسط (١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م)

إن الحلف الذي رغب الغرب في إنشائه للدفاع عن الشرق الأوسط جاءت فكرته مواكبة لإنشاء حلف شمال الأطلنطي الذي تأسس في أبريل ١٩٤٩م. فقد سارعت الولايات المتحدة وبريطانيا ومعهما العديد من الدول المتحالفة في محاولات عديدة لإقناع مصر وسوريا والعراق بإنشاء حلف للدفاع عن الشرق الأوسط يكون هدفه المعلن مقاومة الزحف الشيوعي للاتحاد السوفياتي، أما هدفه غير المعلن فكان ترسيخ أقدام الاحتلال البريطاني والفرنسي في تلك الدول عن طريق إنشاء قواعد عسكرية دائمة على أراضيها. وعلى مدى عامين كاملين تكثفت الزيارات التي قام بها مسؤولون أمريكيون وبريطانيون إلى الدول العربية من أجل إقناع حكومات تلك الدول الموافقة على إنشاء ذلك الحلف. ولقد شاركت تركيا في تلك الضغوط على حكومتي مصر وسوريا بصفة خاصة، ولكن باءت بالفشل كل تلك المحاولات حيث رفضت مصر المشروع معبرة عن قناعتها في وجوب الجلاء البريطاني الكامل عن مجمل الأراضي المصرية قبل مناقشة أي معاهدات أمنيَّة. وتبعت سوريا مصر في ذلك الرفض ففشل المشروع.

٩٠٢ الجامعة العربية تعلن فرض الحصار الاقتصادي على إسرائيل (١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م)

قررت الجامعة العربية في شهر مايو ١٩٥١م إنشاء جهاز تابع لها يكون له مكاتب في كل بلد عربي هدفه مراقبة وتنظيم وتنفيذ المقاطعة الاقتصادية على

إسرائيل، وعدم التعامل مع أي شركة دولية تتعامل مع إسرائيل.

وعندما تعرضت دول أفريقية وآسيوية للأضرار من هذا القرار أخذت الدول العربية مجتمعة أو منفردة في توقيع اتفاقيات ومعاهدات مع هذه الدول لكي يتم تعويضها عما كانت تستورده من إسرائيل، الأمر الذي وسع من مجال عزلة إسرائيل الاقتصادية والتي تطورت إلى عزلة سياسية. ولقد كانت ذروة الحصار الاقتصادي العربي على إسرائيل في الخمسينيات والستينيات وبداية السبعينيات، ولكن عندما وقعت الحكومة المصرية معاهدة الصلح مع إسرائيل عام ١٩٧٩م، رفعت مشاركتها في الحصار الاقتصادي على إسرائيل. واليوم وفي أثناء الاتصالات واللقاءات بين الحكومات العربية والحكومة الإسرائيلية، فإنه من المؤكد أن أية تسوية عربية إسرائيلية شاملة ستقضي حتماً برفع ذلك الحصار أو ما بقي منه.

٩٠٣ معارك المصريين ضد قوات الاحتلال في منطقة القناة (١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م)

بلغ عدد قوات الاحتلال البريطاني المرابطة في منطقة قناة السويس ما لا يقل عن ثمانين ألف جندي تدعمهم ترسانة ضخمة من أحدث الأسلحة. ولما رفض المحتل البريطاني الجلاء عن أرض مصر، عرضت الحكومة على البرلمان المصري (بمجلسيه) طلبات بإلغاء معاهدة ١٩٣٦م مع بريطانيا وتعديل الدستور لتقرير مصالح السودان، فوافق البرلمان ورحب الشّعب المصري بذلك. فاحتجت بريطانيا وحشدت بحريتها في المياه المصرية المحيطة بمنطقة القناة فأعلنت مصر حالة الطوارىء في جميع أنحاء البلاد ودعت كل المصريين العاملين في ثكنات الجيش البريطاني بالتوقف عن العمل، مما أغضب بريطانيا، فأخذت قواتها تتحرّش بسكان مدن القناة مما أوقع عشرات الشهداء والجرحى، فخرج الشباب الثائر في مجموعات فدائية وهاجموا معسكرات الجيش البريطاني ليلاً ونهاراً، فما كان من الجيش البريطاني إلا أن اقتحم مدينة الإسماعيلية وهاجم المنازل والمتاجر والمساجد. فأصدرت وزارة الداخلية المصرية تعليماتها لقوات الشرطة المصرية للتدخل لحماية المدنيين فدارت معركة كبرى

في الخامس والعشرين من يناير ١٩٥٢م بين الشرطة المصرية وألفي جندي بريطاني مسلحين بالدبابات والمدافع، كان نتيجتها استشهاد وإصابة المئات من المصريين. . كل ذلك وملك مصر قابع في سكون قصر عابدين.

٩٠٤ حريق القاهرة (١٣٧٠هـ/ ١٩٥٢م)

كان النظام الملكي والسياسي والأمني في مصر يتآكل قبل إندلاع حريق القاهرة المروع في السادس والعشرين من يناير ١٩٥٢م. يأتي ذلك وسط جو شديد من القسوة التي اتخذها الإنجليز مع المدنيين في مدن القناة، وتصميم الحكومة البريطانية على استمرار الاحتلال والمعاناة.

ولما كانت قوات الشرطة المصرية في حالة تشبه الإضراب تضامناً مع شهداء الشرطة بالإسماعيلية، فقد خرج الغاضبون بالآلاف منددين بالملك، وأرادوا احتلال قصره ولكن الرصاص منعهم فساروا إلى مبنى مجلس الوزراء واحتلوه، وتوجه فريق آخر منهم لاحتلال السفارتين البريطانية والأمريكية، ولكن قوات الأمن بالسفارتين منعتهم. وفي أثناء ذلك الغليان الشعبي ضد الاحتلال بدأت الحرائق تظهر وتنتشر في مناطق كثيرة بوسط القاهرة وغيمت على المدينة قبل حلول الليل سحابات سوداء وملأ الدخان أجواءها واستمر ذلك حتى نزلت قوات الجيش المدينة وفرقت المتظاهرين.

ولا شك أن لبريطانيا يداً في تدبير ذلك الحريق. فقد تم إخلاء موظفي الشركات والبنوك البريطانية مع المستندات الهامة من المباني التي كانوا يشغلونها قبل اندلاع الحريق، وخلت شوارع العاصمة من البريطانيين الذين اعتادوا التجول فيها كذلك استفادت بريطانيا من حريق القاهرة لإبعاد الفدائيين لبعض الوقت عن مهاجمة قواتها بالقرب من القناة.

٩٠٥ إنهاء الحكم الملكي في مصر (١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م)

كان تنظيم الضباط الأحرار في الجيش المصري يعمل في الخفاء من أجل الإطاحة بالحكم الملكي في مصر. ولا شك أن الظروف قد ساعدتهم كثيراً. . فالإمبراطورية البريطانية أفل نجمها بعد الحرب العالمية الثانية، ونكسة

القوات العربية في حرب ١٩٤٨م أثارت الشعب ضد الملك فاروق إضافة إلى قيام الولايات المتحدة بمحاولة تحسين صورتها أمام دول العالم الصغرى وتشجيعها العلني والخفي لحركات الاستقلال. . ثم جاء حريق القاهرة المروع ليضيف المزيد من الألم والغضب في نفوس الشعب والجيش معاً.

ولا شك أن تنظيم الضباط الأحرار كان يرصد كل تلك العوامل لأن نجاح ثورة الضباط في الثالث والعشرين من يوليو جاء بدون أية مقاومة من السراي الملكي أو من القوات البريطانية المرابطة في قناة السويس. وبهذا انتهى نظام الحكم الملكي في مصر، وأصبح يوم خروج الملك من مصر وهو السادس والعشرين من يوليو (متوجهاً إلى إيطاليا) يوماً مشهوراً في تاريخ مصر. فهو اليوم الذي انتهى فيه الحكم الملكي، وطويت صفحة أسرة محمد علي الألبانية الأصل والتي دام حكمها ١٤٧ عاماً.

ولقد قاد تنظيم الضباط الأحرار ضابط مصري شاب يدعى جمال عبد الناصر، ولكن اللواء محمد نجيب ظهر في بداية الثورة ـ ولمدة عامين ـ على أنه زعيم للثورة.

٩٠٦ اغتيال فرحات حشاد زعيم حركة التحرير الوطني التونسي

(١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م)

أخذت تونس تستيقظ من سباتها ضد الاستعمار الفرنسي بفضل ظهور زعيمين شعبيين كبيرين هما الحبيب بورقيبه، وفرحات حشاد. ولما قام الفرنسيون باعتقال بورقيبه عام ١٩٥٢م، حل محله في الكفاح الوطني فرحات حشاد الذي ألهب حماس التونسيين وقادهم عبر اتحاد العمال التونسي، وهو أشهر وأقوى اتحاد عمالي في شمال أفريقيا في ذلك الوقت (حيث كان يضم حوالي مائة ألف عامل). ويبدو أن الفرنسيين شعروا بمدى ما يمكن أن يشكله حشاد عليهم من خطر لو تركت له حرية تنظيم التونسيين، فحركوا جماعة (اليد الحمراء) المتطرفة التابعة لقوات الاحتلال الفرنسي، فقام بعض أعضائها باغتيال فرحات حشّاد في الخامس من ديسمبر عام ١٩٥٢م.

٩٠٧ استقلال السودان (١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م)

لما كان السودان مرتبطاً بمصر على مدى العصور فقد تلقى السودانيون نبأ قيام الثورة في مصر وإنهاء الحكم الملكي بالفرحة في قرب زوال الحكم الاستعماري.

فقد قامت حكومة الثورة بالاتفاق مع الحكومة البريطانية (فبراير ١٩٥٣م) بإعلان استقلال السودان خلال فترة انتقالية مدتها ثلاثة أعوام تنسحب بعدها كافة القوات البريطانية والمصرية العاملة هناك. ولقد كانت مشكلة السودان السياسية أقل حدة من تلك التي كانت لمصر.. فالسودان لم يكن يخضع لنظام ملكي سوداني مثلما كان الحال مع مصر، ولهذا لم يكن للسودانيين تنظيماً للضباط الأحرار مما سهل من مهمة حصول السودان على الاستقلال بدون ثورة.

٩٠٨ إعلان النظام الجمهوري في مصر (١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م)

بقيت مصر تحت مُسمّى المملكة المصرية منذ قيام الثورة وحتى قرر أعضاء مجلس قيادة الثورة تحويل النظام السياسي للبلاد إلى النظام الجمهوري في ١٨ يونيه ١٩٥٣م.

وكان الملك فاروق يوم مغادرته مصر في ٢٦ يوليو ١٩٥٢م قد تنازل عن العرش لابنه أحمد فؤاد الثاني الذي كان طفلاً صغيراً له أوصياء. ولهذا فإن تحويل النظام الملكي إلى نظام جمهوري كان يعني أن مصر لن تعود مرة أخرى إلى النظام الملكي وأن من يحكمها سيكون حتماً من أعضاء مجلس الثورة الذين وجدوا في النظام الجمهوري مبرراً شرعياً لاستمرارهم في الحكم. ولكن في كل يوم كان الضباط الأحرار يرسخون من سيطرتهم على البلاد حتى ظهر فيما بينهم التباين والاختلاف بل والتصارع في بعض الأحيان.. وهذا كله كان فيما يبدو بعيداً عن إدراكهم أو توقعهم.

٩٠٩ فرنسا تنفي السلطان المغربي محمد الخامس إلى جزيرة كورسيكا (١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م)

انتهت الحرب العالمية الثانية بانتصار الحلفاء وتحرير فرنسا وعودتها إلى سياسة القمع في مستعمراتها العربية والإسلامية. وقد رفضت فرنسا منح المغرب

استقلاله حتى بعد الضغوط الشعبية والدولية. وبدا للحاكم الفرنسي العسكري الجنرال (جيوم) أن السلطان محمد الخامس هو رأس الحربة التي تطالب بالاستقلال وإنهاء الحكم الاستعماري، فقام بحشد الألوف من الجنود الفرنسيين وحاصر بهم القصر السلطاني، واعتقلت القوات السلطان وساقته إلى سفينة حربية نقلته قسراً من بلاده إلى جزيرة كورسيكا في أغسطس من عام ١٩٥٣م.

٩١٠ ثورة الشعب المغربي ضد الفرنسيين (١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م)

إن الظلم الذي استخدمه الفرنسيون كمنهج مستمر لقمع المطالب المشروعة للشعب المغربي بالاستقلال، وقيام السلطات الفرنسية بنفي السلطان محمد الخامس إلى جزيرة كورسيكا، وندب محمد بن عرفه لحكم المغرب، لم يفلح في تثبيت أركان الاحتلال الفرنسي في المغرب. فقد ثار الوطنيون في كل البلاد مطالبين بعودة سلطانهم وحريتهم واستقلالهم. ولم تكن المغرب وحدها التي وقفت ضد الظلم الفرنسي، بل وقفت معها جامعة الدول العربية التي أرسلت مذكرة عاجلة لهيئة الأمم المتحدة لمناقشة قضية المغرب، فأصدرت الهيئة الدولية قراراً يحتم على فرنسا إجراء مفاوضات على وجه السرعة مع المغرب لتقرير حقوق شعبه المشروعة وفقاً للقانون الدولي.

٩١١ وفاة الملك عبد العزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية الحديثة (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م)

تمكن الملك عبد العزيز آل سعود من توحيد المملكة العربية السعودية في دولة واحدة قوية بفضل جهوده وإخلاصه. وكان الملك عبد العزيز قد ولد بمدينة الرياض في ١٠ ذي الحجة سنة ١٢٩٩هـ (٢١ ديسمبر سنة ١٨٨٠م).

ويذكر أنه من سلالة النبي ﷺ. ولقد ولد في بيت كريم اتصف بالتقوى والصلاح. وعلمه أبوه النشأة الخشنة فصار منذ طفولته وقد اتصف بصفات الرجال الأقوياء. وعندما ساءت الظروف للأسرة السعودية غادروا الرياض إلى الكويت، ثم تمكن مع رجاله من استرجاع الرياض عام ١٣١٩هـ (١٩٠٢م) والحفاظ عليها.

وقد توفي رحمه الله في صباح الإثنين الثاني من شهر ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ (التاسع من نوفمبر عام ١٩٥٣م) بعد مرض ألم به، وكان عمره حوالي ثلاثة وسبعين عاماً. . وقد دفن بالرياض العاصمة.

٩١٢ الاتفاقية المصرية البريطانية للجلاء عن قناة السويس (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م)

لم تعترض بريطانيا على ثورة الجيش المصري عام ١٩٥٢م، بل أبدت الاستعداد للجلوس مع حكومة الثورة، وقامت بتوقيع اتفاقية للجلاء عن قناة السويس في ١٩ أكتوبر من عام ١٩٥٤م. تلك الاتفاقية التي حددت مدتها بسبعة أعوام وتنص على جلاء القوات البريطانية جلاء كاملاً خلال عشرين شهراً عن منطقة قناة السويس مع ترك مرشدين للملاحة من المهندسين المدنيين البريطانيين. وفي حالة وقوع أي اعتداء على مصر من الخارج تقوم الحكومة المصرية بالسماح لبريطانيا بالدفاع عن القناة بشرط انسحاب قواتها فور انتهاء القتال.

٩١٣ تأسيس حلف بغداد (١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م)

عقد هذا الحلف في البداية بين كل من الحكومتين العراقية والتركية في ٢٤ فبراير ١٩٥٥م، ويتكون من ثماني مواد، نصت المادة الأولى فيه على أن يتعاون الفريقان الساميان (تركيا والعراق) المتعاقدان في سبيل صيانة سلامتهما والدفاع عن كيانهما وفقاً لأحكام المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة ويجوز أن تبيّن التدابير التي يتفقان على اتخاذها لجعل هذا التعاون نافذاً باتفاقات خاصة تعقد بين الطرفين. وقد علق رئيس وزارء بريطانيا (إيدن) على هذا الحلف الذي خططت له بريطانيا بالقول: سيكون بمقدورنا خزن الذخائر والمعدات هناك لاستخدامها أيام الحرب وستشيد معامل للإصلاح ومستودعات للخزن إذا اقتضى الأمر لمنفعة القوات العراقية والبريطانية، وسيعين مستشارون ومديرون لتقديم المساعدة في تدريب الجيش العراقي.

وعلى هذا فقد انضمت بريطانيا لحلف بغداد هذا في ٤ أبريل ١٩٥٥ (بعد توقيعها معاهدة خاصة مع العراق نصت مادتها الأولى على أن تقوم الحكومتان

المتعاقدتان بإدامة وتنمية السلم والصداقة بين بلديهما والتعاون من أجل سلامتهما والدفاع عن كيانهما وفقاً لميثاق التعاون المتبادل).

وبعد عام على ذلك انضمت باكستان للحلف. أما إيران والولايات المتحدة فقد باركتا الحلف وإن لم توقعا عليه.

ولقد أدى توقيع تلك الاتفاقية إلى ردود أفعال غاضبة ورافضة في الدول العربية ودول العالم الثالث التي خشيت من عودة الاستعمار البريطاني ـ عن طريق القواعد العسكرية ـ مرة أخرى.

٩١٤ مؤتمر باندونج وقيام منظمة الدول غير المنحازة (١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م)

أدى تحرير وتحرر العديد من دول العالم الثالث في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية بعد الحرب العالمية الثانية وظهور حلف الأطلنطي وحلف وارسو، إلى قيام تلك الدول المستقلة حديثاً بتأسيس منظمة الدول غير المنحازة وكان عددها تسعاً وعشرين دولة وهي الدول التي وقعت على ميثاق تلك المنظمة في أبريل عام ١٩٥٥م.

ولقد وجهت تلك الدول انتقادات لسياسات الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي وهاجمت سياسات الاستعمار والإمبريالية. كما هاجمت كذلك ـ ولو بقدر أقل ـ السياسات القمعية لدول الكتلة الشيوعية.

ولقد برزت الهند ومصر ويوغسلافيا كدول رائدة في تلك المنظمة، وأصبح نهرو وعبد الناصر وتيتو من أبرز زعماء العالم.

٩١٥ استقلال تونس (١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م)

بعد هزيمة دول المحور في شمال أفريقيا وخروجهم من ليبيا وتونس، عادت فرنسا من جديد لاحتلال تونس.

ولقد تمكنت فرنسا بعد الحرب من إقناع الدول الكبرى في الأمم المتحدة وخاصة الولايات المتحدة بتأجيل منح تونس استقلالها، فعقد زعماء تونس مؤتمراً وطنياً عام ١٩٤٦م قرروا فيه رفضهم للانتداب الفرنسي. فلما رفضت فرنسا ذلك، قامت تونس بعرض مشكلتها على مجلس الأمن الذي قضى بأن يتم

التشاور بين الحكومتين الفرنسية والتونسية لتسوية الأزمة بينهما.

ولما كانت الدول العربية الرئيسية قد نالت استقلالها وبدأت تشكل عناصر ضغط على السياسات الاستعمارية لم تجد فرنسا مفراً من إعلان استقلال تونس، فكان ذلك في الثالث من يونيو عام ١٩٥٥م. ولقد وقف الأزهر الشريف في القاهرة موقفاً تاريخياً عظيماً بإصداره بياناً تناقلته وكالات الأنباء والصحف العالمية يدعو فيه المسلمين كافة إلى مقاطعة فرنسا اقتصادياً وثقافياً وسياسياً وإلى ضرورة خروج المتطوعين المسلمين ليجاهدوا مع الشعب التونسي الشقيق ضد الاستعمار الفرنسي.

٩١٦ فرنسا تعيد السلطان محمد الخامس إلى عرش بلاده وتعلن استقلال المغرب (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م)

بعد أن طالبت الأمم المتحدة فرنسا بعقد مفاوضات مع المغرب لتسوية النزاع بين البلدين، قام ممثل الحكومة الفرنسية بالمغرب (لاكوست) بعرض فكرة إنشاء برلمان بالمغرب يكون نصف أعضائه من المغرب والنصف الآخر من فرنسا. وقد رفضت الأحزاب المغربية الفكرة، فما كان من فرنسا إلا أن أظهرت شخصية مغربية تابعة لها وهو (مولاي الشريف) أو إدريس بن عبد العلي وهيأت له الأوضاع ليتحدث باسم الشعب المغربي. فتجمعت الهيئات والأحزاب السياسية المغربية ضد الألاعيب الفرنسية وشددت على ضرورة إلغاء الحماية الفرنسية على مجمل الأراضي المغربية.

ولقد التف الشعب المغربي بوعي قوي حول قياداته السياسية حتى أجبر فرنسا على توقيع قرار عودة السلطان محمد الخامس من منفاه، وتسلمه عرش بلاده في فبراير من عام ١٩٥٦م، وإعلان استقلال المغرب.

٩١٧ العدوان الثلاثي على مصر (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م)

أخذت مصر في دراسة مشروع بناء السد العالي جنوب أسوان لتطوير الكهرباء والزراعة في البلاد. ورفض البنك الدولي طلب مصر بتمويل البناء وذلك بضغط من حكومة الولايات المتدة وحكومة بريطانيا. فقامت مصر في

السادس والعشرين من يوليو عام ١٩٥٦م بتأميم شركة قناة السويس وذلك لاستخدام عوائد الملاحة في القناة لتمويل المشروع العملاق. وأدى ذلك إلى قيام الحكومة البريطانية بإنذار مصر إنذاراً مهيناً لكي تتراجع عن قرار التأميم ولكنها رفضت الإنذار. فقامت القوات الإسرائيلية بخرق الهدنة واحتلت شبه جزيرة سيناء، وتلى ذلك قيام القوات الجوية البريطانية والفرنسية بقصف مدينة بور سعيد والمناطق المحيطة بها قصفاً وحشياً أعقبه عمليات غزو بري تمكنت به من احتلال منطقة القناة بعد معارك شرسة مع الجيش المصري والمواطنين المدنيين بمدينة بور سعيد خاصة.

ولقد برزت مصر في تلك الأزمة كدولة تدافع عن بقائها بشرف وكرامة، وظهرت الدول المعتدية الثلاث بمظهر الدول الاستعمارية التي تمارس القهر والطغيان، ولم تسمح الدولتان العظميان في ذلك الوقت وهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي باستمرار العدوان على مصر. فأصدرت الأمم المتحدة قراراً ملزماً بانسحاب قوات العدوان الثلاثي ونشر قوات طوارىء دولية على الحدود بين مصر والدولة الإسرائيلية.

وهكذا انتهت أزمة السويس بهزيمة وانسحاب الدول المعتدية في ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦م، وانسحاب الجيش الصهيوني في مارس ١٩٥٧م.

ولا شك أن هزيمة العدوان ساعد مساعدة مباشرة على تقليص النفوذ الاستعماري في العديد من دول العالم الثالث.. ولكن كان ثمن ذلك المئات من شهداء مصر الأبرار.

٩١٨ اتفاقية التضامن بين مصر وسوريا والأردن والسعودية (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م)

عقدت حكومات المملكة الأردنية الهاشمية والجمهورية السورية والمملكة العربية السعودية والجمهورية المصرية إدراكاً منها للمسؤوليات الخطيرة الملقاة على عاتقها للمحافظة على الكيان العربي والاستقلال.. ورغبة منها في عقد اتفاقية تعاون للقيام بمسؤولياتها، إجتماعاً بالقاهرة حضره ممثلون عن الحكومات المذكورة، واتفقوا على خمس مواد هامة تشكل اتفاقية تضامن

بين دولهم. نصت مادتها الأولى على أن الحكومات المتعاهدة تؤكد إيمانها بالحاجة إلى تحقيق التضامن والتعاون من أجل تدعيم القومية العربية وهي تعلن عن تقديرها لضرورة المساهمة في المسؤوليات الناجمة عن ذلك.

ولقد أوضحت تلك الاتفاقية حجم الدعم الذي ستقدمه تلك الدول للقوات المسلحة الأردنية، حيث بلغ مقدار ذلك الدعم ١٢,٥ مليون جنيه مصري وذلك بغرض تدعيم الوجود العربي.

وقد اتضح أن اتفاقية التضامن تلك ستمتد لمدة عشرة أعوام متتالية.

٩١٩ استقلال جمهورية جويانا الإسلامية (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م)

دخل الإسلام أراضي جويانا في القرن الثاني عشر الميلادي وأصبحت جزءاً من إمبراطورية مالي الإسلامية الكبرى في غرب أفريقيا إلى أن احتلتها فرنسا عام ١٨٤٩م. وباستقلال جويانا عام ١٩٥٨م حكمها الشيوعيون وتعرض المطالبون بالديموقراطية والحرية ـ وخاصة في السبعينيات من القرن العشرين ـ للاعتقال والقتل. وفي عام ١٩٨٤م وقع انقلاب عسكري سلمي أطاح بالحكم الشيوعي. ويبلغ عدد سكان جمهورية جويانا اليوم حوالي ٧,٥ مليون نسمة يشكل المسلمون منهم نسبة ٨٥٪.

٩٢٠ الوحدة السياسية بين مصرر وسوريا (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م)

كان مشروع الوحدة بين مصر وسوريا والذي وقع في القاهرة أول شهر فبراير عام ١٩٥٨م، تتويجاً لآمال مشتركة بالتوحد عبر التاريخ. فقد رأينا كيف كانت مصر وسوريا يكونان دولة واحدة في الدولة الطولونية والأخشيدية والفاطمية والأيوبية والمملوكية فتمكنتا معاً من طرد الصليبيين والمغول في تلك العصور. ولقد جاء قرار الوحدة بعد أحداث كبيرة هزت المنطقة العربية مثل العدوان الثلاثي على مصر وإعلان حلف بغداد.

ولقد سميت دولة الوحدة الجمهورية العربية المتحدة، واختير لرئاستها جمال عبد الناصر، وتضمن ميثاق الدولة الموحدة خمسة مبادىء هامة هي: الاتحاد ـ والحياد الإيجابي ـ والقومية العربية ـ وإتباع سياسة وسطية في التنمية،

وأخيراً مبدأ تصفية بقايا الوجود الاستعماري والقضاء على إسرائيل لكونها دولة تؤمن بالتوسع وتعيش على العدوان.

٩٢١ انتهاء الحكم الملكي في العراق (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م)

تفاقمت الاضطرابات السياسية في العراق عاماً بعد عام منذ الحرب العالمية الثانية إلى أن وافقت حكومة نوري السعيد على الدخول كطرف أساسي في حلف بغداد الذي نظر له الشعب العراقي على أساس أنه يرسخ الاحتلال ويوسع النفوذ العسكري البريطاني على الأراضي العراقية مما أغضب الضباط العراقيين وخاصة أن بعضهم كان قد شكل تنظيماً سمي بالضباط الأحرار على شاكلة التنظيم المصري الذي أطاح الملكية عام ١٩٥٢م. ولقد استغل ذلك التنظيم غضب الشعب ونقمته على حكومة نوري السعيد، واستغل الموقف المصري المناهض لحلف بغداد والذي شنت القاهرة عليه هجوماً متواصلاً في القيام بثورة في ١٤ يوليو ١٩٥٨م قادها اللواء عبد الكريم قاسم ورفيقه عبد السلام عارف، وتم بذلك الإطاحة بالنظام الملكي وإعلان الجمهورية والانسحاب من حلف بغداد هذا ـ وعلى العكس من حركة الضباط الأحرار في مصر ـ قام قادة الثورة العراقية باغتيال الملك فيصل الثاني وولي عهده ورئيس الوزراء نوري السعيد وغيرهم من رجال البلاط الملكي العراقي.

وكان الملك فيصل الثاني ملك العراق قد تولى حكم العراق فعلياً عام ١٩٥٣ (بالرغم من أنه كان قد أصبح اسمياً حاكماً على العراق وهو طفل صغير بعد مصرع أبيه الملك غازي في حادث سيارة عام ١٩٣٩م.

٩٢٢ القوات الفرنسية تقتل مائة وعشرين ألف جزائري (١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م)

أخذت أحوال فرنسا في الجزائر تزداد سوءاً بعد ثورة الشعب الجزائري في مدينة قسنطينة حيث استمرت الانتفاضات لتشمل كل أنحاء البلاد مما جعل السلطات الفرنسية تزيد عدد الجنود الفرنسيين في الجزائر إلى أربعمائة ألف جندي، راحوا يستخدمون السلاح والمتفجرات ويقتلون الجزائريين المدنيين العزل في كل مكان، حتى بلغ مجمل شهداء الثورة الجزائرية منذ ثورة مدينة

قسنطينة عام ١٩٤٥ وحتى مارس من عام ١٩٥٩م حوالي مائة وعشرين ألف شهيد.

ولقد قاد تلك المذابح الدموية الجنرال لاكوست بتوجيه مباشر من رئيس وزراء فرنسا (جي موليه).

٩٢٣ زلزال شديد يدمر مدينة أغادير المغربية ويقتل ويصيب ستين ألف شخص (١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م)

وقع ذلك الزلزال الشديد (بقوة ست درجات على مقياس ريختر) في التاسع والعشرين من فبراير واستهدف مدينة أغادير الواقعة على شواطىء المحيط الأطلنطي (حوالي مائة وخمسين ميلاً غربي العاصمة مراكش)، وأدى إلى تدمير المدينة ومقتل ما لا يقل عن ١٢ ألف شخص، وإصابة خمسين ألفاً آخرين.

ولقد سارعت دول العالم بتقديم المساعدات الإنسانية من غذاء ودواء وخيام إلى المشردين والمصابين، ومساعدات أخرى لاحقة لإعادة بناء المدينة.

٩٢٤ إستقلال جمهورية مالي الإسلامية (١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م)

كانت مالي الحالية في وسط غرب أفريقيا امبراطورية إسلامية كبرى، وكانت مدينة تيمبوكتو مركزاً هاماً للدراسات الإسلامية.

وفي عام ١٨٩٨م احتلت فرنسا أراضي مالي وكانت تضم بين أراضيها السنغال الحالية. وفي ٢٠ يونيو ١٩٦٠م انفصلت السنغال عن مالي (التي كانت تسمى في ذلك الوقت جمهورية السودان) وأعلن عن قيام الجمهورية المالية. ولكن سرعان ما سيطر الشيوعيون على حكم الجمهورية الجديدة إلى أن وقع إنقلاب قاده عسكريون عام ١٩٦٨م فانتهى الحكم الاشتراكي وتوطدت العلاقات مع فرنسا.

ولقد تعرضت جمهورية مالي إلى المجاعة والقحط الشديدين عام ١٩٧٣ـ ١٩٧٤ فمات من شعبها بسبب ذلك ما لا يقل عن مائة ألف شخص.

ولقد تكررت تلك المأساة في عقد الثمانينيات مما سبب خسائر أشد وضحايا أكثر.

ويبلغ عدد سكان جمهورية مالي اليوم حوالي ٩,٥ مليون نسمة، يشكل المسلمون نسبة ٩٠٪ منهم.

٩٢٥ استقلال جمهورية السنغال الإسلامية (١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م)

كانت السنغال (الواقعة غرب أفريقيا والمطلة على المحيط الأطلنطي) جزءاً من امبراطورية مالي الإسلامية في العصور الوسطى. ولكن البرتغاليين احتلوها في القرن الخامس عشر الميلادي واختطفوا أهلها وباعوهم في أسواق العبيد في المستعمرات الجديدة بأمريكا.

وبحلول القرن السابع عشر وبزوال الامبراطورية البرتغالية، سيطرت فرنسا على السنغال ثم احتلتها عام ١٨٩٣م، وأصبحت مدينة داكار عاصمة لغرب أفريقيا الفرنسي كله.

ولقد حصلت جمهورية السنغال على استقلالها في ٢١ يونيو ١٩٦٠م، ولكنها احتفظت بعلاقات سياسية وتجارية وثيقة مع فرنسا. وفي عام ١٩٧٤م خرب القحط والمجاعة السنغال. وفي عام ١٩٨٢م ساءت العلاقات بينها وبين موريتانيا بسبب خلافات على الحدود. ويبلغ عدد سكان السنغال اليوم حوالي ثمانية ملايين نسمة يشكل المسلمون منهم حوالي ٩٠٪.

٩٢٦ استقلال الصومال (١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م)

بهزيمة إيطاليا واحتلالها في الحرب العالمية الثانية من قبل الحلفاء، أصبح الصومال واقعاً تحت الاحتلال البريطاني، ثم تحت الوصاية الدولية، فقامت الأمم المتحدة بتشكيل مجلس وصاية يتكون من مصر والفلبين وكولومبيا (أي دولة أفريقيا ودولة آسيوية ودولة من أمريكا اللاتينية). وقد تمكنت مصر بجهود متواصلة مع الدولة العربية والجامعة العربية والصديقة من المطالبة باستقلال السودان حتى كللت تلك الجهود باستقلال الصومال في ٢٦ يونيو ١٩٦٠م.

٩٢٧ استقلال جمهورية النيجر الإسلامية (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)

دخل التجار المسلمون مناطق النيجر في القرن الثاني الهجري عندما

ترسخ الإسلام في شمال أفريقيا. ولقد كانت النيجر بعد ذلك جزءاً من امبراطورية مالي الإسلامية في العصور الوسطى إلى أن احتلتها فرنسا عام ١٩٠٠م.

ولقد أعلن عن استقلال النيجر في ٣ أغسطس ١٩٦٠م، وحافظت الجمهورية الجديدة على العلاقات الحسنة مع فرنسا.

وفي عام ١٩٧٣ـ ١٩٧٤ عانت النيجر من المجاعة والقحط فسارعت فرنسا (وغيرها من الدول) إلى إرسال المساعدات الغذائية والطبية لنجدة الضحايا.

ويبلغ عدد سكان النيجر اليوم حوالي ٨ ملايين نسمة يشكل المسلمون منهم نسبة ٨٠٪.

٩٢٨ استقلال جمهورية تشاد الإسلامية (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)

كانت أراضي تشاد الملاصقة لليبيا أرضاً إسلامية منذ القرن الثاني الهجري بعد أن دخلها التجار العرب والبربر المسلمون على حد سواء.

ولبعدها عن البحر الأبيض قلت أهميتها الاستراتيجية إلى أن احتلتها فرنسا عندما قُسمت القارة الأفريقية بين الدول الاستعمارية. وعندما خرجت فرنسا من الجزائر وتزايد الضغط الدولي عليها اضطرت إلى الانسحاب من تشاد، فأعلن عن قيام جمهورية تشاد في ١١ أغسطس ١٩٦٠.

ويعيش في تشاد اليوم حوالي خمسة ملايين نسمة نصفهم من المسلمين و٣٠٪ من المسيحيين والباقي وثنيون.

٩٢٩ استقلال نيجيريا (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)

دخل الإسلام المناطق الشمالية من نيجيريا عبر التجارة في القرن السابع والثامن الهجريين، واستمرت الأحوال مستقرة حتى سيطر البرتغاليون على سواحل أفريقيا الشرقية، والشرقية الجنوبية، وبدأوا في الاعتداء على القرى النيجيرية إلى أن ظهرت الأمبراطورية البريطانية فأخضعت نيجيريا للاحتلال البريطاني للبلاد حتى الأول من أكتوبر عام ١٩٦٠م عندما أعلن عن استقلال

نيجيريا ثم إعلان الجمهورية بعد ذلك بثلاثة أعوام.

هذا وقد استمر حكم العسكريين في نيجيريا منذ الاستقلال وحتي عام ١٩٨٣م عندما أجريت أول انتخابات. والآن هناك حزبان سياسيان فقط، الأول هو الحزب الديمقراطي الاشتراكي، والثاني هو حزب المؤتمر الوطني الجمهوري.

وفي نيجيريا عدد كبير من القبائل (حوالي ٢٥٠ قبيلة)، مما يساعد على عدم الاستقرار السياسي هناك.

ويشكل المسلمون ٥٠٪ من السكان، ويبلغ عدد المسيحيين حوالي ٣٠٪ والديانات الوثنية الأخرى حوالي ٢٠٪.

٩٣٠ **استقلال موريتانيا** (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)

منذ الاحتلال الفرنسي لموريتانيا عام ١٩٠٣م أخذ الفرنسيون يحبطون ثورات القبائل هناك إلى أن قامت الحرب العاليمة الثانية ودخلت قوات الحلفاء موريتانيا، ولما انتهت الحرب وعادت فرنسا لاستعمار هذا القطر العربي الشقيق أخذت الحركة الشعبية المطالبة بالاستقلال في النمو والاتساع حتى تحقق الحكم الذاتي عام ١٩٥٧ على يد مختار ولد داده، فصدر الدستور من نواكشوط يقضي بإعلان جمهورية موريتانيا في نوفمبر ١٩٥٨. وقد استخدم مختار ولد داده نفوذه السياسي والشعبي من إقناع فرنسا بالجلاء التام عن موريتانيا فتحقق لبلاده الاستقلال الكامل في نوفمبر ١٩٦٠

٩٣١ **استقلال الكويت** (١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م)

تأخر خروج الكويت عن النفوذ الاستعماري البريطاني إلى عام ١٩٦١، وذلك بسبب الأطماع البريطانية في بترول تلك الدولة العربية، بالرغم من أن الكويت كانت دولة عربية خليجية أولى في نيل الاستقلال. فلما زادت حركات التحرر والاستقلال في الدول العربية زاد الضغط على بريطانيا حتى تم جلاءُها عن الكويت وإعلان قيام دولة الكويت دولة مستقلة كاملة السيادة.

٩٣٢ فشل الوحدة بين مصر وسوريا (١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م)

خسر الاستعمار كثيراً بزوال حلف بغداد وبزيادة عدد الدول العربية التي خرجت من تحت النفوذ الاستعماري فركز أعداء الوحدة العربية جهودهم لزعزعة البنيان السياسي الوحدوي لكل من سوريا ومصر.

ولا شك أنه كان هناك أخطاء من جانب بعض القيادات السياسية والعسكرية في كلتا الدولتين.. تلك الأخطاء التي لم تعالج المعالجة الصحيحة بالسرعة الكافية، فقامت الحكومة السورية في ذلك الوقت ومن جانب واحد في ٢٨ سبتمبر عام ١٩٦١ بإعلان إنسحابها من الدولة الموحدة.

ولقد كان ذلك صدمة لآمال العرب جميعاً الذين نظروا في وقت من الأوقات إلى تلك الدولة الموحدة على أنها نواة للوحدة العربية الشاملة.

٩٣٣ استقلال جمهورية تنزانيا الإسلامية (١٣٨١هـ/ ١٩٦١م)

دخل الإسلام مناطق تانزانيا في القرن الثاني الهجري عن طريق التجارة المزدهرة التي انتشرت في شرق أفريقيا. وفي القرن الخامس عشر الميلادي تمكن البرتغاليون من السيطرة على سواحل تنزانيا بحرياً ثم تبعهم الألمان الذين احتلوها عام ١٨٨٥. وبهزيمة ألمانيا في الحرب العالمية دخلت تنزانيا تحت وصاية الأمم المتحدة حتى أعلن عن استقلالها في ٩ ديسمبر ١٩٦١م. ويبلغ عدد سكان تنزانيا اليوم حوالي ٢٦ مليون نسمة، يشكل المسلمون منهم حوالي النصف، ويشكل المسيحيون والوثنيون النصف الباقي.

٩٣٤ استقلال الجزائر (١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م)

إن استقلال الجزائر في ١٩ مارس ١٩٦٢م يرتبط إرتباطاً وثيقاً بكفاح حزب الشعب الذي أسسه (مصالي الحاج). فبالرغم من القمع الفرنسي الواسع النطاق لعناصر هذا الحزب ونفيهم إلى أفريقيا الاستوائية وتنفيذ مذبحة ٨ مايو ١٩٤٥م، إلا أن فرنسا لم تصمد أمام إرادة الشعب الذي استمرت ثورته وإضراباته حتى عام ١٩٦٢م بلا انقطاع. تلك الثورة التي كان يدعمها الجهد العربي، وازدياد الكراهية للاستعمار والصهيونية بعد عدوان عام ١٩٥٦م على مصر إلى أن خضعت الحكومة الفرنسية للمطالب المشروعة للشعب الجزائري

الشقيق، وأجرت المفاوضات مع قادته في مدينة إيفيان الفرنسية، حيث اعترفت فرنسا رسمياً بالجزائر دولة مستقلّة ذات سيادة، وإنهاء وجودها الاستعماري الذي بدأ عام ١٨٢٠م.

٩٣٥ نهاية نظام الأئمة وإعلان الجمهورية اليمنية (١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م)

إن أغلب فترات الحكم الإسلامي في اليمن كانت تعتمد في الأساس على دعم الأئمة اليمنيين وزعماء القبائل... ولقد استمر حكم الأئمة وسيطرتهم على شؤون الحياة في اليمن حتى أثناء الاحتلال البريطاني لليمن..

ولكن ذلك لم يستمر بعد أن أخذت أغلب البلدان العربية في نيل استقلالها، وزوال السلطة الاستعمارية. فقام المشير عبد الله السلال بحركة عسكرية ثورية تمكن فيها من إنهاء حكم الأئمة وإدخال اليمن في النظام السياسي الجمهوري (الجمهورية العربية اليمنية).

٩٣٦ إنشاء كلية البنات الإسلامية بالأزهر لدعم دور المرأة في المجتمع (١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م)

لأن الإسلام يُكن تقديراً كافياً للمرأة المسلمة، فقد اهتدى علماء الأزهر في العصر الحديث إلى ضرورة إبراز تقدير جامعتهم العريقة للفتاة التي تبغي العلم والمعارف الإسلامية.. فافتتحت كلية البنات الإسلامية التابعة لجامعة الأزهر سنة ١٩٦٢م لتكون منارة أخرى عالمية لتعليم الطالبات المسلمات المعارف بين أرجاء الأزهر وتحت رعاية علمائه.

ولقد تخرجت من تلك الكلية على مدى السنين عشرات الآلاف من الطالبات المسلمات ليس فقط من مصر والدول العربية، ولكن كذلك من العديد من البلاد الإسلامية التي تكن للأزهر كثير الاحترام وبالتالي زاد عدد المسلمات المتعلمات تعليماً راقياً راسخاً.

وتعتبر كلية البنات الإسلامية، أول كلية جامعية لتعليم البنات في العالم الإسلامي. وقد أتى إنشاؤها بعد عصور مظلمة عاشتها المرأة والمجتمع المصري بصفة عامة، مما أثر على الوضع الاجتماعي والثقافي وطبعه بطابع التخلف والجهل والخرافات.

٩٣٧ رجال حزب البعث يتولون الحكم في سوريا (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م)

بعد أقل من عامين على الإنفصال بين سوريا ومصر، قام انقلاب عسكري بالإطاحة بالحكم السوري في مارس عام ١٩٦٣م. وقد اتضح أن رجالاً يؤمنون بحزب البعث العربي هم الذين قاموا بذلك الانقلاب. وبالرغم من أن مؤسس الحزب هو ميشيل عفلق (ومساعده صلاح الدين البيطار) قد ظهر كقائد للبعث بعد الحرب العالمية الثانية، إلا أن وصول البعثيين إلى حكم سوريا أحدث خلافات مع عفلق، وخاصة مع الجناح الذي ينتمي إليه الشباب، فحدثت إنقلابات عديدة في سوريا كدليل على عدم الاستقرار إلى أن جاء الرئيس حافظ الأسد عام ١٩٧١ فقلل إلى حد كبير من سيطرة الأيديولوجية البعثية في الحكم وأخرج بلاده من عداوتها مع الكثير من الأنظمة العربية والأجنبية وسمح بتعدد واضح للقوى السياسية داخل البرلمان السوري مما أعطى لحكمه الاستمرارية والثبات النسبي.

٩٣٨ استقلال جمهورية ماليزيا الإسلامية (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م)

دخل الإسلام شبه جزيرة مالقا في القرن الخامس عشر عن طريق التجار الذين أسسوا مركزاً إسلامياً ضخماً هناك... ولكن البرتغاليين بعد الكشوف الجغرافية التي قاموا بها في ذلك الوقت وصلوا إلى مالقا واستولوا على القاعدة الإسلامية البحرية فيها (عام ١٥١١م) مما مكنهم من بسط نفوذهم على جنوب آسيا وجنوبها الغربي، ثم جاء من بعدهم الأسبان ثم الهولنديون ثم البريطانيون عام ١٨٦٧م. ولقد استمر الوجود البريطاني هناك حتى حصلت ماليزيا على استقلالها في ١٦ سبتمبر عام ١٩٦٣م.

٩٣٩ مؤتمر القمة العربي الأول في القاهرة (١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م)

عقد ذلك المؤتمر - وهو الأول من نوعه - في الثالث عشر من يناير عام ١٩٦٤م، عندما وجهت وزارة الخارجية المصرية لجميع حكومات الدول العربية الدعوة الرسمية لحضوره في مدينة القاهرة بناء على توجيه من الرئيس المصري جمال عبد الناصر لبحث الموقف الذي ينبغي أن تواجه به الدول العربية المؤامرة الإسرائيلية لتحويل مجرى نهر الأردن.

ولقد أصدر المؤتمر بياناً مطولاً أوضح فيه أنه (قد اتخذ القرارات العملية اللازمة لإتقاء الخطر الصهيوني الماثل سواء في الميدان الدفاعي أو الميدان الفني أو ميدان تنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره).

أما القرارات السرية لذلك المؤتمر فقد كانت تنصب على إنشاء القيادة العامة الموحدة لجيوش الدول العربية.

٩٤٠ صدور الميثاق القومي الفلسطيني (١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م)

صدر ذلك الميثاق التاريخي في ٢٨ مايو ١٩٦٤م ليعبر عن الكيان القومي للشعب الفلسطيني ودولته العربية المستقلة. وهو يتكون من ٢٩ مادة، نصت المادة الأولى منه على أن فلسطين وطن عربي تجمعه روابطه القومية العربية مع سائر الأقطار العربية التي تؤلف معها الوطن العربي الكبير. ونصت مادته السابعة عشر على أن تقسيم فلسطين الذين جرى عام ١٩٤٧م وقيام إسرائيل باطل من أساسه مهما طال عليه الزمن لمغايرته لإرادة الشعب الفلسطيني وحقه الطبيعي في وطنه ومناقضته للمبادىء العامة التي ينص عليها ميثاق الأمم المتحدة وفي مقدمتها حق تقرير المصير. ونصت مادته الثالثة والعشرين على: «تحقيقاً لأهداف هذا الميثاق ومبادئه تقوم منظمة التحرير الفلسطينية بدورها الكامل في تحرير فلسطين وفق النظام الأساسي لهذه المنظمة».

وفي العاشر من سبتمبر عام ١٩٦٤م وافق مؤتمر القمة العربي الثاني الذي عقد بمدينة الأسكندرية على أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني.

٩٤١ الفاتيكان يصدر وثيقة تبرئة اليهود ليضفي على الدولة الإسرائيلية القوة والشرعية (١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م)

استغل يهود العالم موقعهم الجديد بعد الحرب العالمية الثانية وهزيمة النازية، لكي يعلنوا للعالم أجمع أنه قد حان الوقت الذي يجب أن يتعاطف فيه الفاتيكان مع اليهود ويصدر وثيقة تبرئهم من خطاياهم مع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

فلقد كان الاعتقاد الذي ساد في العالم المسيحي أن اليهود في العصور المختلفة يجب أن ينبذوا نظراً لجريمتهم حيال السيد المسيح، ولقد اتخذت تلك حجة في سبيل اضطهاد اليهود في كل مكان.

ويبدو أن الفاتيكان قد رضخ لتلك الضغوط، فأصدر وثيقة تاريخية هامة جاء فيها: «يجب على الجميع أن يراعوا سواء عند تلقي الدين المسيحي أو نشر كلمة الله أو في المحادثات اليومية، عدم إظهار الشعب اليهودي كأنه ملعون، أو القيام بما يباعد بين الناس وبين اليهود. ويجب بالإضافة إلى ذلك أن نحرص أشد الحرص على ألا نعزو إلى يهود عصرنا هذا ما ارتكب من أعمال أيام عذاب المسيح».

إن تلك الوثيقة الهامة قد ساعدت بكل أسف شعوب العالم المسيحي في أوروبا وأمريكا على إقامة علاقات أفضل مع دولة إسرائيل، كدولة يتجمع فيها يهود العالم مما عاد بالمشاكل المتزايدة على العالم العربي والإسلامي.

٩٤٢ استقلال جمهورية جامبيا الإسلامية (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م)

دخل الإسلام أراضي جامبيا منذ القرن الثامن عشر الميلادي عندما كانت جامبيا من ضمن إمبراطورية مالي الإسلامية. واستمر الحكم الوطني هناك حتى عام ١٥٨٨م عندما سيطرت بريطانيا عليها، فكانت أول مستعمرة بريطانية في أفريقيا.

ولقد عانت جامبيا بشدة من اختطاف سكانها وتحويلهم إلى عبيد يباعون في أمريكا الشمالية في القرنين السادس عشر والسابع عشر. وبتزايد حركات الاستقلال التي اعقبت الحرب العالمية الثانية أعلن في ١٨ فبراير ١٩٦٥م عن استقلال جامبيا، ودخلت تلك الدولة في الكومنولث البريطاني عام ١٩٧٠م. وفي عام ١٩٧٧/ ١٩٧٨م عانت جامبيا من القحط والجفاف الشديدين فمات بسبب ذلك الآلاف من سكانها.

ويبلغ عدد سكان جمهورية جامبيا اليوم حوالي تسعمائة ألف نسمة يشكل المسلمون منهم نسبة ٩٠٪.

٩٤٣ إسرائيل تدمر قرية السموع بالأردن وتذبح سكانها (١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م)

استغلت إسرائيل التوتر السياسي في منطقة الشرق الأوسط وتزايد عمليات الفدائيين ضد معسكرات الجيش الإسرائيلي وقامت بشن هجوم بالمدرعات، واقتحمت قرية (السموع) المسالمة في الخليل بالأردن، وقتلت ما لا يقل عن مائتي مواطن من الأبرياء وأصابت أضعاف ذلك العدد، ثم قامت بتدمير ونسف كل معالم وبيوت القرية.

وعندما رفعت الدول العربية الأمر لمجلس الأمن أصدر قراراً شديد اللهجة (بدون أن يفرض عقوبات) يندد فيه بالممارسات القمعية الإرهابية من جانب إسرائيل. وعندما طالبت دول العالم الحكومة الإسرائيلية بالاعتذار، رفض وزير خارجيتها أبا إيبان ذلك!

٩٤٤ الحرب العربية الإسرائيلية الثانية (حرب الأيام الستة) (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م)

إن الاستقرار النسبي الذي ساد الدول العربية كان فرصة لتلك الدول في أن تسعى للنمو الاقتصادي والاجتماعي حتى تلحق بالدول المتقدمة في العالم. ولكن ألم يكن هدف الاستعمار القديم والحديث (وإن اختلفت صور هيمنته) هو العمل على ترسيخ تخلف الدول العربية والإسلامية؛ ألم يكن زرع إسرائيل في قلب العالم العربي ومدها بكل السبل الكافية لتكون دولة قوية عسكرياً تهدد العرب باستمرار هدفاً لأن يتحولوا لإنفاق مواردهم القليلة على السلاح لمواجهة خطرها فلا تتقدم ولا تزدهر؟!

لقد قامت تلك الدولة بالإتفاق مع الأمبريالية العالمية لتهيئة الأوضاع لهزيمة العرب، وإجهاض مشروعاتهم التنموية، فقامت بتهديد سوريا، فسارعت مصر بالوقوف مع سوريا وأغلقت خليج العقبة أمام السفن الإسرائيلية، فما كان من إسرائيل إلا أن شنت هجوماً عسكرياً واسع النطاق في ٥ يونيو ١٩٦٧م ضد سوريا والأردن ومصر. وتمكنت في ستة أيام من احتلال مرتفعات الجولان والضفة الغربية لنهر الأردن بما فيها مدينة القدس، وكذلك مجمل أراضي شبة جزيرة سيناء.

ولقد ساعدت الولايات المتحدة إسرائيل سياسياً وعسكرياً واقتصادياً من أجل تنفيذ ذلك. وحدثت من ناحية أخرى أخطاء جسيمة مؤكدة من قيادات عسكرية وسياسية عربية مما ألحق بالعرب أسوأ نكساتهم منذ قيام دولة إسرائيل.

وفي العاشر من يونيو صدر قرار من مجلس الأمن يحمل رقم ٢٤٢ يطلب وقف القتال. وقد كان ذلك القرار فضفاضاً بحيث تلاعبت به إسرائيل حتى يومنا هذا.

٩٤٥ قيام جمهورية جنوب اليمن (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م)

اهتز جنوب اليمن من قيام نظام جمهوري في اليمن الشمالي، ذلك النظام الذي دعمته مصر بالمال والسلاح والجنود. ولم يكن اليمن الجنوبي بلا ثوار ناقمين على الوجود الاستعماري البريطاني، وجاءت نكسة عام ١٩٦٧م وازدياد الكراهية للامبريالية والاستعمار المساندين لإسرائيل، فسارعت انجلترا بالخروج من المين الجنوبي. وكان ذلك في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧، فقامت هناك جمهورية جنوب اليمن الديمقراطية الشعبية.

٩٤٦ رجال حزب البعث يصلون إلى الحكم في العراق (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م)

بعد قيام الثورة العراقية عام ١٩٥٨ لم تتطور الحياة السياسية في العراق إلى الأفضل كثيراً. ولهذا، وبنجاح البعثيين في سوريا عام ١٩٦٣م، قام رجال حزب البعث في العراق بالإتفاق مع عدد من كبار قادة القوات المسلحة ومنهم العقيد عبد الرحمن داود، والعقيد حامد شهاب والعقيد عبد الرزاق النايف. ونجح الانقلاب في ١٧ يوليو عام ١٩٦٨م. ولكن سرعان ما سيطر المدنيون من حزب البعث على الأوضاع واستبعدوا العسكريين، وشكلوا مجلس قيادة الثورة الذي اعتبر ـ ولا يزال ـ أهم سلطة سياسية في العراق. وكان أحمد حسن البكر رئيساً للجمهورية منذ عام ١٩٦٨، ثم خلفه الرئيس صدام حسين في يوليو ١٩٧٩ بعد أن تنحى البكر عن الحكم.

وبالرغم من النكسات والهزات الشديدة التي تعرض لها حزب البعث

بسبب حروب العراق مع إيران، ثم مع قوات التحالف الدولي بعد قيام القوات العراقية باحتلال مجمل أراضي الكويت، إلا أن الحزب لا زال يبدو مسيطراً على الأوضاع.

٩٤٧ انتهاء الحكم الملكي في ليبيا (١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)

لم يكن الملك محمد إدريس السنوسي ملكاً ديكتاتوراً يمارس القمع، إلا أنه وافق على بقاء قواعد بريطانية وأمريكية على أراضي ليبيا، تلك القواعد التي استخدمت بصورة أو بأخرى لدعم العدوان على مصر عام ١٩٥٦م، وعلى مصر والأردن وسوريا عام ١٩٦٧م مما زاد من كراهية الشعوب العربية لبقاء تلك القواعد، فقام عدد من الضباط في القوات المسلحة الليبية بثورة عسكرية ناجحة في الأول من سبتمبر ١٩٦٩م أنهت الحكم الملكي، وأعلنت الدعوة العامة لإقامة وحدة عربية كاملة تضم كل الدول العربية. تلك الدعوة التي لم تتحقق حتى يومنا هذا.

٩٤٨ مذابح المسلمين الكبرى في الفلبين (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)

الفلبين دولة تتكون من أكثر من سبعة آلاف جزيرة يعيش فيها حوالي ستون مليوناً من البشر منهم ثمانية ملايين مسلم يتركزون في جزيرة ميناداناو وهي واحدة من أكبر الجزر هناك.

ولأن المسلمين أقلية منتجة نشطة ـ عن بقية السكان ـ فقد طمع حاكم الفلبين الديكتاتور ماركوس في ثروتهم وتجارتهم فاستغل اضطرابات محلية نادى فيها المسلمون بحقهم في بناء المساجد والمدارس والجامعات لتطوير مدنهم وقراهم والنهوض بأبنائهم وللارتفاع بالمستوى الاجتماعي والصحي لهم، وأخرج جيوشه وطائراته وأخذ في إبادة قرى وأحياء المسلمين وممتلكاتهم على مدى ثلاث سنوات متصلة حتى أفنى منهم قرابة نصف مليون مسلم.

ولقد جاءت تلك المذابح بعد مجيء المشورة العنصرية من المستشار الصهيوني لماركوس لشؤون الأقليات (اليساندي).

ولا شك أن تلك المذابح تشبه المذابح الدموية التي تعرض لها المسلمون

في الأندلس، وتلك التي تعرض لها سكان بغداد ودمشق على يد المغول والتتار في العصور الوسطى.

هذا... وجدير بالذكر أن الإسلام قد دخل الفلبيين في القرن السادس عشر الميلادي مع سفن المسلمين التجارية.

٩٤٩ استقلال عمان وظهور السلطان قابوس (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)

إن استقلال سلطنة عمان المتأخر لم يكن سببه قلة النشاط المعادي للوجود الاستعماري بل على العكس جاء نتيجة القمع البريطاني الشديد للشعب العماني الشقيق وقيادته الشعبية، وذلك لما تتمتع به عمان من موقع جغرافي ممتاز على بحر العرب من ناحية ومدخل الخليج العربي من ناحية أخرى. ولما زادت الضغوط الشعبية العمانية بمساندة الدول العربية ودول العالم المختلفة على بريطانيا، ولما زادت كراهية الغرب بعد مساعدته لإسرائيل في عدوانها عام ١٩٦٧م قامت بريطانيا بتوقيع إتفاقية للجلاء عن عمان وإعلان استقلالها رسمياً. وأصبح السلطان قابوس هو مؤسس سلطنة عُمان الحديثة.

٩٥٠ الصدام الفلسطيني الأردني (الحرب الأهلية في الأردن) (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)

إن الفلسطينيين الذين هاجروا إلى الأردن بعد حرب عام ١٩٦٧م أخذوا يشكلون جماعات ومنظمات مسلحة تقوم بعمليات هجوم مستمرة في الأراضي العربية الواقعة تحت الاحتلال الصهيوني، ولما كانت تلك العمليات تخرج وتنطلق ويخطط لها من الأراضي الأردنية فإن إسرائيل أخذت تهدد الأردن وتهاجمه بالطائرات والمدفعية على أساس رعايته لتلك الجماعات الفلسطينية.

ويبدو أن الأمر تطور إلى مرحلة الخطر خاصة في العاصمة الأردنية عمّان والمناطق المحيطة بها، فاندلعت عمليات عسكرية دموية واسعة النطاق من قبل الجيش الأردني ضد الفلسطينيين في سبتمبر ١٩٧٠م. فلم يتمكن الفلسطينيون من الصمود فمات منهم المئات مما جعل الحكومة المصرية تطلب عقد اجتماع للزعماء العرب في القاهرة لمناقشة كيفية إنهاء الحرب الأهلية في الأردن وإنقاذ

القوات الفلسطينية من الإبادة والهلاك. وقد تم التوصل إلى انتقال العناصر الفلسطينية المسلحة إلى قواعد في سوريا وجنوب لبنان على أن ترعى الحكومة الأردنية أُسر المقاتلين الفلسطينيين وتوفر لهم الرعاية الاجتماعية والصحية اللازمة.

ولقد أتت تلك الحرب الأهلية لتمثل جزءاً من الآلام العربية التي نتجت بعد نكسة يوليو عام ١٩٦٧م، وتصميم العرب على الصمود ورد الحياة للكرامة العربية.. ولكن ذلك احتاج إلى ثلاثة أعوام أخرى.

٩٥١ نهاية الحكم الناصري في مصر (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)

اعتمد الفكر الناصري على إحياء فكرة القومية العربية ومناهضته الدول الاستعمارية ومن يرتبط بها، والتصميم المستمر على إنهاء الكيان الصهيوني في فلسطين والأخذ بيد الطبقات الفقيرة في الوطن العربي.

ومع ذلك فلقد وجهت اتهامات شديدة للناصريين خاصة في حقبة الستينيات لانتهاكها لحقوق الإنسان وسيطرة العسكريين على المقاليد السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلاد. كما جاءت نكسة يونيو عام ١٩٦٧ لتحطم آمال جمال عبد الناصر شخصياً... فهو لم يستطع الاعتماد على أقرب معاونيه الذين أعطاهم ثقته. وربما يكون انغماسه المستمر لتصحيح الأخطاء التي ارتكبت سبباً في الإجهاد الذي أصابه والذي تطور إلى المرض. فلما جاءت الحرب الأهلية بين الأردنيين والفلسطينيين زادت آلامه وحزنه وضعفت مقاومته إلى أن توفي نتيجة أزمة قلبية في مساء الثامن والعشرين من سبتمبر عام ١٩٧٠، فانتهى عهده في حكم مصر الذي استمر رسمياً منذ ١٦ يناير عام ١٩٥٦م.

٩٥٢ هزيمة باكستان في الحرب ضد الهند (١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)

ظل الجزء الشرقي من باكستان في حالة اضطراب بالرغم من تمثيله في البرلمان الباكستاني، فظهر حزب عوامي الذي طالب بحكم ذاتي محلي لباكستان الشرقية. وفي انتخابات أجريت في ديسمبر ١٩٧٠م نجح الحزب في التمثيل البرلماني مما عجل بضرورة وضع دستور جديد، ولكن الجنرال محمد يحيى

أوقف البرلمان عن العمل في مارس ١٩٧١م، فاندلعت المظاهرات وأعمال العنف. وفي ذات الشهر تدخلت قوات من الجيش في الجانب الشرقي من باكستان، مما دعا الشرقيين الذين يتلقون المساعدة من الهند بإعلان استقلال دولتهم التي سموها بنجلادش. وعلى مدى أشهر من أعمال العنف الشديدة سقط عشرات الآلاف قتلى، وهاجر عشرة ملايين شرقي إلى الهند التي تضررت من تلك الهجرة الكثيفة فهاجمت المواقع العسكرية الباكستانية في الشرق والغرب معاً، وألحقت بباكستان هزيمة سريعة، وفي ديسمبر ١٩٧١ استسلمت القوات الباكستانية في الشرق وجرت مباحثات تمخضت عن توقيع إتفاقية لسحب القوات من يوليو ١٩٧٢م.

٩٥٣ افتتاح السد العالي أكبر مشروع كهرومائي في الشرق الأوسط

(١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)

كانت حاجة مصر إلى المزيد من المحاصيل والمياه والكهرباء قد تزايدت في نهاية عقد الخمسينيات من القرن العشرين بحيث أنها أصبحت مضطرة إلى الاقتراض لكي تنفذ الفكرة القديمة ببناء سد ضخم في الجنوب من أسوان. فلما رفضت الدول الاستعمارية في ذلك الوقت تمويل المشروع، لجأت الحكومة المصرية إلى الاتحاد السوفياتي - الذي كان يعرض خدماته للدول النامية لمنافسة الغرب - الذي قام بتمويل المشروع ونفذه على مدار عشرة أعوام. وفي عام ١٩٧١م، افتتح الرئيس المصري أنور السادات مشروع السد العالي الذي كان في ذلك الوقت أكبر سد في أفريقيا، وواحداً من أكبر عشرة سدود في العالم.

ولقد استفادت مصر حقيقة من بناء ذلك المشروع العملاق لأنه أمدها بكميات ضخمة من المياه التي تروي أكثر من مليون ونصف مليون فدان في الوجه القبلي، وأمدها كذلك بكميات ضخمة من الكهرباء التي استخدمت لإنارة القرى وتشغيل المصانع.

٩٥٤ استقلال إمارات الخليج العربية (١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)

أخذت إمارات الخليج العربي في العمل الموحد لنيل الاستقلال عن

بريطانيا منذ أوائل الستينيات، ولكن بريطانيا كانت ترفض ذلك إلى أن تشكلت الضغوط السياسية الدولية على بريطانيا فأعلنت انسحابها من أراضي تلك الإمارات فظهرت بذلك إلى الوجود الإمارات العربية المتحدة، دولة عربية مستقلة كاملة السيادة في الثاني من ديسمبر عام ١٩٧١م.

وجدير بالذكر أن دولة الإمارات العربية هي اتحاد يتضمن الولايات السبع التالية: أبو ظبي - الشارقة - دبي - رأس الخيمة - أم القوين - الفجيرة - عجمان.

٩٥٥ الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة (حرب أكتوبر المجيدة) (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)

في ظهر يوم السادس من اكتوبر (العاشر من رمضان) قامت القوات المسلحة في مصر وسوريا (بمشاركة وحدات من عدد من الدول العربية الشقيقة) بهجوم عسكري واسع النطاق ضد القوات الإسرائيلية في سيناء ومرتفعات الجولان. وبنهاية اليوم الأول من القتال كانت إسرائيل تستغيث بالغرب من وقع الصدمة والخسائر وشدة البلاء الذي ألم بها.. وبتطور القتال تمكن الجندي المصري من تدمير خط بارليف الحصين شرقي القناة وأسر المئات من الجنود الإسرائيليين، بينما كان الجندي السوري يعبر كافة المواقع والتحصينات الإسرائيلية في الجولان.

ولقد فوجىء العالم كله بشجاعة واستبسال الجندي العربي ومدى ذكائه وقدرته على استخدام السلاح الحديث، وقدرة قادته على التخطيط والإدارة ومعرفة أسرار العدو. ولقد انتهت الحرب فعلياً في الرابع والعشرين من اكتوبر، وبدا للعالم كله أن ما حققته الجيوش العربية في ميدان القتال يفوق بكثير ما حققه الجانب الإسرائيلي حيث أدت الحرب إلى انهيار نظرية الدفاع الإسرائيلية التي تقوم على التوسع، وعلى عودة الثقة في المؤسسات العسكرية العربية، وإلى انهيار الحكومة الإسرائيلية وانعدام الثقة بين اليهود ومن يحكمونهم. تلك الثقة التي كانت قد ظهرت وارتفعت إلى حد الوهم بعد انتصار إسرائيل في حرب عام ١٩٦٧م. هذا وقد أخذت مصر وسوريا في الإعداد لهذا العمل الكبير بعد

نكسة يونيو ١٩٦٧م، فهيأت كافة المؤسسات المدنية والحربية لخدمة المجهود الحربي والإعداد للمعركة الفاصلة، وتم استيراد كميات هائلة من السلاح السوفياتي المتطور، واستثمار المناخ السياسي والدبلوماسي الدولي ليكون في خدمة القضية العربية.

وتعتبر حرب اكتوبر ١٩٧٣ م أفضل معركة خاضها العرب في تاريخهم الحديث ضد إسرائيل، وواحدة من أهم معاركهم في التاريخ العربي الطويل.

وكانت السنوات الثلاث الأولى بعد نكسة عام ١٩٦٧ م قد شهدت عمليات عسكرية مستمرة وخاصة على جبهة قناة السويس سميت بحرب الاستنزاف، حيث أخذت مصر تكيل الضربات الموجعة ليل نهار في مناطق مختارة بعناية أحدثت في القوات الإسرائيلية خسائر فاقت ما خسرته إبان حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ م، مما يجعل من المحال فصل حرب الاستنزاف عن حرب اكتوبر بأي صورة من الصور. فلولا حرب الاستنزاف ما كانت حرب اكتوبر.

٩٥٦ حظر البترول العربي عن الغرب (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)

بعد تطور الأوضاع العسكرية في جبهات القتال ضد إسرائيل وتدخل الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية مباشرة لتوريد السلاح والمعدات العسكرية والمرتزقة إلى إسرائيل. سارعت الدول العربية المنتجة للبترول وعلى رأسها المملكة العربية السعودية (وكان يرأسها الملك العربي الأصيل فيصل رحمه الله) بوقف تصدير البترول ومنتجاته للولايات التحدة الأمريكية وبعض الدول الأوروبية مثل هولندا والبرتغال، وتخفيض كميات تصديره لدول أوروبية أخرى في التاسع عشر من اكتوبر ١٩٧٣ م.

ولا شك أن تلك الخطوة عبرت عن المعنى العظيم للأخوة العربية، وساعدت مساعدة مباشرة فعالة على إفهام الغرب بأن العرب ليسوا دولاً متفرقة. ولقد استمر ذلك الحظر سارياً حتى تم رفعه في الثامن عشر من مارس عام ١٩٧٤ م.

٩٥٧ اغتيال الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)

في الثاني عشر من شهر ربيع الأول (٢٥ مارس ١٩٧٥) وبينما الملك فيصل بن عبد العزيز يمارس أعماله اليومية الرسمية انتفض من مجلسه ابن شقيقه الأمير فيصل بن مساعد بن عبد العزيز وأطلق الرصاص عليه فأصيب بإصابات قاتله ثم توفي بمستشفى الرياض المركزي.

ولقد انتشر خبر اغتيال الملك فيصل في كل أنحاء العالم بسرعة، وذلك لدوره وريادته في العالمين العربي والإسلامي وخاصة إبان حرب رمضان (اكتوبر) المجيدة ومساندته للحقوق المشروعة للعرب ضد إسرائيل والحكومات المدعمة لها في الغرب، حيث لم يتردد لحظة في منع تصدير البترول إليها بعد تماديها في مساعدة العدوان. وليس غريباً أن يصفه السفير الإسرائيلي في واشنطن بأنه كان يريد إسرائيل وهي محطمة.

ولقد ساد حزن كبير في كل بيت عربي من المحيط إلى الخليج على فقد ذلك الزعيم العربي الكبير، واستنكر الجميع تلك الجريمة التي قام بها شخص (مختل الشعور) يفتقد إلى سلامة الحس الوطني والقومي في وقت كانت الأمة العربية في أمس الحاجة إلى عبقرية وحكمة رجل في مثل مكانة الملك فيصل.

٩٥٨ إعادة افتتاح قناة السويس للملاحة الدولية (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)

بعد توقيع اتفاقية فصل القوات المصرية الإسرائيلية الأولى في يناير ١٩٧٤م وقيام الجيش الإسرائيلي بالانسحاب لمسافة ثلاثين كيلومتراً إلى الشرق من قناة السويس، قامت الحكومة المصرية بعملية واسعة النطاق لتطهير المجرى الملاحي لقناة السويس من كافة الموانع والعوائق والألغام والسفن المحطمة الموجودة بها منذ عام ١٩٦٧م.

ولقد شاركت في تلك العملية وحدات بحرية مصرية وفرنسية وبريطانية وأمريكية إلى أن تم تطهير القناة بالكامل، ودعت الحكومة المصرية بعض الشخصيات العالمية لكي تحضر إعادة افتتاح قناة السويس وكان ذلك في الخامس من يونيه عام ١٩٧٥م. ولم تكن قناة السويس فقط هي التي أعيدت

لها الحياة بعد إغلاقها إثر عدوان عام ١٩٦٧م، ولكن عادت الحياة مرة أخرى لمدن القناة التاريخية الهامة الثلاث: بور سعيد والإسماعيلية والسويس حيث رجع للسكن فيها قرابة المليون مواطن بعد أن أعيد تعمير تلك المدن.

٩٥٩ **الحرب الأهلية اللبنانية** (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)

بدأت الحرب الأهلية اللبنانية بقيام إسرائيل باصطناع الفتنة متحالفة مع فصائل لبنانية إنعزالية بغية قيام دولة لبنانية مستقلة في جنوب لبنان تحميها إسرائيل. وقد ترتب على ذلك قيام تلك الفصائل بالتحرش بالجيش اللبناني والحركة الوطنية اللبنانية ثم بمنظمة التحرير الفلسطينية التي اتخذت من لبنان موطناً للجوء فيه بعد خروجها من الأردن في عام ١٩٧٠م.

ولقد استفادت إسرائيل من ذلك، حيث أضعفت جميع خصومها في لبنان وسيطرت على مياه نهر الليطاني.

ولقد تطورت الحرب بصورة مروعة حتى أكلت البنيان الاقتصادي والاجتماعي والسياسي اللبناني بأكمله، فقتل الآلاف من المدنيين واغتيل زعماء سياسيون لبنانيون وكانت إسرائيل تستغل ذلك كله فتقوم بغارات جوية أو حملات عسكرية برية لتدمير المنازل والجسور والمصانع وحرق البساتين والحقول. وبالرغم من ذلك فقد قام الوطنيون اللبنانيون والفلسطينيون بهجمات اتسمت بالبسالة ضد الدولة الصهيونية مكبدة إياها الخسائر الشديدة التي أوضحت لها أن الاحتلال يجب أن يزول، وأن القمع لن يستمر وأن العنف يرد عليه بالعنف.

٩٦٠ **استقلال جيبوتي** (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)

خضعت المناطق الجغرافية المكونة لجمهورية جيبوتي اليوم إلى الاحتلال الفرنسي منذ منتصف القرن التاسع عشر تقريباً.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية رفضت فرنسا منح جيبوتي الاستقلال إلى أن تم استقلال الصومال فتنازعته كل من أثيوبيا والصومال، كل تبغي ضم ذلك الإقليم بالكامل إلى أراضيها وذلك لأن جزءاً من الإقليم ويسمى (عفار) به

سكان كانوا يرتبطون تجارياً بأثيوبيا، بينما سكان الجزء الآخر من الإقليم ويسمى (عيسى) كانوا يرتبطون بالصومال. ولكن لما أجريت الاستفتاءات بدا واضحاً أن أغلبية سكان جيبوتي يرغبون في الاستقلال، فتم ذلك لهم في ٢٧ يونيه ١٩٧٧م.

٩٦١ السادات يزور إسرائيل ويعرض عليها السلام (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م)

بعد انتهاء حرب اكتوبر قامت الولايات المتحدة بعرض ثلاث اتفاقيات لفصل القوات بين إسرائيل من ناحية ومصر وسوريا من ناحية أخرى. كانت الأولى في ١٨ يناير ١٩٧٤م والتي انسحبت فيها إسرائيل إلى الشرق من قناة السويس، وبقاء القوات المصرية في مواقعها شرقي القناة. أما مع سوريا فوقعت الاتفاقية في الأول من يونيو ١٩٧٥م حيث انسحبت إسرائيل من بعض الأراضي التي كانت قد احتلتها في حربي عام ١٩٦٧م وعام ١٩٧٣م، ثم كانت الاتفاقية الثانية مع مصر عام ٧٦ حيث انسحبت إسرائيل إلى داخل سيناء عند الممرات الجبلية الهامة هناك.

ومع ذلك فقد أخذت مصر تنفق مبالغ ضخمة على إعادة التسليح لمواجهة العدو مما شكل ارهاقاً لميزانية البلاد وكان ذلك سبباً في ازدياد صعوبة الحياة بالنسبة لفقراء مصر فقاموا بمظاهرات عنيفة في مدن مصر الهامة مما دفع أنور السادات إلى البحث عن وسيلة لتخفيف العبء عن الميزانية. ولم يكن هناك من وسيلة للخروج من هذا المأزق ـ بعد أن رفضت بعض الدول العربية مساعدة مصر ـ سوى عرض السلام على إسرائيل. فسافر إلى القدس ليلقي خطاباً بالغ الأهمية أمام العالم في العشرين من نوفمبر عام ١٩٧٧ قال فيه: «إذا كان الله قد كتب لي قدري أن أتولي المسؤولية عن شعب مصر وأن أشارك في مسؤولية المصير بالنسبة للشعب العربي وشعب فلسطين، فإن أول واجبات هذه المسؤولية أن أستنفذ كل السبل لكي أجنب شعبي المصري العربي، وكل الشعب العربي، ويلات حروب أخرى محطمة، مدمرة، لا يعلم مداها إلا الله».

ويذكر أنه كان هناك مؤتمران دوليان ـ قبل زيارة السادات للقدس ـ قد فشلا في تقرير أي نوع من السلام بين العرب وإسرائيل بالرغم من أن أغلب

الدول العربية لم تحضر هذين المؤتمرين اللذين عقدا في ديسمبر ١٩٧٣م بجنيف، وفي اكتوبر ١٩٧٧م في القاهرة.

٩٦٢ الإطاحة بالنظام الملكي في أفغانستان (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)

تدهورت الأوضاع السياسية والاقتصادية في أفغانستان مما أدى إلى ظهور الحزب الشيوعي الأفغانستاني الذي أخذ يضغط على الحكومة وتمكن من النجاح في قلب نظام الحكم هناك في أبريل عام ١٩٧٨م، فهب الاتحاد السوفياتي بتأييد الحكم الجديد ومده بالمساعدات العسكرية التي تطورت إلى تدخل عسكري شامل في ديسمبر ١٩٧٩م، حيث بدأت حرب أهلية شرسة بين القوات الشيوعية الأفغانية الحكومية يدعمها الجيش السوفياتي وبين المجاهدين الأفغان، استمرت حتى عام ١٩٩٠م عندما أصدر الرئيس السوفياتي جورباتشوف قراراً بسحب القوات السوفياتية المسلحة من أفغانستان ولكن بعد أن كانت الحرب قد أودت بحياة حوالي مليون مسلم.

ولا يزال عدم الاستقرار السياسي والأمني يسيطر على البلاد الأفغانية حتى يومنا هذا.

٩٦٣ تأسيس المركز الإسلامي بإسبانيا بعد خمسمائة عام من الاضطهاد (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)

تطور عمل الجمعية الإسلامية في إسبانيا التي تأسست من طلبة مغاربة مسلمين يعيشون في إسبانيا عام ١٩٦٦م بغرناطة وذلك بعد تزايد أعداد المسلمين هناك ووصوله إلى ربع مليون نسمة عام ١٩٦٠م مما أتاح الفرصة إلى أن يقوم جانب من قدامى مؤسسي تلك الجمعية عام ١٩٧٨م بتكوين ما يعرف الآن بالمركز الإسلامي بإسبانيا ومقره مدينة مدريد، والذي يعد من أهم أنشطته نشر الدين الإسلامي في المدن الإسبانية وتقويته بين المسلمين الذين يعيشون هناك عن طريق المحاضرات والكتب والمجلات.

٩٦٤ مؤتمر كامب ديفيد للسلام بين مصر وإسرائيل (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م)

استمرت الولايات المتحدة الأمريكية في محاولتها التقريب بين وجهات

النظر لحكومتي مصر وإسرائيل بعد زيارة القدس التي قام بها الرئيس المصري أنور السادات. فدعا الرئيس الأمريكي كارتر كلاً من الرئيس السادات ومناحيم بيجين رئيس وزراء إسرائيل إلى عقد سلسلة من الاجتماعات في استراحة الرئاسة الأمريكية بكامب ديفيد استمرت من ٥ إلى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨م. وفي أعقابها صدر بيان رسمي يذيع على العالم بنود اتفاقية كامب ديفيد التي نصت على إنهاء حالة الحرب بين مصر وإسرائيل، وانسحاب إسرائيل من كامل شبه جزيرة سيناء، والعمل على حل مشاكل الشعب الفلسطيني وضمان حقوقه عن طريق إقامة الحكم الذاتي.

٩٦٥ الثورة الإسلامية في إيران (١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م)

منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وإيران تعيش في حالة عدم استقرار سياسي لم يجد الشاه محمد رضى بهلوي من وسيلة لقمعها سوى البطش بكل خصومه حتى بلغ عدد الاعدامات في حقبة السبعينيات المئات مما زاد الأوضاع سوءاً، فحدثت مظاهرات من المسلمين الأصوليين عام ١٩٧٨م. فقام الشاه بفرض الأحكام العرفية في اثنتي عشر مدينة في شهر سبتمبر من نفس العام، ثم أقام حكومة عسكرية للسيطرة على الأوضاع، وللقضاء على إضراب عمال النفط. ولكن تلك الأساليب لم تنجح كذلك فزادت أعمال العنف بين السلطات وبين المتظاهرين وأدى ذلك بدوره إلى تغيير ثلاث وزارات في نصف عام فقط، حتى جاء رئيس الوزراء الأخير شهبور بختيار، والذي يئس الشاه في عهده من إصلاح الأمور فخرج من إيران هو وأسرته في ١٦ يناير ١٩٧٩م، ولكن أعمال العنف والتظاهر والإضراب استمرت حتى شكل الزعيم الديني آية الله الخميني حكومة محلية لتساعده على العودة من المنفى الاختياري في فرنسا، والتي حدثت في ٣١ يناير ١٩٧٩م.

ولقد استمرت المواجهات الدموية بين حكومة بختيار وبين الثوار الموالين للزعيم الديني الخميني حتى سقطت حكومة بختيار وتحول جنود الأمن الحكوميون إلى صفوف الثوار بدلاً من قتالهم. وكان ذلك في ١١ فبراير ١٩٧٩ حيث قام الخميني بتعيين أول رئيس وزراء للدولة الإسلامية الشيعية في إيران

وهو مهدي بذرجان.

وتعتبر الثورة الإيرانية واحدة من أهم الثورات الشعبية في التاريخ الحديث لأنها حظيت بكل صفات الثورات الشعبية التاريخية في العالم، وهي وجود القيادة والتنظيم والهدف والاستعداد للتضحية. ولكن بلا شك فقد كان للثورة ضحايا بالآلاف، حيث استمرت تلك الثورة تقضي على كل من اعتبرتهم خصومها مستخدمة الوسائل المباشرة مثل الإعدام والاغتيال حتى خلت الساحة السياسية في إيران تقريباً من كل المعارضين السياسيين. وبقى الآن أن تثبت تلك الثورة الإسلامية قدرة النخبة الحاكمة على بناء مجتمع متقدم يتمتع بالرفاهية حتى تصبح نموذجاً لدول أخرى مشابهة.. وهذا ما لم يحدث حتى الآن.

٩٦٦ توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل (١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م)

بعد سلسلة متصلة من المفاوضات بين الوفود الحكومية لكل من مصر وإسرائيل لتوقيع اتفاقات كامب ديفيد، توصل الجانبان في ٢٦ مارس ١٩٧٩م إلى توقيع معاهدة السلام في العاصمة الأمريكية واشنطن. تلك المعاهدة التي تتكون من ديباجة وتسعة مواد وسبعة ملاحق. وتنص على إنهاء حالة الحرب بين الطرفين، وأن يتعهد الطرفان بالامتناع عن التهديد باستخدام القوة أو اللجوء إليها. ويتفق الطرفان على تمركز أفراد من الأمم المتحدة في مناطق محددة بالملاحق المرفقة، ولا يتم سحب هؤلاء الأفراد إلا بموافقة مجلس الأمن بما في ذلك التصويت الإيجابي للأعضاء الخمسة الدائمين بالمجلس. وأن يتعهد الطرفان بعدم الدخول في أي التزام يتعارض مع هذه المعاهدة، وأن يتم إقامة مناطق منزوعة ومحدودة السلاح على جانبي الحدود الدولية بعمق أكثر في شبه جزيرة سيناء عنه في صحراء النقب.

ولقد تباينت ردود الفعل إزاء تلك المعاهدة.. فقد عارضتها أغلب الحكومات العربية.. أما في مصر فقد قبلها الناس بصفة عامة على أساس كونها وسيلة ـ كما وعد السادات الشعب ـ لإنهاء المشاكل الاقتصادية التي وعد بالقضاء عليها... وفي الحقيقة فإنه لم يتمكن من القضاء السريع على المشاكل الاقتصادية مما زاد في عمق الخلاف بينه وبين معارضيه.

٩٦٧ إسلاميون أصوليون يستولون على الحرم المكي الشريف (١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م)

جاءت الثورة الإسلامية الشيعية في إيران وتدخل الاتحاد السوفياتي في أفغانستان لكي يزداد التهديد الكبير للدول العربية المطلة على الخليج العربي، مما شجع بعض المتطرفين في السعودية على استخدام العنف.

لقد قامت تلك الجماعات في ٢٠ نوفمبر ١٩٧٩م بدخول المسجد المكي الشريف واحتلاله من الداخل والسيطرة على المصليين الآمنين وأعلنوا شعارات متطرفة وأطلقوا النار بداخل الحرم مما شكل تشويهاً متعمداً لصورة الإسلام في الخارج. فلم تجد السلطات السعودية بداً إلا أن قامت بمحاصرة المكان ودارت بينها وبين المعتدين معارك دموية واسعة النطاق تمكنت بعدها من تحرير المسجد الحرام وتطهيره من الذين احتلوه وتسببوا في منع الصلاة بداخله.

٩٦٨ اندلاع الحرب بين العراق وإيران (١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م)

وقعت الحرب الشرسة بين العراق وإيران في ٢٢ سبتمبر عام ١٩٨٠م، وكان سببها المعلن النزاع بين البلدين على منطقة شط العرب الذي كانت إتفاقية بشأن تقسيمه بين البلدين قد وقعت في الجزائر عام ١٩٧٥م. ولا يمكن معرفة من الذي بدأ بالقتال بالرغم من أن ذلك ليس مهماً في حد ذاته لأن درجة العداوة بينهما تعود إلى العصور الوسطى والنزاع بين الدولة الصفوية والعثمانية في سبيل السُيطرة على العراق. كذلك فإن المناوشات بين الطرفين على الحدود كانت تحدث بصفة يومية وعلى صورة مصغرة لا يمكن وصفها بأنها تشكل خطراً أساسياً.

ومهما كان الأمر، فقد شنت القوات العراقية هجمات منظمة كبرى على جنوب غرب إيران واحتلت مدناً هناك منها خرّامشهر.. وقام السلاح الجوي والصاروخي لكلا البلدين بضرب عاصمة الطرف الآخر مما دفع بالعدواة قدماً، فاستمرت الحرب على مدى حوالي ثمانية أعوام تأكل من اقتصاد الشعبين، بينما سقط مئات الآلاف قتلى وجرحى حتى انتهت في أغسطس ١٩٨٠م بعد موافقة الدولتين على قرار من الأمم المتحدة في هذا الصدد.

٩٦٩ إسرائيل تدمر المفاعل النووي العراقي (١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م)

في ٧ يونيو ١٩٨١ قامت أربع عشرة طائرة إسرائيلية بتدمير المفاعل النووي العراقي (تموز) الواقع إلى الجنوب من العاصمة العراقية بغداد بعد رحلة اخترقت فيها تلك الطائرات المجال الجوي لثلاث دول عربية واستغرقت ثلاث ساعات.

ولقد صدم العرب والمسلمون شعوباً وحكومات من هذا الفعل الإجرامي الذي قامت به إسرائيل.. ولكن الصدمة تحولت إلى لا شيء أكثر من التنديد، علماً بأن إسرائيل قامت بذلك مستخدمة سلاحاً أمريكياً يحرم القانون الأمريكي استخدامه في عمليات هجومية. ولقد أبدى الرئيس الأمريكي رونالد ريجان سروره من ذلك ووصف العملية بأنها اتصفت بالجسارة والمهارة.

وجدير بالذكر أن إسرائيل كانت تتابع عن كثب قيام العراق ببناء ذلك المفاعل وحاولت بشتى الطرق قتل علمائه ومنع حكومتي إيطاليا وفرنسا من بنائه. ثم عندما اقترب المفاعل من موعد افتتاحه قامت بتدميره، فأحبطت جهود وأموال ووقت دولة عربية شقيقة حاولت أن تزيل الفجوة التكنولوجية بين العرب والعالم المتقدم، تلك الفجوة التي تحاول دوائر غربية وصهيونية إبقاءها وزيادتها وتعميقها حتى لا تقوم للعرب قائمة.

٩٧٠ اغتيال الرئيس المصري أنور السادات (١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م)

أثناء قيام الرئيس المصري السابق محمد أنور السادات بحضور ومشاهدة عرض عسكري خرج من طابور العربات العسكرية أربعة من العسكريين وقذفوا المنصة التي جلس فيها السادات وكبار موافقيه بوابل من المتفجرات ورصاص البنادق الآلية، وما هي إلا لحظات حتى قتل السادات.

ولقد أذيع فيما بعد أن هناك تنظيماً إسلامياً معادياً لحكم السادات يدعى تنظيم الجهاد هو الذي خطط ونفذ عملية الاغتيال.

وإذا كان قائد التنظيم وكبار معاونيه من المدنيين، فإن الذين نفذوا العملية هم من العسكريين مما أضفى خطورة مضاعفة على الوضع الأمني والسياسي في مصر.

وبعد الاغتيال بيوم واحد اندلعت أعمال عنف بالغة الخطورة في مدينة أسيوط حيث هاجم أعضاء لا يعرف عددهم الحقيقي مديرية الأمن العام هناك وقتلوا فيها وحولها حوالي مائة من ضباط وجنود الأمن بمن فيهم مدير أمن محافظة أسيوط ونائبه واحتلوا المبنى لبعض الوقت إلى أن تم للحكومة السيطرة على الوضع.

وتعد عملية اغتيال الرئيس السابق السادات واحدة من أخطر عمليات الاغتيال السياسي في تاريخ مصر المعاصر. وقد جاءت بعد تصاعد سريع وخطير لأعمال العنف بين الأصوليين من المسلمين والأقباط، وقيام السادات باعتقال حوالي ألفين من كبار الرموز السياسية والاجتماعية والاقتصادية في مصر. وجاءت أيضاً بعد قيام السادات بتوقيع معاهدة السلام مع الحكومة الإسرائيلة ومقاطعة أغلب الدول العربية لها بالرغم من أنها أعادت سيناء إلى مصر (حيث انسحبت إسرائيل كلياً منها عام ١٩٨٢م) ومهما كان الأمر فقد انتهت بذلك أيام السادات في الحكم وطويت صفحته. ولا بد هنا من الإشارة إلى أن السادات هو الرجل الذي قاد العرب في إحراز نصر اكتوبر على الدولة الإسرائيلية عام ١٩٧٣م، وهو الذي فتح الباب لممارسة الأحزاب لحقوقها السياسية، وأخرج المعتقلين السياسيين وخاصة من جماعة الإخوان المسلمين من السجون بعد أن سجنوا وعذبوا في عصر الرئيس عبد الناصر بعد أن تصادموا مع سياساته. ومع ذلك فقد ارتبط حكم السادات بدرجات واضحة من الفساد الحكومي وتراكم الديون وانتشار المخدرات وزيادة عدد الفقراء.. ومات والعلاقات بين مصر ومعظم الدول العربية مقطوعة.

٩٧١ إسرائيل تعتدي على لبنان وتحاصر العاصمة بيروت وتذبح سكان مخيمي صبرا وشاتيلا (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م)

استمرت الحرب الأهلية اللبنانية منذ عام ١٩٧٥م وحتى عام ١٩٨٢ دون توقف.. وضاع أمل إسرائيل ـ مع ذلك ـ في استتباب الأمن على حدودها الشمالية والتي كانت تعتقد أن الحرب الأهلية في لبنان ستبعد عنها الأخطار. فقد تكررت الهجمات الفدائية البطولية على الدولة الصهيونية مما دفع الحكومة

الإسرائيلية لاستغلال الفرصة والتصريح بأنها ستتخذ من القدس عاصمة أبدية موحدة لها (يوليو ١٩٨٠) وذلك لإضعاف الروح الجهادية لدى العرب. فقام العرب بتحذير أية دولة في العالم تعترف بذلك القرار وتنقل سفارتها للمدينة فمات القرار دولياً. فما كان من إسرائيل إلا أن حشدت قوات عسكرية ضخمة مسلحة بكل أنواع السلاح الحديث واقتحمت جمهورية لبنان من البر والبحر والجو حتى حاصرت مدينة بيروت وطالبت بخروج قوات منظمة التحرير منها. ولقد ساعد الرئيس الأمريكي رونالد ريجان إسرائيل في ذلك القرار، فجميع الأسلحة التي استخدمتها إسرائيل هي أسلحة أمريكية يحظر القانون الأمريكي استخدامها في أية حرب هجومية. وساعدها أيضاً بعدم توجيه إنذار حاسم لها بضرورة انسحابها، وساعدها لأن هجومها يتعارض مع وعودها في اتفاقية السلام مع مصر باحترام الأمن والسلام. وفي أثناء ذلك الاحتلال استغلت قوات إسرائيلية الفرصة ودخلت مع فصائل مسلحة من حزب الكتائب اللبناني المسيحي مخيميّ صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين وقاموا بذبح سكان المخيمين من النساء والأطفال والشيوخ فبلغ عدد من استشهد في تلك المذبحة حوالي ثلاثة آلاف إنسان، فروع ضمير العالم من تلك الجريمة الجماعية النكراء.

ولقد أدى غزو لبنان من قبل إسرائيل إلى قيام المقاومة اللبنانية في نوفمبر عام ١٩٨٢م بتدمير مقر الجيش الإسرائيلي في لبنان، وفي أبريل من عام ١٩٨٣م تم تدمير السفارة الأمريكية في بيروت، وفي اكتوبر من نفس العام تم تدمير معسكر للبحرية الأمريكية.

٩٧٢ استقلال دولة بروناي الإسلامية (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م)

تقع سلطنة بروناي في شمال غرب جزيرة بونيوي (إحدى أكبر جزر أندونيسيا) الواقعة في المحيط الهندي. ولقد كانت من أهم المناطق ذات النشاط الإسلامي في القرن السادس عشر الميلادي إلى أن احتلتها بريطانيا عام ١٨٨٨م، واستمر ذلك الاحتلال حتى عام ١٩٨٤م عندما أعلن عن استقلال تلك السلطنة بقيادة السلطان حسن معز الدين مراد الله.

ويبلغ عدد سكان السلطنة حوالي نصف مليون منهم ستون بالمائة مسلمين. ولقد اكتشف النفط هناك فارتفع متوسط الدخل الفردي للمواطنين إلى عشرين ألف دولار سنوياً.

٩٧٣ انعقاد المؤتمر العالمي الأول لمسلمي أوروبا بمدينة أشبيلية (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م)

دعا لعقد ذلك المؤتمر الجمعية الإسلامية بالأندلس، وكان الهدف من وراء ذلك تقوية العلاقات بين كافة تجمعات المسلمين الذين يعيشون في البلدان الأوروبية. ويبدو أن ظهور تلك الدعوة من إسبانيا بالذات جعل بعض الأعداء يهاجمون فكرة المؤتمر ويندون به، ورددوا ما يحمله المؤتمر - من وجهة نظرهم - من تهديدات لإحياء فكرة انتشار الإسلام مرة أخرى في إسبانيا.

ومع ذلك فقد عقد المؤتمر في ١٩ يوليو ١٩٨٥م وحضرته وفود إسلامية من فرنسا وألمانيا وبريطانيا وإيطاليا والبرتغال وقبرص، بالإضافة إلى وفود عدد من الدول العربية. وكان من نتائج نجاح المؤتمر أن تأسس بإسبانيا حزب سياسي إسلامي يسمى حزب التحرير الأندلسي في نوفمبر ١٩٨٥م.

٩٧٤ الحجاج الإيرانيون وأحداث مكة المكرمة (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)

بعد قيام الثورة الإسلامية الشيعية في إيران عام ١٩٧٩ أصبح واضحاً أن زعماء تلك الثورة قد صمموا على تصدير ثورتهم إلى العالم الإسلامي. ولما كانت منطقة الخليج العربي وخاصة الدول العربية الصغيرة شرقي الجزيرة العربية وهي الدول التي بها نسبة من المسلمين الشيعة، ولما كانت تلك الدول، ودول عربية أخرى أكبر، قد وقفت مع العراق في حربه مع إيران.. فقد استغل الإيرانيون موسم حج عام ١٤٠٧هـ ليقوموا بمظاهرات سياسية ضخمة في مكة المكرمة فاختل الأمن وعمَّ الاضطراب المدينة المقدسة. وقتل من جراء ذلك حوالي أربعمائة مسلم، وصورت دول العالم الغربي الحادث على أنه تقاتل بين المسلمين في أطهر الأماكن المقدسة..؟

٩٧٥ اندلاع الانتفاضة الفلسطينية (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)

أدى تعنت إسرائيل المستمر ورفضها تطبيق مقررات اتفاقية كامب ديفيد التي تنص على إعطاء الحكم الذاتي الكامل للفلسطينيين، إلى اندلاع ثورة عارمة من الغضب عُبِئت بسنوات طويلة من الإحباط والمرارة قام بها الشعب الفسلطيني، وخاصة جيل الأطفال منهم. فعمت الانتفاضة كافة المدن بالأراضي المحتلة بالضفة الغربية وقطاع غزة منذ عام ١٩٦٧م.

ففي ديسمبر عام ١٩٨٧م فوجىء العالم كله بثورة أطفال الغضب الفلسطينيين تندلع في الأراضي المحتلة مستخدمين الحجارة التي يلقونها على جنود الاحتلال الصهيوني المدججين بالسلاح، ومطالبين ضمير العالم بالاستيقاظ والإحساس بآلآم شعب حرم من الحرية ويعيش تحت حصار الطغيان.

ولقد أثرت أعمال الانتفاضة اليومية على مجريات الأمور في العالم وأيقظت بالفعل ضمائر الشرفاء من شعوب أوروبا وأمريكا الشمالية، وأخذت الانتفاضة تستمر حتى بعد أن حاولت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية قمعها بالرصاص والمعتقلات والتعذيب.. وأخذ العالم يشهد كل يوم سقوط الأطفال الأبرياء برصاص السفاحين الصهاينة الذين عميت بصائرهم وقلوبهم عن تفهم حقيقة أبدية للتاريخ وهي أن الشعوب تنتصر دائماً وأن الظلم والطغيان ينهزم ويزول في كل الأحوال.

إن الانتفاضة هي إذن آخر مرحلة من مراحل الكفاح الطويل للشعب الفلسطيني الرازح تحت الاحتلال.. وبمقدار ما يسقط الشهداء بمقدار ما تقترب نهاية الطغيان.

وقد أعقب اندلاع الانتفاضة الفلسطينية قيام الملك حسين عاهل الأردن بقطع روابط بلاده مع الضفة الغربية المحتلة عام ١٩٨٨م فقام رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات بإعلان قيام الدولة الفلسطينية التي اعترف بها العديد من دول العالم.

٩٧٦ الإعلان عن بنغلادش جمهورية إسلامية (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م)

كانت بنغلادش إقليماً من أقاليم الهند عندما دخلها الإسلام في القرن الثاني عشر الميلادي واستمرت هكذا إلى أن احتل البريطانيون الإقليم عام ١٩٤٧م. ولما حدثت الحرب بين الهند وباكستان عام ١٩٧١م نتج عنها ظهور دولة بنغلادش المستقلة، ولكنها حافظت على علاقاتها القوية مع الهند والاتحاد السوفياتي. وبالرغم من ذلك استمرت الاضطرابات السياسية هناك حيث اغتيل الشيخ مجيب الرحمن رئيس الوزراء عام ١٩٧٤م، وتبع ذلك عدة انقلابات عسكرية، إلى أن اغتيل الرئيس البنغلادشي ضياء الرحمن في مايو ١٩٨١م، فخلفه نائبه عبد الستار الذي أطاح به انقلاب عسكري عام ١٩٨٢م. وأصبح للبلاد زعيم من الضباط هو الجنرال محمد إرشاد الذي أعلن عن قيام جمهورية بنغلادش الإسلامية عام ١٩٨٨م.

وتعتبر بنغلادش من أفقر بلاد العالم ويقطنها اليوم حوالي ١٢٥ مليون نسمة يبلغ عدد المسلمين منهم حوالي ٨٥٪.

٩٧٧ هجرة اليهود السوفيت إلى إسرائيل (١٤٠٩هـ/ ٩٨٨م)

أخذت السياسات الخاصة بتطوير الحياة الديموقراطية في الاتحاد السوفياتي تتوالى إلى أن أخذت الضغوط الرأسمالية في أوروبا والولايات المتحدة تتصاعد مطالبة الزعيم السوفياتي ميخائيل غورباتشوف بالسماح برفع القيود المفروضة على هجرة اليهود السوفييت إلى الخارج.

ويبدو أن الغرب وضع تلك الضغوط لكي يربطها بحكمه على مصداقية الأوضاع الجديدة في الاتحاد السوفياتي. وسرعان ما امتلأت الميادين في المدن السوفيتية بالمتظاهرين من اليهود للسماح لهم بالهجرة، ولكن اتضح بسرعة أن أغلب الذين طلبوا السماح لهم بالسفر قرروا السفر إلى الولايات المتحدة.

وهنا قامت الحكومة الأمريكية بالاتفاق مع الحكومة الإسرائيلية برفض دخول اليهود السوفييت إلى أمريكا لكي تكون إسرائيل هي المستقر الوحيد الذي تصب فيه أفواج اليهود السوفييت. وبالفعل أعلنت المدن الإسرائيلية حالة الطوارىء القصوى لاستقبال اليهود الجدد، وتم الاستيلاء على الأراضي

الفلسطينية في العديد من مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين لكي تبنى عليها مستعمرات تستوعب مئات الآلاف من المهاجرين اليهود.

ويقدر العدد الإجمالي لليهود السوفييت الذين من المحتمل وصولهم إلى إسرائيل حتى نهاية القرن الحالي بحوالي ستة ملايين يهودي سيضاعفون من قوة الخطر الصهيوني على الدول العربية في الربع الأول من القرن الحادي والعشرين لا محالة.. بينما العرب يعيشون أسوأ حالات ضعفهم وتفككهم منذ قرنين من الزمن.

٩٧٨ وفاة آية الله الخميني قائد الثورة الإسلامية في إيران (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)

يعتبر آية الله روح الله الخميني واحداً من أشهر القادة في العالم الإسلامي. وترتبط شهرته بنجاحه الكبير في الإطاحة بواحد من أقوى النظم الأمبراطورية في العالم وهو النظام الأمبراطوري الإيراني الذي حول إيران إلى دولة علمانية معادية للعرب.

ولكن نجاح الخميني في الوصول إلى حكم إيران وتحويلها إلى دولة إسلامية جعله يصرح علناً بتصدير الثورة الإسلامية إلى أنحاء العالم العربي مما أظهر العداوة بين إيران والكثير من الدول العربية.

ولقد قاد آية الله الخميني إيران في حربها الطويلة الدموية مع العراق، تلك الحرب التي أدت إلى مقتل وتعويق حوالي مليون مسلم من كلا الدولتين. ولما تمكن العراق في نهاية الحرب من إظهار بعض التفوق النسبي بمساعدة العديد من الدول العربية والغربية، وافق الخميني على وقف إطلاق النار مع العراق في أغسطس ١٩٨٨م. ولم يمض عام واحد على ذلك، وفي ٨ يونيو ١٩٨٩م حتى توفي آية الله الخميني مخلفاً وراءه صدمة كبرى لشعبه، ولكن قادة إيران تمكنوا بسرعة من إختيار هاشمي رافسنجاني رئيساً للدولة.

ولا توجد إية دلائل على أن هناك تحسناً قد طرأ على إيران في النواحي الاقتصادية والعلمية منذ قيام الثورة فيها، بالرغم من أن مجرد نجاح ثورتها قد شجع العديد من الأصوليين الإسلاميين في العديد من الدول لكي يعلنوا عداوتهم للحكومات القائمة وخاصة في مصر وتونس والجزائر والسودان.

٩٧٩ الهند تحبط محاولة لقيام جمهورية كشمير الإسلامية (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)

ارتبطت كشمير المسلمة بحكومات الهند في العصور الوسطى إلى أن جاء الاحتلال البريطاني للهند، فأخذت التجمعات الإسلامية في كشمير بالمطالبة بالاستقلال عن الهند، وخاصة بعد استقلال باكستان عام ١٩٤٧م وأصدر مجلس الأمن قراراً بتقسيم كشمير إلى ثلاثة أقسام في يناير عام ١٩٤٩م، قسم يتبع باكستان وقسمين يتبعان الهند. ولما كان ذلك القرار لم يراع حق السكان في تقرير المصير، فقد اندلعت أعمال العنف في كشمير الهندية والتي قمعتها السلطات الهندية بالاعدامات والاغتيالات، وبالرغم من ذلك تصاعدت مطالب المسلمين بكشمير الهندية في الاستقلال عن الهند ووصلت الإضطرابات على أشدها منذ عام ١٩٨٧م وحتى ديسمبر عام ١٩٧٩م عندما كان المسلمون الكشميريون على وشك إعلان الاستقلال بعد أن خرجوا بعشرات الآلاف في انتفاضة كبرى، ولكن السلطات الهندية قامت بإعلان الأحكام العرفية، واعتقلت الآلاف من الثوار وبذلك قضي على أمل إعلان الجمهورية الإسلامية في كشمير في يناير ١٩٩٠م. ودخلت قوات ضخمة تقدر بنصف مليون جندي الولاية وسيطرت عليها سيطرة مطلقة وسرعان ما انتشرت أعمال الإضطهاد ضد المسلمين هناك.

٩٨٠ ألبانيا تخرج عن النفوذ الشيوعي (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)

كانت ألبانيا تحت النفوذ العثماني منذ منتصف القرن السادس عشر، فأصبح السكان (البالغ عددهم اليوم حوالي أربعة ملايين نسمة) على المذهب السني. وقد استمر النفوذ العثماني هناك حتى عام ١٩١٢م عندما استقلت ألبانيا وأعلنت النظام الجمهوري حتى احتلتها إيطاليا الفاشية عام ١٩٣٩م. ولما هزمت إيطاليا في الحرب العالمية الثانية انتصر الجناح الشيوعي في ألبانيا عام ١٩٤٤م فحكم البلاد إلى أن جاء عام ١٩٦٠م، فاتجهت ألبانيا إلى الصين لتساعدها بعدة مليارات من الدولارات. ولما مات الزعيم الصيني ماوتسي تونج ساءت العلاقات بين الدولتين، ووقعت عدة مذابح للمطالبين بالحرية في السبعينيات،

ولما مات الزعيم الألباني الشيوعي (أنظر هوكسا) عام ١٩٨٥م بعد أن حكم ألبانيا لمدة أربعة عقود أخذت الأحوال السياسية تتحول إلى المناداة بالإصلاح والحرية إلى أن تفككت أواصر حلف وارسو فخرجت ألبانيا من ذلك الحلف وأعطت حريات واسعة منها حرية العقيدة الدينية الإسلامية التي حُظرت منذ الأربعينيات من هذا القرن. وسوف يستفيد الشعب الألباني المسلم كثيراً إذا ما قامت الدول العربية بإرسال الدعاة الإسلاميين إلى هناك لتطوير المعرفة بالدين الإسلامي.

٩٨١ مؤتمر القمة العربي الاستثنائي السابع (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)

عقدت عدة مؤتمرات للقمة العربية تناقش جميعاً الصراع العربي الإسرائيلي بعد نكسة عام ١٩٦٧م وحتى عام ١٩٧٩م.

وقد عقد ذلك المؤتمر التاريخي في مدينة بغداد في الثامن والعشرين من شهر مايو ١٩٩٠م، وحضره الزعماء العرب لوضع استراتيجية عربية واحدة وتلبية لدعوة فلسطين لانعقاده بعد القمع الوحشي الإسرائيلي لأطفال الانتفاضة الفلسطينية والتهديدات العديدة من الجانب الإسرائيلي للعراق والأردن، حيث أخذت إسرائيل منذ عدة أشهر في الحديث عن ترسانة العراق الحربية الضخمة ومدى خطرها على أمن إسرائيل. كذلك ناقش الزعماء العرب موضوع الهجرة اليهودية المكثفة لإسرائيل مما يخل بالتوازن السكاني والأمني في فلسطين والدول العربية المجاورة لها.

والجدير بالذكر أن هذه القمة العربية هي أول قمة تحضرها مصر بعد أن علقت عضويتها في الجامعة العربية بسبب قيام الحكومة المصرية بتوقيع المعاهدة المصرية الإسرائيلية عام ١٩٧٩م.

٩٨٢ زلزال شديد يدمر شمال غرب إيران ويقتل ويصيب أكثر من مائة ألف شخص (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)

وقع ذلك الزلزال الرهيب في الحادي والعشرين من يوليو عام ١٩٩٠م، فضرب بقوة شديدة (بلغت ٧,٧ درجات بمقياس رختر الدولي لقياس شدة الزلازل) شمال غرب إيران وهي منطقة جبال صخرية وعرة مما أدى إلى مقتل

٣٥ ألف شخص، وإصابة مائة ألف آخرين.

ولقد سارع العديد من دول العالم ـ بما في ذلك العراق التي كانت خارجة من حربها ضد إيران ـ بتقديم المساعدة إلى الشعب الإيراني، وخاصة إلى حوالي نصف مليون شخص شردوا من ديارهم بعد أن انهارت بفعل الهزات الشديدة.

٩٨٣ الجيش العراقي يغزو الكويت (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)

سبق قيام الجيش العراقي بغزو واحتلال دولة الكويت حملات إعلامية شرسة وشديدة وجهت ضد العراق وجيشه الذي وصفته وسائل الأعلام الغربية بأنه وحش كاسر سيدمر دولة إسرائيل لو لم يتدخل العالم للحد من خطورته. وهذه الحملة أعقبها مباشرة قيام الرئيس العراقي صدام حسين علناً بتهديد دولة الكويت ودولة الإمارات العربية بالعقاب لأنهما تزيدان من تصدير نفطهما ممايعود بالخسارة على الشعب العراقي الذي يحتاج التمويل اللازم لإعادة بناء بلاده بعد الحرب مع إيران.

وبالرغم من تدخل زعماء عرب كبار لحل المشكلة بين العراق والكويت، إلا أن العالم العربي والدولي فوجىء في صباح الثاني في أغسطس ١٩٩٠م بأن الجيش العراقي قد احتل الكويت بالكامل، بينما أعلنت الإذاعة العراقية أن العراق لن ينسحب من الكويت لأنها كانت ولا تزال جزءاً من أراضي العراق منذ بداية التاريخ بالرغم من أن الحكومة العراقية كانت هي نفسها التي قامت بتوجيه الدعوة لحكومة دولة الكويت لحضور مؤتمر القمة العربي الطارىء في مايو لنفس العام والذي عقد في بغداد. ولقد أحدث الاحتلال خللاً في البنيان السياسي القيمي للعالم العربي، فحدثت انقسامات مريرة وضح منها أن العرب لا يمكنهم حل مشاكلهم بأنفسهم، فسارع الغرب بحماس بالغ للتصدي للعراق وصمم على إخراج قواته المعتدية والتي تحتل دولة شقيقة.

٩٨٤ مؤتمر القمة العربي الاستثنائي الثامن (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)

عقد ذلك المؤتمر بمدينة القاهرة في ظروف مؤلمة، حيث احتلت القوات العراقية المسلحة مجمل ـ وليس جزءاً فقط من ـ أراضي دولة الكويت.

وقد طلب الرئيس حسني مبارك دعوة الرؤساء والملوك العرب للحضور للقاهرة لوضع برنامج يتم من خلاله حل مشكلة الاحتلال العراقي للكويت. وعلى مدى يومي ٩ و١٠ أغسطس ١٩٩٠م، توصل القادة العرب إلى عدة أمور هامة منها إدانة العدوان العراقي وتأكيد سيادة الكويت واستقلاله وسلامته الأقليمية، وشجب التهديدات العراقية لدول الخليج العربي والاستجابة لطلب المملكة العربية السعودية، ودول الخليج العربية الأخرى بنقل قوات عربية لمساندة قواتها المسلحة دفاعاً عن أراضيها وسلامتها الأقليمية ضد أي عدوان خارجي.

ولقد وافق على تلك المقررات ١٢ دولة عربية واعترض عليها ثلاث (ليبيا ـ العراق ـ فلسطين) وتحفظت عليها ثلاث دول أخرى (الأردن ـ السودان ـ موريتانيا)، وامتنعت عن التصويت عليها كل من الجزائر واليمن.

وقد جاءت تلك القرارات متفقة مع قرارات مجلس الأمن التي صدرت بسرعة بعد الاحتلال العراقي للكويت والتي نصت على الانسحاب وعودة الشرعية.

٩٨٥ **بناء مسجد مدريد الجامع بالأندلس** (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)

بُني ذلك المسجد الضخم (٢٠٠٠ متر مربع) على نفقة حكومة المملكة العربية السعودية وانتهى العمل من إنشائه عام ١٩٩٠م. ويتكون ذلك المركز من ستة طوابق نصفها تحت الأرض، ومسجد لأداء شعائر الصلاة على مساحة ستمائة وخمسين متراً وله مئذنة إرتفاعها ستة وثلاثون متراً، وهو مسجد يتسع لحوالي ألف مصلٍ، ويحتوي على مكتبة إسلامية وقاعات للمحاضرات.

أما أول مسجد سمحت به السلطات الأسبانية في القرن العشرين (بعد أن حولوا كل مساجد الأندلس إلى كنائس أو قاموا بهدمها) فكان في مدينة قرطبة عام ١٩٨١م وهو مسجد القاضي أبي العثمان الذي كان من المساجد الصغيرة في قرطبة تلك المدينة الإسلامية التي سقطت في يد الأسبان عام ١٢٣٦م.

٩٨٦ الدول المتالحفة تخرج القوات العراقية من الكويت وتدمر البنية الصناعية التي شيدها العراقيون. (١٤١١هـ/ ١٩٩١م)

ساعد موقف مصر والسعودية الرافض للاحتلال العراقي للكويت، المجتمع الدولي في إصدار عدة قرارات من مجلس الأمن لإدانة ذلك الاحتلال، وجاء موقف الاتحاد السوفيتي لكي يتم عزل الحكومة العراقية دولياً بشكل لم يسبق له مثيل. ولقد هيأت تلك القرارات المسرح الدولي للقيام بحشد قوات عسكرية ضخمة مسلحة بأحدث ما في الجيوش الغربية من سلاح وذخيرة وتجمعت في البر (على أراضي المملكة العربية السعودية) وفي البحر (البحر الأحمر والأبيض والخليج العربي) استعداداً للموعد الذي حدده مجلس الأمن (١٥ يناير ١٩٩١) كموعد نهائي للانسحاب الاختياري العراقي من الكويت. ولما جاء ذلك التوقيت بدون انسحاب، قامت الدول المتحالفة بشن غارات جوية واسعة النطاق داخل العراق استهدفت تدمير مجمل المرافق العسكرية والصناعية في العراق بحيث أعادت العراق عقوداً إلى الوراء وضيعت مجهودات شعبه التي بذلها على مدى ثلاثين عاماً مضت.

ولقد انتهت المرحلة الأولى من الحرب (وهي المرحلة التي استخدمت فهيا الطائرات) بعد ستة أسابيع، ثم بدأت المرحلة الثانية وهي الهجوم الأرضي فاستغرقت أربعة أيام وبنهايتها تحررت الكويت وهزم العراق عسكرياً.

ولا شك أن العرب، وإن استرجعوا أراضي الكويت إلا أنهم خسروا العراق كدولة رائدة ذات حضارة وتاريخ وتراث، وضاعت على العرب أموال طائلة أنفقوها من أجل تحرير الكويت وتعميره، وأموالاً أخرى ـ ربما أكثر ـ ضاعت بسبب ما فقده العراق من سلاح ومؤسسات ومصانع ومنشآت.

ولا شك أن إسرائيل عدوة العرب في التاريخ الحديث كانت ـ مع الغرب ـ الرابح الأول، فها هي ترى العراق الذي رأته قبل عام واحد من الأزمة عدوها الأقوى وقد أصبح حطاماً تحت الوصاية الدولية.

إن تاريخ العرب في العصر الحديث تاريخ مفعم بالأسى والتشتت لأن العرب لم يتفهموا بعد كيف يتعاونون معاً فكثرت اختلافاتهم وتضاربت

مشاعرهم فتصارعوا وتحاربوا فضاع الأبرياء منهم تباعاً دون أن يتعظوا وكأن تاريخهم كان بلا أمجاد.

٩٨٧ الاعتراف الدولي بالجمهوريات الإسلامية التي كانت خاضعة للنفوذ السوفيتي. (١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)

أدى الانهيار المستمر في البنيان السياسي للاتحاد السوفييتي، إلى تفكك جمهورياته جميعاً عن بعضها البعض، وظهورها كدول مستقلة لأول مرة في القرن العشرين. وهذه الجمهوريات هي: جمهورية أذربيجان (وعدد سكانها ٧ ملايين نسمة) وجمهورية أوزبكستان (وعدد سكانها ٢٠ مليون نسمة) وجمهورية تركمانستان (وعدد سكانها ٤ ملايين نسمة) وجمهورية طاجيكستان (وعدد سكانها ٦ ملايين نسمة) وجمهورية كازاخستان (وعدد سكانها ١٧ مليون نسمة) وجمهورية قيرغيزيا (وعدد سكانها ٥ ملايين نسمة).

وبالرغم من أن كل تلك الدول لا زالت ترتبط بجمهورية روسيا الاتحادية (الوريثة الكبرى والأقوى للاتحاد السوفياتي) في منظومة كمنولث الدول المستقلة، إلا أن الحاجة تدعو بالفعل إلى ربط تلك الجمهوريات بدول العالم الإسلامي كافة وتزويدها بالدعاة الإسلاميين والكتب الإسلامية، وفتح الجامعات والمعاهد لطلابها حتى تعوض ما فاتها من تأخر روحي وثقافي إبان العهد الشيوعي.

٩٨٨ تدمير المساجد واضطهاد المسلمين في ليبيريا (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)

يبلغ عدد المسلمين في ليبيريا حوالي ستمائة ألف مسلم. وقد دخل الإسلام هناك عن طريق دول شمال أفريقيا في القرن السادس والسابع الهجريين، ولكن البلاد تعرضت للاحتلال البرتغالي وعانت من استنزاف البشر الذين اختطفوا منها وبيعوا كرقيق في المستعمرات الأوروبية في العالم الجديد.

وبحلول عام ١٨٢٠م أخذ الزنوج من الولايات المتحدة في الفرار والعودة إلى ليبيريا بمعونة شركات رأسمالية أرادت استعمار تلك البلاد. وفي عام ١٨٤٧

تم إعلان استقلال ليبيريا فأصبحت جمهورية يحكمها البيض الأوروبيون. ولقد استمر فساد الحياة السياسية هناك إلى أن سيطر العسكريون عليها وأخذوا يضطهدون المسلمين. ولقد قامت قوات شارلز تايلور أثناء الحرب الأهلية التي دارت منذ عام ١٩٩١ بتدمير ما لا يقل عن ألف مسجد ومدرسة يتعلم فيها المسلمون هناك، وقامت بتنفيذ مذابح مروعة للمسليمن فكانت تعتقل رجال الدين وتقطع رؤوسهم وتلوث بدمائهم المصاحف حتى تضعف الروح المعنوية للمسلمين.

٩٨٩ اضطهاد المسلمين في بورما (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)

دخل الإسلام أراضي بورما في القرن السابع الميلادي، وأخذت أعداد المسلمين تتزايد حتى عام ٨٣٥هـ عندما أصبح (زابوك) شاه ملكاً على بورما.

ولقد ظلت البلاد تحكم بواسطة الحكم الإسلامي حتى قامت بريطانيا بضم بورما إلى الأراضي الهندية في القرن التاسع عشر، فأخذت عمليات الاضطهاد المنظم تحدث منذ عام ١٩٣٨م على نطاق واسع بما في ذلك عمليات التنصير الإجباري الذي يدعمها مجلس الكنائس العالمي.

وبعد الحرب العالمية الثانية استقلت بورما (عام ١٩٦٢م) وأصبحت الديانية الوثنية هي الديانة الرئيسية في البلاد، فلم تعترف بالمسلمين على أنهم شعب بورمي مسلم وأخذت السلطات تمارس الطرد الإجباري والترحيل من الأراضي البورمية حيث قدر عدد المطرودين (إلى بنجلاديش) بحوالي ربع مليون مسلم. واشعلت النار في المساجد والمكتبات الإسلامية للقضاء على الثقافة الإسلامية هناك. وفي عام ١٩٧٧م (١٣٩٨هـ) ثم طرد مليون مسلم بورمي من منطقة أركان إلى الحدود مع بنجلاديش، حيث أخذت الطائرات الحكومية البورمية تقصفهم بين وقت وآخر لردعهم عن الدخول إلى بلادهم وبلاد أجدادهم.

وجدير بالذكر أن عدد سكان بورما اليوم يصل إلى حوالي ٤٦ مليون نسمة يشكل المسلمون منهم نسبة ٢٠٪ أي حوالي ثمانية ملايين شخص.

٩٩٠ اغتيال الرئيس الجزائري محمد بوضياف في مدينة عنابة الجزائرية
(١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)

بينما الرئيس الجزائري محمد بوضياف يلقي خطاباً في النادي الثقافي للشباب بمدينة عنابة الجزائرية يوم الاثنين التاسع والعشرين من يونيو ١٩٩٢م، أطلق ضابط صغير من ضباط الحرس الجمهوري الجزائري النار عليه من الخلف فأرداه قتيلاً.

ولقد ذكر في البداية أن جبهة الإنقاذ الوطني الإسلامية هي التي وقفت خلف حادث الاغتيال، وذلك لقيام الرئيس بوضياف بحلها وإلغاء الانتخابات التي كان من المتوقع فوز الجبهة فيها، ولكن بعد عدة أيام من الاغتيال اتضح أن هناك اتهامات قوية واسعة النطاق توجه للجماعات السياسية التي ينسب إليها عمليات فساد مالي واقتصادي كبيرة، وهي الجماعات التي وعد الرئيس بوضياف بالتصدي لها وتتبع فسادها.

ومهما كان الأمر فقد وجهت تهمة القتل العمد للملازم (لمبارك أبو مطرف) كمسؤول وحيد عن عملية الاغتيال، وهذا ينفي إلى حد كبير إشتراك جبهة الإنقاذ في تنفيذ العملية.

هذا وقد تم دفن الرئيس بوضياف يوم الأربعاء الأول من يوليو في مقابرالشهداء بالعاصمة الجزائرية.

وكان الرئيس بوضياف قد تسلم عمله كرئيس للجمهورية في الجزائر في السادس من يناير عام ١٩٩٢م، بعد أن ظل في منفاه الاختياري بالمغرب لمدة سبع وعشرين عاماً... وارتبط اغتياله بتوجيه انتقادات مريرة إلى كل من الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا لتحذيراتها المتكررة من فوز الجبهة الإسلامية في الانتخابات وعدم تنديدها باستيلاء الجيش على السلطة والغاء الانتخابات الحرة التي كانت سترفع الجزائر إلى مصاف الدول الديموقراطية الحرة في العالم.

٩٩١ وفاة الإمام أبو القاسم الخوئي المرجع الأعلى للشيعة في العالم (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)

حدث ذلك في الثامن من أغسطس عام ١٩٩٢م (٩ صفر ١٤١٣هـ) بمدينة الكوفة بالعراق. ولقد أعلن ملايين الشعية في العالم أجمع الحداد حيث وصفوه بأنه كان المرشد الروحي للنهضة الشيعية في عدد من الدول التي بها أغلبية شيعية مثل إيران وغرب أفغانستان وجنوب العراق وغرب باكستان.

وقد شيعت الجنازة ظهر الأحد التاسع من اكتوبر حيث وُوري جثمانه الثرى في مثواه الأخير.

ويعتبر الإمام الخوئي الشخص الأول للمرجعية الشيعية التي تصدر الفتاوى الواجبة التنفيذ من قبل الشيعة في كافة أنحاء العالم، وهو الذي يقضي فميا بينهم ويحل مشاكلهم.

٩٩٢ زلزال شديد يضرب مصر والقاهرة (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)

حدث ذلك الزلزال الشديد (حوالي ست درجات بمقياس ريختر) في عصر يوم الأثنين الثاني عشر من اكتوبر عام ١٩٩٢م فهز القاهرة التي يقطنها حوالي خمسة عشر مليوناً من السكان وأحدث فزعاً واسع النطاق بين السكان.

ولم يعرف سكان مصر حجم الخسائر التي أحدثها ذلك الزلزال إلا بعد عدة أيام من وقوعه، إذ تبين أنه قتل ما لا يقل عن خمسمائة شخص وأصاب آلافاً غيرهم... أما عن الخسائر في المباني فهناك مئات الآلاف من المنازل التي تضررت بصورة كلية أو جزئية مما يهدد حياة قاطنيها بصورة مستمرة.

ولقد أحدث وقوع ذلك الزلزال أسى عميقاً لدى الدول العربية والصديقة التي سارعت بإرسال المعونات المالية والطبية لنجدة الضحايا وتعويض المتضررين وإعادة بناء المدارس والمساجد التي أصابها التصدع أو الانهيار.

٩٩٣ اللجنة العالمية للتنصير تعلن عن قيامها بتنصير أحد عشر مليون شخص في قارة أفريقيا (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)

لا يزال المتعصبون في الغرب يضعون الخطط الواسعة النطاق لإشاعة

التنصير في العالم، فقد أعلنت اللجنة الدولية للتنصير بقيادة (توم هيوستون) وهو قسيس بروتستاني يعمل في مدينة لوزان بسويسرا في نوفمبر عام ١٩٩٢م، أن اللجنة تنوي العمل بنشاط واسع لتنصير أحد عشر مليون شخص يعيشون في قارة أفريقيا والشرق الأوسط بما في ذلك المناطق الإسلامية. ويتم ذلك من خلال بعثات تبشيرية تنتشر في معظم بلدان العالم. وقد توقع هيوستون تحقيق نجاح كبير في تلك المناطق، بالإضافة إلى العمل من أجل تنصير ضعف ذلك العدد في ماليزيا وأندونيسيا وسلطنة بروناي، وهي دول تعيش فيها أغلبية مسلمة.

٩٩٤ الهندوس المتعصبون يدمرون المسجد البابري التاريخي بالهند

(١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)

لا يمكن فصل اضطهاد الهندوس للمسلمين في الهند عن عمليات اضطهاد المسلمين في كثير من بلدان العالم.

فألمسلمون بالهند (١١٠ ملايين نسمة) يشكلون حوالي ١١٪ من السكان. بعد أن انفصلوا عن ذويهم في باكستان وبنجلاديش بعد استقلال الدولتين عام ١٩٤٧م وعام ١٩٧١م على التوالي.

وقد أخذت أعمال العنف من قبل الهندوس وهم الأغلبية الساحقة من سكان الهند تجاه المسلمين تتزايد على مدار السنين، ولكن الحكومة المركزية القوية بالهند كانت تمنع تزايد تلك الإضطهادات، إلى أن قام الهندوس المتعصبون بمدينة بومباي وهي واحدة من أكبر وأهم مدن الهند بالهجوم على المسجد البابري التاريخي وتدميره عن آخره في حي أيوديا بالمدينة، وكانت حجتهم في ذلك إقامة معبد هندوس وثني مكانه... وحدث ذلك في السادس من ديسمبر ١٩٩٢م، ولكن أعمال العنف التي صاحبت تدمير المسجد استمرت على مدى شهر من ذلك وراح ضحيتها حوالي ألف قتيل مسلم وجرح عشرات الآلاف في أسوأ أعمال للعنف ضد المسلمين بتلك المدينة منذ استقلال الهند عام ١٩٤٧م.

ولقد ترددت أنباء كثيرة من الهند تفيد برغبة الهندوس في قتل الأقلية الإسلامية هناك والقضاء عليها كلية. وإذا ما حدث ذلك فإنه بلا شك سيعني

إندلاع أكبر حرب أهلية في العالم. . . ولكن لما كان بالهند نظام ديمقراطي سياسي راسخ فإن قوة الحكومة المركزية ستمنع حدوث ذلك، ولكن يجب عليها أن تبذل الكثير من الجهد لإخماد تعصب الهندوس تجاه المسلمين، هذا ويعود بناء المسجد البابري التاريخي إلى عهد حاكم الهند المسلم القوي ظهير الدين محمد ببر الذي ولد عام ١٤٨٣م ومات عام ١٥٣٠م.

٩٩٥ عدم الاستقرار السياسي والمجاعة في الصومال (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)

لم تحظ الصومال بالاستقرار السياسي أو الاجتماعي بعد استقلالها، وذلك بسبب ما تركه الاستعمار من فتن وقلاقل بين القبائل ذات الوزن السياسي هناك. وفي الحقيقة فلم يتمكن الرئيس سياد بري الذي حكم الصومال منذ عام ١٩٦٩ من جلب الاستقرار والأمن للصوماليين. فقد حدثت حروب أهلية عام ١٩٧٥م أدت إلى مقتل عشرات الآلاف من الأبرياء. وأخذت المنازعات مع أثيوبيا القوية بالدعم السوفياتي حول إقليم أوجادين في استنزاف موارد الصومال المالية والبشرية مما أدى إلى تدهور حاد في الأحوال الاقتصادية والصحية، فأخذت النزاعات القبلية تنتشر وتتصاعد منذ عام ١٩٩٠م حتى أطيح بالرئيس بري وتفككت وحدات الجيش الصومالي لتنضم في الصراع بين القبائل وخاصة بين قبيلتي الدارود التي جاء منها سياد بري، وقبيلة الهوية.

ولقد زاد الأمر سوءاً ظهور الجفاف والقحط في البلاد، فخيم شبح الموت فوق الديار الصومالية حيث يموت يومياً عدة آلاف من السكان بسبب فقد الماء والطعام.

ولقد تقرر في يوليو من عام ١٩٩٢م إرسال إمدادات دولية ضخمة إلى الصومال، ولكن سوء التوزيع وقلة الطرق ووسائل النقل وتقاتل القبائل من أجل الحصول على أكبر حصة من الإمدادات، تجعل المساعدات الدولية كما لو أنها بدون أثر حقيقي.

وفي نهاية عام ١٩٩٢م وأوائل عام ١٩٩٣م قررت الأمم المتحدة إرسال وحدات عسكرية من دول العالم المختلفة في مهمة سميت (إحياء الأمل) لبسط

الأمن والأمان في مدن وقرى الصومال لتمكين السكان من استلام المواد الغذائية والطبية اللازمة لبقائهم أحياء.

٩٩٦ استمرار مشكلة الصحراء المغربية (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)

ترجع مشكلة الصحراء الغربية إلى الوقت الذي احتلت فيه أسبانيا مناطق كبيرة من الساحل الغربي للمغرب الواقعة على المحيط الأطلنطي في القرن الخامس عشر. ولكن بانحسار النفوذ الأسباني والبرتغالي وظهور النفوذ البريطاني والفرنسي، فإن المناطق التي بقيت تحت النفوذ الأسباني تقلصت حتى القرن التاسع عشر الميلادي مفسحة المجال للاستعمار الفرنسي. وبانتهاء الحرب العالمية الثانية وقيام المغرب كدولة مستقلة عام ١٩٥٦م، قام المغرب بالسيطرة على ما مساحته ٧٠ ألف ميل مربع من الأراضي الصحراوية الغنية بالفوسفات وذلك في أبريل عام ١٩٧٦م. وهي أراضٍ كانت تحت الاحتلال الأسباني، وبمجرد أن انسحبت اسبانيا منها قام المغرب بالسيطرة عليها مما دفع بسكانها (البوليساريو) إلى التمرد على السلطات المغربية وأعلنوا استقلال ذلك الإقليم في فبراير ١٩٧٦م وهاجموا القوات المغربية على أساس كونها قوات احتلال... أما بقية أراضي (الصحراء الغربية) فقد ضمتها موريتانيا.

هذا وقد وقفت الجزائر لتدعم البوليساريو. ولكن عندما قامت موريتانيا بإعادة الأراضي التي كانت قد ضمتها لجبهة البوليساريو، قام المغرب بالاستيلاء عليها عام ١٩٨٠م.

وحتى الآن فالمشكلة قائمة وإن كانت الأوضاع هادئة حيث تسيطر القوات المغربية على الحواضر، ويعيش البولساريو في الصحراء.

٩٩٧ الحرب الأهلية في جمهورية طاجكستان الإسلامية (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)

بالرغم من أن جمهورية طاجكستان قد استقلت عن الاتحاد السوفياتي السابق بعد إعلان انهيار النظام الشيوعي، إلا أن تلك الجمهورية التي يقطنها أغلبية من المسلمين الشيعة لم تتجه نحو الاستقرار. فالصفوة السياسية بها منقسمة على نفسها إنقساماً كبيراً. فلا يزال الفكر الشيوعي يلقى تأييداً من جانب

كبير من الناس هناك، ولكن يبدو كذلك أن المسلمين لا يرغبون إلا في الفوز وإعلان الجمهورية الإسلامية رسمياً. ونتج عن هذا تصارع مسلح بين الجانبين أدى إلى مقتل عشرات الآلاف من السكان وتهجير مئات الآلاف منهم.

٩٩٨ مذابح المسلمين في البوسنة والهرسك (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)

أعلنت يوغسلافيا استقلالها عام ١٩١٨م أي بنهاية الحرب العالمية الأولى، ثم أخذت الحرب العالمية الثانية تندلع في كل مكان في أوروبا فوقعت يوغسلافيا تحت حكم النازي، فتشكلت حكومة كرواتية موالية لألمانيا أخذت ـ بمعونة الصرب ـ في اضطهاد المسلمين. ولما انتهت الحرب العالمية الثانية ظهرت يوغسلافيا ـ التي حررها الاتحاد السوفياتي ـ دولة موحدة تعهد فيها زعماؤها بالمحافظة على حياة وممتلكات كل فئات الشعب اليوغسلافي بما في ذلك المسلمون، ويرجع ذلك إلى الزعيم اليوغسلافي القوي تيتو. وبالرغم من انتشار المذهب الشيوعي هناك إلا أن التاريخ لم يسجل مذابح تحدث للمسلين.. ثم صدر الدستور اليوغسلافي عام ١٩٧٤م ليؤمن حقوق مسلمي البوسنة مثلهم في ذلك مثل بقية جمهوريات الاتحاد اليوغسلافي (كرواتيا ـ مقدونيا ـ سلوفينيا ـ صربيا ـ الجبل الأسود). ولقد رحل الرئيس تيتو عن الحياة في مايو عام ١٩٨٠، ثم جاء انهيار الشيوعية في أوروبا الشرقية فأخذ الصرب يفكرون مرة أخرى في إهدار حقوق الإنسان المسلم، ولهذا فقد أخذوا ومنذ عام ١٩٩٠م في تصعيد حملاتهم العدوانية ضد المسلمين إلى أن تمكنوا ـ أمام عدم رغبة المجتمع الدولي في التدخل ـ في التهام ثلاثة أرباع أراضي جمهورية البوسنة والهرسك، وراح ضحية المعارك الدموية التي شنها الصربيون المدججون بالسلاح على مدينة سارايفو وما حولها ما لا يقل عن ربع مليون شخص بين قتيل وجريح ومعاق ومشرد. ولقد أصدر مجلس الأمن قراراً بشأن فرض عقوبات على حكومة سفاح يوغسلافيا سلوبودان ميلوفيتش ولحماية الإمدادات الطبية والغذائية إلى مدينة سارايفو المحاصرة، ولكن الصربيين لا يودون أن تبقى في أوروبا أية دولة مستقلة إسلامية فهم يرغبون أن تبقى أوروبا بلا مسلمين... إلى الأبد! هذا ويبلغ عدد مسلمي جمهورية البوسنة والهرسك

حوالي سبعة ملايين نسمة، وكان الإسلام قد دخل هناك إبان عصر السلطان العثماني القوي سليمان القانوني عندما فتح بلغراد عام ١٥٢١م.

٩٩٩ التوصل إلى اتفاق سياسي لإنهاء الحرب الأهلية في أفغانستان

(١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)

توصلت القوى السياسية المتصارعة في جمهورية أفغانستان إلى إتفاق سلام وقع في مدينة إسلام آباد عاصمة باكستان بمساعدة حكومتي المملكة العربية السعودية وباكستان لإنهاء الحرب الأهلية المندلعة هناك منذ شهور طويلة مضت.

وقد نص مشروع الاتفاق على أن يصبح برهان الدين رباني رئيساً للجمهورية لمدة ثمانية عشر شهراً، وأن يصبح خصمه قلب الدين حكمتيار، رئيساً للوزراء. وسيتم تشكيل مجلس إسلامي للسيطرة على القوات والأسلحة في كافة أنحاء البلاد.

١٠٠٠ الفلسطينيون والأردنيون يوقعون معاهدتين للسلام مع إسرائيل

(١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)

منذ أن عقد مؤتمر مدريد للسلام في ٣٠ أكتوبر عام ١٩٩١م، والمساعي العربية والدولية تتوالى للتوصل إلى أنسب الصيغ للتوفيق بين أطراف النزاع في الشرق الأوسط... ولقد أثمرت تلك الجهود بتوقيع اتفاق أوسلو (النرويج) يوم ١٢ سبتمبر عام ١٩٩٣م ذلك الاتفاق الذي أنهى فيه الفلسطينيون والإسرائيليون العداوة التاريخية بينهما... ولقد أعقب ذلك جهوداً مكثفة أخرى إلى أن تم توقيع اتفاق الحكم الذاتي الفلسطيني في الرابع من مايو عام ١٩٩٤م في مدينة القاهرة والذي وقعه ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية عن الجانب الفلسطيني، وإسحق رابين رئيس وزراء إسرائيل عن الجانب الإسرائيلي في حضور وزيري خارجية كل من روسيا والولايات المتحدة. ويعطي هذا الاتفاق للفلسطينيين حكماً ذاتياً في قطاع غزة، ومدينة أريحا بالضفة الغربية كمرحلة أولى قبل إتمام إجراءات قيام دولتهم الفلسطينية المستقلة.

وبالرغم من أن ذلك الاتفاق يعد خطوة كبرى إلى الأمام، إلا أن جميع الأطراف تأمل في استمراره ونجاحه لتحقيق آمال الشعب الفلسطيني وعودة القدس لتصبح تحت السيادة العربية كما كانت دائماً.

أما الاتفاق الأردني الإسرائيلي، والذي يعتبر من الناحية السياسية أقل أهمية من إتفاقية الحكم الذاتي الفلسطيني نظراً لأن الأردن لم يكن له أراض محتلة من قبل إسرائيل، فقد وقعه في عمّان عاصمة الأردن في السادس والعشرين من أكتوبر عام ١٩٩٤م الدكتور عبد السلام المجالي رئيس وزراء الأردن، وإسحق رابين رئيس وزراء إسرائيل بحضور العاهل الأردني الملك حسين، والرئيس الأمريكي بيل كلينتون.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية

١ ـ الخلفاء الراشدون. تأليف الدكتور نعمان الطيب سليمان والدكتور محمد عبد الوهاب فضل والدكتور محمد أحمد حسب الله ـ دار الوفاء للطباعة ـ القاهرة ١٩٨٢.

٢ ـ عبقرية الصديق ـ عباس محمود العقاد.

٣ ـ عبقرية عمر ـ عباس محمود العقاد.

٤ ـ فاطمة الزهراء ـ عباس محمود عمر.

٥ ـ تيارات الفكر الإسلامي ـ د. محمد عماره ـ كتاب الهلال ـ دار الهلال القاهرة ١٩٨٢.

٦ ـ الصراع بين العربَ وأوروبا ـ د. عبد العظيم رمضان ـ دار المعارف ـ القاهرة.

٧ ـ مصر في عصر الولاة ـ الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٨.

٨ ـ تاريخ الحضارة المصرية ـ المجلد الثاني ـ تأليف نخبة من العلماء ـ مكتبة مصر القاهرة.

٩ ـ محاضرات في تاريخ ليبيا ـ من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال ـ الدكتور نقولا زيادة ـ القاهرة ١٩٥٨.

١٠ ـ تاريخ العالم الإسلامي ـ الجزء الثامن ـ د. إبراهيم العدوي ـ مطبعة جامعة القاهرة ١٩٨٤.

١١ ـ الإسلام والمسلمون في أفريقيا ـ الدكتور عبد الرحمن زكي ـ القاهرة ١٩٧٠.

١٢ ـ المعاهدات والمهادنات في تاريخ العرب ـ تأليف محمد عبد الغني حسن ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ القاهرة ١٩٦٦.

١٣ ـ غارات أوروبا على الشواطىء المصرية ـ الدكتورة عليه عبد السميع الجنزوري ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧.

١٤ ـ الفتنة الكبرى ـ جزءان ـ د. طه حسين ـ دار المعارف ـ القاهرة.

١٥ ـ قصة الأزهر ـ رحاب العلم والإيمان ـ كتاب الهلال ـ دار الهلال القاهرة ١٩٧٣.

١٦ ـ العصر العباسي الأول (أو القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسيين) ـ التاريخ السياسي ـ الجزء الأول ـ الدكتور عبد المنعم ماجد ـ مكتبة الأنجلو القاهرة.

١٧ ـ المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور ـ ابن إياس ـ ١١ جزءاً ـ كتاب الشعب مطابع الشعب القاهرة ١٩٦٠.

١٨ ـ الأندلسيون المواركة ـ تأليف عادل سعيد بشتاي ـ مطابع انترناشيونال القاهرة ١٩٨٣.

١٩ ـ دائرة معارف الشعب ـ مطابع الشعب القاهرة.

٢٠ ـ مع الأندلس ـ لقاء ووداع ـ الدكتور عبد الرحمن علي الحجي ـ دار القلم ـ دمشق بيروت ١٩٨٠.

٢١ ـ دائرة المعارف الإسلامية ـ المجلد الرابع ـ دار الشعب.

٢٢ ـ العلوم عند العرب ـ تأليف قدري حافظ طوقان ـ مكتبة مصر ـ القاهرة ١٩٧٩.

٢٣ ـ خطط المقريزي ـ جزءان ـ مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ١٩٨٧.

٢٤ ـ القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ تأليف أولج فولكف ـ ترجمة أحمد صليحة ١٩٨٦.

٢٥ ـ في رحاب السنة ـ الكتب الصحاح الستة لفضيلة الشيخ الدكتور محمد محمد أبو شهبة ـ الكتاب الثامن من سلسلة كتب البحوث الإسلامية ـ مجمع البحوث الإسلامية ـ شوال ١٣٨٩ـ ديسمبر ١٩٦٩ـ القاهرة.

٢٦ ـ تاريخ الاغتيالات السياسية في مصر ـ عبد الحكيم العفيفي ـ الدار المصرية اللبنانية القاهرة ١٩٩٢.

٢٧ ـ قدسية الحرمين الشريفين ـ إعداد وحدة بحوث اللغات الإسلامية ـ مركز البحوث والدراسات العربية الإسلامية ـ هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

٢٨ ـ تاريخ العرب الحديث والمعاصر ـ د. رأفت غنيمي الشيخ ـ دار الثقافة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ١٩٨٦.

٢٩ ـ إسلام له تاريخ ـ أحمد الشايب ـ الجزء الأول ١٩٩٠ـ مطبعة قطب القاهرة.

٣٠ ـ من المعجب في تلخيص أخبار المغرب ـ تأليف عبد الواحد بن علي المراكشي ـ اختيار وتقديم الدكتور أحمد بدر ـ منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ دمشق ١٩٧٨.

٣١ ـ فلسفة التاريخ عند ابن خلدون ـ د. زين الخضيري ـ دار الثقافة للنشر والتوزيع ـ القاهرة.

٣٢ ـ تاريخ أوروبا الحديث ـ د. السعيد رزق حجاج ـ د. محمد علي حله ـ دار الوفاء للطباعة ـ القاهرة ١٩٨٣.

٣٣ ـ تاريخ العرب الحديث والمعاصر ـ العراق ـ الدكتور عبد العزيز سليمان نوار ـ مكتب سعيد رأفت للنشر ـ القاهرة ١٩٨٣.

٣٤ ـ الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم ـ جذورها ومسارها ـ د. علي المنتصر الكتاني ـ كتاب الأمة ـ يناير ١٩٩٢ (رقم ٣١).

٣٥ ـ مصر والشرق العربي درع الإسلام ـ الدكتور إبراهيم أحمد العدوي ـ مكتبة الأنجلو القاهرة ١٩٨٥.

٣٦ ـ المختار من تاريخ الجبرتي ـ ٩ أجزاء ـ تحقيق محمد قنديل البقلي ـ كتاب الشعب ـ مطابع الشعب ـ القاهرة ١٩٥٩.

٣٧ ـ العنف والسلام ـ دراسات فلسطينية ـ إبراهيم العابد ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث ـ بيروت ١٩٤٧.

٣٨ ـ الملك الراشد ـ جلالة الملك المغفور له عبد العزيز آل سعود ـ تأليف عبد المنعم الغلامي ـ دار اللواء للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ الطبعة الثانية ١٩٨٠.

٣٩ ـ محاضرات في المسألة الشرقية ومؤتمر باريس ـ ألقاها الدكتور محمد مصطفى صفوت ١٩٥٨ـ معهد الدراسات العربية العالية ـ جامعة الدول العربية.

٤٠ ـ مستقبل أفريقيا السياسي ـ عبد الغني عبد الله خلف الله ـ مؤسسة المطبوعات الحديثة.

٤١ ـ تركستان الغربية ـ محمود شاكر ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان.
٤٢ ـ الصفوة السياسية في الوطن العربي ـ تأليف جورج لينشوفسكي ـ ترجمة د. عادل مختار الهواري ـ دار الموقف العربي ـ القاهرة ١٩٨٧.
٤٣ ـ حركات الوحدة في الوطن العربي ـ تأليف فتحي الطوبجي ـ دار النهضة العربية.
٤٤ ـ إسرائيل المتغيرة ـ الهيئة العامة للاستعلامات ـ القاهرة.
٤٥ ـ ملف وثائق فلسطين ـ الجزء الثاني ـ من عام ١٩٥٠ إلى عام ١٩٦٢ـ وزارة الإرشاد القومي ـ الهيئة العامة للاستعلامات ـ القاهرة.
٤٦ ـ التطورات الأخيرة في قضية فلسطين ـ خيري حماد ـ الدار القومية للطباعة والنشر.
٤٧ ـ البحث عن الذات ـ محمد أنور السادات ـ المكتب المصري الحديث ـ الطبعة الثالثة ١٩٧٩.
٤٨ ـ تاريخ الخلفاء العباسيين ـ للإمام المؤرخ علي بن الساعي ـ قدم له الدكتور عبد الرحيم يوسف الجمل ـ مكتبة الآداب ـ القاهرة ١٩٩٣.
٤٩ ـ فنون الشرق الأوسط في العصر الإسلامي ـ تأليف الدكتوره نعمت إسماعيل علام ـ دار المعارف القاهرة ١٩٨٢.
٥٠ ـ اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى ـ القسم الثامن ـ تأليف شمس الدين السيوطي ـ تحقيق د. أحمد رمضان أحمد ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤.
٥١ ـ المختار من كتاب ولاة مصر وقضاتها ـ للكندي المصري أبي عمر محمد بن يوسف ـ اختيار: إبراهيم أحمد العدوي ـ مراجعة محمد مصطفى زيادة ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ القاهرة.
٥٢ ـ حركات الشيعة المتطرفين إبان العصر العباسي الأول ـ تأليف دكتور محمد جابر عبد العالي الحسيني ـ دار المعرفة القاهرة ١٩٦٧.
٥٣ ـ التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي ـ تأليف الدكتور نظير حسان سعداوي ـ ١٩٥٧ـ مكتبة النهضة المصرية القاهرة.
٥٤ ـ قيام دولة المماليك الثانية ـ تأليف الدكتور حكيم أمين عبد السيد ـ الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٦.
٥٥ ـ سيرة أحمد بن طولون ـ أبي محمد البلوي ـ مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة.

٥٦ ـ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ـ أربعة أجزاء ـ الدكتور حسن إبراهيم حسن ـ مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٨٧.

٥٧ ـ تاريخ الخلفاء ـ للإمام الحافظ السيوطي ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة ١٩٦٩.

٥٨ ـ الحشاشون ـ فرقة ثورية في تاريخ الإسلام ـ تأليف برنارد لويس ـ ترجمة محمد العزب موسى ـ منشورات دار الشرق العربي الكبير ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الألوى ١٩٨٠.

٥٩ ـ صليبية إلى الأبد ـ عبد الفتاح عبد المقصود ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥.

٦٠ ـ تاريخ دمياط منذ أقدم العصور ـ نقولا يوسف ـ مطبعة التحرير القاهرة ١٩٥٩.

٦١ ـ كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ـ تأليف الشيخ الإمام شهاب الدين المقدسي الشافعي ـ جزءان ـ مطبعة وادي النيل بمصر ـ القاهرة ١٢٨٧هـ.

٦٢ ـ مصر والشام والصليبيين ـ الدكتور محمد حلمي محمد أحمد ـ الطبعة الثانية ١٩٨٢م.

٦٣ ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية ـ تأليف محمد فريد بك المحامي ـ دار الجبل ـ بيروت لبنان ١٩٧٧.

٦٤ ـ تاريخ مصر السياسي من الحملة الفرنسية إلى انهيار الملكية ـ تأليف أمين سعيد.

٦٥ ـ تاريخ المغرب العربي (في سبعة قرون بين الازدهار والكمون) ـ تأليف محمد الهادي العامري ـ نشر الشركة التونسية للتوزيع ـ تونس ١٩٧٤.

٦٦ ـ دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ـ تأليف عز الدين عمر أحمد موسى ـ دار الشروق ـ بيروت ـ القاهرة ١٩٨٣.

٦٧ ـ أنساب الأشراف ـ الجزء الأول ـ تصنيف أحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري ـ تحقيق الدكتور محمد حميد الله ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٥٧.

٦٨ ـ محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس ـ الدكتور محمد عبد الحميد الرفاعي ـ ١٩٨٣.

٦٩ ـ الانتصارات العربية العظمى في صدر الإسلام ـ دراسة عن فن الحرب العربي ـ محمد عبد الحليم أبو غزالة ـ مطبوعات الشعب ـ القاهرة.

٧٠ ـ التاريخ السياسي للدولة العربية ـ عصر الخلفاء الأمويين ـ الجزء الثاني ـ الدكتور عبد المنعم ماجد ـ الطبعة الخامسة ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٧٦.

٧١ ـ كتاب المعارف لابن قتيبه.

٧٢ ـ الحروب الصليبية ـ الدكتور علي حبيبة ـ مكتبة الشباب ١٩٨٩.

٧٣ ـ شمال أفريقيا في العصر الوسيط ـ الدكتور زاهر رياض ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٨١.

٧٤ ـ تركيا والسياسة العربية ـ من خلفاء آل عثمان إلى خلفاء أتاتورك ـ اشترك في إعداد هذا الكتاب: أمين شاكر ـ سعيد العريان ـ محمد مصطفى عطا ـ دار المعارف بمصر.

٧٥ ـ تاريخ الفكر المصري الحديث ـ الدكتور لويس عوض ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٠.

٧٦ ـ بروتوكولات حكماء صهيون.

٧٧ ـ العلاقات السعودية الأمريكية ـ في البدء كان النفط ـ بنسون لي جريسون ـ ترجمة سعد هجرس ـ الطبعة الأولى ـ الناشر: سينا للنشر ـ القاهرة ١٩٩١.

٧٨ ـ الأطلس التاريخي للدولة السعودية ـ الدكتور إبراهيم جمعة ـ مطبوعات دار الملك عبد العزيز ـ ١١ـ إصدار عام ١٩٧٢.

٧٩ ـ السعودية وهموم العرب خلال نصف قرن ١٩٢٣ـ ١٩٧٨ـ محمد عنان ـ منشورات المكتب العالمي ـ للطباعة والنشر ـ بيروت.

٨٠ ـ تاريخ أفريقيا وجنوب الصحراء ـ الجزء الأول ـ تأليف دونالد وايدنر ـ ترجمة علي أحمد فخري ـ الدكتور شوقي عطا الله الجمل ـ مراجعة وتعليق الدكتور شوقي عطا الله الجمل ـ تقديم الدكتور عبد الملك عوده ـ مؤسسة سجل العرب ـ القاهرة ١٩٧٦.

٨١ ـ مساجد ودول ـ سنية قراعه ـ مكتب الصحافة الدولي للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٥٨.

٨٢ ـ الدولة العباسية ـ الدكتور عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ـ نشر مكبة نهضة الشرق جامعة القاهرة ـ ١٩٨٥.

ثانياً: المراجع الأجنبية

1 - The Encyclopaedia Americana - International Edition - 1982 - Printed In the U.S.A.

2 - The Great Encyclopedia of Universal Knowledge Odhams Press Limited. Long Acre. London Copyright TS 144 - Printed In Great Britain.

3 - The World Almanac and Book of Facts 1991 - Newspaper Enterprise Association Inc - New York - Printed In the U.S.A.

4 - Pears' cyclopedia - A & F Pears Ltd - Isleworth - Printed In Great Britain.

فهرست الأعلام

- ب -

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

ـ ح ـ

- خ -

- د -

- ر -

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ق ـ

فهرست
المواقع والمدن والبلدان

- ب -

ـ ت ـ

ـ خ ـ

ـ د ـ

ـ ر ـ

ـ ز ـ

ـ س ـ

ـ ش ـ

- ص -

- ط -

- ع -

- غ -

- ف -

- ق -

- ك -

- ل -

- م -

ـ ن ـ